

قصَّالُ الْحَبْ

بِتْ

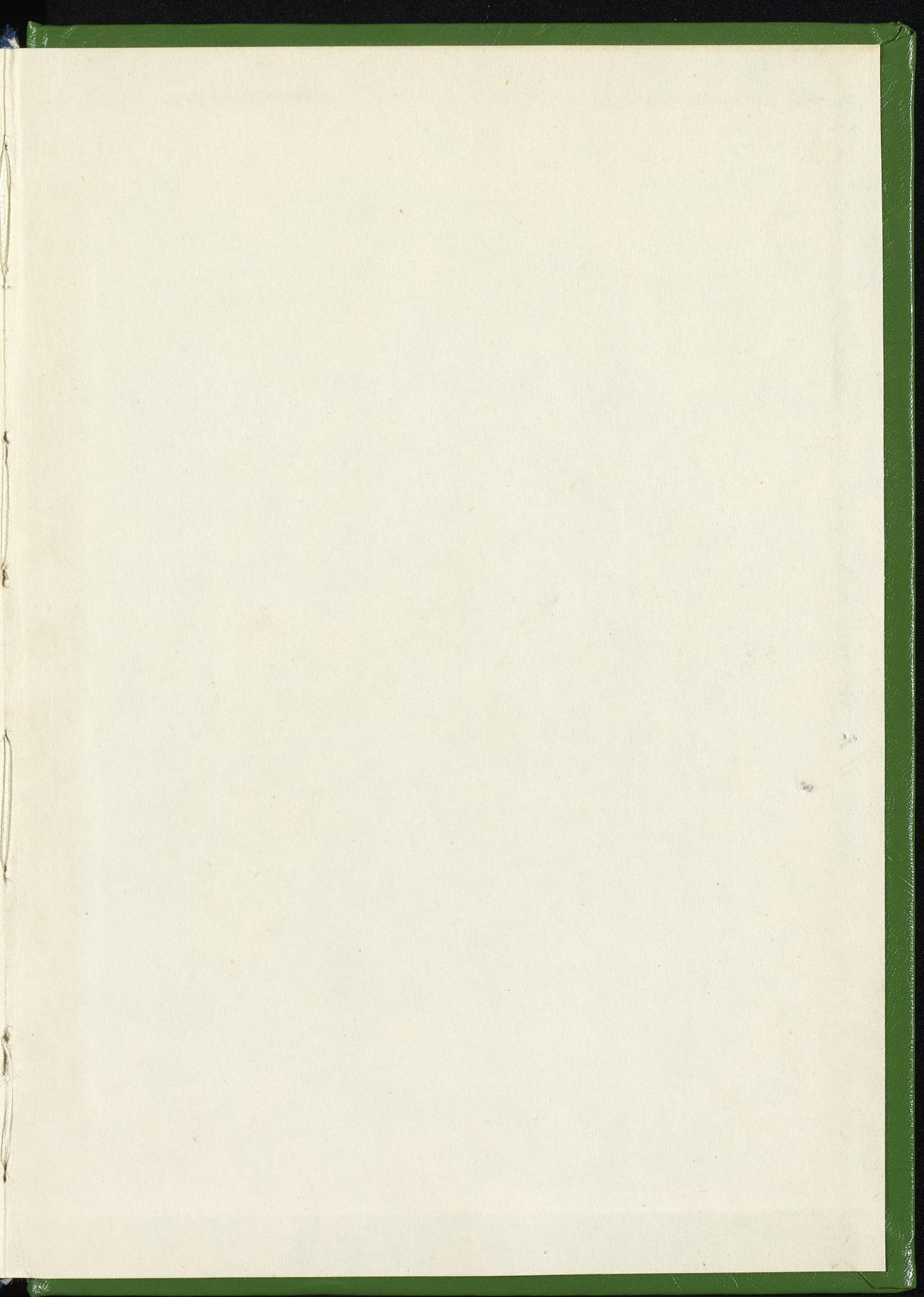
علیٰ مُحَمَّدٌ الرَّبِّیٰ

محمد بن جعفر الباقر

جَنْزِيُّونَ الْقِبْلَةِ الْكَامِنَ

ابْنُ شَهْرَ الْأَذْلِ





(31)

2355

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY

PAIR



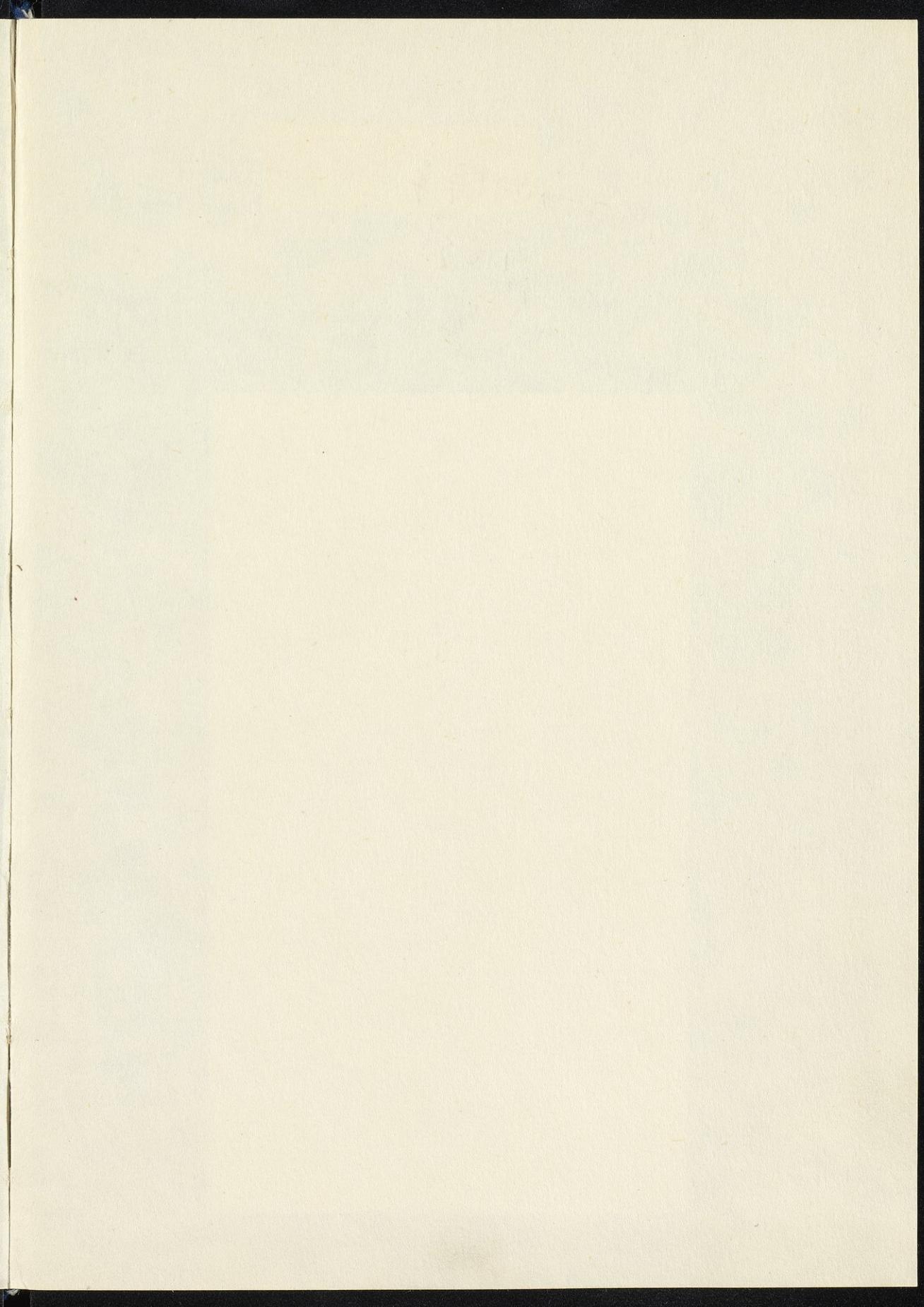
32101 017418672

IR-AR-Y8-931147

V.1

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY

*This book is due on the latest date
stamped below. Please return or renew
by this date.*



Qisāṣ al-Manāḥ

قصص العرب

تأليف

محمد أحمد جاد المولى علي محمد الجاوي محمد أبو الفضيل برهانيم

الجزء الأول

الطبعة الرابعة

[فيها زيادة ضبط وشرح وتحقيق]
١٣٨١ - ١٩٦٢ م

دار النشر والتوزيع
يسى البابي الجلبي وشريكاه

(Arab)

٤٢٧٦٠١

.Q57

al-juz'

القاهرة

(جيم الحقوق عفوظة)

الكتاب قصص العرب

المؤلف محمد أحمد

على أحمد

محمد أبوالفضل إبراهيم

الناشر منشورات الرضي - قم

القطع وزيرى

المطبعة مطبعة أمير - قم

المطبوع ١٠٠٠ نسخة

الطبعة الخامسة

سنة الطبع ١٣٦٤ هـ . ش

عدد الأجزاء أربعة

عدد الصفحات ١٨٦٢ صفحة



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُتَدَمَّةٌ

الطبعة الأولى

تُعدُّ القصة أقدر الآثار الأدبية على تمثيل الأخلاق ، وتصوير العادات ، ورسم خلجان النفوس ؛ كما أنها - إذا شرف غرضها ، ونبُل مقصدها ، وكرمت غايتها - تُهذب الطباع ، وترقق القلوب ، وتدفع الناس إلى المثل العليا : من الإيمان والواجب والحق والتضحية والكرم والشرف والإيثار .

وقد كانت القصة - ولا تزال - ذات الشأن الأسنى في آداب الأمم قد يهاها وحديثها ؛ فقد وردت في التوراة ، وجاءت في الانجيل ، وزخرت بها آئي الذكر الحكيم . ثم هي في شعر الإغريق ومختلفاتِ الرومان ، وأثار المصريين القدماء .

والعرب من الأمم التي أخذت بنصيب من هذا الفن الجميل ، وأثرَ عنها فيضٌ من ذلك الأدب الرفيع ؛ بيد أن بعضًا من الباحثين المحدثين قد جحدوا نصيبيهم من هذا الفن ، وهضمونه حقهم في ذلك الباب ، ووصموم باطناليال العقيم ، وعابوا عليهم الفكر القريب ؛ ولكن المنصفين منهم قد هاجهم هذا الجحود ، ولم يرُقْهم ذلك النكران ، فاعترفوا للعرب بالقصص التي ترجموها عن الفرس والهنود، وتزيَّدوا عليها في القاهرة وبغداد ، وتحدىَّوا للناس عن قصص عترة وذات الهمة ، وجلأوا عليهم ألف ليلة وليلة وأخبار ابن ذي يَزَنَ .

وهذه القصص - وإن كانت قد نجحت نجاحاً تاماً في تصوير العصور التي
وُضِعَتْ فيها ، وَرَسَّمَتْ لنا البيئة التي بُنِتْ منها - كثيرون منها تافهُ الغرض ، مُبْهِمُ
القصد ، ردِّيُّ اللغة والأسلوب . وفي قصر قصص العرب عليها جَحْدُ للآداب
العربية فضلها ، وإنكار عليها مفاخرها . . . وإنما إنما هناك فصصاً زُخرت بها
مجالس الخلقاء ، وسوامر الأمراء ، وملايات الكتب التي انحدرت إلينا عن المؤلفين
القدماء ؛ وما من الناس أن يرددوا شريعتها ، أو يخونوا أطاييفها إلا مامُنِتْ به هذه
الكتب من اضطراب الترتيب ، وردِّيُّ الطبع ، وتحريف الناسخين .

وكتابينا هذا جمعنا فيه هذه القصص : ما انتبذ منها وما شرد ، وألقنا ما تنافر
وافتقر ، وجعلناه أقساماً ، وقسمناه أبواباً ؛ جمعنا كلَّ قصة إلى مثيلها ، وضممنا كلَّ
طرفة إلى شبيهها ؛ ليجتمع إلى غرض القصة - من تهذيب الطبع وترقيق النفوس -
عَرْضٌ شامل لحياة العرب : مدinetهم وحضارتهم ، وعلومهم ومعارفهم ، وأديانهم
وعقائدهم ، وذكرٌ لموائعهم وشمائلهم ، وما طبعوا عليه من كريم الفرائز ، وحدة
الذكاء ، ثم ما كان للمرأة عندهم من سامي المكانة وعظيم المنزلة ، وما أثَرَّ عنهم
من أخبار صوروا بها حبهم العفيف ، وغزلهم الرقيق ، وعشقمهم الشريف ، ولم يخلُ
كتابنا ما كان لهم من محاورات ومساجلات ومطابيات ومناقلات ، وما نقله الرواة
من أحوال العامة والملوك ، وطرف القضاة والولاة ، وأخبار الأيام والمحروب ، وغير
هذا مما سيعرض مفصلاً في أبواب الكتاب .

ولم نقف في اختيار القصة على تعريفٍ خاص ، أو حدِّي مرسوم ، ففيما اخترناه
ما ذكره من طريف الأخبار وشائق الأحداث ، وما وضعوه مصوّرين به المجالس
والأشخاص ، وما صنعوا على ألسنة الطير والحيوان ، وما تخليوه من أخبار الشياطين
والجان ؛ إذ كان الغرض تثقيف الأذهان بذكر الطراف ؛ وانشراح الصدور بعرض

اللطائف ، مع كشف نواحي التاريخ ، وإظهار مفاخر العرب .

ولعل القارئ يروقه ما تدسى فيها من شريف الحصول فيحتذى بها ، أو تعجبه
كرأى العادات فيطبع نفسه عليها ، إلى ما في هذا من نعث فصيح الألفاظ ، وإحياء
رائع الأساليب . ولعله يكون فيها مبادىً صالحة ، وأسس قوية لم يرید أن ينشيء
قصصاً طويلاً على أساس ، أو يقيم روایات على بناء .

وكان من هننا أن نحرص على اختيار القصص كما وضموها ؛ إلا ما كان من
زيادة اقتضاها اختلاف الروایات ، أو تغيير لكلمات لا تألفها الآداب ، أو حذف
عبارات لا غناء فيها .

وقد بذلنا من الجهد في ضبط الألفاظ ، وكشف النقاب عن المعانى ، وترجم
الأشخاص ، وذكر المراجع ما نرجو أن يكون به جنى الكتاب قريباً ومنهله عذباً ،
وورده سائناً ، وطريقه سهلاً معبداً .

نسأل الله أن ينفع به على ما صدقنا في النية ، ورجونا من الخير ۝

المؤلفون

ربيع الآخر سنة ١٣٥٩
(مايو سنة ١٩٣٩)

مقدمة الطبعة الابعة

هذا كتابنا «قصص العرب» نقدمه إلى أدباء العربية في طبعته الرابعة ، بعد أن نفذت طبعته الثالثة ، وازداد الأدباء إقبالاً على اقتنائه وتقديراته .

وكنا قد تلقينا رسائل من بعض أفاضل الأدباء يرغبون إلينا فيها أن ننزل الطريق إلى قراءة الكتاب؛ فنكتب من ضبط الكلمات ، وززيد من شرح المفردات ، فعملنا على تحقيق رغبتهم ، وبذلنا غاية الجهد في تحريره وتحقيقه . وزدنا في شرح كلماته وضبط أعلامه .

ونرجو أن يكون ذلك كفاء لما تلقيناه من رسائل الأدباء ، ولما تفضلت به محفى الشرق العربي من إشادة .

ونسأل الله أن يزيد به النفع بقدر ما بذلنا من جهد ، ورجونا من خير .

المؤلفون

رجب سنة ١٣٨١
ديسمبر سنة ١٩٦٩

القاهرة

(جميع الحقوق محفوظة)

البَابُ إِلَّا أَوْلَى

فِي الْقُصُصِ الَّتِي تَسْتَبِينُ بِهَا مَظَاهِرُ حَيَاتِهِمْ، وَأَسْبَابِ
مَدْنِيَّتِهِمْ، بِذِكْرِ أَسْوَاقِهِمْ وَأَجْلَابِ تِجَارَتِهِمْ، وَالْمَسَاكِنِ
الَّتِي كَانَتْ تَؤْرِيْهِمْ، وَسَافَرَ مَا كَانَ عَلَى عَهْدِهِمْ مِنْ دَلَائِلِ
الْحُضَارَةِ وَوَسَائِلِ الْمَعَاشِ.

١ - قَوْسُ حاجِبٍ بْنِ زُرَارَةَ *

توالت على مصر الجدب والقطخط سبع سنين ؛ حتى كادوا يهلكون ، فلما رأى حاجِب^(١) بن زُرَارَةَ الجندَ والجذبَ على قومه جمع بني زُرَارَةَ فقال : إنى قد أزمتُ على أن آتىَ الملكَ فأطلبَ إِلَيْهِ أَنْ يَأْذِنَ لِقَوْمِنَا فِي كَوْنُوا تَحْتَ هَذَا الْبَحْرَ^(٢) حتى يُخْيِّوْنَا ، فَتَلَّكَ بِعَضُّهُمْ عَلَيْهِ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ : رَشَدْتَ فَاقْفُلْ ؟ غَيْرَ أَنَا نَخَافُ عَلَيْكَ بَكْرَ بْنَ وَائِلَ لِمَا كَانَ يَبْتَنِي وَيَنْهِي ، وَلَا بَدَّ لَكَ مِنْ وُرُودٍ مِيَاهِهِمْ . فَقَالَ : مَا مِنْهُمْ وَجْهٌ مِنَ النَّاسِ وَلَا شَرِيفٌ إِلَّا وَلِي عِنْدَهِ يَدٌ خَضْرَاءٌ إِلَّا بْنُ الطَّوِيلَةِ التَّسْنِيُّ ، وَأَنَا أَرْجُو أَنْ أَدْارِيَهُ ؛ ثُمَّ ارْتَحَلَ .

فَقُلْ لَا يَأْتِيَ عَلَى مَاءِ لَبْكَرٍ إِلَّا أَكْرَمَهُ سِيدُهُمْ ، وَنَحْرَ لَهُ وَقَرَاهُ ، حَتَّى نَزَلَ قُصْوَانَ^(٣) ، وَعَلَيْهِ ابْنُ الطَّوِيلَةِ التَّسْنِيُّ ، فَلَمَّا أَضَاءَ الصُّبْحَ ، وَنَادَاهُمْ قَرِيبٌ مِنْ مَنْزِلِ حاجِبِ الدَّى حَلَّ فِيهِ ، دَعَا حاجِبَ بِيَنْطَعْ ، ثُمَّ أَسْرَ فَصُبَّ عَلَيْهِ التَّمَرُ ؛ ثُمَّ نَادَى حَىَّ عَلَى الْفَدَاءِ . فَنَظَرَ ابْنُ الطَّوِيلَةِ ، فَإِذَا هُوَ بِحاجِبَ ، فَقَالَ لِأَهْلِ الْمَجْلِسِ : أَجِبِيهُ ؛ فَإِنَّهُ سِيدُ قَوْمِهِ ، فَأَتَوْهُ فَأَكْلُوْنَا ، وَأَهْدِي إِلَيْهِ ابْنُ الطَّوِيلَةِ جَزُورًا^(٤) وَشِيَاهًا ، فَنَحْرَ وَأَكْلَ وَأَطْمَ .

وَلَا أَرَادَ حاجِبَ أَنْ يَرْتَحِلَ قَالَ لَهُ ابْنُ الطَّوِيلَةِ : إِنِّي مَعْكَ حَتَّى تَبْلُغَ مَأْمَنَكَ ؛

(*) تقائض جرير والفرزدق : ١ - ٤٦٢ ، طبع ليدن ، بلوغ الأربع : ١ - ١٢٣ ، العقد الفريد : ١ - ١٧٥.

(١) هو سيد بن تيم ، وكان من النفر الذين أرسلهم النهان بن النذر إلى كسرى بعد أن سمع منه تقصى العرب وتهجين أمرهم . أدرك الإسلام وأسلم ، وتوفي سنة ٣ هـ . (٢) البحر : الريف .

(٣) قصوان : موضع في ديار تيم اقه بن نعلبة . (٤) الجزور : البعير .

فإني لا أدرى ما يعرض لك أمامك . فقال حاجب : ليس أمامي أحد أخافه علىّ .
وارتحل حاجب حتى أتى كسرى ؛ فلما شكا إليه الجهد في أنفسهم وأموالهم ،
وطلب أن يأذن لهم فيكونوا في حد بلاده حتى يعيشوا ويحيوا قال له : إنكم
معشر العرب - حرجاء على الفساد ، فإن أذنت لهم أفسدوا البلاد وأغاروا
على الرعية وآذوه . قال له حاجب : فإني ضامن الملك ألا يفعلوا ، قال : ومن لي
بأن تغنى بما تقول ؟ قال : أرهنك قوسى بالوفاء بما ضمنت لك .

ولما جاء حاجب بقوسه صاحب القوم الذين كانوا حول الملك لما رأوا قوسه ،
وقالوا : بهذه العصا تغنى الملك بما ضمنت له . فقال الملك لهم : ما كان ليسلمها الشيء
أبداً . وأمرهم فقبضوها ، وأذن للعرب في أن يدخلوا الريف ^(١) .

ومكث بنو زرارة في الريف مدة ، ثم مات حاجب ، وبعدها زال القحط ،
وخرج أصحاب حاجب إلى بلادهم وارتحل عطّارِد بن حاجب إلى كسرى ليطلب
قوس أبيه ، ولما دخل عليه وكلمه في القوس قال له كسرى : ما أنت بالذى وضعتها
عندى . قال : أجل أيها الملك ! ما أنا بالذى وضعتها . قال : فما فعل الذي وضعتها ؟
قال : هلك ، وهو والدى ، وقد وقى لك أيها الملك بما ضمن لك عن قومه ، ووفى هو
بما قال الملك ؟ قال كسرى : ردوا عليه قوسه ؛ وكساه .

(١) الريف : الأرض فيها الزرع والمحاصب .

* - فَتْكَةُ الْبَرَّاضِ

كان البراء بن قيس الكنانى رجلا فاتكا خليعا^(١) ، يجذب الجنيات على أهله ، فلعله قومه ، وتبرأوا من صنيعه ، فقاربهم ، وقدم مكة ، فالله حرَّب بن أمية ، ثم نَبَأَهُ المقام بِمَكَةَ أَيْضًا ، ففارق أرض الحجاز إلى أرض العراق ، وقدم على النعمان بن المنذر الملك - وكان النعمان يبعث كلَّ عام بلطيمية^(٢) للتجارة إلى عكاظ^(٣) تباع له هناك - فقال يوماً ، وعنه البراء بن عروفة بن عتبة ابن جعفر المعروف بالرَّحال^(٤) : من يجيز لي لطيمتي هذه حتى يبلغها - عكاظ ؟ فقال البراء : أَيْتَ اللعن ! أنا أَجِيزُها على كِنَانة . فقال النعمان : إنما أَرِيدُ من يجيزُها على كِنَانة وَقَيس . فقال عروفة : أَكُلْبُ خَلِيم^(٥) يجيزها ! أَيْتَ اللعن ! أنا أَجِيزُها على أهل الشَّيْحِ والقِصْوَم^(٦) من أهل تهامة وأهل نجد ! فقال البراء - وقد غضب : وغلى كِنَانة^(٧) تجيزُها ياعروفة ؟ قال : وعلى الناس كلهم ! فدفع النعمان اللطيمية إلى عروفة الرحال ، وأمره بالمسير بها ، وخرج البراء

(*) المضاف والمنسوب : ١ - ١٠١ ، بجمع الأمثال : ٢ - ٢٣ ، السكامل لابن الأثير : ١ - ٣٦٠ .

(١) البراش بن قيس الكنانى : فاتك جاهل يضرب بفتكة المثل ، تبراً منه قومه ففارقهم وقدم

(٢) الظاهرة: العبر التي تحيط بالطب وزن التجار (٣) عكاظ: موسم كان من نخلة و الطائف، مه، ثم رحل إلى العروج. وبسببها شُعب حرب العبارين حدث وبين .

كانت تقام من أول ذي القعدة إلى اليوم العشرين منه ، وكان يجتمع بها أكثر أشراف العرب للتجارة ومفادة الأسرى والتعكيم في الخصومات والمفاخرة والمنافرة بالشعر والخطب .

(٤) لقب بالرجال لكتلة رحلته إلى الملوك (٥) كان في الجاهلية إذا قال قائل : هذا ابني خلعته

(٦) كنائنة : هـ قـ ، الـ اـ زـ .
لا يؤخذ بغير بيته (٦) الشيخ والقيصوم : نباتان مما يطلع في السهل ، ويريد على العرب كلهم.

٤٧) لـاه : م قوم البراص .

يَتَبَعُ أَثْرَه وَعُرُوَةَ يَرَى مَكَانَهُ وَلَا يَخْشِي مِنْهُ ، حَتَّى إِذَا كَانَ عُرُوَةُ بَيْنَ ظَهَرَانِي^(١) قَوْمَهُ أَدْرَكَهُ الْبَرَّاضُ بْنُ قَيْسٍ ، فَأَخْرَجَ قِدَاحَهُ يَسْتَقْسِمُ^(٢) بِهَا فِي قَلْ عُرُوَةَ ، فَرَّ^(٣) بِهِ عُرُوَةُ فَقَالَ : مَا تَصْنَعُ يَا بَرَّاضُ ؟ فَقَالَ : أَسْتَقْسِمُ فِي قَتْلِكَ ، أَيُؤْذَنُ لِي أَمْ لَا ؟ فَقَالَ عُرُوَةُ : هَذِهِكَ أَضَعْفُ مِنْ ذَلِكَ ! فَوَثَبَ إِلَيْهِ الْبَرَّاضُ بِالسِيفِ فَقَتَلَهُ .

فَلَمَّا رَأَاهُ الَّذِينَ يَقْوِمُونَ عَلَى الْعِيرِ^(٤) وَالْأَحْمَالِ قَتِيلًا انْهَزَمُوا فَاسْتَأْتَقَ الْبَرَّاضُ الْعِيرَ ، وَسَارَ عَلَى وَجْهِهِ إِلَى خَيْرَهُ ، وَتَبَعَهُ رِجَالٌ نِيَّاً خَذَاهُ : أَحَدُهُمَا غَنَوْيٌّ وَالْآخَرُ غَطَّافَانِي^(٥) ، وَسَارَا حَتَّى لَقِيَاهُمَا الْبَرَّاضُ بِخَيْرٍ ، فَقَالَ لَهُمَا : مَنِ الرِّجَالُانِ ؟ قَالَا : نَحْنُ مِنْ قَيْسٍ ، قَدِيمَنَا لِقَتْلِ الْبَرَّاضِ ، فَأَنْزَلَهُمَا وَعَقَلَ رَاحِلَتِهِمَا ثُمَّ قَالَ : أَيْسَكَا أَجْرًا عَلَيْهِ وَأَجْوَدُ سِيفًا ؟ قَالَ الْغَطَّافَانِي^(٦) : أَنَا ، فَأَخْذُهُ وَمَشِي مَعِهِ لِيَدُهُ - بِزَعْمِهِ - عَلَى الْبَرَّاضِ ، ثُمَّ قَالَ لِلْغَنَوْيِّ : احْفَظْ رَاحِلَتِكَا ، فَفَعَلَ .

وَانْطَلَقَ الْبَرَّاضُ بِالْغَطَّافَانِي حَتَّى أَخْرَجَهُ إِلَى خَرِبَةِ^(٧) فِي جَانِبِ خَيْرَهُ ، وَقَالَ لَهُ : هُوَ فِي هَذِهِ الْخَرِبَةِ يَأْوِي إِلَيْهَا ، فَأَمْهَلْنِي حَتَّى أَنْظِرَ أَهُوَ فِيهَا ؟ فَوَقَفَ ، وَدَخَلَ الْبَرَّاضُ ؛ ثُمَّ خَرَجَ فَقَالَ : هُوَ فِيهَا وَهُوَ نَائِمٌ ، فَأَرِنِي سِيفَكَ حَتَّى أَنْظِرَ إِلَيْهِ : أَضَارِبٌ هُوَ أَمْ لَا ، فَأَعْطَاهُ سِيفَهُ ، فَضَرَبَ بِهِ حَتَّى قَتَلَهُ ، ثُمَّ أَخْفَى السِيفَ وَعَادَ إِلَى الْغَنَوْيِّ ، فَقَالَ لَهُ : لَمْ أَرَ رِجَالًا أَجَبَنَّ مِنْ صَاحِبِكَ ، تَرَكْتُهُ فِي الْبَيْتِ الَّذِي فِيهِ الْبَرَّاضُ وَهُوَ نَائِمٌ فَلَمْ يُقْدِمْ عَلَيْهِ ! فَقَالَ : انْظِرْ لِي مَنْ يَحْفَظُ الرَّاحِلَتَيْنِ حَتَّى أَمْضِي إِلَيْهِ فَأَقْتَلَهُ ، فَقَالَ : دَعْهُمَا وَهَا عَلَى^(٨) ، ثُمَّ انْطَلَقا إِلَى الْخَرِبَةِ ، فَقَتَلَهُ وَسَارَ بِالْعِيرِ إِلَى مَكَانِ

(١) بَيْنَ ظَهَرَانِي قَوْمَهُ : أَيْ فِي وَسْطِهِمْ (٣) الْإِسْتَقْسَامُ : كَانُوا إِذَا أَرَادُوا حَدْمَ سَفَرًا أَوْ تَرَوِيَّجًا أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ مِنَ الْهَمَاءِ ضَرَبَ بِالْقِدَاحِ ، وَكَانَ عَلَى بَعْضِهَا مَكْتُوبٌ : أَمْرَنِي رَبِّي ، وَعَلَى بَعْضِهَا الْآخَرُ : نَهَانِي رَبِّي ، وَالْبَاقِي غَفَلٌ ، فَإِنْ خَرَجَ أَمْرَنِي رَبِّي مَضِي لِشَانَهُ ، وَإِنْ خَرَجَ نَهَانِي رَبِّي ، أَمْسِكْ ، وَإِنْ خَرَجَ الْفَلْ أَجَالَهُ ، وَضَرَبَ بِهَا أُخْرَى لِمَلِي أَنْ يَخْرُجَ الْأَمْرُ أَوْ النَّهَى (٣) الْعِيرُ : الْأَبْلُ تَحْمِلُ الْمَيْدَةَ ، وَلَا وَاحِدٌ لَهَا مِنْ لَفْظِهَا (٤) الْخَرِبَةُ : مَوْضِعُ الْخَرَابِ .

٣ - حياة آل جفنة*

قال خارجة بن زيد : دعينا إلى مأدبة^(١) . فحضرتُها وحسان^(٢) بن ثابت قد حضرها ، فجلسنا جميعاً على مائدة واحدة ، وهو يومئذ قد ذهب بصره ، ومعه ابنه عبد الرحمن ، فكان إذا أتى طعام سأله ابنته : أطعم يد أم يدين ؟ (يعني باليد الثريد وباليدين الشوأ لأنه يُنهش نهشاً) . فإذا قال : طعام يدين أمسك يده . فلما فرغوا من الطعام أتوا بمحاريتين : إحداهما رائفة ، والأخرى عزة ، فجلستا وأخذنا مِزْهَرِيهِ^(٣) وضربتا ضرباً عجيباً ، وغنتَا بقول حسان :

انظُرْ خَلِيلِي بِيَطْنِ حِلْقَ هَلْ . تُونِس^(٤) دُونَ الْبَلْقاءِ مِنْ أَحَدِ

فسمع حسان يقول : قد أراني بها سميعاً بصيراً ، وعيناه تدمعن ، فإذا سكتتا سكت عنه البكاء ، وإذا غنتا بكى ، فكنت أرى ابنته عبد الرحمن إذا سكتتا يشير إلىهما أن تغنى فيشكى أبوه !

فلما انقلب حسان من المأدبة إلى منزله استلقى على فراشه ; ووضع إحدى رجليه على الأخرى ، وقال : لقد أذكَرْتُني رائفةً وصاحبتها أمراً ماسمعته أذناي بعيده ليالي جاهليتنا مع جبلة بن الأيمم ، ثم تبسم وجلس فقال : لقد رأيت عشر قيام ؛ خمس روميات يغنين بالرومية بالبرابط^(٥) ، وخمس يغنين غناء أهل الخيرة أهدافهن

(*) الأغانى : ١٦ : ١٤ .

(١) المأدبة : كل طعام يصنع لدعوة أو عرس . (٢) هو شاعر رسول الله ، وقد نشأ في الجاهلية وبه شأنه فيها ، وعاش طويلاً في الإسلام ، ومات في خلافة معاوية سنة ٥٤ هـ .

(٣) المزهر : عود يضرب به (٤) تونس : تبصر : اللسان مادة - عجب . ومادة - بلق . وجلق بكسرتين وتشديد اللام وقف : أيام لكرورة الفوطة كلها : وقيل قربة من قراها . وقيل دمشق نفسها (المراسد) (٥) البربط : العود .

إِلَيْهِ يَلَاسُ بْنُ قَبِيْصَةَ ، وَكَانَ يَفْدِ إِلَيْهِ مِنْ يَنْعِيْهِ مِنَ الْأَرْبَابِ مِنْ مَكَّةَ وَغَيْرِهَا ، وَكَانَ
إِذَا جَلَسَ لِلشَّرْبِ فُرِشَ تَحْتَهُ الْأَسْ وَالْيَالِيْسِينَ وَأَصْنَافُ الرِّيَاحِينَ ، وَضَرَبَ لَهُ
الْمَنْبِرُ وَالْمَلْسَكُ فِي صَحَافِ الْفَضْلَةِ وَالْذَّهَبِ ، وَأَتَى بِالْمَلْسَكِ الصَّحِيحِ فِي صَحَافِ الْفَضْلَةِ ،
وَأَوْقَدَ لَهُ الْمَنَدَّى إِنْ كَانَ شَاتِيًّا ، وَإِنْ كَانَ صَائِفًا أُتَى هُوَ وَأَحْمَابُهُ بِكِسَاءَ^(١) صَيْفِيَّةَ
يَتَفَضَّلُونَ^(٢) بِهَا ، وَفِي الشَّتَاءِ يَؤْتَى بِفَرَاءِ الْفَنَكَ^(٣) وَمَا أَشْبَهُهُ ، وَلَا وَاللهُ
مَا جَلَسْتُ مَعَهُ يَوْمًا قَطُّ إِلَّا خَلَعَ عَلَىٰ ثِيَابِهِ الَّتِي عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ وَعَلَىٰ غَيْرِي مِنْ
جَلْسَائِهِ ، هَذَا مَعَ حَلْمٍ عَنْ جَهَلٍ وَضَحْكٍ ؛ وَبَذْلٍ مِنْ غَيْرِ مَسَأْلَةٍ ، مَعَ حُسْنٍ وَجَهَ
وَحَسْنٍ حَدِيثٍ ، مَا رَأَيْتُ مِنْهُ خَنَّاقَطَ وَلَا عَرْبَدَةَ ، وَنَحْنُ يَوْمَئِذٍ عَلَىٰ الشَّرِكِ .
فَجَاءَ الإِسْلَامُ فَمَحَا الْكُفَّارَ وَتَرَكُنَا النَّهْرَ وَمَا كَرِهَ . وَأَتَمَ الْيَوْمَ مُسْلِمُونَ تَشْرِبُونَ
هَذَا النَّبِيذَ مِنَ التَّمَرِ ، وَالْفَضِيْخَ^(٤) مِنَ الزَّهْرِ وَالرَّطْبِ ؟ فَلَا يَشْرُبُ أَحَدٌ كَمْ ثَلَاثَةَ
أَقْدَاحٍ حَتَّى يَذْهَبَ بِعْقَلَهُ وَدِينَهُ ؟ أَفَلَا تَتَهَوُنُ !

(١) الْكِسَاءُ : جَمْ كَسْوَةٌ . (٢) التَّفَضُّلُ : التَّوْسِعُ ؛ وَأَنْ يَخَالِفَ الرَّءُوفُ بَيْنَ أَطْرَافِ نُوِيبِهِ

(٣) الْفَنَكُ : دَابَةٌ فَرُوتَهَا أَطْيَبُ أَنْوَاعِ الْفَرَاءِ وَأَشْرَفُهَا . (٤) الْفَضِيْخُ : شَرَابٌ يَتَخَذُ

مِنْ بَسْرِ

٤ — الأعشى والمُحلق*

قال بعض أهل الbadia :

كان لأبي المَلْقَ (١) شرف ، فات وقد أتاف ماله ، وبقي المَلْقَ وثلاث
أخوات له ولم يترك لهم إلا ناقة واحدة وبُرُدِينْ كان يشهدُ فيما المُحْقُوق .
فأقبل الأعشى (٢) من بعض أسفاره يريد منزلة باليمامة ، فنزل الماء الذي به
المَلْقَ فقرأه أهل الماء وأحسنوا قرائاه . ثم أقبلت عمة المَلْقَ ، فقالت : يابن أخي ،
هذا الأعشى قد نزل بمنا ، وقد قرأه أهل الماء والعرب تزعم أنه لم يدحْ قوماً إلا
رَفَعَهُمْ ، ولم يهُجْ قوماً إلا وضعهم ، فانظر ما أقول لك واحتل في زيقٍ من خمر
من عند بعض التجار ، وأرسِل إلينه بهذه الناقة والزقّ وبُرُدَى أبيك ، فوالله لئن
اعتلَجَ (٣) السَّكِيدُ والسَّنَامُ والنَّمُرُ في جوفه ، ونظر إلى عطفته في البُرُدَين ، ليقولَ
فيك شعراً يرفك به . قال : مأملات غير هذه الناقة ، وأناأتُو قَعْ رِسْلَها (٤) .
ثم أقبل يدخل ويخرج ويَهُمْ ولا يفعل ، فكلما دخل على عمه حضته ،
حتى دخل عليها فقال : قد ارتحل الرجلُ ومضى . قالت : الآن والله أحسن ما كان
القرَى ؟ تُتَبِّعُهُ ذلك مع غلام أبيك - وهو مولى له أسود شيخ - فإذا لحقه أخباره
عنك أنت كنتَ غائباً عن الماء عند نزوله إياه ، وأنك لما وردتَ الماء فعلمتَ أنه كان

(*) الأغاني : ٩ : ١١٣ ، بلوغ الأرب : ٢ : ١٦٢ .

(١) المَلْقَ : لقب عبد العزى بن حنتم من كلاب بن ربيعة ، ولقب بذلك يوم عصبه حسان
في وجيته فترك بها أثراً على شكل الحلقة . (٢) هو أعشى قيس ، واسميه ميمون بن قيس ، أحد
الأعلام من شعراء الجاهلية وغولهم ، وهو أول من سأله بشره واتبع به أقصاصي البلاد ، أدرك
الإسلام ولكنه لم يسلم . توفي سنة ٧٠ . (٣) اعتلَجَ : اختلط . (٤) الرسل : اللبن .

بِهِ كَرِهْتَ أَنْ يَفُوتَكَ قِرَاهُ ؛ فَإِنَّ هَذَا أَحْسَنُ لَمَوْقِعِهِ عَنْهُ . وَلَمْ تَرْزِلْ تَحْضُهُ حَتَّى
أَتَى بَعْضَ التَّجَارِ فَكَلَمَهُ أَنْ يُقْرِضَهُ مِنْ زَقَّ خَمْرٍ ، وَأَتَاهُ بْنُ يَضْمَنَ ذَلِكَ عَنْهُ
فَأَعْطَاهُ . ثُمَّ وَجَّهَ بِالنَّاقَةِ وَالثَّمْرِ وَالبُرْدِينِ مَعَ مَوْلَى أَيْمَهُ ، فَخَرَجَ يَتَّبِعُهُ ؛ فَكَلَمَاهُ مِنَ
بَعْدِ قِيلٍ : ارْتَحِلْ أَمْسِيَ عَنْهُ ، حَتَّى صَارَ إِلَى مَنْزِلِ الْأَعْشَى بِمَنْفُوْحَةٍ^(١) الْيَامَةُ ؛
فُوجِدَ عَنْهُ عَدَّةً مِنَ الْفِتَيَانِ قَدْ غَدَّاهُمْ بِغَيْرِ لَمٍ ، وَصَبَّاهُمْ فَضْيِيقًا^(٢) ؛ فَهُمْ يَشَرِّبُونَ
مِنْهُ . وَقَرَعَ الْبَابُ قَالَ : انْظُرُوا مَنْ هَذَا ؟ فَخَرَجُوا إِذَا رَسُولُ الْمُحَمَّدِ يَقُولُ كَذَا
وَكَذَا ؛ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ وَقَالُوا : هَذَا رَسُولُ الْمُحَمَّدِ الْكَلَابِيُّ أَتَاكَ بَكِيرَةً وَكِيتَ .
قَالَ : وَيَحْكُمُ ! أَعْرَابِيٌّ وَالَّذِي أُرْسِلَ إِلَى لَاقَدْرَةِ لَهُ ! وَاللَّهُ لَئِنْ اعْتَلَجَ السَّكِيدُ وَالسَّنَامُ
وَالثَّمْرُ فِي جَوْفِ لَأْقُولَنَّ فِيهِ شِعْرًا لَمْ أَقْلِ قَطُّ مِثْلَهُ . فَوَابَهُ الْفِتَيَانُ وَقَالُوا : غَبَتَ عَنَّا
فَأَطْلَطَتِ الْفَيْبَيَةَ ، ثُمَّ أَتَيْنَاكُمْ فَلَمْ تُطْعَمُنَا لَهُمَا وَسَقَيْتَنَا الْفَضْيَخَ ؛ وَاللَّهُمُ وَالثَّمْرُ بِيَابِكَ ،
لَا نَرْضِي بِذَا مِنْكَ . قَالَ : ائْذُنُوا لَهُ ؛ فَدَخَلَ فَادِي الرِّسَالَةِ ، وَقَدْ آتَاهُ الْجَزُورَ
بِالْبَابِ ، وَوَضَعَ الزَّقَّ وَالبُرْدِينَ بَيْنَ يَدِيهِ ؛ قَالَ : أَقْرَبْهُ السَّلَامُ ، وَقَلَ لَهُ : وَصَلَّتْكَ
رَحْمَ ، سِيَّاتِيكَ ثَنَاؤُنَا .

وَقَامَ الْفِتَيَانُ إِلَى الْجَزُورِ فَنَحْرُوهَا وَشَقُّوا خَاصِرَتَهَا عَنْ كَبِدِهَا وَجَلَدَهَا عَنْ
سَنَامِهَا ، ثُمَّ جَاءُوا بِهِمَا ، فَأَقْبَلُوا يَشْوُونَ ، وَصَبُّوا الثَّمْرَ فَشَرَبُوا ، وَأَكَلُ مِنْهُمْ
وَشَرَبَ ؛ وَلِبَسَ الْبَرْدِينَ ؛ وَنَظَرَ إِلَى عَطْفَيْهِ فِيهِمَا ؛ فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

أَرِقْتُ وَمَا هَذَا الشَّهْـادُ الْمُؤْرِقُ^(٣) وَمَا بِـيَـ منْ سُـمٍـ وَمَابِـيَـ مَعْـشَقـ^(٤)
وَفِيهَا يَقُولُ :

نَفَّ الدَّمَّ عَنْ آلِ الْمُحَمَّدِ جَفَنَةٌ^(٥) كَجَـاـيـةـ^(٦) الشِّـيـخـ العـراـقـ تـفـهـ

(١) مَنْفُوْحَةٌ : قَرْيَةٌ فِي نَوَاحِي الْيَامَةِ ؛ يَسْكُنُهَا الْأَعْشَى وَفِيهَا قَبْرُهُ . (٢) الْفَضْيَخُ : شَرَابٌ
يَتَخَذَّلُ مِنْ بَسَرٍ . (٣) مَعْشَقٌ : عَشْقٌ . (٤) الْجَـاـيـةـ : حَوْضٌ ضَخْمٌ . (٥) فَهَقِ الإِلَاءُ : امْتَلَأَ .

ترى القومَ فيها شارِعِينَ وَيُنْهِمُ
معَ الْقَوْمِ وَلَدَانَ مِنَ النَّسْلِ دَرْدَقُ^(١)
لِعَمْرِي لَقَدْ لَاحَتْ عَيْنُ كَثِيرَةٍ
إِلَى ضُوءِ نَارِ الْيَقَاعِ^(٢) تَحْرَقُ
شَبَّ لِمَقْرُورَيْنِ يَصْطَلِيَاهَا
رَضِيعِي لِبَانِي ثَدَى أُمِّ تَقَاسَمَا
بِأَسْحَمِ^(٣) دَاجِ عَوْضُ لَاتَفَرَقُ
كَازَانَ مَتَنَ الْهَنْدُوَانِي رَوْنَقُ^(٤)
يَدَاهُ يَدَا صِدْقِي ، فَكَفَّ إِذَا مَاضَنَ بِالْمَالِ تُنْفِقُ
وَسَارَ الشِّعْرُ وَشَاعَ فِي الْعَرَبِ . فَأَتَتْ عَلَى الْمُحَلَّ سَنَةً حَتَّى زَوَّجَ أَخْوَاهُ الْثَّلَاثَ ،
كُلُّ وَاحِدَةٍ عَلَى مَائِهَ نَاقَةٌ ؛ فَأَيْسَرَ وَشَرُوفَ .

* - احتكام الشعراء في عكاظ*

حُكِيَ عَنْ نَابِغَةِ^(٥) بْنِ ذُبِيَانَ أَنَّهُ كَانَتْ تُضْرِبُ لِهِ قَبَّةً مِنْ أَدَمَ بِسُوتِ
عُكَاظٍ يَجْتَمِعُ إِلَيْهِ فِيهَا الشِّعْرَاءُ ، فَدَخَلَ إِلَيْهِ حَسَانُ بْنُ ثَابَتُ ، وَعِنْدَهُ الْأَعْشَى ،
وَقَدْ أَشَدَّهُ شِعْرُهُ ، وَأَنْشَدَهُ اَنْذِنَسَاءَ قَوْلَهَا :
فَذَى بَعِينَكَ أُمَّ بِالْعَيْنِ عُوَارُ أُمَّ ذَرَفَتْ^(٦) إِذْ خَلَتْ مِنْ أَهْلِهَا الدَّارُ
حَتَّى اتَّهَتْ إِلَى قَوْلَهَا :

(١) الدردق : الصبيان الصغار . (٢) اليقاع : القتل . (٣) الأسحام : الأسود ؟ والمراد الليل ، ودجا الليل : أظلم . وعوض : أبداً . (٤) الهندوانى : السيف عمل يبلاد الهند ، ورونق السيف : مأوه وحسن .

(*) الأغاني : ٩ : ٣٤٠ ، الشعر والشعراء : ١٢٣ .

(٥) هو أبو أمامة زياد بن معاوية ، أحد خول شعراء الجاهلية وحكمهم بعكاظ ، ولقب بالنابغة لنبوغه في الشعر خيارة وهو كبير بعد أن امتنع عليه وهو صغير ، وهو من أشراف ذييان ، وعمر طوبلا ومات قبل البعثة . (٦) العوار : كل ما أعمل العين . وذرفت : قطرت .

وَإِنَّ صَخْرَاً لِتَأْتِمُ الْمُهَدَّدَةَ بِهِ كَانَهُ عَلَمٌ^(١) فِي رَأْسِهِ نَارٌ
وَإِنَّ صَخْرَاً لِمَوْلَانَا وَسِيدُنَا وَإِنْ صَخْرَاً إِذَا نَشَّطُ^(٢) لِنَحَّارٌ
فَقَالَ : لَوْلَا أَنْ أَبَا بَصِيرَ^(٣) أَنْشَدَنِي قَبْلَكِ لِقْلَتْ : إِنَّكِ أَشْعَرُ النَّاسِ . أَنْتِ
وَاللَّهِ أَشْعَرُ مِنْ كُلِّ أَنْتِ ! قَالَتْ : وَاللَّهِ وَمِنْ كُلِّ رَجُلٍ .
فَقَالَ حَسَانٌ : أَنَا وَاللَّهِ أَشْعَرُ مِنْكَ وَمِنْهَا . قَالَ : حِيثُ تَقُولُ مَاذَا ؟ قَالَ :
حِيثُ أَقُولُ :

لَنَا الْجَفَنَاتُ الْفُرُّ يَلْمَعُنَّ بِالضَّحَا
وَأَسِيافُنَا يَقْطُرُنَّ مِنْ نَجْدَةِ دَمًا
وَلَدْنَا بْنَى الْعَنْقَاءَ^(٤) وَابْنَى مُحَرَّقٍ فَأَكْرَمْ بَنَا خَالَاؤْ وَأَكْرَمْ بَنَا ابْنَامَا
فَقَالَ : إِنَّكَ شَاعِرٌ لَوْلَا أَنْتَ قَلْتَ : « الْجَفَنَاتُ » فَقَلَّتَ الْعَدُّ ، وَلَوْ قَلْتَ :
« الْجِفَانُ » لَكَانَ أَكْثَرُ . وَقَلْتَ : « يَلْمَعُ فِي الضَّحَا » ، وَلَوْ قَلْتَ : « يَبْرُقُنَّ
بِالدُّجَاجَا » لَكَانَ أَبْلَغُ فِي الْمَدِيْعِ ؛ لَأَنَّ الضَّيْفَ بِاللَّيْلِ أَكْثَرُ طَرْوَقًا . وَقَلْتَ :
« يَقْطُرُنَّ مِنْ نَجْدَةِ دَمًا » فَدَلَّتَ عَلَى قَلْةِ الْقَتْلِ ، وَلَوْ قَلْتَ : « يَجْرِيْنَ » لَكَانَ
أَكْثَرُ لَا نِصْبَابِ الدَّمِ ، وَفَخَرَتَ بِمَا وَلَدْتَ ، وَلَمْ تَفْخَرْ بِمَنْ وَلَدَكَ .
فَقَامَ حَسَانٌ مُنْكَسِرًا مُنْقَطِعًا !

(١) الْعَلَمُ : الْجَبَلُ (٢) شَتَا الْقَوْمُ : أَجْدِيْوَا فِي الشَّتَاءِ . (٣) أَبُو بَصِيرٌ : كِنْيَةُ الْأَعْشَى .

(٤) الْعَنْقَاءُ : ثُعْلَةُ بْنُ عَمْرُو مُزِيْقَا بْنُ عَامِرٍ بْنُ مَاءِ السَّمَاءِ . وَمُحَرَّقٌ : هُوَ الْحَارَثُ بْنُ عَمْرُو مُزِيْقَا . وَكَانَ أَوْلُ مَنْ عَاقَبَ بِالنَّارِ .

٦ — عند كسرى*

خرج أبو سفيان في جماعة من قريش ، يريدون العراق بتجارة ؛ فلما ساروا ثلاثة جعهم أبو سفيان ؛ فقال لهم : إننا من مسينا هذا على خطير ، لقد قدمنا على ملك جبار ، لم يأذن لنا في القدوم عليه ، وليس بلاده لنا متجرا ، ولكن أيكم يذهب بالغير ، فإن أصيب فحن برأه من دمه ، وإن غنم فله نصف الربح .

قال غilan^(١) بن سلمة : دعوني إذن ، فأنا لها .

فـلما قـدـمـ بـلـادـ كـسـرـىـ تـحـلـقـ^(٢) ، وـلـبـسـ ثـوـبـينـ أـصـفـرـينـ ، وـشـهـرـ أـمـرـةـ ، وـجـلـسـ بـيـابـ كـسـرـىـ حـتـىـ أـذـنـ لـهـ ، فـدـخـلـ عـلـيـهـ ، وـخـرـجـ إـلـيـهـ التـرـجـانـ^(٣) وـقـالـ لـهـ : يـقـولـ لـكـ الـمـلـكـ : مـاـ أـدـخـلـكـ بـلـادـ بـغـيرـ إـذـنـ ؟

قال : قـلـ لـهـ : لـسـتـ مـنـ أـهـلـ عـدـاوـةـ لـكـ ، وـلـأـبـيـتـكـ جـاسـوسـاـ لـضـدـ مـنـ أـضـادـكـ ؛ وـإـنـاـ جـشـتـ بـتـجـارـةـ تـسـتـمـقـعـ بـهـاـ ؛ فـإـنـ أـرـدـتـهـاـ فـهـيـ لـكـ ، وـإـنـ لـمـ تـرـدـهـاـ ، وـأـذـنـتـ فـبـيـعـهـاـ لـرـعـيـةـكـ بـعـتـهـاـ ؛ وـإـنـ لـمـ تـأـذـنـ فـذـلـكـ رـدـدـتـهـاـ ؛ وـجـعـلـ يـتـكـلـمـ ، فـإـذـاـ سـعـ صـوتـ كـسـرـىـ سـبـدـ .

قال له الترجان : يقول لك الملك : لم سجدت ؟

قال : سمعت صوتاً عالياً ، حيث لا ينبغي لأحد أن يعلو صوته إلا جلال الملك ، فعلمت أنه لم يُقدم على رفع الصوت هناك غير الملك ؛ فسجدت باعظاماً له .

فاستحسن كسرى ما فعل ؛ وأمر له بيرفة^(٤) توضع تحته .

لما أتي بها

* بلوغ الأربع : ٣٢٠-١ ، العقد الفريد : ١٧٥-١ .

(١) غilan بن سلمة الثقفي شريف شاعر جاهلي ، كانت له ثلاثة أيام : يوم يحكم فيه بين الناس ؛ ويوم ينشد فيه شعر ، ويوم ينظر فيه إلى جاهله ، وأسلم بعد فتح الطائف . (٢) تخلق : تطيب .

(٣) الترجان : بضم التاء المثلثة وفتحها : المفردة . (٤) المرفة : الحدة .

رأى عليها صورةَ الملك ؟ فوضعها على رأسه ؛ فاستجهله كسرى واستحمدقه . وقال للترجمان : قل له : إنما بعثنا بهذه لتجلس عليها . قال : قد عامتُ ، ولكن لما أتيتُ بها رأيتُ عليها صورةَ الملك ، فلم يكن من حقّ مثلّي أن يجلس عليها ؛ ولكن كان حقّها التعظيم ؛ فوضعتها على رأسِي ؛ لأنَّه أشرفُ أعضائي وأكرمها علىَّ ! فاستحسنَ فعله ، ثم قال له : ألك ولد ؟ قال : نعم ! قال : فاذْهُبْ أحبُ إليك ! قال : الصغير حتى يكبرَ ، والمريضُ حتى يَبْرَأُ ، والهابط حتى يتوبَ . فقال كسرى : زَهْ ! ما أذْهَلَكَ علىَّ ، ودَلَّكَ علىَ هذا القول والفعل إِلا حظُّكَ ! فهذا فعلُ الحكاء وكلامُهم ، وأنت من قومٍ جُفَاه لا حِكْمة فيهم ؛ فما غذاؤك ؟ قال : خبزُ الْبُرْ . قال : هذا العقل من الْبُرْ لا من اللَّبَنِ والثَّمَرِ .

ثم اشتري منه التجارة بأضعافٍ منها ، وكساه ، وبعث معه من الفرس مَنْ بَنَى له أطْمَانًا^(١) بالطائف ، فكان أولَ أطْمَانٍ بَنَى بها .

(١) الأطمَانُ : التصرُّ ، وجمعه آطامٌ .

* ٧ — عند النجاشي

قال عمرو^(١) بن العاص :

لما انصرفنا مع الأحزاب عن الخندق جمعت رجالاً من قريش كانوا يرون رأيي، ويسعون مني ، فقلت لهم : تعلمون - والله - أني أرى محمدًا يعلو الأمور علوًّا منكراً؛ وإنى قد رأيت أمراً فما ترون فيه ؟ قالوا : وماذا رأيت ؟ قال : رأيت أن نلحق بالنجاشي فنكون عنده ، فإن ظهر محمد على قومنا كنا عند النجاشي ، وإن ظهر قومنا فنحن مَنْ قد عَرَفُوا ، فلن يأتيانا منهم إلا خير . قالوا : إن هذا لرأي ! قلت : فاجمعوا لنا ما نُهْدِيه له ، وكان أحب ما يهدى إليه من أرضنا الأداء .

جمعنا له أداءً كثيراً ، ثم خرجنا حتى قدمنا عليه ، فوالله إنا لَعِنْدَه إذ جاءه عمرو بن أمية الضميري - وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعثه إليه في شأن جعفر^(٢) وأصحابه . قال : فدخل عليه ، ثم خرج من عنده ، فقلت لأصحابي : هذا عمرو بن أمية الضميري ، لو قد دخلت على النجاشي فسألته إياه فأعطيته ، فضررت عنقه ! فإذا فعلت ذلك رأت قريش أني قد أجزأت عنها حين قلت رسول محمد . قال : فدخلت عليه ، فسجدت له كما كنت أصنع ، فقال : مرحباً بصديق ؛ أهديت إلى من بلادك شيئاً ؟ قلت : نعم أيها الملك ؛ قد أهديت إليك أداءً كثيراً ؛ ثم قربته إليه ، فأعجبه واستشهاد ، ثم قلت له : أيها الملك ؛ إنني قد رأيت رجالاً خرج

* الروض الأدق : ٢ - ١١٢ .

(١) هو عمرو بن العاص بن وائل أحد دماء العرب وفصائحهم وساستهم وفاتح مصر على عهد عمر بن الخطاب ، توفي سنة ٤٣ هـ (٢) هو جعفر بن أبي طالب ، وكان قد هاجر إلى الحبشة.

من عندك ؟ وهو رسول رجل عدو لنا ، فاعطينه لقتله ، فإنه قد أصاب من
أشرافنا وخيارنا .

فغضب ؛ ثم مد يده فضرب بها أنفه ضربة ظننت أنه قد كسره ؛
فلو انشقت الأرض لدخلت فيها ^(١) فرقاً منه ! ثم قلت له : أيها الملك ، والله لو ظننت
أنك تكره هذا ماسألكم ! قال : أتسألني أن أعطيك رسول رجل يأتيه
الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى لتنقذه ؟ قلت : أيها الملك ، أكذاك هو ؟
قال : ويحيك يا عمرو ! أطعني واتبعه ، فإنه والله على الحق ، وليظهرن على من
خالقه ، كما ظهر موسى على فرعون وجندوه .

قلت : أفتبايعني له على الإسلام ؟ قال : نعم ، فبسط يده فبايعته على
الإسلام ، ثم خرجت إلى أصحابي ، وقد حال ^(٢)رأي عما كان عليه ؛ وكتمت أصحابي
إسلامي . ثم خرجت عامداً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلقيت خالد بن
الوليد ، وذلك قبيل الفتح ، وهو مقبل من مكة ، فقلت : أين يا أبا سليمان ؟ قال :
والله لقد استقام للمسلم ، وإن الرجل لنبي ، اذهب والله فأسلم حتى متى ؟ قلت :
والله ما جئت إلا لأسلم .

فقدمنا المدينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتقدّم خالد بن الوليد
فأسلم وبائع ، ثم دنوت فقلت : يا رسول الله ، إنّي أبايك على أن يغفر لي ما تقدم
من ذنبي ، ولا أذكر ما تأخر . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا عمرو ، بائع
فإن الإسلام يحب ^(٣) ما كان قبله ، وإن الهجرة تجحب ما كان ، فبايعته ثم انصرفت .

(١) فرقا : خوفا . (٢) حال رأي : تغير . (٣) يحب ما قبله : يقطع .

٨ - رسول الله في سوق عكاظ*

رَوَىْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْعَاصِيَ عَنْ أَشْيَاخِ مَنْ قَوْمِهِ ، قَالُوا : أَتَانَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَنَحْنُ بِسُوقِ عُكَاظِ ؟ فَقَالَ : مَنْ الْقَوْمُ ؟ قَلَنا : مِنْ بَنِي عَامِرٍ بْنَ صَعْصَعَةَ ! قَالَ : مِنْ أَيِّ بَنِي عَامِرٍ ؟ قَلَنا : بَنُو كَعْبَ بْنَ رَبِيعَةَ . قَالَ : كَيْفَ الْمَنْعَةُ فِيمِكَ ؟ قَلَنا : لَا يَرْأَمُ مَا قَبَلَنَا ، وَلَا يُصْطَلِّي بَنَارَنَا ! فَقَالَ : إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ ؛ فَإِنْ أَتَيْتُكُمْ تَمْنَعُونِي حَتَّى أَبْلُغَ رِسَالَةَ رَبِّي ، وَلَمْ أُكْرِهِ أَحَدًا مِنْكُمْ عَلَى شَيْءٍ ؟ قَالُوا : وَمِنْ أَيِّ قَرِيشٍ أَنْتَ ؟ قَالَ : مِنْ بَنِي عَبْدِ الْمَطْلَبِ ؟ قَالُوا : فَإِنْ أَنْتَ مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنَافِ ؟ قَالَ : هُوَ أَوْلَى مَنْ كَذَّبَنِي وَطَرَدَنِي ! قَالُوا : وَلَكُنَا لَا نَظُرُكَ وَلَا نَؤْمِنُ بِكَ ، وَلَا نَنْعَنُكَ أَنْ تَبْلُغَ رِسَالَةَ رَبِّكَ .

فَزَلَ إِلَيْهِمْ وَالْقَوْمُ يَنْسُوْقُونَ^(١) إِذَا تَاهُمْ بِجُرْجَةَ بْنِ قَيْسِ الْقُشَيْرِيِّ ؛ فَقَالَ : مَنْ هَذَا الَّذِي أَرَاهُ عِنْدَكُمْ أَنْكَرَهُ ؟ قَالُوا : هَذَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقَرْشَيِّ . قَالَ : وَمَا لِكُمْ لَهُ ؟ قَالُوا : زَعْمُ لَنَا أَنَّهُ رَسُولَ اللَّهِ وَيَطْلُبُ إِلَيْنَا أَنْ نَمْنَعَهُ حَتَّى يَبْلُغَ رِسَالَةَ رَبِّهِ . قَالَ : فَمَاذَا رَدَدْتُمْ عَلَيْهِ ؟ قَالُوا : قَلَنا : فِي الرَّحْبِ وَالسَّعَةِ ؛ نَخْرُجُكَ إِلَى بِلَادِنَا ؛ وَنَنْعَنُكَ مَا نَنْعَنُ مِنْهُ أَنْفَسَنَا . قَالَ جُرْجَةَ : مَا أَعْلَمُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ هَذِهِ السَّوقِ يَرْجِعُ بِشَيْءٍ أَشَرَّ مِنْ شَيْءٍ تَرْجِعُونَ بِهِ ، بِدَأْتُمْ لِتُنَابِذَ كَمِ النَّاسِ ، وَتَرْمِيكُمُ الْعَرَبَ عَنْ قَوْسِ وَاحِدَةِ ، قَوْمُهُ أَعْلَمُ بِهِ ؟ لَوْ آتَسْوَا مِنْهُ خَيْرًا لَكَانُوا أَسْعَدَ النَّاسَ بِهِ ، تَعْمِدُونَ إِلَى مَرَّهَقٍ^(٢) قَدْ طَرَدْتُهُ قَوْمُهُ وَكَذَّبُوهُ فَتَوَوَّنُهُ ! فَبَئْسَ الرَّأْيُ مَا رَأَيْتُمْ !

* أَسْوَاقُ الْعَرَبِ : ٢١٧ .

(١) تَسْوِقُ الْقَوْمُ : إِذَا باعُوا وَاشْتَرُوا .

•

(٢) فَلَانَ مَرَهَقٌ : أَيْ مَتْهِمٌ بِسُوءِ وَسْفِهٍ .

نَمْ أَقْبَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ قَالَ : قَمْ ؛ الْحَقُّ بِقَوْمِكَ ، فَوَاللَّهِ لَوْلَا أَنَّكَ عَنْدَ قَوْمِي
لَضَرَبْتُ عَنْقَكَ ! قَفَّا مَرْسَلُ اللَّهِ إِلَى نَاقَةِ فَرَكِبَهَا . فَعَمَّزَهَا بِجُرْحَةٍ^(١) فَقَمَّصَتْ^(٢)
بِرَسُولِ اللَّهِ فَأَلْفَتَهُ ، وَعِنْدَ بْنِ عَامِرٍ يَوْمَئِذٍ ضُبَاعَةُ بَنْتِ عَامِرٍ بْنِ قُرْطَ ، وَكَانَتْ مِنْ
النِّسَوَاتِ الَّتِي أَسْلَمْنَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ بَيْكَةً ، جَاءَتْ زَائِرَةً إِلَى بَنِي عَمَّهَا ، قَالَتْ :
يَا آلَ عَامِرٍ ، أَيُصْنَعُ هَذَا بِرَسُولِ اللَّهِ بَيْنَ أَظْهَرِكُمْ لَا يَنْعَهُ أَحَدٌ مِنْكُمْ ! قَفَّا مُلَاثَةً
مِنْ بَنِي عَمَّهَا إِلَى بِجْرَةٍ وَمُلَاثَةً أَعْنَوْهُ ، فَأَخْذَ كُلَّ رَجُلٍ مِنْهُمْ رَجُلًا ، فَجَلَّدَ^(٣) بِهِ
الْأَرْضَ ، نَمْ جَلَسَ عَلَى صَدْرِهِ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ : اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى هَؤُلَاءِ ،
وَأَعْنَنْ هَؤُلَاءِ .

فَلَمَّا صَدَرَ النَّاسُ رَجَعَتْ بَنْوَ عَامِرٍ إِلَى شِيخِهِ لَهُمْ ، قَدْ أَدْرَكَتْهُ السَّنَّ حَتَّى
لَا يَقْدِرُ أَنْ يَوْافِي مَعْهُمُ الْمَوْسِمَ ، فَكَانُوا إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِ حَدَّتْهُ بِمَا يَكُونُ فِي ذَلِكَ
الْمَوْسِمَ . فَلَمَّا قَدِمُوا عَلَيْهِ سَاهِمُ عَنْ كَانَ فِي الْمَوْسِمَ ، قَالُوا : جَاءَنَا فَتَىٰ مِنْ قُرَيْشٍ
ثُمَّ حَدَّثَ أَنَّهُ أَحَدُ بَنِي عَبْدِ الْمَطْلَبِ ، يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ يَدْعُونَا إِلَى أَنْ نَنْعَنَهُ وَنَقْوَمَ مَعَهُ ،
وَنَخْرُجَ بِهِ مَعْنَا إِلَى بَلَادِنَا ! فَوُضِعَ الشَّيْخُ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ ، ثُمَّ قَالَ : يَا بَنِي عَامِرٍ !
هَلْ هُمْ مِنْ تَلَافٍ ؟ هَلْ لَذُنْبَاهَا^(٤) تَطَلُّبٌ ؟ فَوَالَّذِي نَفْسُ فَلَانَ بِيَدِهِ مَا تَقْوَهُمَا
إِسْمَاعِيلِيٌّ قَطُّ ، أَلَا إِنَّهَا الْحَقُّ ، فَأَيْنَ كَانَ رَأِيْكُمْ !

(١) فِي تَارِيْخِ الطَّبَرِيِّ صَفَحَةُ ٤٣٢ مِنَ الْجَزْءِ الثَّانِي : بِعِيرَةِ بْنِ فَرَاسٍ . (٢) قَصَّتْ : وَثَبَتْ .

(٣) جَلَدْ بِهِ الْأَرْضَ : ضَرَبَهَا . (٤) أَصْلُ الذَّنْبِيِّ : الذَّنْبُ .

* ٩ - الْكَرِيم طروب

قدم عبد الله بن جعفر^(١) على معاوية بالشام ، فأنزله دار عياله ، وأظهر من إكرامه ما يستحقه ، ففاظ ذلك زوج معاوية ، ثم سمعت ذات ليلة غناءً عند عبد الله ابن جعفر : فجاءت إلى معاوية ، وقالت : هلْ فاسمع ما في منزل الذي جعلته من لحمك ودمك وأنزلته بين حرمك .

فجاء معاوية ؛ فسمع شيئاً حزّ له وأطربه ، فقال : والله إنّي لأسمع شيئاً تكاد الجبال تخزّ^(٢) له ! ثم انصرف .

فلما كان في آخر الليل سمع معاوية قراءة عبد الله بن جعفر ، وهو قائم يصلي ، فتبه زوجه ، وقال لها : اسمع مكان ما أسمعتني ، هؤلاء قومي ملوك بالنهار ، ورهبان بالليل !

ثم إن معاوية أرق ذات ليلة ؛ فقال خادمه : اذهب فانظر منْ عند عبد الله ابن جعفر وأخبره أنّي قادم عليه .

فذهب وأخبره ، فأقام عبد الله كلّ من كان عنده ؛ فلما جاء معاوية لم يرَ في المجلس غير عبد الله ، فقال : مجلس منْ هذا ؟ قال عبد الله : هذا مجلس فلان يا أمير المؤمنين . فقال معاوية : مُرِه فليرجع إلى مجلسه ، حتى لم يبق إلا مجلس رجل واحد . قال : مجلس منْ هذا ؟ قال : مجلس رجل يداوى الآذان يا أمير المؤمنين ؟ قال : إن أذنني على لغة فرثه أن يرجع إلى مجلسه ، وكان مجلس بديع المفني ، فأصرّه

* المستطرف : ٢ - ١٤٩ ، العقد الفريد : ٢ - ٤٩ ، الأغانى ٤ - ٢١٢ .

(١) هو عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، كان كريماً جواداً يحب البذل ويرتاح للعطاء ، وغيل إلى سماع الغناء ، وأخباره في الكرم والسماع كثيرة ، توفي سنة ٩٠ هـ . (٢) تغز : تسجد .

عبد الله بن جعفر فرج إلى موضعه ، فقال له معاوية : داوى أذني من علمها ، فتناول العود وغنى ، وقال :

ودع هريرة إن الركب مرتحل وهل تعطيق داعياً إليها الرجل^(١)
فرك عبد الله بن جعفر رأسه . فقال له معاوية : لم حركت رأسك يابن جعفر ؟ قال أزيخته أجدها يا أمير المؤمنين لو لقيت عندها لأبلغت ، ولو سلت لاعطيت .

وكان معاوية قد خضب ، فقال ابن جعفر لبدَّيْح : غنٌ غير هذا – وكان معاوية جارية أعز جواريه عليه ، وكانت تتولى خضابه فغنَّ بُدَّيْح وقال : أليس عندك شكرٌ للتي جعلت ما بيض من قادمات^(٢) الرأسِ كالحُمْ^(٣)
وجددت منك ما قد كان أخلفه صرف الزمان وطول الدهر والقدم فطرب معاوية طرباً شديداً ، وجعل يحرك رجله ، فقال له ابن جعفر : يا أمير المؤمنين ، إنك سألتني عن تحريرك رأسى فأجبتك وأخبرتك ، وأنا أسألك عن تحريرك رجلك ! فقال : كلَّ كريم طروب ! ثم قام ، وقال : لا يربح أحد منكم حتى يأتي له إذني . ثم ذهب فبعث إلى ابن جعفر بعشرة آلاف دينار ومائة ثوب من خاصة كسوته ، وإلى كل رجل منهم بalf دينار ، وعشرة أنواع .

(١) هريرة : اسم قينة كانت لرجل من آل عمرو بن مرند أهدتها إلى قريب له . والبيت من قصيدة لأنعشى قيس . (٢) أصل القوادم : أربع ريشات في مقدم الجناح ، والواحدة قادمة ، يزيد مقدم الشعر . (٣) الحُمْ : الفحم .

١٠ - الأعْرَابُ فِي جَهَدِهِمْ وَضَنْكُ عِيشَهُمْ *

قال زِيَادٌ لِغِيلَانَ بْنَ خَرَشَةَ : أَحَبُّ أَنْ تَحْدِثَنِي عَنِ الْعَرَبِ وَجَهَدِهَا ، وَضَنْكُ عِيشَهَا ، لَنَحْمِدَ اللَّهَ عَلَى النَّعْمَةِ الَّتِي أَصْبَحَنَا بِهَا ، فَقَالَ غِيلَانٌ : حَدَثَنِي عُمَى قَالَ : تَوَالَتْ عَلَى الْعَرَبِ سَنُونٌ تَسْعُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ حَطَمَتْ كُلَّ شَيْءٍ ، فَخَرَجَتْ عَلَى بَكْرَ لِلْعَرَبِ ، فَكَثُرَتْ سَبْعًا لَا طَعْمٌ إِلَّا مَا يَنْأَى مِنْهُ بَعِيرٌ ، أَوْ مِنْ حَشَراتِ الْأَرْضِ ، فَشَدَّدَتْ عَلَى بَطْنِ حِجَرًا مِنَ الْجَوْعِ ، حَتَّى دَفَعَتْ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ إِلَى حِوَاءَ^(١) عَظِيمٍ ، فَإِذَا يَيْتُ جُحِشَ^(٢) عَنِ الْحَيِّ ، فَمِلْتُ إِلَيْهِ ، فَخَرَجَتْ إِلَى اَسْرَأَةِ طُوَّالَةَ^(٣) حُسَانَةَ^(٤) ، فَقَالَتْ : مَنْ؟ قَلَتْ : طَارِقُ لَيْلٍ ، يَلْتَمِسُ الْقِرْيَ ! قَالَتْ : لَوْ كَانَ عِنْدَنَا شَيْءٌ لَآتَرَنَاكَ بِهِ ، وَالدَّالُ عَلَى الْخَيْرِ كَفَاعَلَهُ ، حِسَ^(٥) هَذِهِ الْبَيْوَتِ ، ثُمَّ اَنْظَرْتَ إِلَى أَعْظَمِهَا فَإِنْ يَكُنْ فِي شَيْءٍ مِنْهَا خَيْرٌ فَقَيْهِ .

فَفَعَلَتْ حَتَّى دَفَعَتْ إِلَيْهِ ، فَرَحَّبَ بِي صَاحِبُهُ ، وَقَالَ : مَنْ؟ قَلَتْ : طَارِقُ لَيْلٍ ، يَلْتَمِسُ الْقِرْيَ . فَقَالَ : يَا فِلانَ ، فَأَجَابَهُ ، فَقَالَ : هَلْ عَنْدَكَ طَعَامٌ؟ فَقَالَ : لَا ، فَوَاهَ مَاوَقِرَ^(٦) فِي أَذْنِي شَيْءٌ كَانَ أَشَدَّ عَلَيَّ مِنْهُ .

قَالَ : فَهَلْ عَنْدَكَ شَرَابٌ؟ قَالَ : لَا . ثُمَّ تَأَوَّهَ ، فَقَالَ : قَدْ بَقَيَّنَا فِي ضَرَعِ الْفَلَانَةِ^(٧) شَيْئًا لِطَارِقِ إِنْ طَرَقَ . قَالَ : فَأَتِ بِهِ . فَأَتَى الْعَطَنَ^(٨) فَابْتَعَمَهَا . فَما

* المَحَاسِنُ وَالْمَسَاوِيُّ : - ٩٩ (طبعة ليزج) ، عيون الأخبار : ٣ - ٢٤٤ .

(١) الْحَوَاءُ : جماعة البيوت التدائية (٢) جُحِشٌ : نحى وأبعد عن البيوت (٣) طُوَّالَةَ :

طَوِيلَةُ الْقَامَةِ (٤) حُسَانَةَ : حَسَنَةٌ (٥) حِسَ : تَعْرِفُ أَحْوَالَهَا (٦) وَقَرَ : نَقْلٌ

(٧) الْفَلَانَةُ وَالْفَلَانُ بِالتَّعْرِيفِ : كَنْيَاةٌ عَنِ الْأَدَمِينَ (٨) الْعَطَنُ : مَنَاجٌ لِلْإِبْلِ حَوْلَ وَرَدَهَا .

سمعت شيئاً قطْ كان أشد من شَخْبِ تِيك الناقق في تلك العُلبة^(١) ، حتى إذا ملاها ،
وافتَّ من جوانبها ، وارتفعت عليه رَغْوة كجُمَّة الشَّيْخ ، أقبل بها يَهُوي
نحوِي ، فَعَرَّ بعُود أو حَجَر ، فَسَقَطَتِ العُلبة من يده ، فما أصَبَتْ بِمَصِيبة أَفْزَع لَقْبِي ،
ولَا أَعْظَم مَوْقِعاً عَنْدِي مِنْ اِنْكِفاءِ تِيك العُلبة عَلَى مِثْلِ الْحَالِ الَّتِي كُنْتُ فِيهَا .

فَلَمَّا رأَى ذَلِكَ رَبُّ الْبَيْتِ خَرَجَ شَاهِراً سِيفَهُ ، فَبَعْثَتِ الإِبَلَ ، ثُمَّ نَظَرَ إِلَى
أَعْظَمِهَا سَنَامًا ، وَدَفَعَ إِلَى مُدْنِيَّةٍ ، وَقَالَ : يَا عَبْدَ اللَّهِ ، اصْطَلِ وَاحْتَمِلِ .
فَجَعَلَتْ أَهْوَى بِالبَّضْعَة^(٢) إِلَى النَّارِ ، فَإِذَا بَلَغَتْ إِنَاهَا^(٣) أَكْلَتْهَا ، ثُمَّ مَسَحَتْ
مَا فِي يَدِي مِنْ إِهَالتَّهَا^(٤) عَلَى جَلَدِي ، وَقَدْ قَحِيلَ^(٥) عَلَى عَظْمِي ، حَتَّى كَانَهُ
شَنَّ^(٦) ، ثُمَّ شَرَبَتْ شَرَبَةَ مَاءٍ ، وَخَرَّمَتْ مَغْشِيًّا عَلَى عَظَمِي ، فَأَفْقَتْ إِلَى السَّحَرِ .
وَقَطَعَ زِيَادُ الْحَدِيثِ ، وَقَالَ : لَا عَلَيْكَ أَلَا تَخْبِرُنَا بِأَكْثَرِ مِنْ هَذَا ، فَمَنْ
الْمَنْزُولُ بِهِ ؟ قَلَتْ : عَاصِمُ بْنُ الطَّفَيلِ .

(١) العُلبة : قَدْحٌ ضَخْمٌ مِنْ جَلَدِ الإِبَلِ ، أَوْ مِنْ خَبْرٍ يَحْلِبُ فِيهَا . (٢) البَضْعَة . الْقَطْعَةِ

مِنَ الْأَعْمَمِ (٣) بَلْعَ إِنَاهٌ : نَضْجُهُ وِإِدَارَكُهُ . (٤) الإِهَالتَّةُ : الشَّعْمُ أَوْ مَا أَذِيبُ مِنَ الشَّحْمِ .

(٥) قَحِيلٌ : يَبِسٌ . (٦) الشَّنُّ : الْقَرْبَةُ الْخَلْقُ الصَّفِيفَةُ .

* ١١ — حَفْلٌ غَنَاءُ

خرجت جميلة^(١) حاجة ، فخرج معها من الرجال المغنيين والنساء والأشراف وغيرهم جماعة ، وحج معها من القيان مُسْيِعَاتٍ لها ومعظماتٍ لقدرها ولحُقْقَها خمسون قينة وجه بـ هـنـ مواليـنـ معـهاـ ؛ واعطـهـنـ النـفـقـاتـ وـحـلـوـهـنـ عـلـىـ الإـبـلـ فـيـ الـمـوـادـجـ والـقـيـابـ وـغـيـرـ ذـلـكـ ؛ فأبـتـ جـيـلـةـ أـنـ تـنـفـقـ وـاحـدـةـ مـنـهـنـ دـرـهـمـاـ فـاـ فـوـقـهـ حـتـىـ رـجـعـنـ . وـتـخـاـيـرـ مـنـ خـرـجـ مـعـهـاـ فـيـ اـتـخـاذـ أـنـوـاعـ الـلـبـاسـ الـعـجـيبـ الـظـارـيفـ وـالـمـوـادـجـ وـالـقـيـابـ ، فـلـمـ يـرـ أـهـلـ الـمـدـيـنـةـ مـثـلـ ذـلـكـ الجـمـعـ سـفـرـأـ^(٢) طـيـبـاـ ، وـحـسـنـاـ وـمـلـاحـةـ .

ولما قاربوا مكة تلقاهم سعيد بن مسجح وابن سريج والغريض وابن محرب والهذليون وجماعة من المغنيين من أهل مكة وقيان كثير ، ومن غير المغنيين عمر ابن أبي ربيعة ، والحارث بن خالد الخزومي والمرجى ، وجماعة من الأشراف . فدخلت جميلة مكة وما بالخياز مفن حاذق ولا مغنية إلا وهو معها وجماعة من الأشراف من سمينا وغيرهم من الرجال والنساء . وخرج أبناء أهل مكة من الرجال والنساء ينظرون إلى جمعها وحسن هيئتهم .

فلا قَضَتْ حَجَّهَا سَأَلَهَا الْمَكَيُّونَ أَنْ تَجْعَلْ لَهُمْ مَجَاسِّاً ؛ فَقَالَتْ : لِلْغَنَاءِ أَمْ لِلْحَدِيثِ ؟ قَالُوا : لَهُمَا جَمِيعاً . قَالَتْ : مَا كَفْتُ لِأَخْلِطَ حِدَّاً بِهَزْلٍ ، وَأَبْتَ أَنْ تَجْلِسَ لِلْغَنَاءِ . فَقَالَ عُمَرُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ : أَقْسَمْتُ عَلَى مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ حُبٌ لِاسْمَاعِ

* الأغاني : ٨ - ٢٠٩ ، نهاية الأربع : ٥ : ٤٣ .

(١) هي جميلة مولاية بني سليم ، كانت أصلاً من أصول الغناء ، وعنها أخذت معبد وابن عائشة وجابة وسلامة وغيرهم من المغنيين والملقبات ، توفيت سنة ١٢٥ هـ تكريباً .

(٢) السفر : المسافرون .

غناها إلا خرج معها إلى المدينة فلاني خارج ، فعزَّمَ القومَ كُلُّهم على الخروج ،
فرجَتْ في جمِعٍ أَكْثَرَ من جمعها بالمدينة .

فَلَمَا قَدِمَتِ الْمَدِينَةَ تَلَقَّا هَا أَهْلَهَا وَأَشْرَافُهُمْ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ ؛ فَدَخَلَتْ بِأَحْسَنَ
مَا خَرَجَتْ مِنْهَا ، وَخَرَجَ الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ مِنْ بَيْوَهُمْ فَوَقَفُوا عَلَى أَبْوَابِ دُورِهِمْ
يَنْظَرُونَ إِلَى جَمِيعِهَا وَإِلَى الْقَادِمِينَ مَعَهَا . فَلَمَا دَخَلَتْ مِنْزَهُمْ وَتَفَرَّقَ الْجَمْعُ إِلَى مِنَازِهِمْ ،
وَنَزَلَ أَهْلُ مَكَّةَ عَلَى أَقْارِبِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ أَتَاهَا النَّاسُ مُسْلِمِينَ ، وَمَا أَسْتَنْكَفَ
مِنْ ذَلِكَ كَبِيرٌ وَلَا صَغِيرٌ .

فَلَمَّا مَضِيَ لِمَقْدِمَهَا عَشْرَةُ أَيَّامٍ جَلَسَتْ لِلنَّاءِ ، فَقَالَتْ لِعُمَرَ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ : إِنِّي
جَالِسَةٌ لَكَ وَلِأَهْبَابِكَ وَإِذَا شِئْتَ فَعِدِي النَّاسَ بِذَلِكِ الْيَوْمِ ، فَفَسَّرَ الدَّارُ بِالْأَشْرَافِ
مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ ، فَابْتَدَأَتْ جَمِيلَةٌ فَغَنَّتْ صَوْتًا بِشِعْرٍ^(١) :

هيئاتَ مِنْ أَمَّةِ الْوَهَابِ مِنْزِلُنَا
إِذَا حَلَّنَا بِسِيفٍ^(٢) الْبَعْرُ مِنْ عَدَنِ
وَأَحْتَلَ أَهْلَكَ أَجْيَادًا^(٣) وَلَيْسَ لَنَا
لَوْأَنَّهَا أَبْصَرَتْ بِالْجَزْعِ عَبْرَتْهُ
إِذْنُ رَأَتْ غَيْرَ مَاظَنَتْ بِصَاحِبِهَا
مَا أَنْسَ لَا أَنْسَ يَوْمَ الْخَيْفِ^(٤) مَوْقِفَهَا
وَقُولَهَا لِلثَّرِيَا وَهِيَ باكِيَةٌ
بِاللَّهِ قَوْلِي لَهُ فِي غَيْرِ مَعْتَبَةٍ
إِنْ كَنْتَ حَاوَلْتَ دُنْيَا أَوْ نَعْمَتْ بِهَا

(١) كان الحارث بن أبي ربيعة ينهى أخاه عن قول الشعر فإذا بـ أـ أنـ يـ قـ بـلـ مـ نـهـ ، فـ أـ عـ طـ اـهـ أـنـ دـيـنـارـ على أـلاـ يـ قـوـلـ شـعـرـ ، فـ أـ خـذـ المـالـ وـ خـرـجـ لـىـ أـخـوـالـ بـلـعـجـ وـ أـبـيـنـ مـخـافـةـ أـنـ يـهـيجـهـ مـقـامـهـ بـعـكـةـ على قولـ
الـشـعـرـ ، فـ طـرـبـ يـوـمـ فـقـالـ هـذـاـ الشـعـرـ ! (٢) سـيفـ الـبـرـ : سـاحـلـهـ (٣) أـجـيـادـ : مـوـضـعـ بـعـكـةـ .

(٤) لـحـ : خـلـافـ بـالـيـنـ (٥) الـحـيـفـ : مـوـضـعـ بـعـيـ () ذـوـ نـ : ذـوـ طـرـائـقـ .

فَكُلُّهُمْ أَسْتَحْسِنَ الْفِنَاءَ وَضَجَّ الْقَوْمُ مِنْ حُشْنٍ مَا سَمِعُوا ؛ وَدَمَّتْ عَيْنُ عَمْرٍ
حَتَّى جَرَى الدَّمْعُ عَلَى ثِيَابِهِ وَلَحِيَتِهِ ، ثُمَّ أَقْبَلَتْ عَلَى ابْنِ سُرَيْجٍ فَقَالَتْ : هَاتِ ،
فَاندَفَعَ يُغْنِي وَرَفَعَ صَوْتَهُ بِشِعْرٍ عَمْرٍ :

أَلَيْسَتْ بِالَّتِي قَالَتْ لَوْلَاتٍ لَمَّا ظَهَرَتْ
أَشَيْرِي بِالسَّلَامِ لَهُ إِذَا هُوَ نَحْوَنَا نَظَرَ
وَقَوْلِي فِي مُلَاطِفَةٍ لَزِينَبٍ نَوَّلَ عُمَرًا
وَهَذَا سِحْرُكَ النَّسْوَانَ قَدْ خَبَرْتَنِي الْخَبَرَ
فَسُمِعَ مِنْ ابْنِ سُرَيْجٍ فِي هَذَا الْلَّهْنِ مِنَ الْحَسْنِ مَا يُقَالُ إِنَّهُ مَأْسِعٌ مِثْلُهُ .

ثُمَّ قَالَتْ لِسَعِيدَ بْنَ مِسْجَحَ : هَاتِ يَا أَبَا عَمَانَ ، فَاندَفَعَ فَغَنِيَ :
قَدْ قُلْتُ قَبْلَ الْبَيْنِ لَمَّا خَشِيتُهُ لِتَعْقِبَ وَدًا أَوْ لِتَعْلَمَ مَا عَنِّي
لَكِ الْخَيْرُ هَلْ مِنْ مَصْدِرٍ تَصْدِرِينَهُ (١)
فَلَمَّا شَكَوْتُ الْحُبَّ صَدَّتْ كَانِي
فَاسْتُخْسِنَ ذَلِكَ مِنْهُ وَبَرَعَ فِيهِ . ثُمَّ قَالَتْ : يَا مَعْبُدَ ، هَاتِ ؟ فَغَنِيَ :

أَحَارِبُ مَنْ حَارَبَتْ مِنْ ذِي عَدَاوَةِ
وَأَحْبَسُ مَالِي إِنْ غَرِّمْتَ فَأَعْقَلُ (٢)
وَإِنِّي أَخُوكَ الدَّائِمَ الْمَهْدِي لَمْ أَحُلْ
سَقْطَعُ فِي الدِّينِ إِذَا مَا قَطَعْتَنِي
قَالَتْ جَمِيلَةً : أَحْسَنْتَ يَا مَعْبُدَ اخْتِيَارَ الشِّعْرِ وَالْفِنَاءِ .

ثُمَّ قَالَتْ : هَاتِ يَا بْنَ مُحْرِزٍ ؛ فَإِنِّي لَمْ أُؤْخِرْكَ لِخَسَاسَةِ بَكِ ؛ وَلَا جَهْلًا بِالَّذِي
يُحِبُّ فِي الصَّنَاعَةِ ؛ وَلَكِنِّي رَأَيْتُكَ تَحْبُّ مِنَ الْأَمْوَالِ كُلَّهَا أُوْسَطَهَا وَأَعْدَلَهَا ؛

(١) يُقالُ : صَدِرَ هُوَ ، وَصَدِرَ غَيْرُهُ وَأَصْدَرَهُ (٢) يُرَبِّدُ فَأَعْقَلَ عَنْهُ ، وَعَقَلَ عَنْهُ : إِذَا غَرَمَ
مَالِزِمَهُ مِنْ دِيَهُ (٣) لَمْ أَحُلْ : لَمْ أَغْنِي . ابْزَاكَ خَصْمٌ : قَهْرَكَ . وَالشِّعْرُ لِمَعْنَى بْنِ أَوْسٍ ، وَهُوَ
شَاعِرٌ فَحْلٌ مِنْ مُخْفَرِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ .

جعلتك - حيث تحب - واسطة بين المكيين والمذين ، ففني .
 ثم قالت للغريض : هات ، فاندفع يفني بـشـعـر عـمـرو بن شـاسـ :
 فوانـدى على الشـباب وـوـانـدـمـ نـدـمـتـ وـبـاـنـ الـيـوـمـ مـنـ بـغـيرـ ذـمـ
 وـإـذـ إـخـوـىـ حـوـلـىـ وـإـذـ أـنـاـ شـائـخـ وـإـذـ لـأـجـيـبـ العـاذـلـاتـ مـنـ الصـمـ
 أـرـادـتـ عـرـارـاـ^(١) بـالـهـوـانـ وـمـنـ يـرـدـ عـرـارـاـ لـعـمـرـىـ بـالـهـوـانـ فـقـدـ ظـلـمـ
 قـالـتـ جـمـيـلـةـ : أـحـسـنـ عـمـرـوـ بـنـ شـاسـ وـلـمـ تـحـسـنـ ؟ إـذـ أـفـسـدـ غـنـاءـكـ بـالـتـعـرـيـضـ ؟
 وـالـلـهـ مـاـ وـضـعـنـاكـ إـلـاـ مـوـضـعـكـ ، وـلـاـ نـقـصـنـاـ مـنـ حـظـكـ ، فـهـاـذـ أـهـنـاكـ !

ثم أقبلت على الجماعة فقالت : يا هؤلاء ، اصدقوا وعمر فهو نفسه ليقنع بـكانـهـ ؟
 فأقبل القوم عليه ، وقالوا له : قد أخطأت إن كنت عـرـضـتـ . فقال : قد كـارـنـ
 ذلك ! ولـستـ بـعـائـدـ . وـقـامـ إـلـىـ جـمـيـلـةـ فـقـبـلـ طـرـفـ ثـوـبـهاـ وـاعـتـذرـ ، فـقـبـلـتـ عـذـرـهـ ،
 وـقـالـتـ لـهـ : لـاـ تـعـدـ .

ثم أقبلت على ابن عائشة فقالت : يا أبا جعفر ؟ هات ، ففني بـشـعـرـ النـابـةـ :
 سـقـيـ الغـيـثـ قـبـراـ بـيـنـ بـصـرـىـ^(٢) وـجـاسـمـ عـلـيـهـ مـنـ الـوـسـمـىـ^(٣) جـوـدـ وـوـابـلـ
 قـالـتـ جـمـيـلـةـ : حـسـنـ مـاـ قـلـتـ يـاـ أـبـاـ جـعـفـرـ . ثم أقبلت على نافع وـبـدـيـعـ فقالـتـ
 أـحـبـ أـنـ تـفـنـيـاـنـ صـوـتاـ وـاحـدـاـ ؟ فـفـنـيـاـ جـمـيـعـاـ بـصـوـتـ وـاحـدـ وـلـحنـ وـاحـدـ :
 أـلـاـ يـامـنـ يـلـومـ عـلـىـ التـصـابـيـ أـفـقـ شـيـئـاـ لـتـسـمـعـ مـنـ جـوـابـيـ
 بـكـرـتـ تـلـوـمـىـ فـيـ الـحـبـ جـهـلاـ وـنـافـ حـبـ مـثـلـ مـنـ مـعـابـ^(٤)
 أـلـيـسـ مـنـ السـعـادـةـ غـيـرـ شـكـ هـوـيـ مـتـوـاصـلـيـنـ عـلـىـ اـقـتـرـابـ
 كـرـيمـ نـالـ وـدـاـ فـعـافـ وـسـتـرـ مـنـ مـنـفـحـةـ كـعـابـ^(٥)

(١) هو عرار بن عمرو بن شأس ، وهو من أمة عمرو سردا ، وكان ينهى وبين زوج أخيه

نزاع وخصام ، فقد كانت تؤديه وتعبره وتشتمه ، وحاول عمرو أن يصلح ما بينهما فلم يفلح فطلبتها

(٢) بصرى وجاسم : موضعان بالشام . (٣) الوسمى : الـمـطـرـ : لأنـهـ يـسـ الـبـاتـ .

(٤) معاب : عيب ؟ وهو مصدر مبني . (٥) كـعـابـ : نـادـةـ النـدىـ .

قالت جميلة : هَوَّا كُمَا وَاللهُ وَاحِدٌ ، وَغَنَّا كَا وَاحِدٌ ، وَأَنْتَ نَحْيَى مِنْ بَقِيَةِ
الْكَرْمِ وَوَاحِدِ الْشَّرْفِ : عَبْدُ اللهِ بْنُ جعْفَرٍ بْنُ أَبِي طَالِبٍ .

ثُمَّ أَقْبَلَتْ عَلَى الْمَذْلَيْنِ الْثَّلَاثَةِ قَالَتْ : غَنَّوا صَوْنَا وَاحِدًا ، فَانْدَفَعُوا فَغَنَّوْا
بِشِعْرٍ عَنْزَرَةَ الْعَبْسِيِّ :

حَيَّيْتَ مِنْ طَلَلَ تَقَادَمَ عَمَدَهُ أَقْوَى وَأَقْفَرَ بَعْدَ أُمَّ الْمَهِنِيمِ
كِيفَ الْمَزَارُ وَقَدْ تَرَبَّعَ أَهْلُهَا بِعِنْزَرَتَيْنِ وَأَهْلُنَا بِالْغَيْلَمِ^(١)
إِنْ كُنْتَ أَزْمَعْتِ الْفَرَاقَ فَإِنَّمَا زُمَّتْ^(٢) رَكَابُكُمْ بِلِيلٍ مُّظْلِمٍ
قَالَتْ : مَا رَأَيْتُ شَيْنَا أَشْبَهَ بِغَنَائِمِكُمْ مِنْ اتَّفَاقٍ أَرْوَاهُكُمْ .

ثُمَّ أَقْبَلَتْ عَلَى نَافِعٍ بْنِ طَنْبُورَةَ ، قَالَتْ : هَاتِ يَا نَقْشَ الْفَضَّارِ^(٣) ، وَيَا حَسَنَ
اللَّسَانَ ، فَانْدَفَعَ يَغْنِي :

يَا طُولَ لِيَلِي وَبَتْ لَمْ أَتَمْ وَسَادِيَ الْهَمْ مُبْطِنْ سَقَمَ
أَنْ قُمْتُ يَوْمًا عَلَى الْبَلَاطِ^(٤) فَأَبَدَ صَرَتْ رَفَاشَا وَلَيْسَتْ لَمْ أَقْمَرَ

فَقَالَتْ جميلة : حَسَنٌ وَاللهُ !

ثُمَّ قَالَتْ : يَا مَالِكَ ؟ هَاتِ ؟ فَإِنِّي لَمْ أُؤْخِرَكَ لَأَنِّكَ فِي طَبَقَةِ آخِرِمْ ، وَلَكِنِي
أَرَدْتُ أَنْ أُخْتِمَ بِكَ يَوْمَنَا تَبَرُّ كَا بَكَ ، وَكَيْ يَكُونَ أَوْلَى مُجْلِسَنَا كَآخِرِهِ ، وَوَسْطُهُ
كَطْرَفَهُ ، فَإِنِّكَ عِنْدِي وَمَعِيدًا لِفِي طَرِيقَةٍ وَاحِدَةٍ وَمَذَهَبٍ وَاحِدٍ ، لَا يَدْفَعُ ذَلِكَ
إِلَى ظَالِمٍ ، وَلَا يَنْكِرُهُ إِلَى عَاضِلٍ^(٥) ، الْحَقَّ أَقْوَلُ ، فَنَّ شَاهٌ فَلِيْنِكِيرُ ، فَسَكَتَ

الْقَوْمُ كُلَّهُمْ إِقْرَارًا لِمَا قَالَتْ ؛ وَانْدَفَعَ يَغْنِي :

عَدُوٌّ لِمَنْ عَادَتْ وَسَلَمَ لِسَلَمِهَا وَمَنْ قَرَبَتْ سَلَمَى أَحَبَّ وَقَرَبَا

(١) عَنْزَرَتَيْنِ : مَوْضِعُ ، وَالْغَيْلَمُ : مَوْضِعُ فِي دِيَارِ بَنِي عَبْسٍ . (٢) زَمُ الْبَعِيرُ : خَطْمَهُ .

(٣) الْفَضَّارُ : الطَّبِينُ الْلَّازِجُ الْأَخْضَرُ ، وَهُوَ لَقْبُهُ .

(٤) الْبَلَاطُ : الْأَرْضُ ، وَقِيلَ : الْأَرْضُ الْمُسْتَوِيَّةُ الْمُلْسَأُ . (٥) الْمَضْلُلُ : الْمُنْعِنُ .

جَيْبِنِي أَمْرًا إِمَا بِرِينَا ظَلْمِتَهُ
وَإِمَا مُسِيَّنَا تَابَ بِمَدْ وَأَغْبَنَا
أَقْوَلَ - التَّمَاسَ الْعَذْرِ لَمَّا ظَلَمْتَنِي
وَحَمَلْتَنِي ذَنْبًا وَمَا كُنْتُ مُذْنَبًا
لِيَهْنِئْنِكَ إِشْمَاتُ الْعَدُوِّ بِهَجَرَنَا
وَقَطَعْكَ حَبْلَ الْوَصْلِ حَتَّى تَقْضِيَّاً^(١)
فَالْمَلِكَةُ جَمِيلَةُ : لَيْتَ صَوْتَكَ يَامَالَكَ قَدْ دَامَ لَنَا وَدْنَالَهُ ! وَقَطَمَتَ الْمَلِسُ
وَانْصَرَفَ عَامَّةُ النَّاسِ وَبَقَ خَوَاصُهُمْ .

فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الثَّانِي حَضَرَ الْقَوْمُ جَمِيعًا ، قَالَتْ لَطَوَيْسُ : هَاتِ يَا أَبَا عَبْدِ
النَّعِيمِ ، فَابْتَدَأَ طَوَيْسُ فَنَفَنَ :

قَدْ طَالَ لَيْلِي وَعَادَ لِي طَرَبِي
مِنْ حُبَّ خَوَدِ^(٢) كَرِيمَةِ الْحَسْبِ
غَرَاءَ مَثَلَ الْمَلَالِ آنَسَةِ
أَوْ مَثَلِ نَشَالِ صُورَةِ الْذَّهَبِ
صَادَتْ فَوَادِي بِحِيدِ مَفْزَلَةَ^(٣) الْعُشَبِ

فَقَالَتْ جَمِيلَةُ : حَسْنٌ وَاللَّهِ يَا أَبَا عَبْدِ النَّعِيمِ !

ثُمَّ قَالَتْ لِلَّدَائِلَ : هَاتِ يَا أَبَا يَزِيدَ ، فَانْدَفَعَ فَنَفَنَ :

قَدْ كُنْتُ أَمْلُ فِيْكُمْ أَمْلًا وَالْمَرْءُ لَيْسَ بِمَدْرَكِ أَمْلَهُ
حَتَّى بَدَأَ لِي مِنْكُمْ خَلْفٌ فَزَجَرَتْ قُلُى فَازْعَوَيْ جَهَلَهُ
لَيْسَ الْفَقِيْبُ بِخَلْلِيْ أَبْدًا حَيَّا ، وَلَيْسَ بِفَاقِتِ أَجَلَهُ
فَالْمَلِكَةُ حَسْنٌ وَاللَّهِ يَا أَبَا يَزِيدَ ! ثُمَّ قَالَتْ لِهِيَّتِي : إِنَّا نُجْلِكَ الْيَوْمَ لِسَكِيرِ
سِنْكَ وَرِقَّةَ عَظِيمَكَ . قَالَ : أَجَلَ !

ثُمَّ قَالَتْ لِبِرْدِ الْفَوَادِ وَنَوْمَةِ الضَّحَى : هَاتِيَا جَمِيعًا لَهُنَا وَاحِدًا فَنَفَنَّا :

إِنِّي تَذَكَّرْتُ فَلَا تَلْحَنِي لَوْلَةَ مَكْنُونَةَ تَنْطِقُ

(١) تَقْضِيَّ : تَقْطُمُ (٢) الْخَوَدُ : الْمَسْنَةُ الْمُلْقَى الشَّابَةُ .

(٣) الْمَفْزَلَةُ : الْفَلَبِيَّةُ ذَاتُ الْفَزَالِ .

فقالت جميلة: أحسنتها.

ثم قالت لِفِند ورحة وهبة الله : هاتوا جيما صوتا واحداً ؛ فإنكم متتفقون في الأصوات والألحان ؟ فاندفعوا فَغَنُوا :

أشافتَ من نحو العقيقِ بُرُوقٌ لوامعٌ تَحْقِي تارةً وَتُشْوِقُ
وما لي لا أهوى جواري بَرَبَرَ وَرُوحى إلى أرواحهن تَتَّوْقِي
هنَّ جَاهلٌ فَاثقٌ وَمَلَاحَةٌ وَدَلٌّ عَلَى دَلٍّ النَّسَاء يَفْوِقُونَ
وكان بَرَبَرٌ حاضراً، فقال: جواري والله على ما وصفتم؟ فلن شاه أفتر ومن
شاء أنسَكَرَ . فقلت جميلة: صَدَقَ . ثم غنت جميلة بـشعر الأعشى :

بَانَتْ سُعَادُ وَأَمْسَى حِبْلَهَا أَنْقَطَهَا
 وَاسْتَنْكَرْتُهُ وَمَا كَانَ الَّذِي نَكَرْتُ
 تَقُولُ بِنْتِي وَقَدْ قَرَبَتْ مُرْتَحَلًا :
 وَكَانَ شَيْءٌ إِلَى شَيْءٍ فَفَرَّ بِرَهَ
 فَلَمْ يُسْمَعْ شَيْءٌ أَحْسَنُ مِنْ ابْتِدَاهَا بِالْأَمْسِ وَخَتَمَهَا فِي الْيَوْمِ الثَّانِي ، وَقَطَعَتْ
 الْمَجْلِسَ ، فَانْصَرَفَ قَوْمٌ وَأَقَامَ آخَرُونَ .

فَلَمَا كَانَ الْيَوْمُ ثَالِثُ اجْتِمَاعِ النَّاسِ ، فَضَرَبَتْ سِنَارَةً وَأَجْلَسَتِ الْجَوَارِيَّ
كُلَّهُنَّ فَضَرَبَتْ بَنَّ وَضَرَبَتْ ، فَضَرَبَتْ بَنَّ عَلَى حَسْنِي وَتَرَا ، فَقَزَّالَتِ الدَّارُ ؛ ثُمَّ غَنَّتْ
عَلَى عُودِهَا ؛ وَهُنَّ يَضْرِبُونَ عَلَى ضُرُبِهَا بِهَذَا الشِّعْرِ :

فَإِنْ خَفِيتْ كَانَتْ لِعَيْنِكَ قُرْةً
وَإِنْ تَبَدَّلْ يَوْمًا لَمْ يَعْمَلْكَ (٢) عَارُّهَا
مِنْ الْخَفِرَاتِ الْبَيْضِ لَمْ تَرَ غِلْظَةً
وَفِي الْحَسْبِ الضَّغْمِ الرَّفِيعِ نَجَارُهَا

(١) الجدان والفرح : موضعان .

(٢) لم يعممك . لم يلحقك .

فَارْوَضَهُ بِالْحَزْنِ طَيِّبَةُ الْثَرِي
يَمْجُدُ النَّدَى جَنْبَعَاهَا^(١) وَعَرَارُهَا
بِأَطِيبِ مِنْ فِيهَا إِذَا جَنَّتْ طَارِقًا
وَقَدْ أُوقِدَتْ بِالْنَدَلِ^(٢) الرَّطْبُ نَارُهَا
فَدَمَعَتْ أَعْيُنُ كَثِيرٍ مِنْهُمْ حَتَّى بَلَوْا ثِيَابَهُمْ وَتَنَفَّسُوا الصَّدَاءَ، وَقَالُوا : بِأَنفُسِنَا
أَنْتَ يَا جِيلَةً ، ثُمَّ قَالَتْ لِلْجَوَارِي : أَكْفُونَ ، فَكَفَقَنَ ؟ وَقَالَتْ : يَا عَزْ ؟ غَنِيٌّ ، فَغَفَّتْ
بِشَعْرٍ لِعَرَ :
بِشَعْرٍ لِعَرَ :

تَذَكَّرَتْ هَنَدًا وَأَعْصَارَهَا^(٣)
وَلَمْ تَقْضِ نَفْسَكَ أَوْطَارَهَا
تَذَكَّرَتِ النَّفْسُ مَا قَدْ مَضَى
وَهَا جَنَّتْ عَلَى الْعَيْنِ عُوَارَهَا^(٤)
لِتَفْنَحَ رَامَةً مَنَّا الْهَوَى
وَتَرْمَعَ لِرَامَةً أَسْرَارَهَا
إِذَا لَمْ نَزُرْهَا حِذَارَ الْعِدَاءِ
خَسَدَنَا عَلَى الزَّوْرِ زُوَارَهَا
فَقَالَتْ جِيلَةً : يَا عَزْ ، إِنَّكَ لِبَاقِيَةً عَلَى الدَّهْرِ ، فَهَبِّئَا لَكَ حَسْنٌ هَذَا الصَّوْتُ
مَعْ جَوَدَةِ هَذَا الْفَنَاءِ !

ثُمَّ قَالَتْ لِحَبَابَةَ وَسَلَامَةً : هَاتِيَا لَهَنَا وَاحِدًا ، فَفَنَّتَا :
كَفِيَ حَزَنًا أَنِّي أَغِيبُ وَتَشَهَّدُ
وَمَا نَلَقَتِي وَالْقَلْبُ حَرَّانُ مُقْصَدُ^(٥)
وَمِنْ عَجَبِ أَنِّي إِذَا الْلَّيْلَ جَنَّى
أَقْوَمُ مِنْ الشَّوْقِ الشَّدِيدِ وَأَقْمَدُ
وَمِنْ عَجَبِ أَنِّي إِذَا الْلَّيْلَ جَنَّى
إِلَى الْوِرْدِ عَطْشَانُ الْفَوَادِ مَصْرَدُ^(٦)
وَلِي جَسَدٌ يَبْنَى لِي وَلَا يَتَجَدَّدُ
وَلِي كَبِدٌ حَرَّى يَعْذِبُهَا الْهَوَى
فَاسْتُخْسِنَ غَنَاؤُهَا .

(١) الجنحات : من أحراج الشجر ، له زهرة صفراء طيبة . والعرار : نبت طيب الربيع وهو الترجس البرى . (٢) الندل : أجود العود . (٣) الأعصار : جمع عصر ، يزيد الأوقات التي كان يجتمع معها فيها . (٤) العوار : ما عار في العين من القدى والرمد فأوجعها . (٥) مقصد : مجموع . (٦) التصريح : سقي دون الرى .

ثم أقبلت على خليدة ، فقالت لها : بنفسِي أنت ! غَنِي ، ففنت :

ألا يامنْ يلوُّ علِي التَّصَابِي
أَرْقَ شِيتَا لِتَسْمَعَ مِنْ جَوَابِ
بَكْرَتَ تَلَوْمُنِي فِي الْحَبْ جَهَلَا
وَمَا فِي حَبْ مُثَلِّي مِنْ مَعَابِ
أَلِيسْ مِنَ السَّعَادَةِ غَيْرِ شَكِّ
هُوَيِّ مُتَوَاصِلِينَ عَلِي اقْتَرَابِ
كَرِيمٌ نَالَ وُدُّا فِي عَفَافِ
وَسَرِّ مِنْ مُنْعَمَةِ كَعَابِ
فَاسْتَحْسَنَ مِنْهَا مَا غَنَتْ . ثُمَّ قَالَتْ لِعُقَيْلَةِ وَالشَّمَاسِيَّةِ : هاتِيَا فَغَنَّتَا :

هَجَرَتِ الْحَبِيبَ الْيَوْمَ فِي غَيْرِ مَا جَهَرَمْ
وَقَطَعَتِ مِنْ ذِي وُدُّكِ الْحَبَلَ فَانْصَرَمْ
أَطْعَمَتِ الْوَشَاءَ الْكَاشِحِينَ وَمَنْ يُطْعَمْ
مَقَالَةَ وَاشِ يَقْرَعُ السَّنَ منْ نَدَمْ
ثُمَّ قَالَتْ لِفَرَعَةِ وَبُلْبُلَةِ وَلَذَةِ الْعِيشِ : هاتِيَنْ فَغَنَّيَنَ ، فَانْدَفَعَنْ بِصُوتِ وَاحِدٍ :

لِعَمْرِي لَئِنْ كَانَ الْفَوَادُ مِنَ الْمَوَى
بَغَى سَقَماً إِنِي إِذْنٌ . لِسَقِيمُ
عَلَى النَّائِي فِي طَولِ الزَّمَانِ يَرِيمُ
عَلَى دَمَاءِ الْبُلْدُونِ إِنْ كَانَ جُبْهَا
وَيُذَكِّرُ مِنْهَا الْمَرْدُ وَهُوَ قَدِيمُ
تُلْمُ مُلَدَّاتُ قَيْنَسِينَ بَعْدَهَا
وَلَا كِنْ عَنْدِي فِي الْفَوَادِ قَسِيمُ
فَأَقْسِمُ مَا صَافَيتُ بِمَدْكِ خَلَةَ (١)
قالَتْ : أَحَسَنْتُنَ ، وَهُوَ لِعَمْرِي حَسَنٌ !

وَقَالَتْ لِسُمْدَةَ وَالزَّرْقَاءِ : غَنِيَا ، فَغَنَّتَا ، فَاسْتَحْسَنَنْ غَنَاؤُهَا .

ثُمَّ قَالَتْ لِلْجَمَاعَةِ : غَنَّوا جَمِيعًا ؛ فَغَنَّوْا ، وَانْفَضَّ الْمَجَلَسُ ، وَعَادَ كُلُّ إِنْسَانٍ إِلَى
وَطْنِهِ . فَارْتَبَّ مَجَلسٌ وَلَا جَمِيعٌ أَحْسَنُ مِنْ هَذِهِ الْأَيَامِ !

(١) الخلة : الخلية .

* ١٢ — الغناء يحيي القلب

حدَثَ مَنْ يَفْهَمُ الْغَنَاءَ ، قَالَ :

بلغني أنَّ جميلاً قدَّت يوماً على كرسيٍّ لها وقلت لآذنها: لا تحيجي عنا أحداً اليوم، واقعدِي بالباب، فكلَّ من يُمْرِرُ بالباب فاعرِضي عليه مجلسِي؛
فعلت ذلك حتى غصَّت الدارُ بالناس؛ فقالت جميلاً: اصعدوا إلى العلاليٌ^(١)؛
فعصَدت جماعةً حتى امتلأَت السطوح.

فجاءتها بعضاً جواريها فقالت لها: يا سيدتي؛ إنَّ تَمَادِي أَمْرُكُ عَلَى مَا رَأَيْتَ
لم يبقَ في دارِكِ حائطٌ إلا سقطَ، فاظهرِي ما تَرِيدين؟ قالت: اجلسِي!
فَلَمَّا تَعَالَى النَّهَارُ وَاشْتَدَ الْحَرُّ اسْتَسْقَى الْمَاءُ النَّاسُ، فَدَعَتْ لَهُمْ بِالسَّوَيْقِ^(٢)، فَشَرَبَ
مَنْ أَرَادَ، ثُمَّ قَالَتْ: أَقْسَمْتُ عَلَى كُلِّ رَجُلٍ وَامْرَأَةٍ دَخَلَ مَنْزِلِي إِلَّا شَرَبَ، فَلَم
يَبْقَ فِي سُقُلِ الدَّارِ وَلَا عُلُوِّهَا أَحَدٌ إِلَّا شَرَبَ، وَقَامَ عَلَى رِءُوسِهِمْ الجوارِي بِالنَّادِيلِ
وَالمرَّاحِ السَّكَبَارِ، وَأَمْرَتْ جَوَارِيهَا فَقَمَنَ عَلَى كَرَاسِيِ صِفَارِيْنِ بَيْنَ كُلِّ عَشْرَةِ
جَارِيَةٍ تُرُوحَ.

ثُمَّ قَالَتْ لَهُمْ: إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ فِي مَنَامِي شِئْنَا أَفْزَعَنِي وَأَرْعَبَنِي، وَلَوْسَتْ أَعْرَفُ
مَاسِبُ دَلْكَ، وَقَدْ خَفَتْ أَنْ يَكُونُ قَرْبَ أَجْلِي، وَلَيْسَ يَنْفَعُنِي إِلَّا صَالِحٌ عَلَى،
وَقَدْ رَأَيْتُ أَنْ أَتْرَكَ الْغَنَاءَ كَرَاهَةً أَنْ يَلْحَقَنِي مِنْهُ شَيْءٌ عِنْدَ رَبِّيِ!

فَقَالَ قَوْمٌ مِنْهُمْ: وَفَقَكَ اللَّهُ وَبَثَتَ عَزْمَكَ! وَقَالَ آخَرُونَ: لَا حَرَاجٌ عَلَيْكَ
فِي الْغَنَاءِ. وَقَالَ شِيفَخٌ مِنْهُمْ ذُو سِينٍ وَعَلَمٌ وَفِقْهٌ وَتَجْرِيَةٌ: قَدْ تَكَامَتِ الْجَمَاعَةُ،

* الأغانى : ٨ - ٢٢٤ .

(١) العلالي: جمع علية، وهي الفرقة (٢) السويق: شراب يتخذ من الحنطة والشعير.

وكلَّ حزبٍ بما لديهم فرِحُونَ ، ولمْ أُعترض عليهم في قولهم ، ولا شَرِكُتُهُمْ في
رأيهم فاستمِعوا الآن لقولي ، وأَنْصِتوا ولا تَشَفُّبُوا^(١) إلى وقت انتفاء كلامي ،
فنَقِيلَ قولى فالله مَوْفَقُهُ ، ومن خالقى فلا بأسَ عليه إذْ كُنْتُ في طاعة ربِّي .

فسكت القومُ جمِيعاً ، وتكلَّمَ الشَّيخُ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَنْتَ عَلَيْهِ وَصَلَّى عَلَى مُحَمَّدٍ
النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . ثُمَّ قَالَ : يَا مُعْشَرَ أَهْلِ الْحِجَازِ ، إِنَّكُمْ مَتَى تَخَذِّلُتُمْ فَشَلَّمْ ،
وَوَبَّ عَلَيْكُمْ عَدُوُّكُمْ ، وَظَفَرَ بِكُمْ ، وَلَا تُفْلِحُوا بَعْدَهَا أَبَدًا . . . إِلَى أَنْ قَالَ : إِنَّ
الْفِنَاءَ مِنْ أَكْبَرِ الْلَّذَاتِ ، وَأَسْرَرُ النُّفُوسِ مِنْ جَمِيعِ الشَّهَوَاتِ ، يُحْيِي الْقَلْبَ ، وَيُزِيدُ
فِي الْعُقْلِ ، وَيَسِّرُ النَّفْسَ ، وَيَفْسَحُ فِي الرَّأْيِ ، وَيَتَسَرَّ بِهِ الْعُسْرُ ، وَتَفْتَحُ بِهِ الْجَيُوشُ ،
وَيَذَلِّلُ بِهِ الْجَبَارُونَ حَتَّى يَتَهَنَّوْا أَنفُسَهُمْ عِنْدَ اسْتِمَاعِهِ ، وَيُبَرِّئُ الْمَرْضَى وَمَنْ مَاتَ قَلْبُهُ
وَعَقْلُهُ وَبَصْرُهُ ، وَيُزِيدُ أَهْلَ الثَّرَوَةِ غَنَّى وَأَهْلَ الْفَقْرِ قَنَاعَةً وَرَضَا بِاسْتِمَاعِهِ ، فَيَعْزِفُونَ^(٢)
عَنْ طَلَبِ الْأَمْوَالِ . مَنْ تَمَسَّكَ بِهِ كَانَ عَالِمًا ، وَمَنْ فَارَقَهُ كَانَ جَاهِلًا ؛ لَأَنَّهُ لَا مَنْزَلَةَ
أَرْفَعُ ، وَلَا شَيْءٌ أَحْسَنُ مِنْهُ ، فَكَيْفَ يُسْتَصْوَبُ تُرَكَهُ ، وَلَا يُسْتَعَانُ بِهِ عَلَى النَّشَاطِ
فِي عِبَادَةِ رَبِّنَا عَزَّ وَجَلَّ ! وَكَلَامٌ كَثِيرٌ غَيْرُ هَذَا .

فَارَدَّ عَلَيْهِ أَحَدٌ ، وَلَا أَنْكَرَ ذَلِكَ مِنْهُمْ بَشَرٌ ، وَكُلُّ عَادٍ بِالْخَلْطَأِ عَلَى نَفْسِهِ ،
وَأَفْرَأَ بِالْحَقِّ لَهُ !

ثُمَّ قَالَ جَمِيلَةُ : أَوَعَيْتَ مَا قَلْتُ ؟ وَوَقَعَ مِنْ نَفْسِكَ مَا ذَكَرْتُ ؟ قَالَتْ : أَجَلْ ! وَأَنَا
أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ . قَالَ لَهَا : قَاتَنَتِي مُجَلسَنَا وَفَرِيقُ جَمَاعَتِنَا بِصَوْتٍ فَقَطْ ، فَفَنَّتْ :

أَفَرَسْمَ دَارِ دَمْعُكَ الْمُتَرْقِقُ سَفَاهَا ! وَمَا اسْتَنْطَاقُ مُالِيْسَ يَنْطِقُ
بِحِيثُ التَّقِيِّ جُمْعٌ وَأَقْصِي مُحَسِّرٌ^(٣) مَفَانِيهِ قَدْ كَادَتْ عَنِ الْعَهْدِ تَخْلُقُ

(١) شَفَّبَتْ عَلَى الْقَوْمِ : هَيَّجَتْ الشَّرْعَ عَلَيْهِمْ . (٢) عَزَّفَتْ نَفْسِي عَنِ الشَّيْءِ : تَرَكَهُ وَزَهَدَتْ فِيهِ وَانْصَرَفَتْ عَنْهُ . (٣) جَمْعُ : عَلْمُ الْمَزَدْلَفَةِ . وَوَادِي مُحَسِّرٌ : مَوْضِعُ بَيْنِ مَنْيَ وَالْمَزَدْلَفَةِ .

مَقْمَمٌ لَنَا بَعْدَ الْعِشَاءِ وَمَنْزُلٌ^١ بِهِ لَمْ يَكُنْ دُرْزٌ عَلَيْنَا مَعْوِيقٌ
 فَأَحْسَنُ شَيْءٍ كَانَ أَوْلُ لِيْلَنَا وَآخَرَهُ حُزْنٌ إِذَا تَفَرَّقَ^٢
 قَالَ الشَّيْخُ : حَسَنٌ وَاللهُ ! أَمْثُلُ هَذَا يُتْرُكُ ! لَا وَاللهُ وَلَا كَرَامَةً لِمَنْ خَالَفَ
 الْحَقَّ . ثُمَّ قَامَ وَقَامَ النَّاسُ مَعَهُ ، وَقَالَ : الْمَدْحُودُ الَّذِي لَمْ يَفْرُقْ جَمَاعَتَنَا عَلَى الْيَأسِ مِنَ
 الْفَنَاءِ وَلَا جَحْوِدِ فَضْيَلَتِهِ ، وَسَلَامٌ عَلَيْكِ وَرَحْمَةُ اللهِ يَا جَمِيلَةَ .

* ١٣ - ضَرْبٌ مِنَ التَّمِيلِ *

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ : جَلَسْتُ جَمِيلَةً يَوْمًا وَلَيْسَتْ بِرُّوْسًا^(١) طَوِيلًا ، وَالْبَسَّاتَ
 مَنْ كَانَ عِنْدَهَا بَرَانِسَ دُونَ ذَلِكَ ، وَكَانَ فِي الْقَوْمِ ابْنُ سُرَيْجٍ ، وَكَانَ قَبْحَ
 الْصَّلْعِ ، قَدْ اتَّخَذَ وَفْرَةً^(٢) شَفَرَ يَضْعُفُهَا عَلَى رَأْسِهِ ، وَأَحْبَبَتْ جَمِيلَةً أَنْ تَرِي
 صَلْعَتَهُ^(٣) ، فَلَمَّا بَلَغَ الْبَرَانِسَ إِلَى ابْنِ سُرَيْجٍ قَالَ : دَبَرْتُ عَلَى وَرْبِ الْكَعْبَةِ !
 وَكَشَفَ صَلْعَتَهُ وَوَضَعَ الْقُلْذِنِيَّةَ^(٤) عَلَى رَأْسِهِ ، وَضَحَّكَ الْقَوْمُ مِنْ قُبْحِ صَلْعَتِهِ .
 ثُمَّ قَامَتْ جَمِيلَةُ وَرَقَصَتْ ، وَضَرَبَتْ بِالْمَوْدِ ، وَعَلَى رَأْسِهَا الْبَرَانِسُ الطَّوِيلُ ،
 وَعَلَى عَاقِبَاهَا بُرْدَةٌ يَمَانِيَّةٌ ، وَعَلَى الْقَوْمِ أَمْتَالُهَا ، وَقَامَ ابْنُ سُرَيْجٍ بِرَقْصٍ وَمَعْبُدِ الْفَرِيْضَ
 وَابْنِ عَائِشَةَ وَمَالِكَ ، وَفِي يَدِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ عُودٌ يَضْرِبُ بِهِ عَلَى ضَرْبِ جَمِيلَةَ
 وَرَقْصِهَا ، فَغَنَّتْ وَغَنَّى الْقَوْمُ عَلَى غَنَائِهَا :

ذَهَبَ الشَّابُ وَلَيْتَهُ لَمْ يَذْهَبِ
 وَعَلَّا الْمَفَارِقَ وَقَعَ شَيْبٌ مُغْرِبٌ^(٥)

* الأغاني : ٨ - ٢٢٦ .

(١) الْبَرَانِسُ : قَلْنسُوَةٌ طَوِيلَةٌ ، أَوْ كُلُّ ثُوبٍ رَأْسِهِ مِنْهُ ، دَرَاعَةٌ كَانَ أَوْجَبَهُ أَوْ بَطْرَأً .

(٢) الْوَفْرَةُ : الشَّعْرُ الْمُجْتَمِعُ عَلَى الرَّأْسِ (٣) الصَّلْعَةُ : بَفْتَحُ الْلَّامِ وَسَكُونُهَا : مَوْضِعُ الْصَّلْعِ .

(٤) الْقُلْذِنِيَّةُ : مَا يَلْبِسُ فِي الرَّأْسِ . (٥) مَغْرِبُ : أَيْضًا .

والغانياتُ يُرِدُنْ غيركَ صاحبَا وَيَعِدُنَكَ الْهِجْرَانَ بعد تقرُّبِ
إني أقول مقالةً بتجاربٍ حَقًا، ولم يُخْبِرْكَ مثلُ مُحَرِّبٍ :
صافِ الْكَرِيمَ وَكَنْ لِعِرْضِنَكَ صائِنَا عن اللَّئِمِ ومثلِه فتنَّكَ
ثم دَعَتْ بثِيابِ مُصَبَّغَةٍ وَوَفْرَةُ شِعْرٍ مُثْلِ وَفْرَةِ ابن سُرِّيجِ فوضعتها على رأسها ،
ودَعَتْ الْقَوْمَ بِمَثْلِ ذَلِكَ فَلَبِسُوا ، ثُمَّ ضَرَبَتْ بالعودِ وَتَمَشَّتْ وَتَمَشَّى الْقَوْمُ خَلْفَهَا ،
وَغَنَّتْ وَغَنَّوا بِغُنَامِهَا بِصوتِ واحدٍ :

يَمْشِينَ مَشَى قَطَا الْبَطَاحَ تَأْوِدًا^(١)
قب^(٢) الْبُطُونَ رواجحَ الْأَكْفَالَ
فيهنَّ آنسَةُ الْحَدِيثِ حَيَّيَةٌ^(٣)
ليست بِفَاحِشَةٍ ولا مِتَفَالَ^(٤)
وَتَكُونُ رِيقَتُهَا^(٥) إِذَا نَبَّهَتْهَا كَالْمَسْكَ فَوْقَ سُلَاقَةِ الْجَرِيَالِ^(٦)
ثُمَّ نَعَرَتْ^(٧) وَنَعَرَ الْقَوْمُ طَرَبًا ، ثُمَّ جَلَسَتْ وَجَلَسُوا وَخَلَعُوا ثِيَابَهُمْ ، وَرَجَعوا
إِلَى زِيَّهِمْ ، وَأَذِنَتْ مَنْ كَانْ يَبَاهُ فَدَخَلُوا ، وَانْصَرَفُ الْمُغَنَّوْنُ ، وَبَقِيَ عَنْدَهَا مِنْ
يَطَارِحُهَا مِنْ الْجَوَارِي !

١٤ — وَفُودُ ابْنِ مِسْبَحٍ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ *

قال دَحْمَانُ الأَشْقَرَ : كَنْتُ عَامِلًا لِعَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ، بِمَكَّةَ ، فَنُمِيَ إِلَيْهِ
أَنَّ رَجُلًا أَسْوَدَ يُقَالُ لَهُ : سَعِيدُ بْنُ مِسْبَحٍ^(٧) أَفْسَدَ فِتْيَانَ قُرَيْشٍ ، وَأَنْفَقُوا عَلَيْهِ
أَمْوَالَهُمْ ؛ فَكَتَبَ إِلَيْهِ : أَنْ اقْبِضْ مَالَهُ وَسِيرَهُ ، فَفَعَلَتْ .

(١) تَأْوِدُ الشَّيْءَ : تَوْجُّ ، وَتَنْتَيْ . (٢) قَبُ الْبَطُونَ : ضَامِرُ الْبَطُونِ .
(٣) التَّفَالَ : الْمُتَغَيِّرُ الرَّيْحُ لِذَكِرِ التَّطَبِيبِ . (٤) الرِّيقُ : ماءُ الْفَهْوَيْرُونَ فِي الشِّعْرِ .
(٥) الْجَرِيَالُ : مِنْ أَسْمَاءِ الْحَمْرَ . (٦) نَعَرُ الرَّجُلَ : صَاحِبُ ، وَصَوْتُ بَخِيشُوهُ .
* الأَغْنَى : ٣ - ٢٧٢ .

(٧) سَعِيدُ بْنُ مِسْبَحٍ . أَحَدُ الْمَوَالِيِّ ، مَكِيُّ أَسْوَدَ ، مَغْنِ مَقْتَدِرٍ ، كَانَ أَوَّلَ مَنْ غَنَّ الْفَنَاءَ الْعَرَبِيَّ
بِمَكَّةَ ، وَهُوَ الَّذِي عَلَمَ ابْنَ سَرِّيجَ وَالْغَرِيفَ .

فتوجه ابن مسجح إلى الشام ، فصحبه رجل له جوار مُفنيات في طريقه ، فقال له : أين تُريد ؟ فأخبره خبره ، وقال له : أريد الشام . قال له : ف تكون معى ؟ قال : نعم .

فصحبه حتى بلغا دمشق ، فدخلوا مسجدَها ، فسألا : من أخص الناس بأمير المؤمنين ؟ فقالوا : هؤلاء النفر من قريش ، فوقف ابن مسجح عليهم وسلم ، ثم قال : يافتىان ؟ هل فيكم من يُضيّف رجلاً غريباً من أهل الحجاز ! فنظر بعضهم إلى بعض - وكان عليهم موعد أن يذهبوا إلى قينة يقال لها « برق الأفق » - فتناقلوا به إلا فتي منهم تذمّر ^(١) ؛ فقال : أنا ضيفك . وقال لأصحابه : انطلقوا أتم ، وأنا أذهب مع ضيفي . قالوا : لا ، بل تجيء أنت وضيفك .

فذهبوا جميعاً إلى بيت القينة ؛ فلما أتوا بالقداء قال لهم سعيد : إنّي رجل أسود ، ولعل فيكم من يقدّرني ^(٢) ، فانا أجلس وأكل ناحية ، وقام . فاستحييوا منه ، وبعثوا إليه بما أكل ، فلما صاروا إلى الشراب قال لهم مثل ذلك ، ففعلوا به كما فعلوا في المأكل . وأخرجوا جاريتن بخلستا على سرير قد وضع لها فنتا إلى العشاء . ثم دخلتا ، وخرجت جارية حسنة الوجه وال الهيئة ، وما معها ، بخلست على السرير وجلستا أسفل منها عن يمين السرير وشماله ، قال ابن مسجح : فلمثلت هذا البيت :

فقلت أئمس أم مصايح بيعة ^(٣) بدأتك خاف السجف ^(٤) أم أنت حالم !
فضضبت الجارية ، وقالت : أيضرب هذا الأسد بي الأمثال ! فنظروا إلى نظراً
منكراً ، ولم يزالوا يسكنونها ، ثم غفت صوتاً . فقلت : أحسنت والله ؛ فغضب

(١) تذمّر : خشي النم واللوم . (٢) قدرت الشيء : استقدرته وكرهته .

(٣) البيعة : كنيسة النصارى . (٤) السجف - بالفتح ويكسر : الستر .

مولاهَا ، وَقَالَ : أَمْثَلُ هَذَا الْأَسْوَدَ يُقِدِّمُ عَلَى جَارِيَتِي ! فَقَالَ لِ الرَّجُلِ الَّذِي أَنْزَلَنِي عَنْهُ : قَمْ فَانْصَرِفْ إِلَى مَنْزِلِي ؛ فَقَدْ ثَقَلْتَ عَلَى الْقَوْمِ . فَذَهَبَتْ أَقْوَمْ فَذَهَمَ الْقَوْمُ ، وَقَالُوا لِي : بَلْ أَقْمَ وَأَحْسَنْ أَدَبَكَ ، فَأَفْقَتْ وَغَفَتْ . فَقَلَتْ : أَخْطَأْتِ وَاللَّهُ وَأَسَأْتِ ! ثُمَّ اندَفَعَتْ فَغَيَّبَتْ الصَّوْتُ . فَوَبَثَتِ الْجَارِيَةُ وَقَالَتْ لِمَوْلَاهَا : هَذَا وَاللَّهُ أَبُو عَمَانْ سَعِيدُ بْنِ مِسْبَحْ ! فَقَلَتْ : وَاللَّهُ أَنَا هُوَ ، وَاللَّهُ لَا أَقِيمُ عَنْدَكُمْ ! فَوَثَبَ الْقُرْشِيُّونَ ؟ فَقَالَ هَذَا : يَكُونُ عَنْدَنِي . وَقَالَ هَذَا : يَكُونُ عَنْدِي . وَقَالَ هَذَا : بَلْ عَنْدِي ! فَقَلَتْ : وَاللَّهُ لَا أَقِيمُ إِلَّا عَنْدَ سَيِّدِكُمْ - يَعْنِي الرَّجُلَ الَّذِي أَنْزَلَهُمْ مِنْهُمْ . ثُمَّ سَأَلُوهُ عَمَّا أَقْدَمَهُ ؛ فَأَخْبَرُهُمُ الْخَبَرُ ، فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ : إِنِّي أَسْمُرُ الْمِيَّلَةَ مَعَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ؛ فَهَلْ تُخَيِّنُنِي أَنْ تَحْمُدُنِي ؟ قَالَ : لَا ! وَلَكِنِي أَسْتَعْمِلُ حُدَاءَ . قَالَ : إِنَّ مَنْزِلِي بِحُدَاءِ مَنْزِلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ؛ إِنَّ وَافْقَتَ مِنْهُ طَيْبَ نَفْسٍ أَرْسَلْتُ إِلَيْكَ .

وَمَضَى إِلَى عَبْدِ الْمَلَكِ ، فَلَمَّا رَأَاهُ طَيْبُ النَّفْسِ أَرْسَلَ إِلَى ابْنِ مِسْبَحٍ ، فَأَخْرَجَ رَأْسَهُ مِنْ وَرَاءِ شُرَفِ الْقَصْرِ ، ثُمَّ حَدَّا :
 إِنَّكَ يَا مُعاَذَ يَا بْنَ الْفُضَّلِ إِنْ زُلْزَلَ الْأَقْدَامُ لَمْ تَزُلْزَلْ
 عَنْ دِينِ مُوسَى وَالْكِتَابِ الْمُنْزَلِ تُقْيِيمُ أَصْدَاعَ الْقَرْوَنِ الْمُيَّلِ^(١)
 * لِلْحَقِّ حَتَّى يَنْتَهُوا لِلْأَعْدَلَ *

فَقَالَ عَبْدُ الْمَلَكَ لِلقرْشِيِّ : مَنْ هَذَا ؟ قَالَ لَهُ : رَجُلٌ حِجَازِيٌّ قَدِمَ عَلَيَّ . قَالَ : أَحْضِرْهُ . فَأَحْضَرْهُ وَقَالَ لَهُ : أَحْدُ مُحَمَّدًا ، ثُمَّ قَالَ : هَلْ تَفْنِي غَنَاءَ الرَّكْبَانِ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ . غَنَّهُ . فَتَغْنَى . فَقَالَ لَهُ : فَهَلْ تَغْنِي الغَنَاءَ الْمُتَقَنَّ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : غَنَّهُ ، فَتَغْنَى .

(١) الصَّدَعُ : مَا يَبْلُغُ الْعَيْنُ وَالْأَذْنُ . وَالْقَرْنَانُ : جَانِبَا الرَّأْسِ ، وَالصَّدَعُ : الْمِيلُ ، وَمِنْهُ : « لِأَقْيَمْ صَدَعَكَ ، أَئِ مِيلُكَ . »

فأهْرَأَ عَبْدُ الْمَلِكَ طَرَبًا . ثُمَّ قَالَ : أَقْسِمْ إِنْ لَكَ فِي الْقَوْمِ لِأَمْهَاءَ كَثِيرَةً !
مِنْ أَنْتَ ؟ وَيَلِكَ ! قَالَ لَهُ : أَنَا الظَّالِمُ، الْمَبْوَضُ مَالُهُ، الْمَسِيرُ عَنْ وَطْنِهِ سَعِيدُ بْنُ مِسْجَحَ ،
فَبَصَرَ مَالِي عَامِلُ الْحِجَازِ وَنَفَانِي !

فَبَسَمْ عَبْدُ الْمَلِكَ . ثُمَّ قَالَ لَهُ : قَدْ وَضَعْتُ عَذْرَ فَتِيَانَ قَرِيشٍ فِي أَنْ يُنْفَقُوا
عَلَيْكَ أَمْوَالَهُمْ . وَأَمْنَهُ وَوَصَلَهُ ، وَكَتَبَ إِلَى عَامِلِهِ بِرْدٌ مَالِهِ عَلَيْهِ وَأَلَا يَرِضَ
لَهُ بُسُوءٌ .

* ١٥ - دعاية للوطن *

كَانَ بَعْضُ وَلَاتِ الْكُوفَةِ يَذْمُمُ الْحِيَرَةَ فِي أَيَّامِ بَنِي أَمِيَّةَ ، قَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْ
أَهْلِهَا - وَكَانَ عَاقِلاً ظَرِيفًا : أَتَعِيبُ بَلَدَةَ بَهَا يُضَرِّبُ الْمُثَلَّ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ !
قَالَ : وَبِمَاذَا تُمْدِحُ ؟ قَالَ : بِصِحَّةِ هَوَائِهَا ، وَطَيْبِ مَائِهَا ، وَنُزُّهَةِ ظَاهِرِهَا ، تَصْلُحُ
لِلْخُفُّ وَالظُّلْفِ ، سَهْلٌ وَجَبَلٌ ، وَبَادِيَّةٌ وَبُسْتَانٌ ، وَبَرٌّ وَبَحْرٌ ، مَحْلُّ الْمَلُوكِ
وَمَزَارُهُمْ وَمَسْكُنُهُمْ وَمَتْوَاهُمْ ، وَقَدْ قَدِيمَتِهَا - أَصْلَحَكَ اللَّهُ - مُخْفَفًا ^(١) فَرَجَعَتَ
مُنْقَلًا ، وَوَرَدَتِهَا مُقْلَلًا فَأَصَارَتْكَ مُكْثِرًا ، قَالَ : فَكَيْفَ تَعْرِفُ مَا وَصَفْتَهَا بِهِ مِنْ
الْفَضْلِ ؟ قَالَ : بِأَنْ تَصِيرَ إِلَيَّ ، ثُمَّ أَدْعُ مَا شَئْتَ مِنْ لَذَّاتِ الْعِيشِ ، فَوَاللَّهِ لَا أَجُوزُ
بِكَ الْحِيَرَةَ فِيهِ !

قَالَ : فَاصْنِعْ لَنَا صَنِيعًا ^(٢) ، وَاخْرُجْ مِنْ قَوْلِكَ . قَالَ : أَفْعُلُ ، فَصَنَعْ لَهُمْ طَعَامًا ،
وَأَطْعَمْهُمْ مِنْ خُبْزِهَا وَسَمَكِهَا وَمَا صِيدَ مِنْ وَحْشَهَا : مِنْ ظَباءَ وَنَعَامَ وَأَرَابَةَ
وَحَبَارَى ^(٣) ، وَسَقَاهُمْ مَاءَهَا فِي قِلَّا لِهَا ، وَأَجْلَسَهُمْ عَلَى رَقَمِهَا ^(٤) ، وَلَمْ يَسْتَخْدِمْ لَهُمْ

* الأغاني : ٢ - ٣٥١ .

(١) يقال أخذ، الرجل : إذا خفت حاله ورفت . (٢) الصنيع هنا : الطعام . (٣) طائر طوبل العنق رمادي اللون . (٤) الرقم : الوشي الخفظ .

حُرّاً ولا عبداً إِلَّا مِنْ مُوَلَّدِهَا وموْلَدِاهَا ، من خَدِيمٍ ووصَافٍ وصَفَاءَ كَأَنَّهُمُ الْمُؤْلُودُونَ ،
لِقَتْهُمْ لَغَةُ أَهْلِهَا ، ثُمَّ غَنَّاهُمْ حُسْنَاهُمْ وَأَحْبَابُهُمْ فِي شِعْرٍ عَدِيٍّ بْنِ زِيدٍ شاعِرِهِمْ وَأَعْشَى
هَمَدَانَ لَمْ يَتَجَازُهَا ، وَحَيَّاهُمْ بِرَيَاحِهِنَا ، وَنَقْلَهُمْ^(١) عَلَى شَرَابِهَا - وَقَدْ شَرَبُوا -
بَفْوَا كَهْبَهَا . ثُمَّ قَالَ لَهُ : هَلْ رَأَيْتَنِي اسْتَعْفَتُ عَلَى شَيْءٍ مَا رَأَيْتَ وَأَكْلَتَ وَشَرَبَتَ
وَاقْرَشْتَ وَشَمَتَ وَسَعَتَ بِغَيْرِ مَا فِي الْحِيرَةِ ؟ قَالَ : لَا وَاللَّهُ ، وَلَقَدْ أَحْسَنَ
صَفَةَ بَلْدَكَ ، وَنَصَرَتَهُ فَأَحْسَنْتَ نُصْرَتَهُ وَالخُروجَ مَا تَضَمَّنَتْهُ ، فَبَارَكَ اللَّهُ لَكُمْ
فِي بَلْدَكَ .

* ١٦ - أَيُّ الْأَمْمَ أَعْقَلْ ؟ *

قال شبيب^(٢) بن شيبة أحد بلقاء العرب وجليلهم الملك :
كنا وقوفاً بالمرْبَد^(٣) ، وكان المرْبَد مأْلَفَ الأَشْرَافِ ، إذ أَقْبَلَ ابْنَ الْمَقْعَدِ^(٤)
فبِشِّشَنَا بِهِ وَبِإِنَاهِ بِالسَّلَامِ ، فرَدَّ عَلَيْنَا السَّلَامَ ثُمَّ قَالَ : لَوْ مِلِمْ إِلَى دَارَ نَيْرُوزِ

(١) نقلهم : أطعمهم النقل .

* أسواق الذهب : ٤٠٠ ، بلوغ الأربع : ١٥٩ .

(٢) هو شبيب بن شيبة بن عبد الله المنقري التميمي خطيب البصرة في زمانه ثشاً في البصرة
وامتاز ببنالة نفس وسخاء كف ، وحسن تواضع ونزاهة لسان . وعرف شبيب أبا جعفر المنصور
قبل خلافته ، ثم اتصل به بعدها ، فجعله في حاشية ولـى عهده المهدى ، وبقي كذلك حتى ولـى
المهدى الخلافة فصار من خيرة سماره وجلسائه إلى أن مات سنة ١٧٠ هـ . (٣) مرشد البصرة:
هو في الأصل متسع للابل تعرض فيه للبيع ، ثم أصبح على عهد الأمويين سوقاً عامـة تختذـلـ فيـهـ
الحالـسـ وـتـنـدـ الـحـلـقاتـ يـتوـسـطـهاـ الشـعـرـاءـ وـالـرـجـازـ وـيـؤـمـهاـ الـأـشـرـافـ فـيـنـاـشـدـونـ وـيـتـفـاخـرونـ
وـيـتـهـاجـونـ وـيـتـشـاـورـونـ (٤) كان عبد الله بن المقفع من أبناء الفرس الذين نشأوا بين العرب ،
ولـدـ سـنـةـ ١٠٦ـ هـ وـنـشـأـ بـالـبـصـرـةـ وـكـانـ أـبـوـهـ مـجـوسـيـاـ يـحـمـمـ خـرـاجـ فـارـسـ للـحجـاجـ بنـ يـوسـفـ وـبـقـىـ
ابـنـ الـمـقـعـدـ أـكـثـرـ أـيـامـهـ عـلـىـ دـيـنـ الـحـوـسـيـةـ ، ثـمـ أـسـلـمـ فـيـ آخـرـ عمرـهـ ، وـتـلـمـ صـنـاعـةـ الـكـتـابـةـ ، وـبـعـدـ
فـذـكـ ، وـكـتـ لـكـثـيرـ مـنـ الـأـمـرـاءـ ، وـكـانـ غـايـةـ فـيـ الـذـكـاءـ ، اـشـتـهـرـ بـيـلـاغـتـهـ وـرـشـاقـةـ عـبـارـتـهـ ، وـكـانـ
فـوقـ ذـكـ منـ كـبـارـ الـمـتـجـينـ وـالـمـؤـلـفـينـ ، وـمـاتـ مـقـتـلـاـ سـنـةـ ١٤٢ـ هـ .

وَظِلْهَا الظَّلِيلُ ، وَسُورُهَا الْمَدِيدُ ، وَنَسِيمُهَا الْعَجِيبُ ، فَعَوْدُمُ أَبْدَانَكُمْ تَهِيدُ
الْأَرْضَ ، وَأَرْحَمُ دَوَابَّكُم مِنْ جَهَدِ الثَّقْلِ ! إِنَّ الَّذِي تَطْلُبُونَهُ لَمْ تَقْتُلُوهُ^(١) ،
وَمِمَّا قَضَى اللَّهُ لَكُم مِنْ شَيْءٍ تَنَالُوهُ .

فَقَبِلَنَا وَمِنْنَا ، وَلَا اسْتَقَرَّ بَنَا الْمَكَانُ قَالَ لَنَا : أَئِ الْأَمْ أَعْقَلُ ؟ فَنَظَرَ بَعْضُنَا إِلَى
بعض ! فَقَلَنَا : لَعْلَهُ أَرَادَ أَصْلَهُ مِنْ فَارِسٍ ، فَقَلَنَا : فَارِسٌ ، فَقَالَ : لَيْسُوا بِذَلِكِ ؛ إِنَّهُم
مُلْكُوا كَثِيرًا مِنَ الْأَرْضِ ، وَوَجَدُوا عَظِيمًا مِنَ الْمُلْكِ ، وَغَلَبُوا عَلَى كَثِيرٍ مِن
الْخَلْقِ ، وَلَبِثَ فِيهِمْ عَقْدُ الْأَمْرِ ، فَمَا اسْتَنْبَطُوا شَيْئًا بِعَقْوَلِهِمْ ، وَلَا ابْتَدَعُوا بَاقِ حُكْمِ
فِي نُفُوسِهِمْ . . .

قَلَنَا : قَالُومُ ، قَالَ : أَحْمَابُ صَنْفَةٍ . قَلَنَا : فَالصِّينُ ، قَالَ : أَحْمَابُ طُرْفَةٍ .
قَلَنَا : فَالْمَهْنَدُ . قَالَ : أَحْمَابُ فَلَسْفَةٍ . قَلَنَا : فَالسُّودَانُ ، قَالَ : شَرُّ خَلْقِ اللَّهِ . قَلَنَا :
فَالْتُّرْكُ . قَالَ : كَلَابُ مُخْتَلِسَةٍ . قَلَنَا : فَالْخَزَرُ ، قَالَ : بَقْرٌ سَائِمٌ . قَلَنَا : فَقْلُ ،
قَالَ : الْعَرَبُ !

فَضَحَّكَنَا جَمِيعًا ؛ فَقَالَ : أَمَا إِنِّي مَا أَرَدْتُ مُوافِقَتَكُمْ ، وَلَكِنْ إِذْ فَاتَنِي حُضُّى
مِنَ النَّسْبَةِ ، فَلَا يَفُوتُنِي حُظُّى مِنَ الْمَعْرِفَةِ ؛ إِنَّ الْعَرَبَ حَكَمَتْ عَلَى غَيْرِ مِثَالِهَا ، وَلَا
آثَارُ أُثْرَاتِهِ ؛ أَحْمَابُ إِبْلٍ وَغَنَمٍ ، وَسَكَانُ شَعْرٍ وَأَدَمَ ، يَجُودُ أَحَدُهُمْ بِقُوَّتِهِ ، وَيَتَفَضَّلُ
بِمَجْهُودِهِ ، وَيُشَارِكُ فِي مِيسُورِهِ وَمَعْسُورِهِ ، وَيَصْفُ الشَّيْءَ بِعَقْلِهِ فَيُكَوِّنُ قُدْوَةً ،
وَيَفْعُلُهُ فَيَصِيرُ حِجَّةً ، وَيَحْسَنُ مَا شَاءَ فَيَحْسُنُ ، وَيَقْتَبِحُ مَا شَاءَ فَيَقْبَحُ ؛ أَدَّبَتْهُمْ أَنفُسُهُمْ
وَرَفَعَتْهُمْ هَمَمُهُمْ ، وَأَعْلَمَهُمْ قَلُوبُهُمْ وَأَسْتَهُمْ ، فَلَمْ يَزِلْ حِبَّةُ اللَّهِ فِيهِمْ ، وَحِبَاوُهُمْ فِي

(١) أَئِ لَمْ يَنْفَلْتْ مَسْكُمْ .

أنفسهم حتى رفع لهم الفخر ، وبلغ بهم أشرف الذكر ، وختم لهم بملائكتهم الدنيا
على الدهر ، وافتتح دينه وخلافته بهم إلى الخشر ، ولم يقل سبحانه : « إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ
يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْمَاعِيَّةُ لِلْمُتَقِّيِّينَ » ^(١) .
فَعَنْ وضع حقهم خسِر ، ومن أنكر فضلهم خصم ^(٢) ، ودفع الحق بالسان
أَكْبَتُ لِلْجَهَانِ .

(١) سورة الأعراف ، آية ١٢٧ . (٢) خصم : غلب بالحجة .

* ١٧ — قرآن العلية *

قال خادمُ أمير المؤمنين المأمون^(١) : طلبني أمير المؤمنين ليلة ، وقد مضى من الليل ثلثة ، فقال لي : خذْ معي فلاناً وفلاناً وسماها : أحدهما على بن محمد ، والآخر دينار الخادم ، وادْهَبْ مسرعاً لما أقوله لك ؟ فإن أصحابَ الأخبار قد أكثروا في أنَّ شيخاً يحضرُ ليلاً إلى آثار البرامكة ، وينشد شعراً ويذْكُرُهم ذكرًا جميلاً ، ويندُبُهم ويذكرُ عليهم ، ثم ينصرف ، فامضِ الآن أنت وعلى دينار حتى ترِدُوا هذه الخربات ، فاستَرِدوا خلفَ حِدارٍ من هذه الجدر ، فإذا رأيتم الشیخ قد جاء وبكي وندب ، وأنشد شيئاً فأثونی به .

قال : فأخذتهما ومضينا حتى وردنا آخرِ بات ، وإذا نحن بغلام قد أتى ، ومعه بساط وكرسيٌّ جديد ، وإذا شیخٌ وسیم ، له جمالٌ وعليه مهابة وصلف ،جلس بيكي وينتحب ويقول :

ولما رأيت السيفَ جَلَّ^(٢) عجفراً ونادي منادٌ للخليفةٍ في يحيى
بكىٌ على الدنيا وأيقنتُ أنهُ^آ قُصارَى الفتى يوماً مُفارقةُ الدُّنيا
أَعْجَفُ إِنْ تَهْلِكْ فَرَبَّ عظيمةٍ كشفتَ وتنعمَ قد وصلتَ بها نعمَ
فقُل لَّذِي أَبْدَى لِي حَيَى وَجَعْفَرٌ شَمَاَتَهُ : أَبْشِرْ ، لَتَأْتِيهِمُ الْعَقْبَى

* العقد الفريد للملك السعيد : ٨٩ ، الحسان والساوى : ١٢٢ - طبع ليزج .

(١) هو عبد الله المأمون بن هارون الرشيد ، بويع بالخلافة بعد مقتل الأمين سنة ١٩٨ هـ ، كان ميلاً للغفو مطبوعاً على الخير ، راغباً في العلم ، عبا للجدل ، وأخباره في كل هذا مشهورة مأثورة ، توفي سنة ٢١٨ هـ .

(٢) جله : علاء .

لَئِنْ زَالَ غُصْنُ الْمَلِكِ عَنْ آلِ بَرْمَكِ
وَمَا الدَّهْرُ إِلَّا دُولَةٌ بَعْدَ دُولَةٍ
عَلَى أَنْهَا لِيَسْتَ تَدُومُ لَأَهْلَهُ —
بَنِي بَرْمَكَ كَفَمُ نُجُومُ مُضِيَّةٌ
لِكُلِّكُمْ أَبْكِي بَعْنَى غَزِيرَةٍ وَقَلْبَيْ قَرِيبٍ لَا يَمُوتُ وَلَا يُحْيَى
قال . فَتَرَاهُ يَنْـا (٢) لَهُ لَمَ فَرَغَ ، ثُمَّ قَبضَنَا عَلَيْهِ ؛ خَرْبَعْ وَفَزِعْ ، وَقَالَ : مَنْ أَنْتَ ؟
فَقَلَّتْ لَهُ حَاجِبُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَهَذَا فَلَانْ وَفَلَانْ ! قَالَ : وَمَا تَرِيدُونَ مِنِّي ؟
فَأَعْلَمْتُهُ مَا أَمْرَ بِهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَخْذِهِ إِلَى مَجَلَّسِهِ ؛ فَقَالَ : ذَرْنِي أَوْصِيَّةً ؛
فَإِنِّي لَا آمِنُ لِلْعَطَبِ . ثُمَّ تَقدَّمَ إِلَى بَعْضِ الدَّكَاكِينَ ، وَأَخْذَ وَرْقَةً ، وَكَتَبَ فِيهَا
وَصِيَّةً دَفَعَهَا إِلَى غَلامَهُ ؛ ثُمَّ سِرَّنَا بِهِ .

فَلَمَّا دَخَلَ إِلَى الْمَجَلَّسِ وَمَثَلَ بَيْنَ يَدَيِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ زَجَرَهُ ، وَقَالَ لَهُ : مَنْ أَنْتَ ؟
وَبِمَاذَا اسْتَوْجَبَ مِنْكَ الْبِرَامِكَةُ مَا تَفَعَّلَهُ فِي خَرَبَاتِ دُورِهِمْ ؟ فَقَالَ : يَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ؛
لِلْبِرَامِكَةِ عَنِي أَيَادِ خَضْرَاءَ ، أَفْتَادَنِ لِي أَنْ أَحْدَثَهُ عَنْ حَالِهِمْ ؟ قَالَ : قُلْ .
قَالَ : أَنَا يَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمَنْذُرُ بْنُ الْمُغِيرَةِ مِنْ أَهْلِ دِمْشَقَ ، كَفَتْ بِهَا مِنْ أُولَادِ
الْمَلُوكِ ، فَرَأَتْ عَنِ نِعْمَتِي كَمَا تَرَوْلَ عَنِ الرِّجَالِ ، فَلَمَّا رَكِبْتُنِي الْدِيُونُ ، وَاحْتَاجَتِ إِلَى
بَنِيمِ مَسْقَطِ رَأْسِ وَرْهُوسِ آبَائِي ، أَشَارُوا عَلَيَّ بِالْخَرْوَجِ إِلَى الْبِرَامِكَةِ ، خَرَجَتِ مِنْ
دِمْشَقَ وَمَعِي نِيَفَ وَثَلَاثُونَ امْرَأَةً وَصَبِيًّا وَصِيَّةً ، وَلَيْسَ مَعَنَا مَا يُبَاعُ وَلَا مَا يُرْهَنُ ،
حَتَّى دَخَلْنَا بَغْدَادَ وَنَزَلْنَا بِيَابِ الشَّامِ فِي بَعْضِ الْمَسَاجِدِ ، فَدَعَوْتُ بِثِيَابٍ لِي كَفَتْ

(١) الجواب للشرط مع تقديم القسم ، وهو قليل ، وإليه أشار ابن مالك في قوله :
وَرِبَّا رَجَعَ بَعْدَ قَسْمٍ شَرْطَ بِلَادِي خَرْبَ مَقْدَمٍ
وَهُوَ مَذْهَبُ الْفَرَاءِ ، وَيُرِى الْجَمْهُورُ أَنَّ مَثَلَ الْبَيْتِ الْلَّامِ فِي زَائِدَةٍ (٢) تَرَاهِي لَهُ : تَصْدِي :

قد أعددتها لاستمتع ^(١) بها الناس فلبستها ، وخرجت وتركتهم جياعاً لا شيء عندهم ، ودخلت شوارع بغداد أسأل عن دور البرامكة . فإذا أنا بمسجد مزخرف ، وفيه مائة رجل بأحسن زينة وبرزة ، وعلى الباب خادمان .

فطمعت في القوم ، وولجت المسجد ، وجلست بين أيديهم ، وأنا أقدم وأآخر ، والعرق يسيل مني ، لأنهم تكن صناعتي ، وإذا بخادم قد أقبل خدث الخادميين فدخلوا وأذعجو القوم ، فقاموا وأنا معهم .

فأدخلونا دار يحيى بن خالد ؟ ودخلت معهم ، فإذا يحيى جالس على دكّة ^(٢) له وسط بستان ، فسلمنا وهو يُعدنا مائة وواحدا ، وبين يدي يحيى عشرة من ولده ، وإذا غلام أمرد حين عذر ^(٣) خداته . قد أقبل من بعض المقاصير ، بين يديه خدام مقرطقون ^(٤) ، في وسط كل خادم منطقة من ذهب يقرب وزتها من ألف مثقال ، ومع كل خادم بجمدة من ذهب ، في كل مجررة قطعة من عود كهينة الفهر ^(٥) ، قد ضم إليه مثله من العنبر السلطاني ؟ فوضعوه بين يدي الغلام ، وجلس الغلام إلى جنب يحيى .

ثم قال يحيى للزرق القاضي : تكلم فقد زوجت بنتي عائشة من ابن عمى هذا .
خطب القاضي وزوج ، وشهدت أولئك الجماعة ، وأقبلوا علينا بالنثار ^(٦) وبناديق المسك والعنبر ، فالتفتت والله يا أمير المؤمنين ملء كمي ، ونظرت وإذا نحن مائة واثنا عشر رجلا ، فخرج إلينا مائة خادم واثنا عشر خادماً ، مع كل خادم صينية فضة ، عليها ألف دينار شامية ؟ فوضع بين يدي كل رجل مما صنيّته ،

(١) استمتعه : سأله العطاء (٢) الدكّة والدكان : الذي يقع عليه (٣) عذر الغلام : نبت شعر عذاره (٤) القرطق كجندب : ضرب من الشياطين ، (معرب كرتنه) (٥) الحجر مل السكف (٦) النثار : ماتناثر من الشيء .

فرأيت القاضي والمشائخ يصيّبون الدنانير في أكمامهم، ويجعلون الصوانى تحت آباطِهم، ويقوم الأول فال الأول حتى بقيتُ بين يدي يحيى لا أحْسِرُ على أخذ الصينية، فغمزني الخادم فجَسَرْتُ وأخذتها ، وجعلت الذهب في كُمّى ، وأخذتُ الصينية في يدي وقتُ ، بفعلتُ لافتتُ ورأى مخافته أن أمنع من الذهاب بها.

فيينا أنا كذلك في صحن الدار أكثُرُ من الالتفات ، ويتحمّي يلْحَظُنى ، قال للخادم : ائْتني بذلك الرجل . فرُدِدتُ إليه ، فأبرس فسكتُ الدنانير والصينية وما كان في كمي ، ثم أمرني بالجلوس بجلسات ؟ فقال : مَنْ الرجل ؟ فقصصت عليه قصتي . فقال : علىَّ موسى ، فَأَتَى به ، فقال : يابني ؟ هذا الرجل غريب ، فخُذْه إليك واحفظه بنفسك ونعمتك .

فقبض موسى على يدي ، وأخذني إلى بعض دوره ، فاَكْرمني وعاشرني يومي وليلتي أكْلًا وشُرُبًا ؛ فلما أَصْبَحَ دعا بأخيه العباس ، وقال : إِنَّ الْوَزِيرَ أَمْرَنِي بالاعطف على هذا الفتى ، وقد علمتَ اشتغالِي في دار أمير المؤمنين ، فاقبضه إليك وأَكْرِمْه ، ففعل ، ثم لم أَزَلْ في أيدي القوم يتداولونني عشرة أيام ، لا أعرف خبر عيالي وصبياني ؟ أَفِ الْأَمْوَاتُ هُمْ أَمْ فِي الْأَحْيَاءِ ؟

فلمَا كان اليوم العاشر دُفعت إلى يد الفضل ، فعطف علىَّ وزاد في الكرامة ، فلما كان اليوم الحادى عشر جاءني خادم ومعه جماعةٌ من الخدم ، فقالوا : قمْ فاخرج إلى عيالك بسلام . قلت : وَأَوْيَلَاه ! سُلِّبتَ الدنانيرُ والصينية ، وقد تمزقت ثيابي واتسختْ وأخرجْ إلى عيالي على هذه الحالة ! إِنَّا لِهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ! فرفع الستر الأول ، ثم الثاني ، ثم الثالث ، ثم الرابع ، ثم الخامس والسادس ، فلما رفع الخادمُ السترَ السابع قال لي : تمنْ ما شِئْتَ ، وتقدَّمْ إلىَّ بقضاءِ جميع ما تَأْمُرْ به . فلما رفع الستر رأيتُ حُجْرَةً كالشمس حسناً ونوراً ، استقبلني

منها رائحةُ النَّدَّ والعود ونفحاتُ المسكِ ، وإذا أنا بصيانتي يتقلبون في الحرير والديباج ، وقد حمل إلى ألف ألف درهم مبدرة ، وعشرةً ألف دينار ، وقبالتان^(١) بضياعتين ، وتلك الصينية فيها الدنانير والبنادق ، فبقيت يا أمير المؤمنين مع البرامكة في دورهم ثلاثة عشرة سنة ، لا يعلم الناس أمن البرامكة أنا أم رجل غريب اصطفوني !

ف لما جاءت القوم البلية ، ونزلت بهم من أمير المؤمنين الرشيد النازلة ، قصدني عمرو بن مسعدة وألزمني في هاتين الضياعتين من الخراج مالا يفي دخلهما به ، فلما تحمل على الدهر كنت في أواخر الليل أقصد خوبات القوم ، فأند بهم وأذكر حسن صنيعهم إلى ، وفاء لهم على إحسانهم .

قال المأمون : على عمرو بن مسعدة . فلما أتي به قال له : ياعرو ؟ أتعرف هذا الرجل ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، هو بعض صنائع البرامكة ، قال : كم أزمته في ضياعتيه ؟ قال : كذا وكذا . فقال : ردد عليه كل ما استأذنته^(٢) إيه في مدة ، وأوغرروا^(٣) ضياعتيه تكونان له ولعقبه من بعده .

فعلاً نحيب الرجل ! ولما طال بكاؤه قال له المأمون : أحسنت إليك فلما تبكي ؟ قال : يا أمير المؤمنين ؛ وهذا أيضاً من صنيع البرامكة . أرأيتكم يا أمير المؤمنين لوم آت خرباتهم فأبكيتهم وأندبهم حتى اتصل خبرى بأمير المؤمنين ففعل بي ما فعل ، من أين كنت أصل إلى ما وصلت إليه !

قال إبراهيم بن ميمون : فلقد رأيت المأمون وقد دممت عيناه ، واشتد حزنه على القوم ، وقال : صدقت ! لعمري هذه أيضاً من صنائع البرامكة ؛ فعليهم فابل وإياب فاشكر ، ولم فلوف ، ولا لحسناتهم فاذْكُر !

(١) القالة : السكفة . (٢) استأذاه مالا : إذا صادره وأخذه منه .

(٣) أوغر الملك الرجل الأرض : جعلها له من غير خراج .

* ١٨ - في قصور بنى أمية*

قال محمد بن أحمد المكى : حدثنى أبى قال : دخلت إلى علوية^(١) أعوده في
علة اعتلها ثم عوف منها . فجرى حديث المأمون فقال : كدْت - علم الله - أذهب
دفعة ذات يوم وأنا معه ، لو لا أن الله تعالى سلمى ووهب لى حلمه . فقلت : كيف
كان السبب في ذلك ؟ فقال : كنت معه لما خرج إلى الشام ، فدخلنا دمشق فطفنا فيها ،
وجعل يطوف على قصور بنى أمية ويَتَّبع آثارهم ، فدخل صحننا من صحيحهم ،
فإذا هو مفروش بالرخام الأخضر كله ، وفيه بركة ماء فيها سمك ، وبين يديها
بستان على زواياه أربع سرورات^(٢) كل منها قصّت بمقدار من التفافها ، أحسن
مارأيت من السرورات قدّا وقدراً .

فاستحسن ذلك وعزم على الصبح ، وقال : هاتوا لي الساعة طعاماً خفيفاً ،
فأتي به بين ماء وورد ، فأكل ودعا بشراب ، وأقبل على وقال : غنني ونشطني ،
فكان الله عز وجل أنساني الغباء كله إلا هذا الصوت :

لو كان حولي بنو أمية لم تُنْطِقْ رجال أرائهم نَطَقُوا
فنظر إلى مغضباً ، وقال : عليك وعلى بنى أمية لعنة الله ! عليك ! أفلت لك
سُونِي أو سُرِّي ! ألم يكن لك وقت تذكر فيه بنى أمية إلا هذا الوقت ؟
تعرّض بي !

* الأغاني : ١٠ - ١٢٤

(١) هو على بن عبد الله بن سيف ، وبكى علوية أبا حسن ، كان مغنياً حاذقاً ، ومؤدياً حسناً .
وضاربًا متقدماً نعيم خفة روح ، وطيب مجالسة ، وملاحة نوادر ، عالم إبراهيم الموصلى وعنى به جداً ،
فبع ، وعنى محمد الأمين ، وعاش إلى أيام المتوكل (٢) السرو : شجر واحدته سروة .

فتحيَّتُ^(١) عَلَيْهِ ، وَعَلِمَتُ أَنِّي قَدْ غَلَطْتُ فَقَلَتْ : أَتُلَوِّنُنِي عَلَى أَنْ أَذْكُرَ
بْنَى أُمِّيَّةَ ! هَذَا مَوْلَاكَمْ زَرْيَابَ^(٢) عِنْهُمْ يَرْكَبُ فِي مائِيَّةِ غَلامٍ مَلُوكِ لَهُ وَيَمْلِكُ
ثَلَاثَائِنَةَ أَلْفِ دِينَارٍ وَهَبُوهَا لَهُ سَوْيَ الْخَيلِ وَالضَّيْاعِ وَالرَّقِيقِ . وَأَنَا عِنْدَكُمْ أَمْوَاتٌ جَوْعًا !
قَالَ : أَوْلَمْ يَكْنِي لَكَ شَيْءًا تُذَكِّرُنِي بِهِ نَفْسَكَ غَيْرُ هَذَا ؟ فَقَلَتْ : هَكَذَا حَضَرْنِي
حِينَ ذَكَرْتَهُ . فَقَالَ : أَعْدِلُ عَنْ هَذَا وَغَنِّي . فَإِنْسَانِي اللَّهُ كُلُّ شَيْءٍ أَحْسِنْتُهُ إِلَّا
هَذَا الصَّوْتُ :

الْحَيْنُ^(٣) ساقَ إِلَى دِمْشَقَ وَلَمْ أَكُنْ أَرْضَى دِمْشَقَ لِأَهْلِنَّا بَلَدًا
فَرَمَانِي بِالْقَدَحِ فَأَخْطَلَنِي فَانْكَسَرَ الْقَدَحُ . وَقَالَ : قَمْ عَنِي إِلَى لِعْنَةِ اللَّهِ وَحْرَ
سَقَرَ . وَقَامَ فَرَكَبَ .

فَكَانَتْ وَاللَّهُ تَلْكَ الْحَالُ آخِرُ عَهْدِي بِهِ حَتَّى مَرَضَ وَمَاتَ .

ثُمَّ قَالَ لِي : يَا أَبا جَعْفَرٍ ، كَمْ تَرَانِي أَحْسَنْتُ أَغْنِيَ ؟ ثَلَاثَةَ آلَافَ صَوْتٍ ، أَرْبَعَةَ
آلَافَ صَوْتٍ ، خَمْسَةَ آلَافَ صَوْتٍ ، أَنَا وَاللَّهُ أَغْنِي^(٤) أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ . ذَهَبَ - عَلِمَ اللَّهُ -
كُلُّهُ ، حَتَّى كَانَ لِي أَعْرَفُ غَيْرَ مَا غَنَمْتُ . وَلَقَدْ ظَنَنْتُ أَنَّهُ لَوْ كَانَتْ لِي أَلْفُ
رُوحٍ مَا بَحْتَ مِنْهُ وَاحِدَةً مِنْهَا ، وَلَكِنَّهُ كَانَ رَجُلًا حَلِيمًا ، وَكَانَ فِي
الْعُمُرِ بَقِيَّةً !

(١) التحيل : الاحتيال (٢) هو على بن نافع ، نابغة الموسيقى في زמנו ، رحل إلى الأندلس
وذاعت شهرته هناك ، وفضلها عبد الرحمن بن الحكم على ما عداها ، وأقام بقرطبة إلى أن مات
سنة ٢٣٠ هـ . (٣) الحين : الملائكة .

١٩ — في دار الفضل بن الريع *

قال أحمد بن يحيى المكي : دعاني الفضل ^(١) بن الريع ودعا علوية ومحارقاً ، وذلك في أيام المؤمن بعد رجوعه ورضاه عنه ، إلا أن حاله كانت ناقصة متضاعفة ؟ فلما اجتمعنا عندك كتب إلى إسحاق ^(٢) الموصلي يسأله أن يصير إليه ويعلمه الحال في اجتماعنا عنده . فكتب إليهم : لا تنتظروني بالأكل ، فقد أكلت وأنا أصير إليكم بعد ساعة .

فأكلا وجلسنا نشرب حتى قرب العصر ، ثم وافى إسحاق ^{جليس} ، وجاء غلامه بقطر ميز ^(٣) نبيذ ، فوضعه ناحية ، وأمر صاحب الشراب بإسقائه منه ، وكان علوية يعني الفضل بن الريع في لحن اقرحة الفضل عليه وأعجبه ، وهو : فإن تعجب أو تبصرى الدهر طمني ^(٤) بأحداته طم المقصص بالجمل ^(٥) فقد أترك الأضياف تندى رحالهم وأكرمهم بالمحض والتامك السليم ^(٦) فقال له إسحاق : أخطأت يا أبا الحسن في أداء هذا الصوت ؟ وأنا أصلح لك . فيجن علوية واغتاظ ، وقامت قيامته . ثم أقبل إسحاق على علوية فقال له : ياحبيبي ، ما أردت الواضع ^(٧) منك بما قلته لك ؛ وإنما أردت تهذيبك وتقويتك ،

* الأدعانى : ٥ - ٣٠٦

(١) كان الفضل بن الريع وزيراً للرشيد بعد زوال دولة البراءة ، وبعد موت الرشيد استوزر للأمين ، ووقف معه ضد المؤمن ، وبعد قتل الأمين تشفع ظاهر بن الحسين للفضل عند المؤمن فرضى عنه ؛ ومات سنة ٢٠٨ هـ (٢) إسحاق الموصلي : من أشهر نساء الحفباء تفرد بصناعة الغناء وكان عالماً باللغة والموسيقى والتاريخ وعلوم الدين وعلم الكلام ورواية الشعر وحافظاً للأخبار . توفى سنة ٢٣٥ هـ (٣) القطر ميز : قلة كبيرة من الزجاج (٤) طمني : غمرني (٥) الجلم : الذي يحبه الشعر والصوف . والمقصص : الشيء الذي يقص (٦) المحض : اللبن الخالص بلا رغوة . والتامك : العظيم السnam من الإبل ، ومثله السم . (٧) الواضع : القدرة .

لأنك منسوب الصواب وانلخطا إلى أبي وإلى ، فإن كرهت ذلك تركت؛ وقلت لك أحسنت وأجملت . فقال له علوية : والله ما هذا أردت ، ولا أردت إلا مالا ترتكه أبداً من سوء عشرتك ! أخبرني عنك حين تجىء هذا الوقت لما دعاك الأمير وعرفتك أنه قد نشط للاصطباح : ما حملت على الترفع عن ميائة (١) وخدمته مع صنائعه عندك ؟ وما كان ينبغي أن يشغلك عنه شيء إلا الخليفة ! ثم تجىئه ومعك قطر ميز نبيذ ترفا عن شرابه ، كما ترتفع عن طعامه ومحالسته إلا كما تشهي وحين تنشط ، كما تفعل الأكفاء (٢) ، بل تزيد على فعل الأكفاء . ثم تعمد إلى صوت قد اشتراه واقترحه ، وسمعه جميع من حضر ، فما عابه منهم أحد ، فتعيبه ليتم تغريبك إياه للذلة ! أما والله لو الفضل بن يحيى أو أخوه جعفر دعاك إلى مثل ما دعاك إليه الأمير ، بل بعض أتباعهم ؛ ليادرت وباكرت ؛ وما تأخرت ولا اعتذر . فأمسك الفضل بن الريبع عن الجواب بإعجابا بما خاطب به علوية إسحاق .

قال له إسحاق : أمما ما ذكرتَه من تأخرى عنه إلى الوقت الذى حضرت فيه ، فهو يعلم أنى لا تأخر عنه إلا بعائق قاطع ، إن وثق بذلك منى ، وإنما ذكرت له الحجة سرأمن حيث لا يكون لك ولا لغيرك فيه مدخل . وأما ترافق عنده فكيف أترفع عنه وأنا أنتسب إلى صنائعه ، وأستمننه وأعيش من فضله مذكنت ؟ وهذا انصراف (٣) لا أبالي به منك ، وأما حمل النبيذ معى فإن لي في النبيذ شرطا من طعمه وريجه ؛ وإن لم أجده لم أقدر على الشرب ، وتنفس على يومئذ ، وإنما حملته ليتم نشاطى وينتفع بي ، وأما طعنى على ماختاره فإنى لم أطمئن على اختياره ،

(١) باكره : أناه بكرة : غدوة (٢) الأكفاء : النظراء المئاتون .

(٣) انصراف : الإغراء بين القوم .

وإنما أردتْ تقويمك ؛ ولستَ والله تراني مقتبساً لك بعد هذا اليوم ، ولا مقوّماً شيناً من خطئك ، وأنا أُغنى له - أعزه الله - هذا الصوتَ فيعلم وتعلم ؛ ويعلمُ من حضر أنك أخطأتَ فيه وقصرت . وأما البرامكةُ وملازمتي لهم فأشهرُ من أن أجحده ، وإنى لخفيق فيه بالعذرة ، وأحرى أنأشكرهم على صنيعهم ، وبأن أذيعه وأنشره؛ وذلك - والله - أقل ما يستحقونه مني .

ثم أقبلَ على الفضل - وقد غاظه مدحه لهم - فقال : اسمع مني شيئاً أخبرك به مما فعلوه ، ليس هو بكبير صنائعهم عندي ولا عند أبي قبلي ، فإنْ وجدتَ لي عذراً وإلا فلمْ : كنتُ في ابتداء أمرى نازلاً مع أبي في داره ، فكان لا يزالُ يجري بين غلامانِ وغلمانه وجواري وجواريه الخصومة ؟ كما تجري بين هذه الطبقات فيشكونهم إليه ؛ فأتبين الضجرَ والتذكرَ في وجهه ، فاستأجرتُ داراً بقرْبه ؛ وانتقلتُ إليها أنا وغلمانِ وجواري ، وكانت داراً واسعةً ، فلم أرضَ مامي من الآلة لها ، ولا من يدخل إلى من إخوانِ أن يروا مثله عندي .

فكترت في ذلك ، وكيف أصنم ؛ وزاد فكرى حتى خطر بقلبي قبح الأحداثة من نزول مثلى في دارِ بأجرة ، وأنى لا آمنُ في وقتٍ أن يستأذنَ على صاحبِ دارى ، وعندى من أحتمم منه^(١) ولا يعلم حالى فيقال : صاحبُ دارك ، أو يوجه في وقتٍ فيطلبُ أجرة الدار ، وعندى من أحتمم منه ؛ فضاقَ بذلك صدرى ضيقاً شديداً حتى جاوز الحد .

فأمرتُ غلامي بأن يسرِّج لي حماراً كأن عندي ، لأمضى إلى الصحراء أتفرّج فيها مما دخل على قابي ، فأسرَّجَه وركبتُ برِّداء ونعلٍ ، فأفضى بي المسير وأنا مفكّرٌ لا أميز الطريق التي أسلكُ فيها ، حتى هجم بي على باب يحيى بن خالد ، فتوائب

(١) أحتمم منه : استعينا .

غلسانه إلى ، وقالوا : إلى أين ؟ قلت : إلى الوزير . فدخلوا فاستأذنا إلى ، وخرج الحاجب فأمرني بالدخول ؛ وبقيت خجلا ، قد وقعت في أمرين فاضحين : إن دخلت إليه ببراءة ونعل ؛ وأعلمته أن قصدته في تلك الحال كان سوء أدب ، وإن قلت له كنت محتازا ، ولم أقصدك فعملت طريقاً كان قبيحا .

ثم عزمت فدخلت ؛ فلما رأني ترسم وقال : ما هذا الزى بأبا محمد ! قد علمنا أملك جعلتنا طريقا ، قلت : لا والله يا سيدي ، ولكنني أصدقك . قال : هات . فأخبرته القصة من أولاها إلى آخرها ، فقال . هذا حق مستوى ؟ أهذا شغل قلبك ؟ قلت : إى والله ! وزاد فقال : لا تشغّل قلبك بهذا . ياغلام ، ردوا حماره ، وهاتوا له خلعة . فجاءوني بخلعة تامة من ثيابه فلبستها ، ودعا بالطعام فأكلت ، ووضع النبيذ فشربت وشرب فنتيته ، ودعاف وسط ذلك بدّواه ورقصة ، وكتب أربع رقاع ظنت بعضها توقيعا لي بمحائزه ؛ فإذا هو قد دعا بعض وكلائه فدفع إليه الرقاع وسأره بشيء ، فزاد طمئن في المحائزه ، ومضى الرجل وجلسنا نشرب ، وأنا آمنتظر شيئاً فلا أراه إلى العتمة^(١) ، ثم اتكل يحيى فقام . فقمت وأنا منكسر خائب ، فرجت وقد لى حماري .

فلما تجاوزت الدار قال لي غلامي : إلى أين تمضي ؟ قلت : إلى البيت . قال : قد والله يعمت دارك ، وأشهد على صاحبها ، وابنيع الدّرب كلّه ووْزن شمه ، والمشترى جالس على بابك ينتظرك ليعرف فنك ، وأظنه اشتري ذلك للسلطان ، لأنّي رأيت الأمر في استعماله أمراً سلطانياً ، فوقعت من ذلك فيما لم يكن في حسابي ، وجئت وأنا لا أدرى ما أعمل ، فلما نزلت على باب داري إذا أنا بالوكيل الذي ساره يحيى قد قام إلى . فقال لي : ادخل - أيدك الله - دارك حتى أدخل لخاطبتك في أمر احتاج

(١) العتمة : وقت صلاة العشاء .

إِلَيْكَ فِيهِ ، فَطَابَتْ نُفْسِي بِذَلِكَ ، وَدَخَلَ إِلَيْهِ فَأَقْرَأْنِي تَوْقِيعَ يَحْيَى :
 « يُطْلَقُ لِأَبِي مُحَمَّدِ إِسْحَاقِ مائَةُ أَلْفِ دَرْهَمٍ يُبَتَّاعُ لَهُ بِهَا دَارَهُ وَجَمِيعُ مَا يَحْتَلُهَا
 وَيَلْأَصِقُهَا ». وَالتَّوْقِيعُ الثَّانِي إِلَى ابْنِهِ الْفَضْلِ : « قَدْ أَمْرَتُ لِأَبِي مُحَمَّدِ إِسْحَاقِ مائَةَ
 أَلْفِ دَرْهَمٍ يُبَتَّاعُ لَهُ بِهَا دَارُهُ ، فَأَطْلَقَ إِلَيْهِ مِثْلَهَا لِيَنْفَقُهَا عَلَى إِصْلَاحِ الدَّارِ كَمَا يَرِيدُ
 وَبَنَاهَا عَلَى مَا يَشْتَهِي ». وَالتَّوْقِيعُ الثَّالِثُ إِلَى جَعْفَرٍ : « قَدْ أَمْرَتُ لِأَبِي مُحَمَّدِ إِسْحَاقِ
 بِمائَةِ أَلْفِ دَرْهَمٍ يُبَتَّاعُ لَهُ بِهَا مَنْزِلٌ يَسْكُنُهُ ، وَأَمْرَرَ لَهُ أَخْوَكَ بَدْفَعْ مائَةِ أَلْفِ دَرْهَمٍ
 يَنْفَقُهَا عَلَى بَنَاهَا وَمَرَّمَتْهَا عَلَى مَا يَرِيدُ ، فَأَطْلَقَ لَهُ أَنْتَ مائَةَ أَلْفِ دَرْهَمٍ يُبَتَّاعُ بِهَا
 فَرْشًا لِمَنْزِلِهِ ». وَالتَّوْقِيعُ الرَّابِعُ إِلَى مُحَمَّدٍ : « قَدْ أَمْرَتُ لِأَبِي مُحَمَّدِ إِسْحَاقِ أَنَا وَأَخْوَاكَ
 بِشَلْمَائِةِ أَلْفِ دَرْهَمٍ لِمَنْزِلٍ يَبْتَاعُهُ وَنَفْقَهَا عَلَيْهِ ، وَفَرْشٌ يَبْتَدِلُهُ^(١) ، فَمَرَرَ لَهُ أَنْتَ
 بِمائَةِ أَلْفِ دَرْهَمٍ يَصْرُفُهَا فِي سَائِرِ نَفْقَتِهِ ». وَقَالَ الْوَكِيلُ ، قَدْ حَمَلْتُ الْمَالَ وَاشْتَرَيْتُ
 كُلَّ شَيْءٍ جَاءُوكَ بِسَبْعِينِ أَلْفِ دَرْهَمٍ ، وَهَذِهِ كُتُبُ الْاِبْتِيَاعَاتِ بِاسْمِي وَالْإِقْرَارِ لَكَ ،
 وَهَذَا الْمَالُ بُورِكَ لَكَ فِيهِ فَاقْبِضْهُ .

فَقَبَضَتْهُ وَأَصْبَحَتْ أَحْسَنَ حَالًا مِنْ أَبِي فِي مَنْزِلِي وَفَرِّشِي وَآلتِي ، وَلَا وَاللهُ
 مَا هَذَا بِأَكْبَرِ شَيْءٍ فَعَلَوْهُ لِأَفْلَامِ عَلَى شَكْرِ هُؤُلَاءِ !

فَبَكَى الْفَضْلُ بْنُ الرَّبِيعِ وَكُلُّ مَنْ حَضَرَ . وَقَالُوا : لَا وَاللهُ لَا تُلَامُ عَلَى شَكْرِ
 هُؤُلَاءِ . ثُمَّ قَالَ الْفَضْلُ : بِحِيمَاتِي غَنِّ الصَّوْتَ ، وَلَا تَبْخَلْ عَلَى أَبِي الْحَسَنِ بِأَنَّ
 تَقُوَّمَهُ لَهُ ! فَقَالَ : أَفْعُلُ . وَغَنَاهُ فَتَبَيَّنَ عَلَوَّيْهِ أَنَّهُ كَمَا قَالَ . فَقَامَ فَقِيلُ رَأْسَهُ ، وَقَالَ :
 أَنْتَ أَسْتَاذُنَا وَابْنُ أَسْتَاذِنَا وَأَوْلَى بِتَقْوِيْنَا وَاحْتَمَالِنَا مِنْ كُلِّ أَحَدٍ ، وَرَدَهُ^(٢) إِسْحَاقَ
 مَرَاتٍ حَتَّى اسْتَوَى لِعَلَوَّيْهِ .

(١) الْاِبْتِيَاعُ : ضَدُّ الصِّيَانَةِ . (٢) رَدَهُ : أَعَادَهُ ، مِثْلَ رَدِّهِ .

٢٠ — المعتصم في يوم العيد*

قال حمدون بن إسماعيل النديم : حضر العيد ، فعُيِّ المعتصم^(١) بالله خليله تعبيه لم يُسمع بمنتها ، ولم يُرَ لأحدٍ من ولد العباس شبيهٌ بها ، وأمر بالطريق فُسِح^(٢) من باب قصره إلى المصلى ، ثم قسم ذلك على القواد ، وأعطى كل واحد منهم مَصَافَة^(٣) .

فَلَمَّا كَانَ قَبْلَ الْفِطْرِ يَوْمَ حَضَرَ الْقَوَادُ وَأَحَبَّهُمْ فِي أَجْمَلِ زِيٍٰ وَأَحْسَنِ هِيَةً، فَلَزَمُوا مَصَافَهُمْ مِنْذَ وَقْتِ الظَّهَرِ، إِلَى أَنْ رَكَبَ الْمَعْتَصَمُ بِاللهِ إِلَى الْمَصَلَى، فَكَانَ الْمَوْضِعُ الَّذِي وَقَعَ لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ بَعْدَ الْحَرَسِ^(٤) بِجَذَاءِ مَسْجِدِ الْخَوَارِزْمِيِّ، وَإِبْرَاهِيمَ وَاقِفًا وَأَحَبَّهُ فِي الْمَصَافِ .

فَلَمَّا أَصْبَحَ الْمَعْتَصَمُ أَمْرَ الْقَوَادِ الَّذِينَ لَمْ يَرْتَبُوا فِي الْمَصَافِ بِالْمِصِيرِ إِلَى الْمَصَلَى عَلَى التَّعْبِيَّةِ الَّتِي حَدَّهَا، وَلَبِسَ ثِيَابَهُ، وَجَلَسَ عَلَى كُرْسِيٍّ يَنْتَظِرُ مُضِيَّ الْقَوَادِ . فَلَمَّا انْقَضَ أَمْرُهُمْ تَقَدَّمَ إِلَى الرَّجَالَةِ فِي الْمَسِيرِ بَيْنَ يَدِيهِ، فَتَقَدَّمَ مِنْهُمْ سَبْعَةَ آلَافَ نَاصِبٍ مِنَ الْمَوَالِيِّ، كُلُّ ثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنْهُمْ فِي زِيٰ مُخَالِفٍ لِزِيِّ الْبَاقِينِ، وَأَرْبَعَةَ آلَافَ مِنَ الْمَغَارِبَةِ، وَأَمْرَ الشِّيَعَةِ فَكَانُوا وَرَاءَهُ بِالْأَعْدَةِ، وَعِدَتْهُمْ أَرْبَعَةَ آلَافَ، وَرَكِبَتُ لَا أَدْرِي مِنْزَاتِي أَيْنَ هِيَ، وَلَا أَعْرِفُ مَرْتَبَتِي، وَلَمْ أَعْلَمُ أَيْنَ أَسِيرُ مِنَ الْمَوْكِبِ؟

* المحسن والساوى : ١٦٤ .

(١) هو أبو مسحات محمد بن هارون الرشيد ، ولقب بالمعتصم بالله في اليوم الذي دعى له بالخلافة سنة ٢١٨ هـ ، وكان شجاعاً مقداماً شديد الأساس محباً للعيارة ، منصفاً إلى الجيش ، وتوفي سنة ٢٢٧ هـ .

(٢) يقال : مسح الأرض ، أي ذرعها . (٣) المصف : موضع الصاف ، وجده مصاف . (٤) الحرس : واحد حرس السلطان .

فَلَمَّا وَضَعَ رِجْلَهُ فِي الرَّكَابِ، وَاسْتَوَى عَلَى سَرْجِهِ التَّفَتَ إِلَيْهِ، وَقَالَ: يَا حَمْدُونَ، كُنْ أَنْتَ خَلِيفِي، فَلَزِمْتُ مَؤْخَرَ دَائِبَتِهِ، فَلَمَّا خَرَجَ مِنْ بَابِ الْقَصْرِ تَلَقَّاهُ الْقَوَادُ وَأَحْلَابُ الْمَاصَفِ: يَخْرُجُ الرَّجُلُ مِنْ مَصَافِهِ، فَإِذَا قَرُبَ نَزْلَ وَسْلَمَ عَلَيْهِ بِالْخَلَافَةِ، فَيَأْمُرُهُ بِالرَّكْوبِ وَيَمْضِي، حَتَّى وَصَلَ إِلَيْهِ إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْمُهَدَّى فَنَزَلَ وَسَلَمَ عَلَيْهِ بِالْخَلَافَةِ فَرَدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ: كَيْفَ أَنْتَ يَا إِبْرَاهِيمَ؟ وَكَيْفَ حَالُكَ؟ وَكَيْفَ كَنْتَ فِي أَيَّامِكَ؟ ارْكَبْ فَرَكَ فَلَمَّا جَاءَهُ التَّفَتَ إِلَيْهِ وَقَالَ: يَا حَمْدُونَ، قَلْتَ: لَبِيكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! قَالَ: تَذَكَّرْ؟ قَلْتَ: إِنَّ اللَّهَ يَسِيدِي! وَأَمْسَكَ.

فَنَظَرَتُ فِيهَا فَقَالَ فَلَمْ أَجِدْنِي أَذْكُرْ شَيْئًا فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ مَا يُشَبِّهُ مَا كَنَّا فِيهِ! فَنَفَضَ عَلَيَّ يَوْمِي، وَمَا رَأَيْتُ مِنْ حَسَنَةٍ وَسُرُورَهُ بِالْمَرْتَبَةِ الَّتِي أَهْلَنِي بِهَا، وَقَلْتَ: الْخَلَافَاءُ لَا يَعْامِلُونَ بِالْكَذْبِ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَسْأَلَنِي عَنْهُ اِنْصَارِي عَنْ هَذَا الْأَمْرِ، فَلَا يَكُونُ لَهُ عِنْدِي جَوابٌ وَلَا حَقِيقَةٌ! وَتَخَوَّفْتُ أَنْ يَنْتَلِنَنِي مِنْهُ مَكْرُوهٌ، فَلَمْ أَزْلِ وَاجْمَعًا فِي طَرِيقٍ إِلَى وَقْتِ اِنْصَارِي، ثُمَّ أَجْمَعْتُ عَلَى مَغَالِطَتِهِ إِنْ أَمْكَنْتُنِي، وَإِعْمَالِ الْحِيلَةِ فِي التَّخَلُّصِ إِنْ يَسْأَلْنِي.

فَلَمَّا اسْتَقَرَّ فِي مَجْلِسِهِ، وَبُسْطَ السَّمَاطِ^(١)، وَجَلَسَ الْقَوَادُ عَلَى مَرَاتِبِهِ لِلطَّعَامِ أَقْبَلَتُ أَخْدُمْ وَأَخْتَلَفَ، لَيْسَتْ لِي هَمَّةٌ غَيْرَ مَا كَانَ قَدْ قَالَهُ لِي، لَا أَغْفَلُ عَنْ ذَلِكَ، حَتَّى انْقَضَى أَمْرُ السَّمَاطِ، وَرُفِعَ السُّتُورُ، وَنَهَضَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، وَدَخَلَ الْحَجَرَةَ، وَمضَى إِلَى الْمَرْقَدِ، فَلَمْ أَلْبِثْ أَنْ جَاءَ الْخَادِمُ وَقَالَ: أَحِبُّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَضَيَّبْتُ.

فَلَمَّا دَخَلْتُ صَحْكَ إِلَيْهِ، وَقَالَ يَا حَمْدُونَ، رَأَيْتَ؟ قَلْتَ: نَعَمْ يَسِيدِي قَدْ رَأَيْتَ! فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بَلَغَ بِي هَذَا الْيَوْمَ وَأَرَانِيهِ؛ فَمَا رَأَيْتُ لَا سَعَتْ لِأَحَدٍ مِنَ الْخَلَافَاءِ وَالْمُلُوكِ بِأَجْلِهِ وَلَا أَبْهَى وَلَا أَحْسَنَ؟ قَالَ: وَيَحْكَ! أَرَأَيْتَ إِبْرَاهِيمَ

(١) السَّمَاطُ: مَا يَعْدُ عَلَيْهِ الطَّعَامَ.

ابن المهدى ؟ قلت : نعم يا سيدى ! قال : رأيتَ سلامَه علىَ ورَدَى عليه ، وزَوْلَه إلىَ ؟ قلت : نعم ! فقال : إنه لما كان من أمره ما كان - يعني الخلافة - قسمَ الطريقَ في يوم عيده من منزله إلى المصلى كقسمتِ إيه في هذا اليوم بين قواده ، فوقع موضعِ منه الموضع الذي كان به هذا اليوم ، فلما حاذنى نزاتُ فسلمتُ عليه ، فرَدَ علىَ مثل مارددتُ حرفاً حرفاً على ماقال لي .

فدعوتُ له ، وانفرج عنِ ما كفتُ فيه ، وتخلى عنِ الغمَ والكرب . ثم قال : يا حمدون ؛ إنِّي لم آكل شيئاً ، وأنا أنتظر أن تأكل معِي ، فامض إلى حجرة الندماء ؛ فإنك تجد إبراهيم هنا لك ، فاجلس إليه وعاته وضاحكه ، وأجر له هذا الحديث ، وقل له : إنك رأيته في ذلك اليوم فعل بي فعل بي في هذا اليوم ؛ وانظر إلى وجهه وكلامه ، وما يكون منه فرعونية على حقيقته ، وأصدقني عنه ، وعجل ولا تختبس ! قلت : نعم يا سيدى !

فضيتُ ، وقد دفعت إلى أغاظَ ما كفتُ فيه ؛ لعلِي بأن إبراهيم لو كان من حجر لأثر فيه هذا القول ونفيه ، وظهر منه ما يُذكره ، وخفتُ أن يأتي بما يُسفك به دمه ، فضيت حتى دخلتُ الحجرة ، فجلست إلى إبراهيم ، وقلت ما أمرني به ، وأنا مبادر خوفاً من خادم يلحقني ، أو رسول ، فلا يكفي معه تحسين الأمر ، وما يظهر لي منه ؛ فقلت لإبراهيم : كيف رأيتَ يا سيدى هذا اليوم ؟ أمَّا أعجبك حسنه ؟ وما كان من تعبيبة أمير المؤمنين ؟ قال : بلى والله إنه أعجبني ! فالحمد لله الذي بلغنيه وأرانيه ، وأطنب في الدعاء للمعتصم .

فلما أمسكت قلت : يا سيدى ؛ أذكري ، في أيامك ، وقد ركبتَ فعيَت شبيهاً بهذه التعبيبة ، وقسمت الطريق مثل هذه القسمة ؛ فوقع لأمير المؤمنين الموضع الذي وقع لك واجترت به ، فنزل إليك وسلم ، فرددتَ عليه ترده عليك في هذا اليوم ا

فواشـة ما قلت له ذلك حتى ارـدـلـونـه ، وجـفـرـيـقـه ، واعـتـقـلـلـسـانـه ، وبـقـى
لا يـتـكـلـمـ بـحـرـفـ ، ثـمـ قال بـلـسـانـ تـقـيلـ : لـكـأـنـيـ فـيـ ذـلـكـ المـوـضـعـ فـيـ ذـلـكـ الـيـوـمـ !
فـالـحـمـدـ لـلـهـ الـذـيـ رـأـيـتـهـ لـأـمـيرـ الـمـؤـمـنـينـ ، فـعـلـ اللـهـ بـهـ وـفـعـلـ .

فتـقـنـمـتـ^(١) ذـلـكـ وـقـتـ ، وـأـنـاـ أـنـفـتـ ، وـنـهـضـتـ حـتـىـ أـنـتـ المـعـتـضـمـ ، فـقـالـ لـيـ:
هـيـهـ يـاـ حـمـدـونـ ! فـقـلـتـ : يـاـ أـمـيرـ الـمـؤـمـنـينـ ؟ أـتـيـتـ إـبـرـاهـيمـ ، وـقـلـتـ لـهـ مـاـ أـمـرـتـنـيـ بـهـ ،
فـأـظـهـرـ سـرـورـاـ وـدـعـاءـ ، وـقـالـ : كـيـتـ وـكـيـتـ . فـقـالـ : وـالـلـهـ قـالـ ! بـحـيـاتـيـ ! قـلـتـ :
وـحـيـاتـكـ يـاـ أـمـيرـ الـمـؤـمـنـينـ ! قـالـ : فـكـيـفـ رـأـيـتـ وـجـهـ ! فـلـمـ أـدـرـ مـاـ أـقـولـ ، فـقـلـتـ^(٢) :
يـاـ أـمـيرـ الـمـؤـمـنـينـ ، بـالـلـهـ لـمـ تـرـكـتـنـيـ مـنـ وـجـهـ عـمـكـ الـذـيـ لـاـ يـتـبـيـنـ فـيـهـ فـرـحـ وـلـاـ حـزـنـ .
فـاـسـتـضـحـكـ ، ثـمـ أـمـسـكـ ، وـدـعـاـ بـاـنـطـعـامـ فـأـكـلـنـاـ ، ثـمـ رـقـدـ .

فـلـمـ اـنـتـبـهـ وـجـلـسـ دـعـاـ يـاـ إـبـرـاهـيمـ وـسـائـرـ النـدـمـاءـ ، فـشـرـبـ وـبـرـ إـبـرـاهـيمـ وـأـلـطـفـهـ .

* ٢١ - رـسـلـ الرـومـ عـنـدـ النـاصـرـ *

رـحـلـ النـاصـرـ^(٣) لـدـيـنـ اللـهـ مـنـ قـصـرـ الزـهـرـاءـ^(٤) إـلـىـ قـصـرـ قـرـطـبةـ^(٥) لـدـخـولـ وـفـودـ
الـرـومـ عـلـيـهـ ، وـقـعـدـ لـهـ فـيـ بـهـوـ الـجـلـسـ الزـاهـرـ قـعـودـاـ حـسـنـاـ نـيـلـاـ ، وـقـعـدـ عـنـ يـمـيـنـهـ وـلـيـهـ
الـعـهـدـ مـنـ بـنـيـهـ ، وـقـعـدـ عـنـ يـسـارـهـ مـنـذـرـ بـنـ سـعـيدـ ؟ وـحـضـرـ الـوـزـرـاءـ عـلـىـ مـرـاتـبـهـ يـمـيـنـاـ
وـشـمـالـاـ ، وـوـقـفـ الـحـجـابـ مـنـ أـهـلـ الـخـدـمـةـ مـنـ أـبـنـاءـ الـوـزـرـاءـ وـالـمـوـالـيـ وـغـيـرـهـ ، وـقـدـ

(١) تـقـنـمـ : اـنـهـزـ غـنـمـ ، وـعـدـ غـنـيـمةـ .

* نـقـحـ الطـيـبـ : ١٧٢١

(٢) هو عبد الرحمن الناصر لدين الله ثامن ملوك الأندلس وأول من تلقب بالخلافة منهم ؛ وكانت أيامه أيام جهاد ، وكان عادلاً محسناً محباً للعلم ، شفوفاً بالعمارة ، توفي سنة ٣٥٠ هـ (٣) هي المدينة التي بناها الناصر (٤) قرطبة : حاضرة الخلافة بالأندلس ، وكانت أخت بغداد عزّاً وعلواً وحضاراً وفيها المسجد الجامع الذي بناه عبد الرحمن الأموي سنة ٧٩٢ م ، وهو الآن الكنيسة الكتدرائية .

بُسِطَ صَحْنُ الدار أَجْمَعَ بِعِتَاقِ الْبُسْطِ ، وَكَرَأْمُ الدَّرَانِكَ^(١) ، وَظَلَّلَاتُ أَبْوَابُ الدَّارِ
وَحَنَّا يَا هَا بَغَالِي الْدِيَاجِ وَرَفِيعِ السُّتُورِ .

فَوَصَلَ رَسُلُ مَلَكِ الرُّومِ حَائِرِينَ مَا رَأَوْهُ مِنْ بَهْجَةِ الْمَلَكِ وَخَامَةِ السُّلْطَانِ ،
وَدَفَعُوا كِتَابَ مَلَكِهِمْ صَاحِبَ قُسْطَنْطِينِيَّةِ الْعَظِيمِ ؛ وَهُوَ فِي رَقَّ^(٢) مَصْبُوغٌ بِلُونِ
سَمَاوِيٍّ ، مَكْتُوبٌ بِالْذَّهَبِ بِالْخُطِّ الْإِغْرِيقِيِّ ، وَدَاخَلَ الْكِتَابُ مُدْرَجَةً^(٣) مَصْبُوغَةً
أَيْضًا مَكْتُوبَةً بِفِضَّةٍ بِخُطِّ إِغْرِيقِيِّ أَيْضًا ، فِيهَا وَصْفٌ لِهَدِيَّتِهِ الَّتِي أُرْسِلَتُ بِهَا وَعَدُودُهَا ،
وَعَلَى الْكِتَابِ طَابِعٌ ذَهَبٌ وَزَنْهُ أَرْبَعَةٌ مَثَافِيلٌ ، عَلَى وَجْهِهِ مِنْهُ صُورَةُ الْمَسِيحِ وَعَلَى الْآخَرِ
صُورَةُ الْمَلَكِ وَصُورَةُ وَلَدِهِ .

وَكَانَ الْكِتَابُ بِدَاخْلِ ذُرْجٍ^(٤) فِضَّةٌ مَنْقُوشٌ ، عَلَيْهِ غَطَاءٌ ذَهَبٌ ، فِيهِ صُورَةُ
الْمَلَكِ مِنْ الزِّجاجِ الْمَلُونِ الْبَدِيعِ ، وَكَانَ الْدَّرَجُ دَاخِلَ جَمْعَةٍ مَلَبَّسَةٍ بِالْدِيَاجِ .
وَمَا احْتَفَلَ النَّاصِرُ لِدِينِ اللَّهِ هَذَا الْاحْتِفالُ أَحْبَتْ أَنْ يَقُولَ الْخُطَبَاءُ وَالشَّعْرَاءُ بَيْنَ
يَدِيهِ لِيَذْكُرُوا جَلَالَةً مُذْكَرَةً ، وَعَظِيمَ سُلْطَانِهِ ، وَيَصِفُّوا مَا تَهْيَأَ مِنْ تَوْطِيدِ الْخَلَافَةِ
فِي دُولَتِهِ .

وَتَقْدِمُ إِلَى الْأَمِيرِ الْحَكْمِ ابْنِهِ وَوَلِيٌّ عَهْدِهِ بِإِعْدَادِ مَنْ يَقُولُ بِذَلِكَ مِنَ الْخُطَبَاءِ ؟
فَأَمِيرُ الْحَكْمِ الْفَقِيْهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْبَرِ الْكَيْسَانِيُّ بِالتَّاهِبِ لِذَلِكَ ، وَإِعْدَادُ خَطْبَةِ
بَلِيْغَةٍ يَقُولُ بِهَا بَيْنَ يَدِيِ الْخَلِيفَةِ ، وَكَانَ يَدَعَى مِنَ الْقَدْرَةِ عَلَى تَأْلِيفِ الْكَلَامِ
مَا لَيْسَ فِي وُسْعِ غَيْرِهِ . وَحَضَرَ الْمَحَلَّسُ السُّلْطَانِيُّ ، فَلَمَّا قَامَ يَحَاوِلُ التَّكَلُّمَ بِمَا رَأَى
هَالَهُ وَبَهَرَهُ هُولُ الْمَقَامِ وَأَبَهَهُ الْخَلَافَةَ ، فَلَمْ يَهْتَدِ إِلَى لَفْظَةٍ ، بَلْ غُشِيَ عَلَيْهِ ، وَسَقَطَ
إِلَى الْأَرْضِ .

(١) الدَّرَانِكُ : الطَّنَافِسُ (٢) الرَّقُ : مَا يَكْتُبُ فِيهِ ، وَهُوَ جَلْدٌ رَقِيقٌ

(٣) أَدْرَجَتِ الْكِتَابُ : طَوِيهِهِ .

(٤) أَصْلُ الْدَّرَجُ : السَّفَطُ الصَّفِيرُ تَضَعُ فِيهِ الْمَرْأَةُ مَتَاعُهَا وَمَلِيْمَهَا .

فقيل لأبي على القالي^(١) - وهو حينئذ ضيف الخليفة الواقف عليه من العراق ، وأمير الكلام ، وبخز اللغة : قم فارقَ هذا الوهْي ، فقام فحمد الله وأثنى عليه ، ثم انقطع القول بالقالى ، فوقف ساكتاً مفكراً في كلام يدخل به إلى ذكر ما أريد منه . فلما رأى ذلك منذر^(٢) بن سعيد قام ، فوصل افتتاح أبي على لأول خطبته بكلام عجيب ، ونادى من الإحسان في ذلك المقام كلّ مجيب ، يسّحه سحّا ، كأنما كان يحفظه قبل ذلك بمندة ، وبدأ من المكان الذي انتهى إليه أبو على فقال^(٣) :
أما بعدَ حمد الله والثناء عليه والتعداد لآلاتِه ، والشكير لنعائمه ، والصلة
والسلام على محمد صفيه وخاتم أنبيائه ، فإنَّ لكلَّ حادثةٍ مقاماً ، ولكلَّ مقاماً
مقالاً ، وليس بعد الحق إلا الضلال ، وإنَّ قمةً في مقامِ كريم بين يدي ملكِ عظيم ،
فاصفووا إلى عشر الملاء بأسماعكم ، وألقوا إلى بأفندتكم ، إن من الحق أن يُقال
للحق صدقت ، وللمبطل كذبت ، وإن الجليل - تعالى في سمائه وتقديس بصفاته
وسمائه - أمرَ كليمته موسى أن يذكُر قومه بأيام الله عز وجل عندهم ، وفيه وفي
رسول الله أسوة حسنة ، وإني أذكُركم بأيام الله عندكم ، وتلافيفه لكم بخلافة
أمير المؤمنين ، التي لم تُشغلكم ، وأمنتُ سرّكم ، ورفعت قوّتكم ؛ بعد أن
كتم قليلاً فكثركم ، ومستضعفين فقوّكم ، ومستذلين فنصركم . . .

واستمر كذلك بكلام عجيب بهر العقول جرالة ؛ فخرج الناس يتحدثون عن حسن مقامه وثبات جنانه ، وبلاحة لسانه ؛ وكان الناصر أشدَّهم تعجباً منه ؛ فأقبل على ابنه الحكم ؛ فسألَه عنه ؛ فقال له : هذا منذر بن

(١) هو إسماعيل بن القاسم صاحب الأمالى ، رحل إلى المغرب ، ودخل الأندلس في أيام عبد الرحمن الناصر واستوطن قرطبة ، توفي سنة ٣٥٦ هـ (٢) كان إماماً فقيهاً خطيباً

شاعراً فصيحاً ، ولـى القضاء بقرطبة أيام عبد الرحمن ، وتوفي بقرطبة سنة ٣٣٥ هـ .

(٣) الخطبة بتأمها في فتح الطيب ١٧٢ - طبع المطبعة الأزهرية ، ومعجم الأدباء ١: ١٧٦ .

سعید البلوطی ! فقال : والله لقد أحسن ماشاء ، ولتن آخرني الله بعد لأرفعنَّ مِنْ
ذِكْرِهِ ، فضَّمْ يدكِ ياحکُمْ عليه ، واستخالصه وذَكْرِي بشأنه ؛ فما للصنيعة مذهب عنده .
ثم ولأة الصلاة وانخطابه في المسجد الجامع بالزهاء .

* ٢٢ — ليلة عالقة *

قال أبو الطاهر إسماعيل بن أحمد التنجيبي : كنت بمدينة مالقة ^(١) من بلاد
الأندلس سنة ست وأربعمائة ، فاعتزل بها مدة انقطعت فيها عن التصرف ، ولزمت
المنزل ، وكان يمرضني ^(٢) حينئذ رفيقان كانوا معى ، يلمان من شعنى ، ويرفقان بي .
وكنت إذا جئني الليل اشتدا سهرى ، وخفت حولي أوتار العيدان والطناير
والمعازف من كل ناحية ، واختلطت الأصوات بالفناء ؛ فكان ذلك شديداً علىي ،
وزائداً في قلق وتألمى ؛ فكانت نفسى تعااف تلك الضروب طبعاً ، وتكره تلك
الأصوات حيلة ، وأود لو أجد مسناً لا أسمع فيه شيئاً من ذلك ، ويتذر على
وجوده لغيبة ذلك الشأن على أهل تلك الناحية وكثرة عندهم .

وإني لساهر ليلة بعد إغفاءة في أول ليلي ، وقد سكت تلك الألفاظ
الم Krohه ، وهدأت تلك الضروب المضطربة ، وإذا ضرب خفي متداول حسن
لا أسمع غيره ، فكان نفسى أنسى به ، وسكنت إليه ، ولم تنفر منه نفارها
من غيره ، ولم أسمع معه صوتاً ، يجعل الضرب يرتفع شيئاً شيئاً ، ونفسى تتبعه ،
وستمعى يصفي إليه ، إلى أن بلغ في الارتفاع إلى ما لا غاية وراءه ، فارتحت له ،

* شرح المختار من شعر بشار ١٤ .

(١) مدينة بالأندلس كانت ثغراً حصيناً على بحر الروم ، أسسها الفينيقيون ، وكان لها شهرة أيام
الرومان والقرطاجيين ، وكان بها بنو حمود من ملوك الطوائف (٢) مرضه : قام عليه في مرضه .
(٥ - قصص - أول)

ونسيتُ الْأَلْمَ ، وتداخنِي مسروقٌ وطَرَبٌ ، وَخَيْلٌ إِلَى أَنْ أَرْضَ الْمَنْزِلَ ارْتَقَتْ بِي ،
وَأَنْ حِيطَانَهُ تَمُورٌ^(١) حَوْلِي ، وَأَنَافِي كُلَّ ذَلِكَ لَا أَسْمَعُ صُوتًا .

فَقَلَتْ فِي نَفْسِي : أَمَّا هَذَا الضَّرْبُ فَلَا زِيَادَةَ عَلَيْهِ ؟ فَلِيَتْ شِعْرِي كَيْفَ صَوْتُ
الضَّارِبِ ! وَأَيْنَ يَقُعُ مِنْ ضَرْبِهِ ؟ وَلِمَ أَبْلَثْ أَنْ اندفَعَتْ جَارِيَّةٌ تَفْنِي فِي هَذَا الشِّعْرِ
بِصَوْتِ أَنْدَى مِنَ النَّوَارِ ، غَبَّ الْقِطَارِ^(٢) ، وَأَحْلَى مِنَ الْبَارِدِ الْعَذْبِ ، عَلَى كَبْدِ
الْمَاهِمِ الصَّبَّ^(٣) ؛ فَلِمْ أَمْلَكْ نَفْسِي أَنْ قَعْدَتْ وَرْفِيقَيَّ نَاعِمَانِ ، فَقَطَّعَتْ الْبَابِ ؛ وَتَبَعَتْ
الصَّوْتُ ، وَكَانَ قَرِيبًا مِنِي ؛ فَاطَّلَعْتُ مِنْ وَسْطِ مِنْزِلِي عَلَى دَارِ فَسِيْحَةِ ، وَفِي وَسْطِ
الْدَّارِ بِسْقَانٍ كَبِيرٍ ، وَفِي وَسْطِ الْبَسْتَانِ شَرَبٌ^(٤) نَحْوُ مِنْ عَشْرِينِ رَجُلًا ، قَدْ
اَصْطَفَوْا وَبَيْنِ أَيْدِيهِمْ شَرَابٌ وَفَاكِهَةٌ ، وَجَوَارِ قِيَامٌ^(٥) يَعِيدَانِ وَطَنَائِيرَ وَآلاتَ لَهْوٍ ،
وَمَزَامِيرَ لَا يَحْرُكُنَّهَا ، وَجَارِيَّةٌ جَالِسَةٌ نَاحِيَةٌ ، وَعُودُهَا فِي حِجْرِهَا ، وَكُلَّ^(٦) يَرْمِقُهَا
بِيَصْرِهِ ، وَيُوَعِّيْهَا سَمَّهَا ، وَهِيَ تَفْنِي وَتَضَرِّبُ ، وَأَنَا قَائِمٌ بِحِيثِ أَرَاهُمْ وَلَا يَرْوَنِي ،
وَكَلَّا غَنَتْ بِيَتًا حَفْظَتُهُ ؛ إِلَى أَنْ غَنَتْ عَدَةُ أَبِيَاتٍ وَقَطَعَتْ ؛ فَمُدْتُ إِلَى مَوْضِيِّ ،
يَشَهِدُ اللَّهُ وَكَانَمَا أَنْشَطْتُ مِنْ عِقَالٍ ، وَكَانَ لَمْ يَكُنْ بِي أَلْمٌ ، وَقَدْ وَعَيْتُ الْأَبِيَاتِ
وَهِيَ :

مَابَالْ أَنْجَمْ مَذَا الْلَّيْلِ حَازِرَةَ أَضْلَلَتِ الْقَصْدَ ، أَمْ لَيْسَتْ عَلَى فَلَكَ ؟
عَادَتْ سَوَارِيَهُ وَقَفَّا لَهَرَاكَ بَهَا كَانَمَا جَثَّ صَرْمَعَ بِمُغْتَرَكِ^(٧)
بَشَرَاهَ مِنْ طُولِ وَجْدِ غَسِيرِ مَتَّركِ^(٨) هَلْ مِنْ بَشِيرِ بَنُورِ الصَّبِحِ ، تَقْنِدُنِي
قَدْ أَجَدَ التَّوَاءِ الْلَّيْلِ لِي شَجَنَا وَأَضْجَعْتَنِي تَبَارِيَخِي عَلَى الْحَسَكِ^(٩)
خُذْ يَا سَمُولُ كَثُوسَ الرَّاحِ مُتَرَعَّهَ فَسَقَنِيهَا وَلَا تَسْأَلْ عَنِ الدَّرَكِ^(١٠)

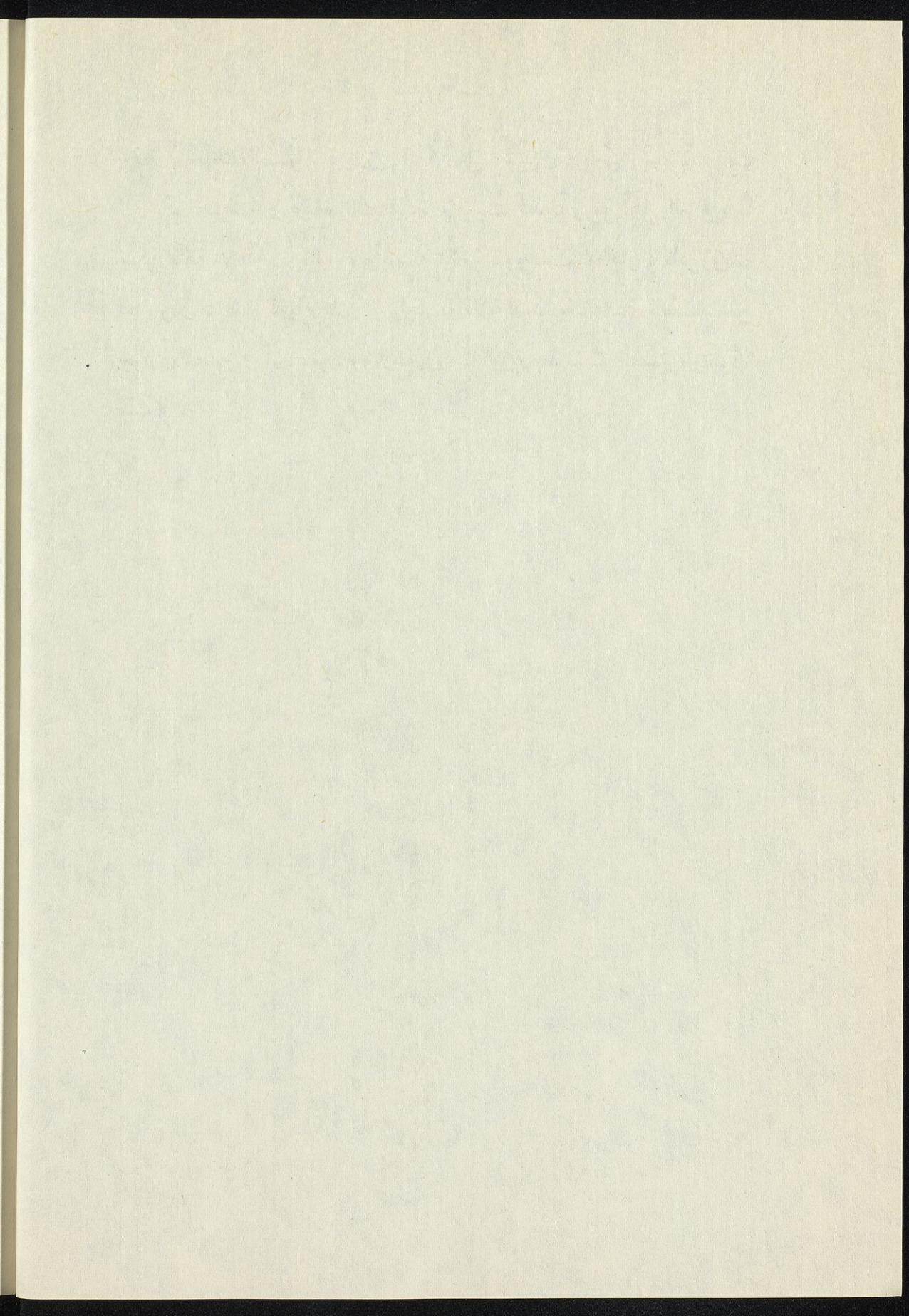
(١) تَمُورٌ : تَحْرُكُ وَتَذَهَّبُ وَتَجْبِيُّ . (٢) الْقِطَارُ : جَمْ قَطْرٌ ، وَهُوَ الْطَّرِ (٣) جَمْ شَارِبٌ .

(٤) السَّوَارِيُّ : جَمْ سَارٌ . (٥) تَبَارِيَ الشَّوْقُ : تَوْهِيجُهُ ، وَالتَّبَارِيَّ : الشَّدَائِدُ . الْحَسَكُ :

نَباتٌ وَرَقَهُ كَوْرَقُ الرَّجَلَهُ وَأَدْقَ ، وَعِنْدَ وَرَقَهُ شَوْكٌ صَلْبٌ ذُو ثَلَاثَ شَعْبٍ (٦) شَمُولٌ : أَسْمَ

غَلامٌ صَقْلَبِيٌّ مِنْ صَقَالَبِ الْمُنْصُورِ .

وهج بالحانك الطنبور : إن له على شجون المف سطوة الملك
ثم انصرفت في صباح تلك الليلة ، فلقيت صديقاً من أهل العلم قرطبياً
سكن مالقة ، فأخبرته الخبر ، وأنشده الشعر ، ووصفت له الدار ، فاغرورقت
عيناه وقال : الدار لوزير فلان ، والمارية فلانة البغدادية ، إحدى الحسينات من
جوارى المنصور بن أبي عامر ؟ وصارت إلى هذا الوزير بعد موت المنصور ، وتَمْزِقِ
ملكه .



البَابُ الثَّانِي

فِي الْقَصْصِ الَّتِي تَضُمُّ مَعْقَدَاتِهِمْ ، وَأَخْبَارَ كَهَنَتِهِمْ
وَكُواهِنَهُمْ ، وَتَبْسُطَمَا كَانُوا يَعْرُفُونَ مِنْ حَقَائِقِ التَّوْحِيدِ
وَالْبَعْثِ ، وَالْدَّارِ الْآخِرَةِ ، وَمَا كَانُوا يَتَوَسَّلُونَ بِهِ مِنْ إِقْلِيمَةِ
الْأُوْثَانِ ، وَتَمَهَّدُهَا بِالْأَوَانِ الْزُّلْفَىِ وَالْقُرْبَانِ .

٢٣ — قوم عاد يستسقون عكة

لَا كَذَّبَتْ عَادٌ هُوداً - عَلَيْهِ السَّلَامُ - تَوَالَّتْ عَلَيْهِمْ ثَلَاثٌ سَنَوَاتٌ ، لَمْ يَرَوْهُمْ فِيهَا مَطْرًا . فَبَعْثَوْا مِنْ قَوْمِهِمْ وَفَدًّا إِلَى مَكَّةَ ؛ لِيَسْتَقْوِ الْهَمُ ، وَرَأَسُوا^(١) عَلَيْهِمْ قَيْلَ بنَ عُنْقٍ وَلَقِيمَ بنَ هَزَّالَ ، وَلَهَانَ بنَ عَادٍ ، وَكَانَ أَهْلَ مَكَّةَ إِذْ ذَاكَ الْعَالِيَقَ ، وَكَانَ سَيِّدَهُمْ بِمَكَّةَ مَعاوِيَةَ بنَ بَكْرٍ .

فَلَمَا قَدِمُوا نَزَلُوا عَلَيْهِ ؛ لَأَنَّهُمْ كَانُوا أَخْوَالَهُ وَأَصْهَارَهُ ؛ فَأَقَامُوا عِنْهُ شَهْرًا ،
وَكَانَ يَكْرِمُهُمْ ، وَالجَرَادَتَانَ (٢) تُغْنِيَاهُمْ ؛ فَنَسُوا قَوْمَهُمْ ؛ فَقَالَ مَعَاوِيَةُ : هَلْكَ
أَخْوَالٌ ، وَلَوْ قَلْتُ لَهُؤُلَاءِ شِيتَا ظَنَوْا بِي بِخَلَّا ، فَقَالَ شِعْرًا ، وَأَلْقَاهُ إِلَى الْجَرَادَتَيْنِ ،
فَأَنْشَدَتَاهُ ، وَهُوَ :

لَمْ لَلَّهُ يَعْمَلْ أَغَامَا !
 قَدْ أَمْسَوْنَا لَا يُبَيِّنُونَ الْكَلَامَا
 بِهِ الشَّيْخَ الْكَبِيرَ وَلَا الْفَلَامَا
 فَقَدْ أَمْسَتْ نَسَاؤُهُمْ أَيَامَيْ (٥)
 وَلَا يَخْشَى لِعَادَيْ سِهَاما
 نَهَارَكُمْ وَلِيلَكُمْ التَّهَاما (٦)
 وَلَا لُقُوا التَّحِيَةَ وَالسَّلامَا

أَلَا يَاقِيلُ (٧) وَيَنْجَكُ قَمْ فَهَيْمَ (٨)
 فَيُسْقِي أَرْضَ عَادَ ؛ إِنَّ عَادَأ
 مِنَ الْعَطَشِ الشَّدِيدِ فَلِيُسْ نَرْجُو
 وَقَدْ كَانَتْ نَسَاؤُهُمْ بِخَيْر
 وَإِنَّ الْوَحْشَ يَأْتِيهِمْ جَهَارًا
 وَأَتَمْ هَاهِنَا فِيمَا اشْتَهِيتُمْ
 فَتُبَيِّنَ وَفَدُوكُمْ مِنْ وَفَدِ قَوْمٍ

* البداية والنهاية لابن كثير : ١ - ١٢٦ ، جمع الأمثال : ١٠ - ١١٥ ، المسعودي : ١ - ٤٥٦ : ٣٢١ : ٢ ،

(١) رأسوه : جعلوه رئيساً (٢) الجرادتان : مغنيتان لعاو ية المذكور ، كاتنا بعة (٣) قيل : هو رئيسهم من عاد (٤) الهيئة : الصوت الخفي ، والمراد الدعاء (٥) الأيمى : جمع الأيم : وهي من لا زوج لها (٦) الاتقان : التزول .

فَلَمَّا غَنَّتْهُمُ الْجِرَادُتَانِ بِهَذَا قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : يَا قَوْمٌ ؛ إِنَّا بِعَشَقِكُمْ قَوْمُكُمْ
يَغْنُوُنَّهُمْ^(١) بِكُمْ !

فَقَامُوا مِيدَعُوا ، وَتَخَلَّفَ لَهُمْ ، وَكَانُوا إِذَا دَعَوْا جَاءُهُمْ نَدَاءُهُمْ مِنَ السَّمَاءِ : أَنْ
سَلُّوا مَا شَتَّمْ ، فَتَعْطَوْنَ مَا سَأَلْتُمْ ! فَدَعَوْا رِبَّهُمْ ، وَاسْتَسْقَوْنَاهُ لِقَوْمِهِمْ ، فَأَنْشَأَ اللَّهُ
ثَلَاثَ سَحَابَاتٍ : بِيَضَاءٍ وَحْمَاءً وَسُودَاءً ، ثُمَّ نَادَى مِنَادٍ مِنْ سَمَاءٍ : يَا قَيْلُ ، اخْتَرْ
لِقَوْمِكَ وَلِنَفْسِكَ وَاحِدَةً مِنْ هَذِهِ السَّحَابَاتِ !

فَقَالَ : أَمَا الْبَيْضَاءُ فَجَنْفُل^(٢) ، وَأَمَا الْحَمَاءُ فَعَارِض^(٣) ، وَأَمَا السُّودَاءُ فَهُطْلٌ ،
وَهِيَ أَكْثَرُ مَاءٍ ، فَاخْتَارَهَا !

فَنَادَى مِنَادٍ : قَدْ اخْتَرْتَ لِقَوْمِكَ رَمَادًا رِمَدِيًّا^(٤) ، لَا تَذَرْ مِنْ عَادَ أَحَدًا ،
لَا وَالَّدُّ أَوْلَادًا !

وَسَيِّرْ اللَّهُ السَّحَابَةَ الَّتِي اخْتَارَهَا إِلَى عَادَ وَنُودِي لَهُمْ سَلٌّ ، فَسَأَلَ عُمَرٌ
ثَلَاثَةً^(٥) أَنْسُرٍ ، فَأَعْطَى ذَلِكَ !

وَكَانَ يَأْخُذُ فَرْخَ النَّسَرِ مِنْ وَكْرِهٖ ، فَلَا يَزَالُ عَنْهُ حَتَّى يَمُوتُ ! وَكَانَ آخِرُهُمْ
لُبْدًا ، وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ فِيهِ النَّابِغَةُ :

أَضْحَتْ خَلَاءً وَأَضْحَى أَهْلَهُ احْتَمَلُوا أَخْنَى عَلَيْهَا الَّذِي أَخْنَى عَلَى لُبْدٍ

(١) غوث الرجل واستغاث : صاح واغوثاه (٢) المفل : السحاب هراف ماءه ومضيء

(٣) العارض . السحابة المعرضة في الأفق (٤) الرمدد بالكسر : المتاهي في الدقة (٥) يقال سبعة

٢٤ — زيد بن عمرو يتلمّس الدين الصحيح *

خرج زيد^(١) بن عمرو إلى الشام يسأل عن الدين ويتبّعه ، فلقي عالماً من اليهود ، فسألَه عن دينهم ، فقال : لمَّا أدينا بدينكم فأخبرنِي به ؟ فقال اليهودي : إنك لا تكونُ على ديننا حتى تأخذَ بنصيبيك من غضب الله . قال زيد بن عمرو : لا أفرِّغ إلَّا من غضب الله ، وما أحمل من غضب الله شيئاً أبداً وأنا أستطيع ، فهل تدلني على دين ليس فيه هذا ؟ قال : ما أعلمه إلَّا أن يكون حنيفاً ، قال : وما الحنيف ؟ قال : دين إبراهيم . خرج من عنده وتركه .

فأتى عالماً من علماء النصارى ، فقال له نحواً ممّا قال لليهودي . فقال له النصراني : إنك لن تكون على ديننا حتى تأخذَ بنصيبيك من لعنة الله ، فقال : إني لا أحمل من لعنة الله ولا من غضبه شيئاً أبداً وأنا أستطيع ، فهل تدلني على دين ليس فيه هذا ؟ فقال له نحواً مما قال اليهودي : لا أعلمه إلَّا أن يكون حنيفاً . خرج من عندهما ، وقد رضى بما ، أخباره واتفاقه عليه من دين إبراهيم ، فلما بُرِزَ رفع يده ، وقال : اللهم إني على دين إبراهيم .

* الأغانى : ٣ - ١٢٦ .

(١) كان زيد بن عمرو أحد من اعتزل عبادة الأوّلئ وامتنع من كل ذبائحها وكان يقول : يامشر قريش ، أيرسل الله قطر السماء ، وينبت بقل الأرض ، ويخلق السائحة فترعى فيه ، وتدبحوها لغيره ! توفي سنة ١٧ ق . هـ .

* ٢٥ — النعمان بن المنذر ينتصر*

خرج النعمان بن المنذر إلى الصيد ومه عَدِيٌّ بن زيد ، فرتوا بشجرة ، فقال له
عَدِيٌّ بن زيد : أَيْهَا لِلَّهُكُ ، أَتَدْرِي مَا تَقُولُ هَذِهِ الشَّجَرَةُ ؟ قال : لا ، قال تقول :
رَبُّ رَكْبٍ قَدْ أَنَا خَوْا عِنْدَنَا يَشْرِبُونَ الْخَرَّ بِالْمَاءِ الْزَّلَالِ
عَصْفَ الدَّهْرِ بِهِمْ فَاقْرَضُوا وَكَذَالِكَ الدَّهْرُ حَالًا بَعْدَ حَالٍ
ثُمَّ جَاؤَ زَوْجَ الشَّجَرَةِ فَرَّ بِعَقْبَرَةٍ ، فقال له عَدِيٌّ : أَيْهَا الْمَلَكُ ، أَتَدْرِي مَا تَقُولُ هَذِهِ
الْمَقْبَرَةُ ؟ قال : لا ، قال : تقول :

أَيْهَا الرَّكْبُ الْمَغْبُوْ نَ عَلَى الْأَرْضِ الْحِدْثَوْنَ
فَكَمَا أَتَمُ كَنَّا^(١) وَكَمَا نَحْنُ تَكُونُونَ

قال له النعمان : إن الشجرة والمقبرة لا تتكلمان وقد علمت أنك إنما أردت
عِظَّتي ، فما السبيل التي تُذْرِكُ بها النجاة ؟ قال . تدع عبادة الأوثان وتعبد الله ،
وتَدِينُ بدين المسيح عيسى بن مریم ، قال : أَوْ فِي هَذِهِ النَّجَاهُ ؟ قال : نَعَمْ ،
فَتَنَصَّرُ يَوْمَئِذٍ !

* الأغاني : ٩٦ - ٢ .

(١) جاء في الأغاني : أن الشعر من مجزوء الرمل المسین وتقطيعه :

فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن

فيكون على هذا غير موزون .

٢٦ - طَرِيفَةُ الْكَاهِنَةُ *

كانت العمارة في أرض سبأ أزيد من مسيرة شهرين للراكب المخد، وكان أهلها يقتبسون النار بعضهم من بعض مسيرة أربعة أشهر، ثم مزقوا كل ممزق. وكان أول من خرج من اليمن في أول الأمر عمرو بن عامر مزيقياء^(١)، وكان سبب خروجه أنه كانت له زوجة كاهنة، يقال لها طريفة الخير، وكانت رأت في منامها أن سحابة غشيت أرضهم، فارعدت وأبرقت، ثم صعدت^(٢) فأحرقت كل موقعت عليه. ففزع^ت عزف طريفة لذلك فرعاً شديداً وأتت الملك عمراً، وهي تقول: «مارأيت كاليلوم، أزال عن النوم! رأيت غيماً أزعد وأبرق، وزبح وأصعق، فما وقع على شيء إلا أحرق». فلما رأى ماداخليها من الفزع سكتها.

ثم إن عمراً دخل حديقة له، ومعه جاريتان من جواريه؛ فبلغ ذلك طريفة، فخرجت إليه وخرج معها وصيف^(٣) لها اسمه سنان؛ فلما بربت من بيتها عرض لها ثلاثة مناجد^(٤) متصيبات على أرجلهن، واضعات أيديهن على أعينهن، فقعدت إلى الأرض واضعة يديها على عينيها، وقالت لو صيفها: إذا ذهبت هذه المناجد فأخبرني. فلما ذهبت أخبرها، فانطلقت مسرعة، فلما عارضها الخليج الذي في حديقة عمرو وثبتت من الماء سلحفاة، فووقيت في الطريق على ظهرها، وجعلت

* شرح مقامات الحريري: ١ - ٢٦٥، بلوغ الأربع: ٣ - ٢٨٣، مجمع الأمثال: ١ - ٢٥٢، المعودي: ١ - ٤٤، معجم البلدان: مأرب.

(١) ملك اليمن، ومزيقياء: لقبه، فقد كان يلبس كل يوم حلتين وغزقهما بالعشى، يكره العود فيما، ويأنف أن يلبسهما غيره. (٢) أصابت تصاعقاً: وهي نار تسقط من السماء مع الرعد الشديد. (٣) الوصيف: الخادم، غالباً كان أو جارية. (٤) هي دواب تشبه البراميم، والبرابع: دوبية نحو الفأرة، لكن ذنبه وأذنه أطول منها، ورجليه أطول من يديه.

ترُومُ الانقلابَ فَلَا تُسْتَطِعُ ، وَتُسْتَعِينُ بِذَنْبِهَا فَتَحْشُو التَّرَابَ عَلَى بَطْنِهَا مِنْ جَنَبَاتِهِ ،
وَتَقْدِفُ بِالْبَوْلِ قَدْفًا .

فَلَمَّا رَأَتْهَا طَرِيفَةً جَلَستْ إِلَى الْأَرْضِ ، فَلَمَّا عَادَتِ السَّلْحَافَةُ إِلَى الْمَاءِ مَضَتْ
طَرِيفَةً إِلَى أَنْ دَخَلَتْ عَلَى عَمْرُو ، وَذَلِكَ حِينَ اتَّصَفَ النَّهَارُ فِي سَاعَةٍ شَدِيدَ حَرَّهَا؛
فَإِذَا الشَّجَرُ يَتَكَفَّا^(١) مِنْ غَيْرِ رِيحٍ ، فَلَمَّا رَأَاهَا اسْتَجِيَّا مِنْهَا ، وَأَمْرَ الْجَارِيَّتِينَ
بِالْاِنْصَارَفِ إِلَى نَاحِيَةٍ ؛ ثُمَّ قَالَ لَهَا: هَلْمَى يَا طَرِيفَةً ، فَكَهَنَّبَ^(٢) لَهُ ، وَقَالَتْ:
«وَالنُّورُ وَالظَّلَامُ ، وَالْأَرْضُ وَالسَّمَاءُ ؛ إِنَّ الشَّجَرَ لِيَالِكَ ، وَلِيَعُودَنَّ الْمَاءَ كَمَا
فِي الزَّمْنِ السَّالِكِ» .

قَالَ عَمْرُو: مَنْ أَخْبَرَكَ بِهَذَا؟ قَالَتْ: أَخْبَرَنِي لِنَاجِدُ ، بِسَنِينَ شَدَائِدَ، يَقْطَعُ
فِيهَا الْوَلَدُ الْوَالَدُ . قَالَ: مَا تَقْوِينِ؟ قَالَتْ: «أُلَيْ قَوْلَ النَّذْمَانَ لَنَفَا ، لَقَدْ رَأَيْتَ
سَلْحَافَةً^(٣) ، تَجْرِفُ التَّرَابَ جَرَفًا ، وَتَقْدِفُ لَبَوْلَ قَدْفًا» ؟ فَدَخَلَتُ الْحَدِيقَةَ ، فَإِذَا
الشَّجَرُ مِنْ غَيْرِ رِيحٍ يَتَكَفَّا !

قَالَ: مَلَأْتَ رَيْنَ فِي ذَلِكَ؟ قَالَتْ: مِنْ دَاهِيَةٍ دَاهِيَاءَ^(٤) مِنْ أَمْوَارِ جَسِيمَةَ ،
وَمَصَابِبَ عَظِيمَةَ! قَالَ: وَمَا هُوَ وَيْلَهُ؟! قَالَتْ: «أَجَلَ ؟ إِنَّ فِيهِ الْوَيْلَ ، وَمَالِكَ
فِيهِ مَقِيلٌ^(٥) ، وَإِنَّ الْوَيْلَ فِيمَا يَحْسَنُ بِهِ السَّيْلَ» !

فَأَلْقَى عَمْرُونَفْسَهُ عَنْ فِرَاشِهِ ، وَقَالَ: مَا هَذَا يَا طَرِيفَةً! قَالَتْ: «خَطَبَ جَلِيلٌ ،
وَحُزْنٌ طَوِيلٌ ، وَخَلَفٌ^(٦) قَلِيلٌ!» قَالَ . وَمَا لَامَةُ مَا تَذَكَّرِينَ؟ قَالَتْ: «اَذْهَبْ
إِلَى السَّدَّ ، فَإِذَا رَأَيْتَ جُرَذًا^(٧) يُكْثِرُ بِيَدِيهِ فِي السَّدِ الْخَفْرَ ، وَيَقْلُبُ بِرْجَلِيهِ

(١) يَعْلَمُ . (٢) كَهَنَ لَهُ: قَضَى لَهُ بِالنِّيَّبِ . (٣) السَّلْحَافَةُ . (٤) دَاهِيَةٌ دَاهِيَاءٌ: شَدِيدَةٌ

(٥) قَالَ قِيلَا: نَامَ فِي الْفَاقِلَةِ ، وَهِيَ نَصْفُ النَّهَارِ ، وَالْمَرَادُ الإِقْلَامَةُ وَالْمَكَّةُ .

(٦) الْخَلْفُ: مَا اسْتَخْلَفْتَهُ مِنْ شَيْءٍ . (٧) ضَرَبَ مِنَ الْفَرْقَانِ .

من أَجَلٌ الصخر ، فاعلم أن تَعْمَرَ النَّفَرُ^(١) ، وأن قد وقع الأمر» .

قال : وما الذي تَذَكَّرْتُ بِهِ يَقْعُدُ ؟ قالت : «وَعْدٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى نَزَلَ ، وَبِاطِلٌ
بَطْلٌ ، وَنَكَالٌ بِنَا نَكَالٌ ؛ فَبِغَيْرِكَ يَا عُمَرُ يَكُونُ الشَّكَلُ^(٢) !»

فَانطَلَقَ عُمَرٌ فَإِذَا الْجُرَذُ يَقْلِبُ بِرْجَلِيهِ صَخْرَةً مَا يَقْلِبُهَا خَسُونٌ رَجُلًا ، فَرَجَعَ

إِلَى طَرِيقَةِ فَأَخْبَرَهَا النَّبِيرُ ، وَهُوَ يَقُولُ :

أَبْصَرْتُ أَمْرًا عَادِنِي ، مَنْ هُوَ لِي بِرَحْمَةِ السَّقَمِ^(٣) . وَهَا لِي مِنْ هَوَاهُ بَرَحُ السَّقَمِ^(٤)
مِنْ جُرَذٍ كَفَحَلَ خَنْزِيرَ الْأَجْمُونِ^(٥) . أُوكَبْشَ صِرْمَ^(٦) مِنْ أَفَارِيقَ^(٧) النَّفَرَ^(٨)
يَسْتَحْبُ صَخْرَةً مِنْ جَلَامِيدَ الْعَرَمِ^(٩) . لَهُ مَخَالِبُ وَأَنيابٌ قُضْمُ^(١٠)
* مَا فَاتَهُ سَحَلًا^(١١) مِنَ الصَّخْرِ قَضْمُ^(١٢) *

فَقَالَتْ طَرِيقَةُ : وَإِنْ عَلِمَةً ذَلِكَ الَّذِي ذَكَرْتُهُ لَكَ أَنْ تَجْلِسَ فَتَأْمُرَ بِزَجاْجَةِ
فَتَوْضُعَ بَيْنَ يَدِيكَ فَإِنَّ الرَّيحَ تَلُؤُهَا مِنْ تَرَابِ الْبَطْحَاءِ مِنْ سِهْلَةِ^(١٣) الْوَادِيِّ
وَرَمْلَهُ ، وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ الْجِنَانَ مُظَلَّلَةً لَا يَدْخُلُهَا شَمْسٌ وَلَا رَيحٌ .
فَأَمْرَ عُمَرُ بِزَجاْجَةِ فَوْضِعَتْ بَيْنَ يَدِيهِ ، وَلَمْ تَمْكُثْ إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى امْتَلَأَتْ
مِنَ التَّرَابِ ، فَأَخْبَرَهَا بِذَلِكَ ، وَقَالَ لَهَا : مَتَى يَكُونُ ذَلِكَ الْخَرَابُ الَّذِي يَحْدُثُ
فِي السَّدِّ ؟ قَالَتْ : فِيمَا يَبْيَنِي وَيَبْيَنُكَ سَبْعَ سَنِينَ ! قَالَ : فَفِي أَيْمَانِكُونِ ؟ قَالَتْ :
لَا يَعْلَمُ بِذَلِكَ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى ، وَلَوْ عَلِمَهُ أَحَدٌ لَعْمَتْهُ ، وَإِنَّهُ لَا تَأْتِي عَلَى لِيْلَةٍ فِيمَا يَبْيَنِي
وَبَيْنَ سَبْعَ السَّنِينِ إِلَّا ظَنِنتُ هَلَاجَهُ فِي غَدِهَا أَوْ مَسَائِهَا !

(١) النَّفَرُ : الْمَاءُ الْكَثِيرُ .

(٢) الشَّكَلُ : كَسِيبٌ وَقَلْلٌ : الْمَوْتُ وَالْمَلَائِكَةُ . (٣) الْبَرَحُ : الشَّدَّةُ . (٤) الْأَجْمُونُ : جَمْ أَجْمَةُ ،

وَهُوَ الشَّجَرُ الْكَثِيرُ الْمُلْتَفِ (٥) الْصَّرَمُ : الْجَمَاعَةُ . (٦) الْأَفَارِيقُ : الْفَرِيقُ تَقْبِيمُ عَلَى فَرْقٍ ، وَجَمْعُ

فِي الشِّعْرِ عَلَى أَفَارِقٍ وَجَمْعُ الْجَمَاعَةِ أَفَارِيقٍ . (٧) قَضْمُ قَضَا : أَكْلُ بِأَطْرَافِ أَسْنَاهِ .

(٨) سَحَلَةُ : قَشْرُهُ وَنَخْتَهُ . (٩) قَسْرُ : كَسْرٌ . (١٠) السِّهْلَةُ : تَرَابٌ كَالْرَمْلِ يَجْعَلُ مِنْهُ الْمَاءَ .

ثُمَّ رأى عِمْرُو فِي مَنَامِه سَيْلَ الْعَرِمِ^(١)، وَقِيلَ لَهُ : إِنَّ آيَةً ذَلِكَ أَنْ تَرِي
الْحَصَبَاءَ قَدْ ظَهَرَتْ فِي سَعْفِ النَّخْلِ ؟ فَنَظَرَ إِلَيْهَا فَوُجِدَ الْحَصَبَاءُ قَدْ ظَهَرَتْ فِيهَا ، فَعَلِمَ
أَنَّهُ وَاقِعٌ ، وَأَنَّ بِلَادِهِ سَتَخْرَبَ .

فَكَمْ ذَلِكَ ، وَأَجْعَلَ عَلَى بَيْعٍ كُلُّ شَيْءٍ لَهُ بِأَرْضِ مَأْرِبِ ، وَأَنْ يَخْرُجَ مِنْهَا
هُوَ وَوَلَدُهُ ؟ ثُمَّ خَشِيَّ أَنْ تُنْسَكِرَ النَّاسُ عَلَيْهِ ذَلِكَ ، فَأَمَرَ أَحَدًا أَوْ لَادِهِ إِذَا دَعَاهُ
إِمَّا يَدْعُوهُ إِلَيْهِ أَنْ يَتَابَ إِلَيْهِ^(٢) ، وَأَنْ يَفْعُلَ ذَلِكَ بِهِ فِي الْمَلاَءِ مِنَ النَّاسِ ؛ وَإِذَا
لَطَمَهُ يَرْفَعُ هُوَ يَدَهُ ، وَيَلْطِمُهُ .

ثُمَّ صَنَعَ عِمْرُو طَعَامًا ، وَبَعْثَ إِلَى أَهْلِ مَأْرِبِ : إِنَّ عِمْرًا قدْ صَنَعَ طَعَامًا يَوْمَ
مَجْدٍ وَذَكْرٍ ، فَاحْضُرُوا طَعَامَهُ !

فَلَمَّا جَلَسَ النَّاسُ لِلطَّعَامِ جَلَسَ عَنْهُ ابْنُهُ الَّذِي أَمْرَهُ بِمَا قَدْ أَمْرَهُ ، فَجَعَلَ يَأْمُرُهُ
فِي تَبَّابَيٍ عَلَيْهِ ؛ فَرَفَعَ عِمْرُو يَدَهُ فَلَطَمَهُ ، فَلَطَمَهُ ابْنُهُ ؛ فَصَاحَ عِمْرُو : وَإِذْلَاهِ يَوْمِ خَرِ عِمْرُو !
يَهِيجُهُ صَبِّيٌّ وَيَنْسِرِبُ وَجْهُهُ ! وَحَلَفَ لِيَتَنَاهُ ، فَلَمْ يَزَالُوا بِهِ حَتَّى تَرَكَهُ ، وَقَالَ :
وَاللَّهِ لَا أَقِيمُ بِمَوْضِعِ صَنْعِ هَذَا بَيْ فِيهِ ! وَلَا يَبْعَنَّ أَمْوَالِي حَتَّى لَا يَرِثَ بَعْدِي
مِنْهَا شَيْئًا !

فَقَالَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : اغْتَنَمُوا غَضْبَةَ عِمْرُو ، وَاشْتَرَوْا مِنْهُ أَمْوَالَهُ قَبْلَ
أَنْ يَرْضَى ؟ فَابْتَاعُ النَّاسُ مِنْهُ كُلَّ مَا لَهُ بِأَرْضِ مَأْرِبِ ، وَفَشَا بَعْضُ حَدِيثِهِ فِيَّا بِلْفَهِ
مِنْ شَأْنِ سَيْلِ الْعَرِمِ ، فَقَامَ نَاسٌ مِنَ الْأَرْدِ فَبَاعُوا أَمْوَالَهُمْ ؛ فَلَمَّا أَكْثَرُوا الْبَيْعَ
اسْتَنْكَرَ النَّاسُ ذَلِكَ فَأَمْسَكُوا عَنِ الشَّرَاءِ ! فَلَمَّا اجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ عِمْرُو أَمْوَالُهُ أَخْبَرَ النَّاسَ
بِشَأْنِ السَّيْلِ وَخَرَجَ ، خَرَجَ نَخْرُوجَهُ مِنْهَا بَشَرٌ كَثِيرٌ .

(١) العرم : السيل الذي لا يطاق ، وقيل : هو المطر الشديد ونيل هو اسم واد (٢) تابى عليه : امتن .

٢٧ - عَفِيرَاءُ وَمَرْمَنَدُ بْنُ عَبْدِ الْكَلَالِ *

قُفلَ مَرْمَنَدُ (١) بْنُ عَبْدِ الْكَلَالِ مِنْ غَزَّةَ غَرَابَهَا بِغَنَامَ كَثِيرَةَ ، فَوَفَدَ عَلَيْهِ زُعْمَاءُ الْعَرَبِ وَشَعَارُوهَا وَخَطْبَاؤُهَا يَهْتَشُونَهُ ؛ فَرَفِعَ الْحِجَابَ عَنِ الْوَافِدِينَ ، وَأَوْسَعُهُمْ عَطَاءً ، وَاشْتَدَّ سُرُورُهُ بِهِمْ .

فِيمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ نَامَ يَوْمًا ؛ فَرَأَى رُؤْيَا فِي الْنَّاسِ أَخْفَافَهُ وَأَذْعَرَتْهُ ، فَلَمَّا انْتَبَهَ أَنْسَيْهَا ، حَتَّى لَمْ يَذْكُرْ مِنْهَا شَيْئًا ، وَبَثَتْ فِي نَفْسِهِ ارْتِيَاعَهُ بِهَا ، فَانْقَلَبَ سَرُورُهُ حَزَنًا ، وَاحْجَبَ عَنِ الْوَفُودِ ، حَتَّى أَسَاهُوا بِهِ الظُّنْنَ .

نَمَ إِنَّهُ حَسْرَ الْكَهَانَ : فَجَعَلَ يَخْلُو بِكَاهِنٍ بَعْدَ كَاهِنٍ ، ثُمَّ يَقُولُ لَهُ : أَخْبِرْنِي عَمَّا أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكَ عَنْهُ ! فَيَجِيئُهُ الْكَاهِنُ : بَأَنَّ لَا عِلْمَ عِنْدِي ! حَتَّى لَمْ يَدْعَ كَاهِنًا عَلِمَهُ إِلَّا كَانَ إِلَيْهِ مِنْهُ ذَلِكَ ! فَتَضَاعَفَ قَلْقَهُ ، وَطَالَ أَرْقَهُ ، وَكَانَ أُمَّهُ قَدْ تَكَبَّتَ (٢) ، فَقَاتَلَ لَهُ : أَيْتَ اللَّعْنَ أَيْهَا الْمَلَكَ ! إِنَّ الْكَوَاهِنَ (٣) أَهْدَى إِلَى مَا تَسْأَلُ عَنْهُ ، لَأَنَّ أَتَبَاعَ الْكَوَاهِنَ مِنَ الْجَانِ ، أَلْطَفُ وَأَظْرَفُ مِنْ أَتَابَعَ الْكَهَانَ .

فَأَمْرَ بِحَسْرِ الْكَوَاهِنِ إِلَيْهِ ، وَسَأْلَهُنَّ كَاسْأَلِ الْكَهَانَ ، فَلَمْ يَجِدْ عِنْدَ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ عِلْمًا أَرَادَ عِلْمَهُ ، وَلَمَّا يَنْسَى مِنْ طَلِبَتِهِ سَلَامًا عَنْهُمَا ، ثُمَّ إِنَّهُ بَعْدَ ذَلِكَ ذَهَبَ يَتَصَيَّدُ ، فَأَوْغَلَ (٤) فِي طَلَبِ الصَّيْدِ ، وَانْفَرَدَ عَنِ أَصْحَابِهِ ، فَرُفِعَتْ لَهُ أُبَيَّاتٌ مِنْ

* بلوغ الأرب: ٣ - ٢٩٦ ، الأغانى: ١٠ - ٢١

(١) هو أخو تبع بن حسان لأمه ، وكان ذا رأى وبأس وجود ، وملك إحدى وأربعين سنة.

(٢) تكبست: قضت بالنيب (٣) الكواهن: جمع كاهنة (٤) أوغل في طلب الصيد: بالهم في ذلك وأمعن

ذرا^(١) جبل ، وكان قد لفَّحَه^(٢) الْهَجِيرُ ، فعدَّل إلى الأبيات ، وقصد بيته منها منفرداً عنها ، فبرزت إِلَيْهِ مِنْهُ عجوز ، فقالت له : انزل بالرُّحْبِ والسَّعَةِ ، والآمِنِ والدَّاعَةِ ، والجُفْنَةِ الْمُدْعَدَعَةِ^(٣) ، والعلبة^(٤) المترَّعةِ .

فنزل عن جَوَادِهِ ، ودخلَ الْبَيْتَ ، فلما احتجَبَ عن الشَّمْسِ ، وخافتَ عَلَيْهِ الْأَرْوَاحُ^(٥) ، نامَ فلم يستيقظ حتى تصرَّمَ الْهَجِيرُ ، فجلسَ يمسحُ عينيهِ ، فإذا بين يديه فتاة لم يرَ مثلها قَوَاماً ولا جَمَالاً ؛ فقالت : أَيْتَ اللَّعْنَ أَيْهَا الْمَلَكُ الْهَمَامُ ! هل لَكَ فِي الطَّعَامِ ؟ فاشتَدَّ إِشْفَاقُهُ ، وخفَّ على نَفْسِهِ لَمَّا رَأَى أَنَّهَا عَرَفَتْهُ ، وتصَارَ عَنْ كَلْمَتِهَا ، فقالَ لَهُ : لَا حَدَّرَ ، فِدَاكَ الْبَشَرُ ، خُذْكَ الْأَكْبَرُ ، وَحَظَّنَا بِكَ الْأُوفَرَ .

ثم قرَّبَتْ إِلَيْهِ تُرِيدَأً وَقَدِيدَأً وَحَيْسَأً^(٦) ، وَقَامَتْ تَذَبَّثُ عَنْهُ حَتَّى اتَّهَى أَكْلَهُ ، ثم سقطَتْ لِبَنَا صَرِيفَاً وَضَرِيفَاً^(٧) ، فَشَرَبَ مَا شَاءَ ، وَجَعَلَ يَتَّمَلَّهَا مُقْبِلَةً مُدْبِرَةً ، فَلَمَّا تَعْيَنَهُ حُسْنَتَا ، وَقَلْبَهُ هُوَيَّ ، فَقَالَ لَهَا : مَا اسْمُكِ ياجارِيَةٌ ؟ قَالَتْ : اسْمِي عَفِيرَاءُ ، فَقَالَ لَهَا : يَا عَفِيرَاءَ ، مَنِ الَّذِي دَعَوْتَهُ بِالْمَلَكِ الْهَمَامِ ؟ قَالَتْ : مَرْتَدُ الْعَظِيمِ الشَّانِ ! حَاشِرُ الْكَوَافِنِ وَالْكَهَانِ ، لِمُعْصِلَةٍ^(٨) بَعْدَ عَنْهَا الجَانِ !

فَقَالَ : يَا عَفِيرَاءَ ، أَتَعْلَمِنَ تَلْكَ الْمَعْصِلَةَ ؟ قَالَتْ : أَجَلْ أَيْهَا الْمَلَكُ ! إِنَّهَا رُؤْيَا مَنَامٌ ، لَيْسَ بِأَضْفَاثِ أَحْلَامٍ !

قالَ الْمَلَكُ : أَصْبَتْ يَا عَفِيرَاءَ ! فَمَا تَلْكَ الرُّؤْيَا ؟ قَالَتْ : رَأَيْتَ أَعَاصِيرَ^(٩) زَوَابِعَ ،

(١) ذر الجبل : كنه وسوتره (٢) لفحة : أحرقة ، والهجير : نصف النهار وشدة الحر .

(٣) الجفنة : القصعة ، والمدعدة : التي ملئت بقوه ثم حركت حتى تراص ما فيها ، ملئت بعد ذلك

(٤) العلبة : لمناء من جلد الإبل أو من خشب يخلب فيها ، والترعنة : الملوءة .

(٥) الأرواح : جمع ربيع (٦) القديد : اللحم المقدد ، والحبس : غر وأقط وسمن .

(٧) الصريف : اللبن آن الحالب يصرف عن الضرع إلى الشارب . والضرير : اللبن الذي يخلب من عدة لفاح في لمناء واحد فيضرب بعضه ببعض (٨) المضلات : الشائدات : وبعد عنها الجان : لم يطقوها (٩) الأعاصير الزوابع : هي من الرياح ، اثيرت التراب فيعليه في الجو ويندره .

بعضها البعض تابع، فيها لَهَبٌ لا مع وَلَمَا دُخَان ساطع^(١) يقفوها هَرَقٌ مُتَدَافِعٌ،
وسمعتَ فيها أنتَ سامِع، دُعَاء ذِي جَرْس^(٢) صادِعٌ : هَلَّمَا إِلَى الشَّارِع^(٣) بِفَرْوِيَّةٍ
جَارِعٌ^(٤) ، وَغَرِيقٌ كَارِعٌ^(٥) !

قال الملك : أَجَلْ ! هذه روبياً ! فما تَأَوَّلُهَا يا عَفِيراء ؟ قالت : الأعاصير
الزوابع ملوك تَبَاع^(٦) . والنهر علم واسع . والداعي نبي شافع . والخارج ولِي تابع
والكارع عدو منازع !

قال الملك : يا عَفِيراء ، أَسْلِمْ هَذَا النَّبِيُّ أَمْ حَرْبٌ ؟ قالت : أَقْسِمْ بِرَافِعِ السَّماءِ؛
وَمُنْزَلِ الْمَاءِ مِنَ الْعَمَاءِ^(٧) ، إِنَّه لَمُطْلِئ^(٨) الدَّمَاءِ ، وَمُنْتَطِقُ^(٩) الْعَاقِلِ نُطْقَ الْإِمَاءِ .
قال الملك : إِلَامَ يَدْعُو يا عَفِيراء ؟ قالت : إِلَى صَلَاتِ وَصَيَامِ ، وَصَلَةِ أَرْحَامِ ،

وَكَسْرِ أَصْنَامِ ، وَتَمْطِيلِ أَرْزَالَم^(١٠) ، وَاجْتِنَابِ آنَامِ !

قال الملك : يا عَفِيراء ؟ إِذَا ذَبَحَ قَوْمَهُ فَنَ أَعْضَادُه^(١١) ؟ قالت : أَعْضَادُه
غَطَّارِيفُ^(١٢) يَمَانُونَ ، طَائِرُهُمْ بِهِ مِيمُونَ ، يُغَزِّيَهُمْ فِيْغَزُونَ ؛ وَيُدَمِّثُ^(١٣) بَهْمَ
الْحُزُونَ ، وَإِلَى نَصْرِهِ يَعْتَزَّونَ !

فَأَطْرَقَ الملك يُؤَمِّر^(١٤) نَفْسَهُ فِي خَطْبَتِهَا ؛ فَقَالَتْ : أَبْيَتِ اللَّعْنُ أَيْهَا الملك ! إِنْ
تَابَعِي غَيْورَ ، وَلَأُمْرِي صَبُورَ ، وَالسَّكَلْفُ بِي ثُبُور^(١٥) .

فَهَضَّ الْمَلِكُ ، وَحَالَ^(١٦) فِي صَهْوَةِ جَوَادِهِ وَانْطَلَقَ بِهِ بِعْثَإِلَيْهَا بِمَائَةِ نَاقَةٍ كَوْمَاءَ^(١٧) !

(١) ساطع : مرتفع (٢) الجرس : الصوت (٣) الشارع : جم شرعة وهي التي ينحدر
إليها الماء (٤) أي من شرب جرعاً روى (٥) أي ومن أمن في الشرب غرق (٦) التابع
جمع نبع ، وهو لقب ملوك اليمن (٧) العماء : السعاب الكثيف (٨) طل دمه . هدو ،
أو ألا يثار به (٩) منطق العائل : الكرام من النساء ؟ أي يسبهن فيشدين النطق على
أوساطهن كالإماء للمهنة والخدمة .

(١٠) الأزلام : سهام كانوا يستقسمون بها في الجاهلية ؟ أي يطلبون معرفة ما قسم لهم .

(١١) الأعضاد : الأنصار : أي إذا قطعوه وتركتوا نصرته (١٢) الغطارييف : السادة ، وترید
الأنصار وهم من أهل اليمن (١٣) يدمث : يسهل (١٤) يؤمر نفسه : يشاور (١٥) ثبور : هلاك
(١٦) حال : أي وتب واستوى ، والصهوة : مقعد الفارس من ظهر فرسه (١٧) السكوماء :

الناقة العظيمة السنام .

٢٨ — كاهنة بنى سعد*

نَذَرْ عَبْدُ الْمُطَلَّبِ بْنَ هَاشَمَ أَنَّهُ مَتَّ رُزْقَ عَشْرَةِ أَوْلَادٍ ذَكْرًا ، وَرَأَمَ بَيْنَ
يَدَيْهِ رِجَالًا أَنْ يَنْحَرَ أَحَدَهُمْ عِنْدَ الْكَعْبَةِ شَكْرًا لِرَبِّهِ !
فَلَمَّا اسْتَكَمَ وَلَدُهُ الْعَدْدُ ، وَصَارُوا مِنْ أَظْهَرِ الْعَدْدِ ، قَالَ لَهُمْ : يَا بَنِيَّ ؟
كُنْتُ نَذَرْتُ نَذْرًا عَلِمْتُهُ قَبْلَ الْيَوْمِ ، فَمَا تَقُولُونَ ؟

قَالُوا : الْأَمْرُ لَكَ وَإِلَيْكَ . وَنَحْنُ بَيْنَ يَدِيكَ ! قَالَ : لَيْنَطْلُقْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ
إِلَى قِدْحِهِ^(١) ، وَلِيَكْتُبْ عَلَيْهِ اسْمَهُ ، فَفَعَلُوا ؛ ثُمَّ أَتَوْهُ بِالْقِدَاحِ فَأَخْذَهُ .
ثُمَّ دَعَا بِالْأَمِينِ الَّذِي يَضْرِبُ بِالْقِدَاحِ ، فَدَفَعَ إِلَيْهِ قِدَاحَهُمْ ، وَقَالَ : حَرَّكْ
وَلَا تَغْبَلْ .

وَكَانَ أَحَبُّ وَلَدِ عَبْدِ الْمُطَلَّبِ إِلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ . فَضَرَبَ صَاحِبُ الْقِدَاحِ السَّهْمَ ،
فَرَجَ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ ؛ فَأَخْذَ عَبْدُ الْمُطَلَّبِ الشَّفَرَةَ^(٢) ، وَأَتَى بَعْدَ اللَّهِ وَأَضْجَعَهُ بَيْنَ
إِسَافَ^(٣) وَفَاتِلَةَ .

وَهُمْ بِذَنْبِهِ ، فَوَتَّبَ إِلَيْهِ ابْنُهُ أَبُو طَالِبٍ ، وَكَانَ أَخَا عَبْدِ اللَّهِ لَأَيْهِ وَأَمْهُ ،
وَأَمْسَكَ بِيَدِهِ عَنْ أَخِيهِ .

فَلَمَّا سَمِعَتْ بَنُو مَخْزُومَ بِذَلِكَ — وَكَانُوا أَخْوَاهُ — وَثَبَّوْا إِلَى عَبْدِ الْمُطَلَّبِ ، فَقَالُوا :
يَا أَبَا الْحَارَثَ ، إِنَا لَا نُسْلِمُ إِلَيْكَ ابْنَ أَخْتِنَا لِلزَّبْحِ ، فَاذْبَحْ مَنْ شَتَّتَ مِنْ
وَلْدِكَ غَيْرَهُ !

* بلوغ الارب : ٤٦ - ٣ ، ابن هشام : ١ - ١٠٣ ، الطبرى : ٢ - ١٧٤

(١) القدح : السهم (٢) الشفرة : السكين العظيم (٣) إساف وفاتلة : صنفان كانا لغيريش،
وضعهما عمرو بن لحي على الصفا والمروة ، وكان يذبح عليهما تجاه الكعبة .

(٦) قصص العرب - أول)

فقال : إني نذرت نذراً ، وقد خرج القدر ، ولا بد من ذبحه ! قالوا : كلاما !
لا يكون ذلك أبداً ، وفينا روح ؟ وإنما لتفديه بجميع أموالنا من طارفي وتألم .
ثم وثب السادات من قريش إلى عبد المطلب ، فقالوا : يا أبا الحارث ؟ إن هذا
الذى عزمت عليه لعظيم ، وإنك إن ذبحت ابنك لم تتهما بالعيش من بعده ،
ولكن ثبت حتى نصيرا معك إلى كاهنة بنى سعد ، فما أمرتك من شيء فامتنله .
فقال عبد المطلب : لكم ذاك .

ثم خرج في جماعة من بنى تمودن نحو الشام ^(١) إلى الكاهنة ؛ فلما دخلوا عليها
أخبرها عبد المطلب بما عزم عليه من ذبح ولده . فقالت الكاهنة : انصرفوا عنى
اليوم . فانصرفوا .

وعادوا من الفد ، فقالت : كم دية الرجل عندكم ؟ قالوا : عشر من الإبل .
قالت : فارجعوا إلى بلدكم ، وقربوا هذا الغلام الذى عزمت على ذبحه ، وقد مروا معه
عشرة من الإبل ، ثم اضربوا عليه وعلى الإبل القدح ، فإن خرج القدر على
الإبل فانحرروا ، وإن خرج على صاحبكم فزيدوا على الإبل عشرة عشرة حتى
يرضى ربكم .

فانصرف القوم إلى مكة ؛ وأقبلوا عليه يقولون : يا أبا الحارث ؟ إن لك في
إبراهيم أسوة حسنة ؟ فقد علمت ما كان من عزمه على ذبح ابنه إسماعيل وأنت سيد
ولد إسماعيل ، فقد ملأ دون ولدك !

فلما أصبح عبد المطلب قرب عبد الله وعشرا من الإبل ، ثم دعا بأمين القدح
وجعل لابنه قدحا ، وقال : اضرب ولا تتعجل ، فخرج القدر على عبد الله ،

(١) في سيرة ابن هشام والطبرى : فاضلقو حتى قدموا المدينة .

جعلها عشرين ، فضرب فرج على عبد الله ؛ فجعلها ثلاثين فضرب فرج القدح
على عبد الله ؛ فجعلها أربعين ، . . . وكلما خرج القدح على ابنه زادها عشرًا ، حتى
جعلها مائة ، فضرب فرج القدح على الإبل ، فكثير عبد الله وكثيرة قريش ،
وقالت : يا أبا الحارث ؟ إنه قد رضي ربك ، وقد نجا ابنك من النجع .

قال : لا والله حتى أضرَبَ عليه ثلاثة ! فضرب الثانية فخرج على الإبل ،
فضرب الثالثة فخرج على الإبل ، فعلم عبد المطلب أنه قد بلغ رضا ربه في
فداء ابنه .

فقرَبت الإبل ، وهي مائة من جملة إبل عبد المطلب ، فنحرت كلها ، فداء
لعبد الله ، وتركت في مواضعها ، لا يُصدِّ عنها أحد ينتابها من دب ودرج ^(١) ؛
وانصرف عبد المطلب بابنه عبد الله فرحاً .

(١) درج : مشي ، ودب : مشي على هبته ، و المقصود كل واحد .

٢٩ — كهانة سطيح*

لما كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله ارتجس^(١) إيوان كسرى ، وسقطت منه أربع عشرة شرفة ، وخدمت نار فارس ، ولم تحمد قبل ذلك مائة عام ، وغضبت بحيرة ساوة ، ورأى الموبدان إبلا صعابا^(٢) ، تقدود خيلا عربا^(٣) ، قد قطعت دجلة وانتشرت في بلادها .

لما أصبح كسرى أفعى ما رأى ، فصبر تشجعا ، ثم رأى إلا يكتم ذلك عن وزرائه ومرآزبته^(٤) ؛ فلبس تاجه ، وقعد على سريره ، وجمعهم إليه . فلما اجتمعوا أخبرهم بالذى بعث إليهم فيه ؛ فيينا هم كذلك إذ ورد عليه كتاب بخmod النار ؛ فزاد غما إلى غمة ، فقال الموبدان^(٥) : وأنا - أصلح الله الملك - قد رأيت في هذه الليلة رؤيا ، وقص عليه الرؤيا في الإبل ، فقال له: وأى شيء يكون هذا يا موبدان ، وكان أعلمهم عند نفسه بذلك - فقال: ما عندي فيها ولا في تأويلها شيء ، ولكن أرسل إلى عاملك بالحيرة يوجه إليك رجالا من علمائهم ، فإنهم أصحاب علم بالخذلان . فكتب عند ذلك: «من كسرى ملك الملك إلى النعمان بن المنذر ، أما بعد ، فوجه إلى رجالا عالما بما أريد أن أسأله عنه». فوجه إليه عبد المسيح بن عمرو بن بقيلة^(٦) الغساني .

لما قدم عليه ، قال له: أعندي علم بما أريد أن أسألك عنه؟ قال: ليخبرني

* السيرة الحلبية: ١ - ٧٠ ، بلوغ الأربع: ٣ - ٢٨١ ، العقد الفريد: ٢ - ١٠٨ ، الطبرى ٢ - ١٣١ ، لسان العرب - مادة سطح ، الفائق لاز مخمرى: ١ - ٤٦٠ .

(١) ارجس: ارجف^(٢) بغير صعب: غير منقاد^(٣) خيل عراب: عربية منسوبة إلى العرب^(٤) للرازبة: جم مربزان: وهو الفارس الشجاع المقدم على القوم دون الملك

(٥) الموبدان: المجنوس كقاضي القضاة للسلطين^(٦) في اللسان: فقيلة .

الملك فإنْ كانَ عندِي منه علمٌ وإنْ أخْبَرْتُه بِمَا رأى ، فقال :
علمُ ذلك عندِ خالِ لِي يسكنُ مَشَارِفَ الشَّامِ ، يقالُ لِه سَطِيعٌ . قال : فَأَتَهُ فَاسِلَةٌ
عما سَأَلْتُكَ وَأَتَنِي بِحَوَابِهِ ، فَرَكِبَ عَبْدُ الْمَسِيحَ رَاحِلَتَهُ حَتَّى قَدِمَ عَلَى سَطِيعٍ وَقَدَأْشَقَ
عَلَى الْمَوْتِ ، فَسَلَمَ عَلَيْهِ وَحِيَا فَلَمْ يَجْبَهْ ، وَكَمْ فَلَمْ يَرْدَ عَلَيْهِ ، فقال :

أَصْمَمْ أَمْ يَسْمَعُ غَطَرِيفُ^(١) الْمَيْنُ . أَمْ فَادَ فَازْلَمَ^(٢) بِهِ شَأْوُ الْعَنَنُ :
يَا فَاصِلَ الْخُطَّةِ أَعْيَتْ مَنْ وَمَنْ
وَأَمْهُ مِنْ آلِ ذِئْبِ بْنِ حَجَنْ
رَسُولُ قَيْلِ^(٤) الْعُجُومُ بِسَرِي لِلْوَسَنْ
تَجْبُوبُ بِالْأَرْضِ عَلَنَدَةَ شَزَنْ^(٥)
حَتَّى أَنِي عَارِي الْحَاجِي وَالْقَطَنْ^(٦)

فَلَمَّا سَمِعَ سَطِيعَ شِعْرَهُ رَفَعَ رَأْسَهُ وَقَالَ : عَبْدُ الْمَسِيحَ ، عَلَى جَلِيلِ مُشَيْحِ^(٩) ،
جَاءَ إِلَى سَطِيعَ ، وَقَدْ أَوْفَ عَلَى الضرِيعِ^(١٠) بِعِنْكَ مَلَكُ بْنِ سَاسَانَ ، لَازْتَجَسَ
إِلْيَوَانَ ، وَخُمُودَ الدِّيرَانَ ، وَرَؤْيَا الْمُوْبَدَانَ : رَأَى إِبْلًا صَعَابًا ، تَقْوَدَ خَيْلًا عَرَابًا ،
قَدْ افْتَحَتْ فِي الْوَادِ ، وَانْتَشَرَتْ فِي الْبَلَادِ ؛ ثُمَّ قَالَ : يَا عَبْدَ الْمَسِيحَ ؟ إِذَا كَثُرَتْ
الْتَّلَاؤَةُ ، وَبَعِثَ صَاحِبُ الْمَرَاوَةِ^(١١) ، وَفَاضَ وَادِي السَّهَوَةُ ، وَغَاصَتْ بِجُبْرَةِ سَأَوَةِ ،
وَخَدَتْ نَارُ الْفَرْسِ ، فَلِيَسْتَ الشَّامُ لِسَطِيعِ شَاماً ، يَمْلِكُ مِنْهُمْ مُلُوكٌ وَمَلِكَاتٌ ، عَلَى عَدْدِ

(١) الفطريف : السيد العريف (٢) ناد : مات ، وألزم : ذهب مسرعاً . وشأوه : سبقه إليه ،
والعن : ما ينويك من عارض (٣) فضفاض : واسع (٤) القبل : الملك أو هو دون الملك
(٥) علندة : ناقة ضخمة طويلة . وشزن : فيها نشاط (٦) الوجن : هي الأرض الفليلة
الصلبة (٧) القطن : أسفل الظهر (٨) البوغاء : التراب الناعم : والدمن : مات دونه منه أى
تحجم (٩) مشيغ : جاد مسرع (١٠) الضربيع : القبر ، والمراد الموت (١١) المراواة :
العصا . وصاحب المراواة هو سيدنا محمد ، لأنَّه كان يمسك العصا كثيراً عند مشيه .

الشرفات ؛ وكل ما هو آت آت ، ثم قُبض سطح مكانه ، ونهض عبد المسيح إلى راحلته وهو يقول :

شَرِّ فَانِكَ مَا عَمِّرْتَ شِتَّيْرُ
لَا يُفْزِعَنَكَ تَقْرِيقُ وَتَنْفِيْرُ
إِنْ يُمْسِيْ مُلْكُ بْنِ سَاسَانَ أَفْرَطَهُمْ
فَإِنَّ ذَا الدَّهْرَ أَطْوَارَ دَهَارِيرُ^(١)
فَرُّبَّمَا رَبِّا أَضْحَوْا بِمُنْزَلَةِ
تَهَابُ صَوْلَاهُمْ أَسْدُ مَهَاصِيرُ^(٢)
مِنْهُمْ أَخُو الصَّرَحِ بَهْرَامُ وَإِخْوَهُمْ
وَهُرْمَازَنُ وَسَابُورُ وَسَابُورُ
أَنْ قَدْ أَقْلَى فَهْجُورُ وَمَخْقُورُ
وَهُمْ بَنُو الْأَمْ لَمَّا أَنْ رَأَوْا نَشَّابًا
وَالْخَيْرُ وَالشَّرُّ مَقْرُونَانِ فِي قَرَنِ^(٤)
وَالْمَذْوَرُ^(٣)

فَلَمَّا قَدِمَ عَبْدُ الْمَسِيحِ عَلَى كَسْرَى أَخْبَرَهُ بِقُولَ سَطِيعٍ . فَقَالَ : إِلَى أَنْ يُمْلِكَ مَنَا
أَرْبَعَةَ عَشَرَ مَلَكًا تَكُونُ أَمْوَارُ ، وَيَدُورُ الزَّمَانُ . فَلَكَ مِنْهُمْ عَشْرَةَ فِي أَرْبَع
سَنِينَ ، وَمَلَكُ الْبَاقِونَ إِلَى زَمَنِ عَمَانَ بْنِ عَفَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ !

(١) أَفْرَطَهُمْ : تَرَكَهُمْ . وَالْدَهَارِيرُ : تَصَارِيفُ الدَّهْرِ وَنَوَائِبِهِ ، مَشْقَقُ مِنْ لَفْظِ الدَّهْرِ لِيُسَّرَ لهُ وَاحِدٌ مِنْ لَفْظِهِ كَعَابِيدٍ . (٢) الْمَهَاصِيرُ : جَمْعُ مَهَاصِيرٍ أَوْ مَهَاصِيرٍ ، وَهُوَ الْأَسْدُ . (٣) أَوْلَادُ
الْعَلَاتِ : أَوْلَادُ أَمْهَاتٍ شَتَّى لِرَجُلٍ وَاحِدٍ . (٤) الْقَرَنُ : الْحَبْلُ .

* ٣٠ - مَصْرُعُ الْعَزَّى

كانت العزّى شيطانةً تأني، ثلث سُمُّراتٍ^(١) يبطن نخلةً^(٢). فلما افتح النبي
صلى الله عليه وسلم مكةً بعث خالدَ بن الوليدَ ، فقال له : إِيت بطنَ نخلةً ؟ فإنك
تخدم ثلثَ سُمُّراتٍ فاعضُدِ^(٣) الأولى ! فأتاها فعَضَدَها. فلما جاءَ إِليهِ عليهِ السلامُ
قال : هل رأيْتَ شِيئًا ؟ قال : لا . قال : فاعضُدِ^(٤) الثانية ! فأتاها فعَضَدَها . ثم أتى
النبيَّ عليهِ السلامُ ، فقال : هل رأيْتَ شِيئًا ؟ قال : لا . قال : فاعضُدِ^(٥) الثالثة ! فأتاها ،
فإِذا هو بجشيةٍ نافشةٍ شعرَها ، واضعةٍ يديْها على عاتقها ، تَصْرِيفٌ^(٦) بآنيابها ،
وخلفَها دُبَيْةٌ بن حَرَمَي الشَّيْبَانِي وَكان سادِنَهَا^(٧) . فلما نظرَ إلى خالدٍ قال :
أَعْزَاءُ شُدُّى شَدَّةَ لَا تُكَذِّبِي على خالدٍ ! أَلْقِ الْحِمَارَ وَشَمَرِي !
فإنك إِلَّا تَقْتُلُ لِي الْيَوْمَ خالداً تُبُونِي بذُلِّ عاجِلاً وَتَنْصَرِي

قال خالد :

يَا عَزَّ كُفَرَانِكَ لَا سُبْحَانَكِ إِنِّي رأيْتُ اللَّهَ قَدْ أَهانَكِ !
ثُمَّ ضربَها فلقَ رأسَها ، فإذا هي هُمَّةٌ^(٨) . ثُمَّ عَضَدَ الشَّجَرَةَ ، وَقُتِلَ دُبَيْةُ
السَّادِنِ . ثُمَّ أتَى النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فأخبرَهُ . فقال : « تَلِكَ العزَّى ، وَلَا
عَزَّى بعدهَا لِلْعَرَبِ ! أَمَا إِنَّهَا لَنْ تُعْبَدَ بَعْدَ الْيَوْمِ » .

* الأصنام لابن الكلبي : ٢٥ .

(١) سُمُّرات جمع سُمُّرة ، وهي نوع من الشجر (٢) بطن نخلة : قرية من المدينة.

(٣) فاعضُد : فاقطع . (٤) تَصْرِيف : تصوّت (٥) السادِن : خادم الكعبة وبيت الأصنام

(٦) الحِمَار : الفحم ، واحدته بهاء .

٣١ - أمية بن أبي الصلت ورؤيا شقُّ الصرد*

دخل يوماً أمية^(١) بن أبي الصلت على أخته^(٢)، وهي ترتدي أداء^(٣) لها، فادركه النَّوْم؛ فنام على سريرٍ في ناحية البيت، ثم انشقَّ جانبٌ من السقف في البيت، وإذا بطأرَين قد وقع أحدهما على صدرِه؛ ووقف الآخر^{*} مكانه، فشقَّ الواقعُ صدرَه فأخرج قلبه فشقَّه، فقال الطائر الواقع للطائر الذي على صدره؛ أوعى؟ قال : وَعَى ، قال : أَفَبِلَ ؟ قال : أَبَى . قال : فَرُدَّ قلبه في موضعه . ثُمَّ نهض فأتبعهما أمية طَرْفَة^{*}، وقال :

لَيْكَا لَيْكَا هَانَا لَدِيكَا

لَا بَرِى ؛ فَاعْتَذِرْ ، وَلَا ذُو عَشِيرَةٍ فَأَنْتَصِرْ .

فرجَ الطائر فوقَ على صدرِه فشقَّه، ثم أخرج قلبه فشقَّه؛ فقال الطائر الأعلى : أَوعى؟ قال : وَعَى ، قال : أَفَبِلَ ؟ قال : أَبَى ؛ وَنَهَضَ ، فَأَتَبَعَهُمَا أمية بصرَه وقال :

لَيْكَا لَيْكَا هَانَا لَدِيكَا

لَا مَالٌ يَغْنِينِي ؛ وَلَا عَشِيرَةٌ تَحْمِينِي . فرجَ الطائر فوقَ على صدرِه فشقَّه؛ ثم أخرج قلبه فشقَّه . فقال الطائر الأعلى : أَوعى؟ قال : وَعَى . قال : أَفَبِلَ ؟ قال : أَبَى . وَنَهَضَ فَأَتَبَعَهُمَا أمية بصرَه ، وقال :

* الأغاني : ٤ - ١٢٧

(١) كان أمية قد نظر في الكتب وقرأها قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم وليس المسوح بعيداً وحرم الخمر، وشك في الأوثان . ولما بعث النبي صلى الله عليه وسلم قال . «إنما كنت أرجو أن أكونه» . ولم يسلم (٢) تهيئة وتقديره قبل القطع وتقيسه لقطع منه مزادة أو قربة أو خفأ .

لبيكا لبيكا هاندا لديكما

محفوظ بالنعم ، محوط من الرّيَب . فرجع الطايرُ فوق علی صدره فشقّه ،
وأخرج قلبه فشقّه ، فقال الأعلى : أوعي ؟ فقال : وَعَي . قال : أقِيل ؟ قال : أَبِي .
ونهض فأتبعهما أمية بَصَرَة ، وقال :

لبيكا لبيكا هاندا لديكما

إِن تَغْفِرِ اللَّهُمَّ تَغْفِرْ جَنَاحَيْ وَأَئْ عَبْدِكَ لَا أَمَا^(١)

قالت أخته : نعم انطبق السقف ؟ وجعل أمية يمسح صدره ، فقلت : يا أخي ،
هل تجد شيئاً ؟ قال : لا ، ولكنني أجد حراً في صدرى ، نعم أنا شاً بقول :
ليتنى كنت قبل ما قد بداى في قيَان^(٢) الجبال أزمع الوعولا
اجعل الموت نصب عينيك واحدَ زَغَولَةَ الدهر إن للدهر غُولا^(٣)

(١) أَم : ارتکب اللام ، وهو صغار الذنوب (٢) القيَان : أعلى الجبال ، واحدها قنة .

(٣) كل ما اغتال الإنسان فآهلاً كـ .

* ٣٢ — أُم الْوَّاَمْ !

خرج ركبٌ من ثقيف إلى الشام ، وفيهم أمية بن أبي الصلت ، فلما قفلوا راجعين نزلوا منزلًا ليتسعوا بعشاء ، إذ أقبلت عظائية^(١) حتى دنت منهم ، فحاصبها بعضُهم بشيءٍ في وجهها ، فرجعت ، وكفتوا^(٢) سفرَهم ، ثم قاموا برحون نمسين ، فطلعت عليهم عجوز من وراء كثيبٍ مقابل لهم تتوكلًا على عصا ، فقالت : ما منعكم أن تطعموا رجيمة ، الجارية اليتيمة ، التي جاءتكم عشية ! قالوا : ومن أنت ؟ قالت : أنا أُم الْوَّاَمْ ، إِمْتُ^(٣) مِنْدُأَعُوَامْ ؛ أما رب العباد ، لتقرقق في البلاد ! وضربت بعصاها الأرض ، ثم قالت : بطيء إياهم ، ونفرى ركابهم ؛ فوثبت الإبل كأنَّ على ذرَوةٍ كلَّ بغير منها شيطاناً ، ما يُلَكُ منها شيء ، حتى افترقت في الوادي .

قال الراوى : جمعناها في آخر النهار من الغدِ ولم نَسْكِدْ ، فلما أخْنَنَاها لنُرْجِلُها طلعت علينا العجوز ، فضربت الأرض بعصاها ، ثم قالت كقولها الأول ، ففعلت الإبل كفعلها بالأمس ، فلم يجتمعها إلا الغد عشية ؛ فلما أخْنَنَاها لنُرْجِلُها أقبلت العجوز ، ففعلت كفعلها في اليومين ، ونفرت الإبل .

فقلنا لأمية : أينَ ما كنتَ تُخْبِرنا به عن نفسك ؟ فقال : اذْهَبُوا أَتَمْ في طلب الإبل ودعوني ؛ فتوجه إلى ذلك الكثيب الذي كانت العجوز تأتي منه حتى علاه ،

* الأغاني : ٤ - ١٢٥ .

(١) العظالية : دويبة ملساء ، تشبه سام أيرمن ، من طبعها أنها تعيش مشيا سريعاً ثم تقف .

(٢) كفت الشيء : ضم بعضه إلى بعض . والسفرة : ما يبسط تحت المخوان من جلد أو غيره .

(٣) إِمْتُ المرأة : إذا فقدت زوجها .

وَهُبْطَ مِنْهُ إِلَى وَادِيٍّ ؛ فَإِذَا فِيهِ كُنِيسَةٌ وَقَنَادِيلُ ، وَإِذَا رَجُلٌ أَبْيَضُ الرَّأْسِ وَاللِّحَيَةِ
مُضْطَجَعٌ مُعْتَرِضٌ عَلَى بَابِهِ ؛ فَلَمَّا رَأَى أُمِيَّةَ قَالَ : إِنَّكَ لَمَتَبُوعٌ ، فَنَّ أَيْنَ يَأْتِيكَ
صَاحِبُكَ ؟ قَالَ : مَنْ أَذْنَى الْيَسْرَى ؟ قَالَ : فَبَأْيِ الشَّيْبِ يَأْمُرُكَ ؟ قَالَ : بِالسَّوَادِ ؛
قَالَ : هَذَا خَطِيبُ الْجَنِّ ، كَدَتَ اللَّهُ أَنْ تَسْكُونَهُ وَلَمْ تَفْعُلْ ؛ إِنْ صَاحِبَ النَّبِيَّةِ
يَأْتِيهِ صَاحِبُهُ مِنْ قِبْلِ أَذْنِهِ الْيُمْنِيِّ ، وَيَأْمُرُهُ بِبَاسِ الْبَيْاضِ ، فَمَا حَاجَتُكَ ؟ فَخَدَّهُ
حَدِيثُ الْفَجُوزِ ؛ فَقَالَ : هِيَ امْرَأَةٌ يَهُودِيَّةٌ مِنَ الْجَنِّ ، هَلَكَ زَوْجُهَا مِنْذُ أَعْوَامٍ ،
وَإِنَّهَا لَنْ تَرَالَ تَصْنَعُ ذَلِكَ بِكَمْ حَتَّى تُهْلِكَكُمْ إِنْ أَسْتَطَاعْتُ .

فَقَالَ أُمِيَّةَ : وَمَا الْحِيلَةُ ؟ فَقَالَ : جَمَعُوا ظَاهِرَكُمْ ^(١) ؛ فَإِذَا جَاءَتُكُمْ فَفَعَلْتُ كَمَا
كَانَ تَفْعَلُ فَقُولُوا لَهَا : « سَبْعَ مِنْ فَوْقِ ، وَسَبْعَ مِنْ أَسْفَلِ ، بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ ! »
فَلَنْ تَضَرَّكُمْ .

فَرَجَعَ أُمِيَّةُ إِلَيْهِمْ وَقَدْ جَمَعُوا الظَّاهِرَ ؛ فَلَمَّا أَقْبَلَتْ قَالَ لَهَا مَا أَمْرَهُ بِهِ الشَّيْخُ ، فَلَمْ
تَضَرَّهُمْ . فَلَمَّا رَأَتِ الْإِبَلَ لَمْ تَتَحرَّكْ قَالَتْ : قَدْ عَرَفْتُ صَاحِبَكُمْ ، وَلَيَبْيَضَنَّ
أَعْلَاهُ ، وَلَيَسْوَدَنَّ أَسْفَلَهُ ؛ فَأَصْبَحَ أُمِيَّةٌ وَقَدْ بِرَصَ فِي عِذَارَيْهِ وَأَسْوَدَ أَسْفَلَهُ .
فَلَمَّا قَدِمُوا مَكَّةَ ذَكَرُوا لَهُمْ هَذَا الْحَدِيثَ ؛ فَكَانَ ذَلِكَ أُولَئِكَ مَكَّةَ أَهْنَ
مَكَّةَ : « بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ » فِي كُتُبِهِمْ !

(١) الظَّاهِرُ : الرَّكَابُ الَّتِي تَحْمِلُ عَلَيْهَا الْأَنْفَالُ فِي السَّفَرِ .

٣٣ — عماره بن الوليد والسوّاحر*

كان عماره^(١) بن الوليد المخزومي قد خرج هو وعمرو بن العاص بن وائل السهمي - وكما كانا كلّاهما تاجرين - إلى النجاشي ، وكانت أرض الحبشة لقريش متجرأً ووجهاً ، وكلّاهما مُشرِك شاعر فاتك وها في جاهليّتهما ؛ وكان عماره مُعجباً بالنساء صاحبَ تجارة ، فركبَا في السفينة ليالي . وحدّر عمره على زوجته من عماره ، فعل إِذَا شرب معه أقلّ عمره من الشراب ، وأرقَ لنفسه بالماء ؛ مخافة أن يسُكر فيغلهه عماره على أهله .

ثم إن عمراً جلس إلى ناحية السفينة ، فدفعه عماره في البحر . فلما وقع فيه سبح حتى أخذ بالقلنس^(٢) ، فارتفع فظاهر على السفينة . فقال له عماره : أما والله لو علمت يا عمرو أنك تحسن السباحة ما فعلت ؟ فاضطغناه عمرو ، وعلم أنه أراد قتله . فضيا على وجههما ذلك ، حتى قدِّمَا أرض الحبشة ونزلاهما ، وكتب عمرو بن العاص إلى أبيه العاص : أن أخلعنى^(٣) ، وتبرأ من جرينتي^(٤) إلى بني المغيرة وجميع بني مخزوم . وذلك أنه خشي على أبيه أن يتبع بجرينته وهو يرقد^(٥) لعمارة ما يقصد . فلما ورد الكتاب على العاص بن وائل مشى في رجال من قومه إلى بني المغيرة

* الأغانى : ٩ - ٥٦

(١) عماره بن الوليد : هو الذي دفعت به قريش إلى أبي طالب حين طلبوا إليه أن يسلم إليهم معداً (ص) ويأخذنه عوضاً عنه . (٢) القلس : حبل غليظ من حبال السفن . (٣) يقولون : إنا خلتنا فلانا ؛ فلا نأخذ أحداً بمنيّة تجني عليه ، ولا نؤخذ بمنيّاته التي يجنيها . (٤) جرينتي : جنديني . (٥) رصده رصداً ؛ رقه .

وغيرهم من بني مخزوم ؛ فقال : إن هذين الرجلَيْنِ قد خرجا حيث علمُ ، وكلاهما فاتكَ صاحبُ شَرّ ، وهو غيرُ مأمورَيْنِ على أنفسِهِما ، ولا ندري ما يكون ؛ وإنى أجزأ إلَيْكَما من عمرٍ و من جَرِيرَتِه ، وقد خلعتهُ .

قالت بنو المفيرة و بنو مخزوم : أنت تخافَ عمرًا على عمارةٍ ! وقد خلعنَا نحن عمارة ، وتبرأنا إلينك من جَرِيرَتِه ، فَخَلَّ بينَ الرجلَيْنِ .

قال السَّهْمِيُّونُ^(١) : فدَ قَبِلَنَا ؛ فابعثوا مُنَادِيًّا بمكَةَ : إنَّا قد خلعنَاها ، وَتَبَرَّأَ كلُّ قومٍ من أصحابِهِمْ وَمَاجِرَةِ عَلَيْهِمْ . فباعثوا مُنَادِيًّا يُنَادِي بمكَةَ بذلك . فقال الأسود ابن المطلبَ : بَطَلَ والله دُمُّ عمارة بن الوليد آخرَ الدهرِ !

فَلَمَّا اطمأنَّا بأرضِ الحبشةِ لم يلبثَ عمارةُ أن دَبَّ لأمرَةٍ عند النجاشيِّ فأدخلَتهُ فاختلطَ إليها . وجعلَ إذا رجعَ يُخْبِرُ عمرو بن العاصَ بما كانَ من أمرِهِ . بَعْدَ عمرو يقولُ : مَا أَصَدَّقُ أَنْكَ قَدَرْتَ عَلَى هَذَا الشَّأنَ ! إِنَّ الْمَرْأَةَ أَرْفَعُ مِنْ ذَلِكَ .

فَلَمَّا أَكْثَرَ عَلَى عمرو بما كانَ يُخْبِرُهُ قالَ لهُ : إِنَّ كُنْتَ صَادِقًا فَقُلْ لَهُ : إِنَّ دُهْنَكَ من دُهْنِ النجاشيِّ الَّذِي لَا يَدْهِنُ بِهِ غَيْرُهُ فَإِنِّي أَعْرِفُهُ ، لَوْ أَتَيْتَنِي بِهِ لَصَدَّقْتُكَ أَفْعُلُ عَمَارَةً فَجَاءَ بِقَارُورَةٍ مِنْ دُهْنِهِ ؛ فَلَمَّا شَمَّهُ عَرَفَهُ . فقالَ لَهُ عمرو عند ذلك : أَنْتَ صَادِقٌ ! لَقَدْ أَصَبْتَ شَيْئًا مَا أَصَابَ أَحَدًا مِثْلَهُ قَطُّ مِنْ الْعَرَبِ ، وَنَلَّتَ مِنَ الْمَرْأَةِ شَيْئًا ؛ مَا سَمِعْنَا بِمِثْلِ هَذَا - وَكَانُوا أَهْلَ جَاهْلِيَّةَ - ثُمَّ سَكَتَ عَنْهُ ؛ حَتَّى إِذَا اطمَّنَّ دَخَلَ عَلَى النجاشيِّ فقالَ : أَيْهَا الْمَلِكُ ! إِنَّ ابْنَ عَمِيْ سَفِيهَ^(٢) ، وقد خشيتُ أَنْ يَعْرَفَنِي عَنْدَكَ أَمْرُهُ ، وقد أَرْدَتُ أَنْ أُعْلِمَكَ شَأْنَهُ ؛ وَلَمْ أُفْعِلْ حَتَّى اسْتَبَنَتْ أَنَّهُ قد دَخَلَ عَلَى بَعْضِ نَسَائِكَ ، وَهَذَا مِنْ دُهْنِكَ قَدْ أُعْطِيَهُ وَدَهْنَنِي مِنْهُ .

(١) السَّهْمِيُّونُ : قَوْمٌ عَمْرُو بْنُ العاصِ . (٢) عَرَهُ : لَطْفَهُ بِيبِ .

فَلَمَا شِئَ النَّجَاشِيُّ الْجُهَنَّمَ قَالَ : صَدَقْتَ . هَذَا دُهْنِي الَّذِي لَا يَكُونُ إِلَّا عَنِي .
نَمْ دَعَا بِعُمَارَةَ وَدَعَا بِالسَّوَّاِحِرِ فَجَرَّدَهُ مِنْ ثِيابِهِ فَنَفَخْنَاهُ فِيهِ ، ثُمَّ خَلَّ سَبِيلَهُ ؛
فَرَجَ هَارِبًا .

فَلَمْ يَرْزُلْ بِأَرْضِ الْخَبْشَةِ حَتَّى كَانَتْ خَلَافَةُ عَمَّرَ بْنِ الْخَطَابِ ؛ فَخَرَجَ إِلَيْهِ
عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ ، فَرَصَدَهُ عَلَى مَاءِ بِأَرْضِ الْخَبْشَةِ ، وَكَانَ يَرِدُهُ مَعَ الْوَحْشِ
فَوَرَدَ ، فَلَمَّا وَجَدْ رِبْيَحَ الْإِنْسِيَّ هَرَبَ ، حَتَّى إِذَا أَجْهَدَهُ الْعَطْشُ وَرَدَ فَشَرِبَ حَتَّى
تَمَلَّأَ^(١) وَنَفَرَ ، فَخَرَجُوا فِي طَلَبِهِ .

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَبِيعَةَ : فَسَعَيْتُ^(٢) إِلَيْهِ فَالْتَّزَمَتْهُ ؛ فَجَعَلَ يَقُولُ لِي : يَا بَحِيرَ^(٣) ؟
أَرْسِلْنِي ! يَا بَحِيرَ أَرْسِلْنِي ، إِنِّي أَمُوتُ إِنْ أَمْسِكْتُمُونِي .

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ : وَضَعَفَتْهُ فَاتَتْ فِي يَدِي مَكَانَهُ . فَوَارَيْتُهُ ثُمَّ انْصَرَفْتُ ، وَكَانَ
شَعْرُهُ قَدْ غَطَى كُلَّ شَيْءٍ مِنْهُ

(١) امْتَلَأَ . (٢) كَانَ اسْمُ عَبْدِ اللَّهِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ بِحِيرًا ، وَسَمَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَبْدَ اللَّهِ .

* ٣٤ - في حَفْرِ زَمْزَمْ *

قال عبد المطلب بن هاشم : إنى لنائم في الحجر^(١) إذ أتاني آتٍ ، فقال : أحفر طيبة^(٢) ، قلت : وما طيبة ؟ فذهب عنى . فلما كان من الغد رجعت إلى مضجعى ، فنمت فيه ، فجاءنى فقال : أحفر برة^(٣) ، قلت : وما برة ؟ فذهب عنى . فلما كان الغد رجعت إلى مضجعى فنمت فيه ، فجاءنى فقال : أحفر المضنوة^(٤) ، فقلت : وما المضنوة ؟ فذهب عنى . فلما كان الغد رجعت إلى مضجعى ، فنمت فيه فجأنى ، فقال : أحفر زمزم ، إنك إن حفرتها لا تندم . فقلت : وما زمزم ؟ قال : لا تُنْزَفُ أبداً ولا تُنْذَم^(٥) ، تُسقى الحجيج الأعظم ، وهى بين الفرات والدم^(٦) ، عند نقرة الغراب الأعمى^(٧) ، عند قرية^(٨) النمل .

قال ابن إسحاق : فلما بَيْنَ لَهْ شَانَهَا ، وَدَلَّ عَلَى مَوْضِعِهَا ، وَعْرَفَ أَنَّهُ قَدْ صَدَقَ

* سيرة ابن هشام : ١ - ٩٨ ، البداية والنهاية لابن كثير : ٢ - ٢٢٤

(١) الحجر : ماحواه الحطيم المدار بالكمبة من جانب الشimal (٢) طيبة . بكسر الطاء : اسم زمزم ، قيل سميت بذلك لأنها للطيبين والطيبات من أولاد إسماعيل . أما طيبة بفتح الطاء فى اسم لمدينة الرسول (٣) برة : اسم لزمزم أيضاً . قال فى الروض الأنث : هو اسم صادق عليها لأنها فاضت للأبرار (٤) المضنوة : سميت المضنوة ، لأنها ضن بها على غير المؤمنين (٥) لا تندم : من قول العرب : بئر ذمة ، أى قليلة الماء ، والمعنى أن ماءها لا ينقطع أبداً (٦) روى أنه لما قام ليغفرها رأى ما رسم له من قرية النمل ونقرة الغراب ولم ير الفرات والدم ، فبينا هو كذلك ندت بقرة من جازرها ، فلم يدر كها حتى دخلت المسجد الحرام ، فنحرها فى الموضع الذى رسم لعبد المطلب ، فسأل هناك الفرات والدم ، خفر عبد المطلب حيث رسم له (٧) الغراب الأعمى : الذى فى جناحيه يياض (٨) شبه مكان زمزم - الذى يرد إليها الحجاج والعمار من كل جانب فيصلون إليها البر والشعير وغير ذلك ، وهى لا تحرث ولا تزرع ، بقرية النمل التى لا تحرث ولا تزرع ولا تبذر ، وتجلب إليها الحبوب من كل جانب .

غدا بمعوله ، ومعه ابنته الحارث^{بن عبد المطلب} ، ليس معه يومئذ ولد غيره ،
خفر فيها .

فَلَمَّا بَدَا لَهُ الْطَّوَى^(١) كَبَرَ ، فَعَرَفَ قَرِيشٌ أَنَّهُ قَدْ أَدْرَكَ حَاجَتَهُ ، فَقَامُوا
إِلَيْهِ ، فَقَالُوا : بَا عَبْدَ الْمَطْلَبِ ؟ إِنَّهَا بَنْزُ أَبِينَا إِسْمَاعِيلَ ؛ وَإِنَّ لَنَا فِيهَا حَقًا ، فَأَشْرَكُنَا
مَعَكَ فِيهَا . قَالَ : مَا أَنَا فَاعِلٌ ؛ إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ قَدْ خُصِّصَتْ بِهِ دُونَكُمْ ،
وَأُعْطِيَتْهُ مِنْ بَيْنِكُمْ . فَقَالُوا لَهُ : فَأَنْصِفْنَا ؛ فَإِنَّا غَيْرُ تَارِكِيكَ حَتَّى نُخَاصِّمَكَ فِيهَا ،
قَالَ : فَاجْعَلُوهَا يَبْنِي وَيَبْنِكُمْ مَنْ أَحَدٌ كُمُّكُمْ إِلَيْهِ . قَالُوا : كَاهِنَةُ بْنِ سَعْدٍ . قَالَ :
نَعَمْ - وَكَانَتْ بِالشَّامِ .

فَرَكِبَ عَبْدُ الْمَطْلَبِ وَمَعْهُ نَفَرٌ مِّنْ بَنِي أَمِيَّةَ مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنَافَ ، وَرَكِبَ مِنْ
كُلِّ قَبْيَةٍ مِّنْ قَرِيشٍ نَفَرٌ - وَالْأَرْضَ إِذْ ذَاكَ مَفَازٌ - فَخَرَجُوا حَتَّى إِذَا كَانُوا بِعِصْرِ
تَلْكَ الْمَفَازِ بَيْنَ الْمَجَازِ وَالشَّامِ فَنِيَّ مَاءُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ وَأَصْحَابِهِ ، فَظَمِنُوا حَتَّى أَيْقَنُوا
بِالْمَلَكَةِ ، فَاسْتَسْقُوا مَنْ مَعَهُمْ مِّنْ قَبَائِلِ قَرِيشٍ ، فَأَبْرَأُوا عَلَيْهِمْ ؛ وَقَالُوا : إِنَّا بِمَفَازَةِ
وَنَحْنُ نَخْشَى عَلَى أَنفُسِنَا مِثْلَ مَا أَصَابَكُمْ .

فَلَمَّا رَأَى عَبْدُ الْمَطْلَبِ مَا صَنَعَ الْقَوْمُ ؛ وَمَا يَتَخَوَّفُ عَلَى نَفْسِهِ وَأَصْحَابِهِ قَالَ : مَاذَا
تَرَوْنَ ؟ قَالُوا : مَا رَأَيْنَا إِلَّا تَبَعَّ لِرَأْيِكَ ، فَرَنَّا بِمَا شَتَّتَ . قَالَ : فَإِنِّي أَرَى أَنْ يَخْفِرَ
كُلُّ رَجُلٍ مِّنْكُمْ حُفْرَتَهُ لِنَفْسِهِ بِمَا بَكَمُ الْآنَ مِنَ الْقُوَّةِ ، فَكَلِمَاتُ رَجُلٍ دَفَعَهُ
أَصْحَابُهُ فِي حُفْرَةَ ، ثُمَّ وَارَوْهُ حَتَّى يَكُونَ آخِرُكُمْ رَجُلًا وَاحِدًا ؛ فَضْيَعَةُ رَجُلٍ
وَاحِدٌ أَيْسَرُ مِنْ ضَيَّعَةِ رَكْبٍ جَمِيعِهِ . قَالُوا : نَعَمْ مَا أَمْرَتَ بِهِ ! قَامَ كُلُّ وَاحِدٍ
مِّنْهُمْ خَفَرَ حُفْرَتَهُ ؛ ثُمَّ قَدْ يَنْتَظِرُ الْمَوْتَ عَطْشًا .

ثُمَّ إِنَّ عَبْدَ الْمَطْلَبَ قَالَ لِأَصْحَابِهِ : وَاللَّهِ إِنِّي لِقَاتُنَا بِأَيْدِينَا هَكَذَا لِلْمَوْتِ -

(١) الطوى : البُر المطوية بالمحارة .

لَا نُنْسِبُ فِي الْأَرْضِ ، وَلَا نَبْتَغِي لِأَنفُسِنَا - لَعَجْزٌ ، فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَرْزُقَنَا مَا يَعْصِي
الْبَلَادَ ، ارْتَحَلُوا . فَارْتَحَلُوا حَتَّى إِذَا فَرَغُوا ، وَمَنْ مِنْهُمْ مِنْ قَبَائِلَ قَرِيشٍ يَنْظَرُونَ إِلَى
مَا هُمْ فَاعْلَوْنَ ، تَقدَّمَ عَبْدُ الْمَطَّلِبَ إِلَى رَاحِلَتِهِ فَرَكِبَهَا ؛ فَلَمَّا ابْعَثَتْ بَهُ افْجُورَتْ مِنْ
تَحْتِ خُفْيَهَا عَيْنُ مِنْ مَاءِ عَذْبٍ ، فَكَبَرَ عَبْدُ الْمَطَّلِبَ وَكَبَرَ أَصْحَابُهُ ؛ ثُمَّ نَزَلَ فَشَرَبَ
وَشَرَبَ أَصْحَابُهُ ، وَاسْتَقُوا حَتَّى مَلَئُوا أَسْقِيَتِهِمْ .

ثُمَّ دَعَا الْقَبَائِلَ مِنْ قَرِيشٍ ؛ فَقَالُوا لَهُمْ : هَلُمُوا إِلَى الْمَاءِ فَقَدْ سَقَانَا اللَّهُ ؛ فَاشَرَبُوا
وَاسْتَقُوا . فَجَاءُوهُمْ فَشَرَبُوا وَاسْتَقُوا ؛ ثُمَّ قَالُوا : وَاللَّهِ قَدْ قُضِيَ لَكُمْ عِلْمًا يَا عَبْدَ الْمَطَّلِبِ ؛
وَاللَّهُ لَا نَخَاصِمُكَ فِي زَمْنٍ أَبْدًا ؛ إِنَّ الَّذِي سَقَاكَ هَذَا الْمَاءَ بِهَذِهِ الْفَلَّةِ لَهُوَ الَّذِي
سَقَاكَ زَمْنَمْ ! فَازْجَعَ إِلَى سِقَائِتِكَ رَأْشِدًا . فَرَجَعَ وَرَجَعُوا مَعَهُ ، وَلَمْ يَصْلُوا إِلَى
السَّكَاهَةَ ، وَخَلَوْا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهَا !

* ٣٥ - سيفُ بن ذي يزن والبشاره برسول الله *

لما ظَفَرَ سَيْفُ^(١) بْنُ ذِي يَزَنَ بِالْجَبَشَةِ؛ أَتَى وَفْدُ الْعَرَبِ: خَطْبَاهَا وَأَشْرَافُهَا
وَشُعْرَاؤُهَا لَهْنَثَتِهِ وَمَذْحِهِ، وَذِكْرٌ مَا كَانَ مِنْ بَلَانَهُ وَطَلْبَهُ بِثَارِ قَوْمِهِ . وَقَدَمَ إِلَيْهِ
وَفْدُ قَرِيشٍ، وَفِيهِمْ عَبْدُ الْمَطْلَبِ بْنُ هَاشِمٍ، وَأُمَّيَّةُ بْنُ عَبْدِ شَمْسٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ
جُذْعَانَ، وَأَسَدُ بْنُ خُوَيْلَدَ بْنُ عَبْدِ الْعَزَّى، فِي نَاسٍ مِنْ أَشْرَافِ قَرِيشٍ. فَلَمَّا قَدَمُوا
عَلَيْهِ وَجَدُوهُ فِي رَأْسِ قَصْرٍ يَقَالُ لَهُ غَمْدَانٌ، فَأَسْتَأْذَنُوا عَلَيْهِ، فَأَذْنَنَ لَهُمْ؛ فَدَخَلُوا
عَلَيْهِ، فَإِذَا الْمَلِكُ مُضْمَخٌ بِالْعَنَبِ^(٢)، يُرْسَى وَيَمْضِي الطَّيِّبُ مِنْ مَفْرِقِهِ^(٣)، عَلَيْهِ
بُرْدَانٌ مُؤْتَزِّرٌ بِأَحْدَاهَا، مُرْتَدٌ بِالْآخِرِ، سَيْفُهُ بَيْنِ يَدِيهِ، وَعَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ يَسِيرِهِ
الْمَلُوكُ وَأَبْنَاءُ الْمَلُوكِ وَالْمَقاُولُ^(٤).

فَدَنَا عَبْدُ الْمَطْلَبِ وَاسْتَأْذَنَ فِي السَّكَلَام؛ فَقَالَ لَهُ: إِنْ كُنْتَ مِنْ يَتَكَلَّمُ بَيْنِ يَدِي
الْمَلُوكِ فَتَكَلَّمْ، فَقَدْ أَذْنَنَا لَكَ . فَقَالَ عَبْدُ الْمَطْلَبِ: إِنَّ اللَّهَ أَحْلَكَ - أَيْهَا الْمَلِكَ - مَحْلًا رَفِيعًا،
صَعِبًا مَنِيعًا، شَاغِلًا بِادْخَالِهِ، وَأَبْنَتَكَ مَنْبِتًا طَابِتَ أَرْوَمَتَهُ^(٥)، وَعَزَّتْ جُرْمُوْمَتَهُ^(٦)،
وَثَبَتَ أَصْلُهُ، وَبَسَقَ فَرَعَهُ^(٧) . فِي أَكْرَمِ مَوْطَنِهِ، وَأَطِيبِ مَعْدِنِهِ، وَأَنْتَ أَيْتَ
اللَّعْنَ^(٨) - مَلِكُ الْعَرَبِ وَرِبُّهَا الَّذِي بِهِ تُخَصِّبُ، وَأَنْتَ أَيْهَا الْمَلِكَ - رَأْسُ الْعَرَبِ
الَّذِي إِلَيْهِ تَنْقَادُ، وَعَمَودُهَا الَّذِي عَلَيْهِ الْعِمَادُ، وَمَعْقُلُهَا الَّذِي تَلْجَأُ إِلَيْهِ الْعِبَادُ، سَلَفُكَ

* البداية والنهاية لابن كثير : ٢ - ٣٢٨ ، الأغاني : ١٦ - ٧٥ ، طبعة بولاق ، العقد : ١ - ١٧٥ ، بلوغ الأربع : ٢ - ٢٦٦ ، المختار من توادر الأخبار - مخطوط .

(١) هو ملك اليمن من قبل كسرى أنوشروان ، كان يكتبه ويصدر عن رأيه إلى أن قتل يده الأحباش قبيل الإسلام (٢) التضريح : لطخ الجسم بالطيب حتى كأنه يقطر (٣) الوبيس : اللعن ، ومفرق الرأس حيث يفرق فيه الشعر (٤) المقاول : جمع مقول ، وهو الرئيس دون الملك (٥) الأروفة : الأصل (٦) الجرنومة : الأصل (٧) بسق : طال (٨) من تحريات ملوك العرب في الجاهلية .

خِيرُ سلف ، وأنت لَنَا مِنْهُمْ خِيرُ خَلَفَ ، وَلَنْ يَخْمُلَ ذِكْرُهُ مِنْ أَنْتَ سَلَفُهُ ، وَلَنْ
يَهْلِكَ مَنْ أَنْتَ خَلَفُهُ . وَنَحْنُ - أَيْهَا الْمَلِك - أَهْلُ حَرَامِ اللَّهِ وَسَدَنَةُ بَيْتِهِ ،
أَشْخَصَنَا إِلَيْكَ الَّذِي أَبْهَجَنَا ؛ لِكَشْفِ الْكَرْبَابِ الَّذِي فَدَحْنَا ؛ فَنَحْنُ وَفَدُ
الْتَّهْنِيَّةِ لَا وَفَدُ الْمَرْزَقَةِ (١) .

فَقَالَ ابْنُ ذِي يَزْنٍ : فَأَيْهُمْ أَنْتَ أَيْهَا الْمُتَكَلِّمُ ؟ قَالَ : أَنَا عَبْدُ الْمَطَلِّبِ بْنُ هَاشِمٍ .
قَالَ : ابْنُ أَخْتِنَا ؟ قَالَ : نَعَمْ ابْنُ أَخْتِنَا . قَالَ : ادْنُ ، فَادْنَاهُ وَقَالَ : مَرْجِبًا وَأَهْلًا ،
وَنَاقَةً وَرَحْلًا ، وَمُسْتَنَاخًا سَهْلًا ، وَمَلِكًا رِبْحَلًا (٢) ، يُعْطَى عَطَاءً جِبْلًا . قَدْ سَمِعَ
الْمَلِكُ مَقَالَتَكُمْ ، وَعَرَفَ قَرَابَتَكُمْ ، وَقَبِيلَ وَسِيلَتَكُمْ ، فَأَنْتُمْ أَهْلُ اللَّيلِ وَالنَّهَارِ ،
لَكُمُ الْكَرَامَةُ مَا أَقْتُمُ ، وَالْحِبَاءُ (٣) إِذَا طَعْنَتُمْ . ثُمَّ اسْتَهِضُوا إِلَى دَارِ الصِّيَافَةِ وَالْوَفُودِ ؛
فَأَقَامُوا شَهْرًا لَا يُؤْذَنُ لَهُمْ وَلَا يَصِلُونَ إِلَيْهِ .

ثُمَّ اتَّبَعَهُ اتَّبَاعَهُ ؛ فَأُرْسِلَ إِلَى عَبْدِ الْمَطَلِّبِ ، فَأَخْلَاهُ (٤) وَأَدْنَى مَجْلِسَهُ ، وَقَالَ :
يَا عَبْدَ الْمَطَلِّبِ : إِنِّي مُفْضٌ إِلَيْكَ مِنْ سِرِّي وَعَلَيِّ مَا لَوْ كَانَ غَيْرُكَ لَمْ أَبُخْ لَهُ ؛ وَلَكِنِّي
رَأَيْتُكَ مَعْدِنَهُ ، فَأَطْلَعْتُكَ عَلَيْهِ ؛ فَلَيْكَنْ عَنْدَكَ مَطْوِيًّا حَتَّى يَأْذَنَ اللَّهُ فِيهِ ؛ فَإِنَّ
اللَّهَ بِالْعُلُوِّ أَمْرَهُ . إِنِّي أَجَدُ فِي الْكِتَابِ الْمَكْنُونَ ، وَالْعِلْمِ الْخَرْزُونَ ، الَّذِي اخْتَرْنَاهُ
لِأَنْفُسِنَا ، وَاحْتَجَبْنَاهُ دُونَ غَيْرِنَا ، خَبِيرًا عَظِيمًا ، وَخَطِرًا جَسِيمًا ، فِيهِ شُرُفُ الْحَيَاةِ ،
وَفَضْيَلَةُ الْوَقَاءِ ، وَهُوَ لِلنَّاسِ عَامَةُ ، وَلِرَهْطَكَ كَافَةُ ، وَلَكَ خَاصَّةُ .

قَالَ عَبْدُ الْمَطَلِّبِ : أَيْهَا الْمَلِكُ ؛ فَثَلَاثُكَ مَنْ سَرَّ وَبَرَّ ، فَهُوَ ، فِدَاكَ أَهْلُ الْوَبَرَ ،
زُمَرًا بَعْدَ زُمَرَ ، قَالَ : إِذَا وُلِدَ بِتِهَامَةَ غَلامٌ بَيْنَ كَتْنِيَّهِ شَامَةَ ، كَانَتْ لَهُ الْإِمَامَةُ
وَلَكُمْ بِهِ الرِّعَايَةُ ، إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ .

(١) رِزَأَهُ مَالَهُ : أَصَابَ مَنْ شَيْئًا وَرِزَأَهُ رِزَأُهُ وَمَرْزَقَةُهُ : أَصَابَ مَنْهُ خِيرًا ، أَيْ لَسْنَا وَانْدِين
الْعَيَّاءُ (٢) الرِّبْحَلُ : الْكَثِيرُ الْعَطَاءُ (٣) الْحِبَاءُ : الْعَطَاءُ (٤) أَخْلَاهُ : خَلَابُهُ .

قال له عبد المطلب : أبىتَ اللعن ! لقد أتيتُ بخبارٍ ما أتى بهنّه وافد ، فلولا
هيّةُ الْمِلَكِ وإجلاله وإعظامه ، لسألتهُ مِنْ كَشْفِ بشارتهِ إِيَّاهُ مَا أَزْدَادُ به سروراً .

قال ابنُ ذِي يَزَنْ : نبِيٌّ هذَا حِينَهُ الَّذِي يُولَدُ فِيهِ – أَوْ قَدْ وُلِدَ – اسْمُهُ أَحْمَدْ ؛
يَوْمَتُ أَبُوهُ وَأَمْهُ ، وَيَكْفُلُهُ جَدُّهُ وَعَمُّهُ ، وَاللَّهُ بَاعْتَهُ جَهَارًا ، وَجَاعَلَ مَنَّا لَهُ أَنْصَارًا ،
يُعِزُّ بَهُمُ الْوَلِيَّاءُ ، وَيُذْلِلُهُمُ الْأَعْدَاءُ ؛ يُسْكِرُ الْأَوْثَانَ ، وَيُخْمِدُ النَّيْرانَ ، وَيُعْبُدُ الرَّحْمَنَ ،
وَيُزَجِّرُ الشَّيْطَانَ ؛ قَوْلُهُ فَصْلٌ ، وَحُكْمُهُ عَدْلٌ ؛ يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَا ، وَيَنْهَا
عَنِ النَّكَرِ وَيُبْطِلُهُ .

قال عبد المطلب : أَيْهَا الْمَلَكُ ؟ عَزَّ جَدُّكُ ، وَعَلَا كَعْبُكُ ، وَطَابَ مُلْكُكُ ،
وَطَالَ عُزْرُكُ ! فَهَلَ الْمَلَكُ سَارِّي يَأْفَصَاحٌ ؟ فَقَدْ أَوْضَحَ بَعْضَ الإِيَاضَاحِ !

قال ابنُ ذِي يَزَنْ : وَالْبَيْتُ ذِي الْحُجُبِ ، وَالْعَلَامَاتُ وَالنَّصْبُ ^(١) ، إِنَّكَ
يَا عَبْدَ الْمَطَلَبِ ، لَجَدُّهُ غَيْرُ السَّكِّبِ . فَخَرَّ عبدُ الْمَطَلَبِ ساجِدًا ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ ؛
قال له ابنُ ذِي يَزَنْ : ارْفِعْ رَأْسَكُ ، تَلِيجْ صَدْرَكُ ، وَعَلَا أَمْرُكُ ! فَهَلْ أَحْسَستَ
شَيْئًا مَا ذَكَرْتُ لَكُ ؟ قَالَ : نَعَمْ ؛ أَيْهَا الْمَلَكُ ! كَانَ لِي ابْنٌ وَكُنْتُ عَلَيْهِ شَفِيقًا ، وَبِهِ
رَفِيقًا ؛ فَزَوَّجْتُهُ كَرِيمَةً مِنْ كَرَامِ قَوْمِي ، وَهِيَ آمِنَةُ بَنْتُ وَهْبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافِ ؛
فَأَتَتْ بَغْلَامٌ سَمِيتُهُ مُحَمَّدًا ، مَاتَ أَبُوهُ وَأَمْهُ ، وَكَفَلْتُهُ أَنَا وَعَمَّهُ ، بَيْنَ كَفِيفِي شَامَةَ ،
وَفِيهِ كُلُّ مَا ذَكَرَ الْمَلَكُ مِنْ عَلَامَةٍ .

قال ابنُ ذِي يَزَنْ : إِنَّ الَّذِي قَلْتُ لَكَ لَكَ قَلْتُ ؛ فَاحْتَفَظْ بِابْنِكُ ، وَاحْذِرْ
عَلَيْهِ مِنَ الْيَهُودِ ؛ فَإِنَّهُمْ لِهِ أَعْدَاءُ ، وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُمْ عَلَيْهِ سَبِيلًا ، وَاللَّهُ مَظْهَرُهُ دَعْوَتَهُ ،
وَنَاصِرُ شِيعَتَهُ ؛ فَاطُو مَا ذَكَرْتُهُ لَكَ دُونَ هُؤُلَاءِ الرَّهْطِ الَّذِينَ مَعَكُ ، فَإِنِّي لَسْتُ أَمْنُ

(١) النَّصْبُ : كُلُّ مَا عَبَدَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، جَمِيعُ الْأَنْصَابِ .

أَن تُدَاخِلْهُم النَّفَاسَةَ^(١) ، مِنْ أَن تَكُونَ لَكَ الرِّيَاسَةُ ؟ فَيَبْغُونَ لَهُ الْفَوَائِلُ . وَيَنْصُبُونَ
لَهُ الْحِبَايَالَ ، وَهُمْ فَاعُولُونَ ذَلِكَ ، أَوْ أَبْنَاوُهُمْ : وَلَوْلَا أَنِ الْمَوْتَ يَجْتَاهُنِي قَبْلَ
مَبْعِثِهِ لِسَرْتُ بِخَيْلِي وَرَجْلِي حَتَّى أَصِيرَ بَيْثِرَبَ دَارِمُلْكَهُ ؛ فَأَكُونَ أَخَاهُ وَوَزِيرُهُ ،
وَصَاحِبَهُ وَظَهِيرُهُ ؛ فَإِنِّي أَجَدُ فِي الْكِتَابِ السَّكُونَ ، وَالْعِلْمَ الْخَزُونَ ، أَنَّ فِي يَتْرَبَ
اسْتِحْكَامَ أَمْرِهِ ، وَأَهْلَ نُصْرَتِهِ ، وَارْتِفَاعَ ذَكْرِهِ ؛ وَمَوْضِعَ قَبْرِهِ ، وَلَوْلَا الدَّمَامَةَ^(٢)
لَأَظْهَرْتُ أَمْرَهُ ، وَأَوْطَلْتُ الْعَرَبَ كَعْبَهُ ، عَلَى حَدَاثَةِ سَنَهُ ؛ وَلَكُنِي صَارَفْتُ ذَلِكَ
إِلَيْكَ ، عَنْ غَيْرِ تَقْصِيرِ بَكَ .

ثُمَّ أَمْرَ لِكُلِّ رَجُلٍ مِنَ الْقَوْمِ بِعَشْرَةِ أَعْبُدِ وَعِشْرِ إِمَاءِ سُودَ ، وَحُلْتَينِ مِنْ حُلْلِ
الْيَمِّ ، وَخَمْسَةِ أَرْطَالِ ذَهَبٍ وَعَشْرَةِ أَرْطَالِ فِضَّةٍ ، وَكَرِشٍ مَلْوَهٍ بِالْعَنْبَرِ .
وَلَعْبَدُ الْمَطْلَبُ بِعَشْرَةِ أَمْثَالِ ذَلِكَ .

وَقَالَ لَهُ : إِذَا حَالَ الْخَوْلُ فَأَتَنِي بِأَمْرِهِ وَمَا يَكُونُ مِنْ خَبَرِهِ . فَمَاتَ ابْنُ ذِي يَزْنَ
قَبْلَ أَنْ يَحُولَ الْخَوْلُ !

فَكَانَ عَبْدُ الْمَطْلَبَ كَثِيرًا مَا يَقُولُ : يَا مُعْشَرَ قُرْبَشَ ؟ لَا يَغْبِطَنِي رَجُلٌ مِنْكُمْ
بِجزِيلِ عَطَاءِ الْمَلِكِ ، وَإِنْ كَانَ كَثِيرًا ، فَإِنَّهُ إِلَى نَفَادِ ، وَلَكُنِي لَيَغْبِطُنِي بِمَا يَبْقَى لِي
وَلِيَقْبَى ذَكْرُهُ وَفَخْرُهُ وَشَرْفُهُ .

فَإِذَا قِيلَ لَهُ : وَمَا ذَاكَ ؟ قَالَ : سَتَعْلَمُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ بَعْدَ حِينَ !

(١) النَّفَاسَةُ : الْحَسْدُ ، نَفْسُ عَلَيْكَ فَلَانْ يَنْفَسُ نَفْسًا وَنَفَاسَةً : حَسْدَكَ (٢) النَّمَامَةُ : كُلُّ
حَرْمَةٍ تَلْزِمُكَ – إِذَا غَيَّمْتَهَا – الْمَذْمَةُ .

* - ٣٦ بـشـارـة بـحـيـرـى

خرج أبو طالب^(١) بن عبد المطلب في رَكْبِ إِلَى الشام. تاجراً ، فلما تهياً للرحيل وأجمع المسير، صَبَّ^(٢) به رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا يَزْعُمُونَ ، فرقَ لَهُ وقال : والله لا يُخْرِجُنَّ به معي ولا يفارقني ولا أفارقه أبداً . فخرج به.

فَلَمَّا نَزَلَ الرَّكْبُ بِصُرَىٰ^(٣) مَرَّوا بِيَحِيرَىٰ^(٤) - وَكَانُوا كَثِيرًا مَا يَعْرُونَ بِهِ قَبْلَ ذَلِكَ فَلَا يَكْلَمُهُمْ ، وَلَا يَرْعِضُهُمْ - حَتَّىٰ كَانَ ذَلِكَ الْعَامُ ، فَلَمَّا فَرَّزْلُوا بِهِ قَرِيبًا مِّنْ صَوْمَعَتَهُ صَنْعَ^(٥) لَهُمْ طَعَامًا كَثِيرًا ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ قَوْلًا : إِنِّي قَدْ صَنَعْتُ لَكُمْ طَعَامًا يَامِعْشَرْ قَرِيشَ ، وَأَحِبُّ أَنْ تَخْضُرُوا كُلُّكُمْ صَغِيرُكُمْ وَكَبِيرُكُمْ ، وَعَبْدُكُمْ وَحَرَثُكُمْ . قَالَ لَهُ رَجُلٌ مِّنْهُمْ : وَاللهِ يَا يَحِيرَىٰ إِنَّكَ لَشَانَّا الْيَوْمَ ! مَا كَنْتَ تَصْنَعُ هَذَا بَنَا وَقَدْ كُنَّا نَمْرُثُ بِكَ كَثِيرًا ! فَإِنَّكَ لَشَانُكَ الْيَوْمَ ؟ قَالَ لَهُ يَحِيرَىٰ : صَدِقْتَ ، قَدْ كَانَ مَا تَقُولُ ؛ وَلَكُنْكُمْ ضَيْفٌ^(٦) ، وَقَدْ أَحِبَّتُ أَنْ أَكْرِمَكُمْ وَأَصْنَعَ لَكُمْ طَعَامًا ، فَتَأْكُلُوا مِنْهُ كُلُّكُمْ .

فاجتمعوا إليه ، وتخالف رسول الله من بين القوم لحداثة سنّه ، في رحال القوم
تحت الشجرة ، فلما نظر بحيرى في القوم ، ولم ير الصفةَ التي يعرفُ ويتمدّها عنده قال :

* ابن هشام: ١ - ١١٨ .

- (١) كان أبو طالب هو الذى ولـى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد وفاة جده عبد الصلب
- (٢) الصيابة : رقة الشوق ، يقال : صبيت (بكسر الباء) أصب ، وكانت سن رسول الله إذ ذاك تسع سـين فـيـا ذـكـرـ بـعـنـ مـنـ أـلـفـ فـيـ السـيـرـ ، وـقـالـ الطـبـرـىـ : كـانـ سـنـهـ اـثـنـيـ عـشـرـ سـنـةـ .
- (٣) بصرى : من أرض الشام (٤) كان بحيرى يقيم فى صـفـاعـةـ لـهـ هـنـاكـ وـكـانـ إـلـيـهـ عـلـمـ أـهـلـ
- (٥) النـصـارـىـ زـعـمـواـ أـنـهـ رـأـىـ رـسـوـلـ الـلـهـ وـهـوـ فـيـ صـوـمـعـتـهـ فـيـ الرـكـبـ حـيـنـ أـقـبـلـوـاـ وـعـمـامـةـ قـطـلـلـهـ مـنـ بـينـ
- الـقـوـمـ ، ثـمـ أـقـبـلـوـاـ فـيـ ظـلـ شـجـرـةـ قـرـبـاـ مـنـهـ ، فـنـظـرـ إـلـىـ الـفـاهـمـةـ حـيـنـ أـظـلـتـ الشـجـرـةـ ، وـتـهـرـرـتـ
- أـغـصـانـ الشـجـرـةـ عـلـىـ رـسـوـلـ الـلـهـ حـتـىـ اـسـتـظـلـتـ تـعـتـمـهاـ (٦) الضـيـفـ : يـطـلـقـ عـلـىـ الـوـاحـدـ وـالـجـمـعـ .

يامَسْتَرَ قُرْيُشَ ، لَا يَتَخَلَّفُ أَحَدٌ مِنْكُمْ عَنْ طَعَامِي . قَالَوْا لَهُ : يَا بَحِيرَى ، مَا تَخَلَّفَ عَنْكَ أَحَدٌ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَأْتِيَكَ إِلَّا غَلَامًا ، وَهُوَ أَحَدُ ثُقُولِ الْقَوْمِ سَنًا . قَالَ : لَا تَفْعَلُوا ، اذْعُوهُ فَلَيَحْضُرُ هَذَا الطَّعَامُ مَعَكُمْ . قَالَ رَجُلٌ مِنْ قُرْيُشَ مَعَ الْقَوْمِ : وَاللَّاتِ وَالْعَزَى إِنْ كَانَ لَوْمُ بَنِي أَنْ يَتَخَلَّفَ إِبْرَاهِيمَ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْمُطَلَّبِ عَنْ طَعَامٍ مِنْ بَيْنِ أَنْتُمْ . ثُمَّ قَامَ إِلَيْهِ فَاحْتَضَنَهُ ، وَأَجْلَسَهُ مَعَ الْقَوْمِ .

فَلَمَّا رَأَاهُ بَحِيرَى ، جَعَلَ يَلْحَظُهُ لَحْظَةً شَدِيدَأَ ، وَيَنْظُرُ إِلَى أَشْيَاءِ مِنْ جَسَدِهِ – وَقَدْ كَانَ يَجْدِهَا عِنْدَهُ مِنْ صِفَتِهِ – حَتَّى إِذَا فَرَغَ الْقَرْمُ مِنْ طَعَامِهِمْ وَتَفَرَّقُوا ؛ قَامَ إِلَيْهِ بَحِيرَى قَالَ : يَا غَلَامُ ؛ أَسْأَلُكُ بِحَقِّ اللَّاتِ وَالْعَزَى إِلَّا مَا خَبَرْتَنِي عَمَّا أَسْأَلُكُ عَنْهُ – وَإِنَّمَا قَالَ لَهُ بَحِيرَى ذَلِكَ لِأَنَّهُ سَمِعَ قَوْمَهُ يَحْلِفُونَ بِهِمَا .

قَالَ الرَّاوِي : زَعَمُوا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : لَا تَسْأَلُنِي بِاللَّاتِ وَالْعَزَى شَيْئًا ، فَوَاللَّهِ مَا أَبْغَضْتُ شَيْئًا قَطَّ بِغْضَبِهِمَا ! قَالَ لَهُ بَحِيرَى : فَبِاللَّهِ إِلَّا مَا أَخْبَرْتَنِي عَمَّا أَسْأَلُكُ عَنْهُ ! قَالَ لَهُ : سَلْفِي عَمَّا بَدَأَ لَكَ . فَجَعَلَ يَسْأَلُهُ عَنْ أَشْيَاءِ مِنْ حَالَهُ فِي نُومِهِ وَهِيَتِهِ وَأَمْوَارِهِ ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ يُخَبِّرُهُ ؛ فَيُوافِقُ ذَلِكَ مَا عَنِدَ بَحِيرَى مِنْ صِفَتِهِ ، ثُمَّ نَظَرَ إِلَى ظَهِيرَهُ فَرَأَى خَاتَمَ النَّبُوَةِ بَيْنَ كَتْفَيْهِ عَلَى مَوْضِعِهِ مِنْ صِفَتِهِ الَّتِي عِنْدَهُ .

فَلَمَّا فَرَغَ أَقْبَلَ عَلَى عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ ، وَقَالَ لَهُ : مَا هَذَا الْفَلَامُ مِنْكَ ؟ قَالَ : أَبْنِي . قَالَ لَهُ بَحِيرَى : مَا هُوَ بِابْنِكَ ، وَمَا يَنْبَغِي لِهَذَا الْفَلَامَ أَنْ يَكُونَ أَبُوهُ حَيَا ! قَالَ : فَإِنَّهُ أَبْنِي أُخْرِي . قَالَ : فَمَا فَعَلَ أَبُوهُ ؟ قَالَ : ماتَ وَأَمْتَهُ حُبَّلَ بِهِ . قَالَ : صَدِقْتَ ! فَارْجَعْ بِابْنِ أَخِيكَ إِلَى بَلْدِهِ ، وَاحْذَرْ عَلَيْهِ يَهُودَ ، فَوَاللَّهِ لَئِنْ رَأَوْهُ وَعْرَفُوا مِنْهُ مَا عَرَفْتُ لِيَبْقَيْنَهُ شَرًا ، فَإِنَّ لَابْنِ أَخِيكَ هَذَا شَأْنًا عَظِيمًا ، فَأَسْرِعْ بِهِ إِلَى بَلْدِكَ . فَخَرَجَ بِأَبْوَ طَالِبٍ سَرِيعًا حَتَّى أَقْدَمَهُ مَكَّةَ حِينَ فَرَغَ مِنْ تَجَارِتِهِ بِالشَّامِ !

* ٣٧ — في بعثة رسول الله

قال العباس بن عبد المطلب :

خرجتُ في تجارة إلى اليمن ، في ركبِ منهم أبو سفيان بن حرب ، فقدمتُ
اليمن ، فكنتُ أصنع يوماً طعاماً وأنصرفُ بأبي سفيان وبالنفر ، ويصنع أبو سفيان
يوماً ، فيفعل مثل ذلك . فقال لي في يومي الذي كفتُ أصنع فيه : هل لك
يأبا الفضل أن تصرفَ إلى بيتي وترسلَ إلى عدائك ؟ قلتُ : نعم ، فانصرفتُ أنا
والنفرُ إلى بيته وأرسلتُ إلى الغداء .

فما تقدّى القوم قاموا واحتبسني فقال لي : هل علمتَ يا أبا الفضل أن ابنَ
أخيك يزعمُ أنه رسولُ الله ؟ قلتُ : وأيُّ بْنٍ أخي ؟ قال أبو سفيان : إبْرَاهِيمَ تَكْرِمَ !
وأيُّ بْنٍ أخيك ينبغي أن يقولَ هذا إلا رجلٌ واحدٌ ! قلتُ : وأيُّهُم هو على ذلك ؟
قال : محمد بن عبد الله . قلتُ : ما فعل ! قال : بلى قد فعل ! ثم أخرج إلى كتاباً
من ابنه حنظلة بن أبي سفيان فيه : « إن مُحَمَّداً قام بالابطح^(١) غدوةً » فقال : أنا
رسولُ اللهِ أدعوك إلى الله ».

قلتُ : يا أبا حنظلة ، لعلَّه صادق ! قال : « مهلاً يا أبا الفضل ؟ فوالله ما أحب
أن تقولَ مثلَ هذا ، وإنِّي لأخْشى نَسْكَونَ عَلَى بَصَرٍ من هذا الأمر . ثم قال :
يا بْنَى عبدِ المطلب ، إِنَّه وَاللَّهِ مَا بِرْحَتْ قَرِيشٌ تَزْعُمُ أَنَّ لَكُمْ يُمْنَةً وَشُؤْمَةً ، كُلَّهُ ».

* الأغاني : ٦ - ٣٤٩ ، البداية والنهاية لابن كثير : ٢ - ٣١٨ .

(١) أبطح مكة : مسيل واديها .

واحدة منهما عامة ، فتشدّتُك الله ياً با الفضل هل سِمعْتَ ذلك ؟ قلت : نعم . قال :
فهذه والله إذن شُوئتم . قلت : فلعلّها يُمنَّنا !

فاكان بعد ذلك إلا ليال حتى قدم عبد الله بن حذافة السهمي بالخبر وهو
مؤمن ، ففشا ذلك في مجالس أهل اليمن يتحدث به فيها ، وكان أبو سفيان مجلس
إلى حَبْرٍ من أَحْبَارِ اليمين ، فقال له اليهودي : ما هذا الخبر الذي بلغنى ؟ قال : هو
ماسمعت ، قال : أينَ فِيمَ عَمَّ هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي قَالَ مَا قَالَ ؟ قال أبو سفيان : صَدَقُوا ،
وأنا عَمَّهُ . قال اليهودي : أَخْوَا أَبِيهِ ؟ قال : نعم . قال : حَدَّثَنِي عَنْهُ . قال : لَا
تَسْأَلْنِي ، فاكنت أحسب أن يَدَعُ هَذَا الْأَمْرُ أَبَدًا ، وَمَا أَحِبُّ أَنْ أُعْيَهُ وَغَيْرُهُ
خَيْرٌ مِّنْهُ . قال اليهودي : فليس به أَذَى ؟ ولا بأس على يهود و توراة موسى منه .
قال العباس : فتَأْدِي إِلَىَ الْخَبْرِ فِحْمِيتُ وَخَرَجْتُ حَتَّىَ أَجْلَسَ إِلَى ذَلِكَ الْمَجْلِسَ
مِنْ غَدِيرٍ ، وَفِيهِ أَبُو سَفِيَانَ وَالْحَبْرُ . فَقَلَتْ لِلْحَبْرِ : بَلَغْنِي أَنَّكَ سَأَلْتَ ابْنَ عَمِّي هَذَا عَنْ
رَجُلٍ مَّنْأَى يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ فَأَخْبَرْتَ أَنَّهُ عَمُّهُ ؟ وَلَيْسَ بِعَمِّهِ ، وَلَكِنَّهُ ابْنَ عَمِّهِ وَأَنَا
عَمُّهُ أَخْوَا أَبِيهِ . فَقَالَ : أَخْوَا أَبِيهِ ؟ قَلَتْ : أَخْوَا أَبِيهِ .

فأقبل على أبي سفيان فقال : أَصَدَقَ ؟ قال : نعم صدَقَ . قال : فقلت : سَلَّنِي
عَنْهُ ، فَإِنْ كَذَبْتُ فَلَيَرْدَدْ عَلَيَّ . فأقبل علىَّ فقال : أَنْشَدْتُكَ اللَّهُ ، هَلْ فَشَّتْ لَابْنِ أَخِيكَ
صَبْوَةً أَوْ سَفَهَةً ؟ قَلَتْ : لَا وَإِلَهَ عَبْدُ الْمَطَلَّبِ ، وَلَا كَذْبٌ وَلَا خَانَ ، وَكَانَ اسْمُهُ
عِنْدَ قَرِيشِ الْأَمِينِ . قَالَ : فَهَلْ كَتَبْتَ بِيَدِهِ ؟ قَالَ عَبَّاسٌ : فَظَنَّتُ أَنَّهُ خَيْرٌ لَهُ أَنْ
يَكْتَبَ بِيَدِهِ ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَقُولَهَا ، ثُمَّ ذَكَرْتُ مَكَانَ أَبِيهِ سَفِيَانَ ، وَأَنَّهُ مُكَذَّبٌ بِي
وَرَادٌ عَلَيَّ ، فَقَلَتْ : لَا يَكْتَبْ . فَذَهَبَ الْحَبْرُ وَتَرَكَ رِدَاءَهُ وَجَعَلَ يَصْبِحُ : ذُبْحَتْ
يَهُوداً قُتِّلَتْ يَهُوداً !

قال العباس : فلما رجعنا إلى منزلنا قال أبو سفيان : ياً با الفضل ، إن اليهودي

لَفْزِ عَ من ابن أخيك . قلت : قد رأيت مارأيت ! فهل لك يا أبا سفيان أن تؤمن به ، فإن كان حقاً كفتَ قد سبقتَ ، وإن كان باطلًا فمعك غيرُك من أكفارك ؟ قال : لا والله ما أؤمن به حتى أرى الخيلَ تطلعُ مِنْ كَدَاء^(١) ! فقلت : ماتقول ؟ قال : كَلَةٌ والله جاءت على في ما أقيمت لها بالاً ، إلا أنني أعلمُ أنَّ الله لا يترك خيلاً تطلعُ من كَدَاء .

قال العباس : فلما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ونظرنا إلى الخيل قد طلعت مِنْ كَدَاء ، قلت ، يا أبا سفيان ، أتذكِر الكلمة ؟ قال لي : والله إنني لذا ذكرها ! فالمُحْمَدُ الله الذي هداني للإسلام !

(١) كَدَاء : جبل بعكة .

٣٨ - تطير المنصور *

قال الريبع ^(١) : نام المنصور ^(٢) ليلةً - وكان في قصره في بغداد - فانتبهَ مروعًا ، ثم عاوده النوم فانتبه كذلك فزِعًا مروعًا ، ثم راجع النوم فانتبه كذلك ، ثم قال : ياربيع ! فقلت : لبيك يا أمير المؤمنين ! قال : لقد رأيت في منامي عجياً ، قلت : مارأيت ، جعلني الله فداك ! قال : رأيته كان آتياً أتاني ، فهم ^(٣) بشيء لم أفهمه ؛ فانتبهت فزِعًا ، ثم عاودت النوم فعاودني يقول ذلك الشيء ، ثم عاودني يقوله حتى فهمته وحفظته وهو :

* محاضرات الأباء : ١٤٢

(١) هو الريبع بن يونس ، كان يخدم المنصور ، ثم تدرج في المناصب عنده إلى أن استوزره وكان جليلاً نبيلاً عارفاً بخدمة الخلفاء ، مات سنة ١٧٠ هـ (٢) هو أبو جعفر عبد الله بن محمد بن علي ثانى خلفاء بي العباس وأعظمهم شدة وبأساً وبيضة وبناتاً . توفي سنة ١٥٨ هـ (٣) الهيئة: الصوت الحفنى (٤) الفصل : بالضم والكسر الماء الذى يقتبس به .

(٥) النجف: التل . أو النجفة التي يظهر الكوفة ، وهي تقنن السيل أن يعلو منازل الكوفة وقبورها . والنجفة أيضاً: موضع بين البصرة والبعرين .

بالقصر ، فقال لي : ياربيع ؛ جئني بِفَحْمَةٍ مِنَ الْطَبْخِ ، وقال لي : اخرج فكـن مع
دابـتـي إـلـى أـنـ أـخـرـجـ ، فـلـما خـرـجـ وـرـكـبـ رـجـعـتـ إـلـى المـكـانـ كـأـنـ أـطـلـبـ شـيـئـاـ ،
فـوـجـدـتـهـ قـدـ كـتـبـ عـلـىـ الـحـائـطـ بـالـفـحـمـ :

المرء يهوى أن يعيش وطول عيش قد يضره
تفنى بشاشته وينسى بعد حلو العيش مرره
وتخونه الأيام حتى ما يرى شيئا يسره
كم شامت بي إن هلكت وسائل : الله دره !

* ٣٩ — المنصور تُشَنِّعُ إِلَيْهِ نَفْسَهُ

قال الفضل بن الريبع : كُنْتُ مَعَ الْمُنْصُورِ فِي السَّفَرِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ ، فَقُزِّلَ مِنْ زَلَّا مِنَ النَّازِلِ ، فَبَعْثَتْ إِلَيْهِ وَجْهُهُ إِلَى الْحَاطِنَ ، فَقَالَ لَيْ : أَلَمْ أَنْهَكَ أَنْ تَدْعُ الْعَامَةَ يَدْخُلُونَ هَذَا النَّازِلَ ، فَيَكْتُبُوا مَالًا خَيْرًا فِيهِ ؟

قَلْتُ : وَمَا هُوَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قَالَ : أَمَا تَرَى عَلَى الْحَاطِنِ مَكْتُوبًا :

أَبَا جَعْفَرٍ حَانَتْ وَفَاتُكَ ، وَاقْضِتْ سِنُّوكَ وَأَمْرُ اللَّهِ لَا بَدَّ نَازِلُ

أَبَا جَعْفَرٍ هَلْ كَاهِنٌ أَوْ مُنَجِّمٌ يَرْدُ قَضَاءَ اللَّهِ أَمْ أَنْتَ جَاهِلُ !

قَلْتُ : وَاللَّهِ مَا أَرَى عَلَى الْحَاطِنِ شَيْئًا ! وَإِنَّهُ لِنَقِيٌّ أَيْضًا ! قَالَ : إِنَّهَا وَاللَّهُ

إِذَنْ نَفْسِي نُعِيَّتْ إِلَيْهِ ، الرَّحِيلَ ! بَادَرَ بِي إِلَى حَرَامِ رَبِّي وَأَمْنِهِ ، لَأُهْرَبَ

مِنْ ذُنُوبِي وَإِشْرَافِي عَلَى نَفْسِي ، فَرَحَلْنَا وَقَدْ قَلَ ، حَتَّى إِذَا بَلَغْنَا بِثَمَيْمُونَ

تُوفِّ بِهَا !

٤٠ — رؤيا الرشيد *

قال جبريل بن بختيشوع :

كنتُ مع الرشيد^(١) بالرقة^(٢)، و كنتُ أولَ منْ يدخلُ عليه في كلِّ غَدَاءَ، فأنترَفَ حاله في ليلته ، فإنْ كانَ أَنْكَرَ شَيْئاً و صَفَهُ ، ثُمَّ يَنْبَسِطُ فِي حِدَثِي بِحَدِيثِ جَوَارِيهِ وَمَا عَمِلَ فِي مَجْلِسِهِ ، ثُمَّ يَسْأَلُنِي عَنْ أَخْبَارِ الْعَامَةِ وَأَحْوَالِهَا ؛ فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ فِي غَدَاءِ يَوْمٍ ، فَسَلَّمْتُ فُلْمَ يَكْدُ يَرْفَعُ طَرْفَهُ ، وَرَأَيْتُهُ عَابِسًا مَفْكَرًا مَهْمُومًا؛ فَوَقَفْتُ بَيْنَ يَدِيهِ مَلِيئًا ، وَهُوَ عَلَى تَلْكَ الْحَالِ .

فَلَمَّا طَالَ ذَلِكَ أَقْدَمْتُ عَلَيْهِ فَقَلَّتْ : يَا سَيِّدِي ؟ جَعَلْنِي اللَّهُ فِدَاكَ ! مَا حَالُكَ هَذَا ! أَعْلَهَ ! أَخْبَرْنِي عَنْهَا فَلَعْلَهُ يَكُونُ عِنْدِي دَأْوَاهَا ؛ أَوْ حَادَثَةً فِي بَعْضِ مَنْ تُحِبُّ فَذَلِكَ مَا لَا يُدْفَعُ وَلَا حِيلَةُ فِيهِ إِلَّا بِالتَّسْلِيمِ ، وَالْفَمُ لَا دَرَكَ فِيهِ ؛ أَوْ فَتْنَةً وَرَدَ عَلَيْكَ فِي مُلْكِكَ ، فَلَمْ تَخْلُ الْمُلُوكُ مِنْ ذَلِكَ ، وَأَنَا أَوْلَى مَنْ أَفْصَيْتَ إِلَيْهِ بِالْخَبْرِ ، وَتَرَوَّحْتَ إِلَيْهِ بِالْمُشْوَرَةِ .

فَقَالَ : وَيَحْكُمْ يَا جَبْرِيلَ ! لَيْسَ تَعْمَى وَكَرْبَلَى لَشِيءٍ مَا ذَكَرْتَ ، وَلَكِنْ لِرُؤْيَا رَأَيْتُهَا فِي لَيْلَتِي هَذِهِ ، وَقَدْ أَفْزَعْتَنِي ، وَمَلَأْتُ صَدْرِي ، قَلَّتْ : فَرَجَتْ عَنِّي

* الطبرى : ١٠ - ١١٠

(١) هو هارون الرشيد بن محمد المهدى ، كان ديناً محافظاً ، كثيراً للجهاد ، توفي سنة ١٩٣ هـ . وجبريل هو طبيب هارون الرشيد وجليسه توفي سنة ٢١٣ هـ (٢) الرقة : مدينة مشهورة على الجانب الأيسر لنهر الفرات بولاية حلب ، ويقال لها : الرقة البيضاء ، وبقربها كانت واقعة صفين الشهورتين .

يا أمير المؤمنين ! فدنتُ منه فقبلتْ رِجْلَه ، وقلتْ : أهذا الفمُ كله ! الرؤيا إنما تكون من خاطرِ أو غيره ؟ وإنما هي أضغاثُ أحلام !

بعد هذا كله قال : فأقصها عليك : رأيتُ كأنى جالس على سريري هذا إذ بدأ من تحتي ذراعاً أعرفها ، وكفّاً أعرفها ، وأفهمُ اسمَ صاحبها ، وفي الكف تُربةٌ حمراء ، فقال لي قائلٌ أسمعه ولا أرى شخصه : هذه التربةُ التي تُدفنُ فيها ؛ فقلتُ : وأين هذه التربة ؟ قال : بِطُوس^(١) . وغابت اليَدُ وانقطع الكلام وانتبهتْ .

فقلتْ : ياسيدى ؟ هذه والله رؤيا بعيدةٌ ملتبسة ، وأحسبك أخذتَ مضجعك ، ففكّرت في خراسان وحروبها ، وما قد ورَدَ عليك من انتقاض بعضها . قال : قد كان ذلك .

قلتْ : فلذلك الفِسْكُرُ خالطك في منامك ما خالطك ؟ فولد هذه الرؤيا ، فلا تحفل بها - جعلني الله فداك - وأتبع هذا الفمَ مسروراً ينجزه من قلبك .

وما برحَتْ أطيفُ نفْسَه بضروبِ من الحيل حتى سلاً وانبسط ، وأمر ياعداد ما يشتهيه ويزيدُ في ذلك اليوم من لهوه .

ومررت الأيامُ فensi ونسينا تلك الرؤيا فما خطرتْ لأحدٍ منها ببالٍ ، ثم قدرْ مسيره إلى خراسان حين خرج رافع^(٢) ، فلما صار في بعض الطريق ابتدأت به العلة ، فلم تزل تتزايدُ ، حتى دخلنا طوس ؛ فبينما هو يُهرَضُ في بستان إاذ ذكر تلك الرؤيا ؛ فوثب متحماً يقوّم ويسقط ، فاجتمعنا إليه ، كلٌ يقول : ياسيدى ما حالك ؟ وما دهاك ؟

(١) طوس : مدينة بخراسان ، وبها مات الرشيد (٢) هو رافع بن القيث ، خرج عليه الرشيد سنة ١٩٢ هـ حينما استفحلا أمره فيها وراء النهر .

فقال : يا جبريل ! تذكّر رؤيـاـي بالـرـقة ؟ ثم رفع رأسه إلى مسرور ، فقال :
جـئـنـي بـشـىـء مـن تـرـبـة هـذـا الـبـسـتـان ؟ فـضـى مـسـرـور فـأـتـى بـالـتـرـبـة فـكـفـه حـاسـرـاً عـن
ذراعـه ، فـلـمـ نـظـر إـلـيـه قـال : هـذـه وـالـلـه الـذـرـاع الـتـي رـأـيـتـها فـي مـنـاـي ، وـهـذـه وـالـلـه الـكـفـ
بعـيـنـهـا ، وـهـذـه وـالـلـه التـرـبـة الـحـرـاء ، مـا خـرـمـتـشـيـنـا ، وـأـقـبـلـ عـلـى الـبـسـكـاء وـالـنـحـيـبـ ،
ثـمـ مـاتـ بـهـا - وـالـلـه - بـعـدـ ثـلـاثـة ، وـدـفـنـ فـي ذـلـكـ الـبـسـتـان !

* ٤١ - تطير الأمين *

قال إبراهيم بن الهدى : خرج الأمين^(١) ذات ليلة يريد أن يتفرّج من الضيق الذي هو فيه ، فصار إلى قصرِ له ، ثم أرسل إلى ، فحضرت عنده ، فقال : ترى طيبَ هذه الليلة ، وحسنَ القمر في السماء ، وضوءه في الماء على شاطئِ دجلة ! فهل لك في الشراب ؟ فقلت : شأنك ! فشرب رطلاً ، وسقاني آخر ، ثم غنتيه ما كنتُ أعلم أنه يحبه ؟ فقال لي : ما تقولُ فيما يضرُبُ عليك ؟ فقلت : ما أحوجني إلى ذلك !

فدعى بخارية متقدمة عندَه اسمها « صَفَفَ » ، فتطيّرتُ من اسمها ونحن على تلك الحال^(٢) ، فقال لها : غنى ؟ فففت بـشـعـرـ الجـعـدـيـ :

كليب لـعـمـرـيـ كـانـ أـكـثـرـ نـاصـرـاـ وأـيـسـرـ جـرـمـاـ منـكـ ضـرـرـ بالـدـامـ
فـاشـتـدـ ذـلـكـ عـلـيـهـ ، وـتـطـيـرـ مـنـهـ ، وـقـالـ : غـنـيـ غـيـرـ ذـلـكـ ، فـفـفتـ :
أـبـكـيـ فـرـاقـهـمـ عـيـنـ فـارـقـهـاـ إـنـ التـفـرـقـ لـلـأـحـبـابـ بـكـاـهـ
ماـزـالـ يـعـدـوـ عـلـيـهـمـ رـيـبـ دـهـرـمـ حـتـىـ تـقـانـوـاـ وـرـيـبـ الدـهـرـ عـدـاءـ

* الطبرى ١٠ - ١٩٥ ، الحسان والساوى^(٣) : ٣٦١ - طبع ليبرج ، المسعودى : ٢ - ٣٠١

(١) الأمين : هو محمد بن هارون الرشيد ، أخوه الفضل بن الريء وزيراً ، فأغدر الفضل بينه وبين الأمون فنصب محمد ابنه موسى لولايته المهدا بعده ، وأخذ له البيعة ، وجعله في حجر على ابن عيسى ، وأمر علياً بالتوجه إلى خراسان لخمارية الأمون سنة ١٩٥ هـ ووجه الأمون طاهر ابن الحسين ، فالتقيا بالرجل فاقتلا ، ولم ينزل القتال بينهما حتى قتل الأمين سنة ١٩٨ هـ (٢) كان الأمين قد حاصره طاهر بن الحسين من قبل الأمون .

قال لها : لعنة الله ! أما تعرفين من الغناء غير هذا ؟ فقالت : ماتغنىت إلا
ماظنت أني تُحبه ! ثم غفت :

أما ورب السكون والحركة إن المنايا كثيرة الشرك
ما اختلف الليل والنمار ، وما دارت نجوم السماء في القلak
إلا لنقل النعم من ملك قد زال سلطانه إلى ملك
وملك ذي العرش دائمًا ليس بفاني ولا بمشترك
قال لها : قوي ، غريب الله عليك ولعنة !

وكان له قدح من بلوغ حسن الصنعة ، وكان موضوعاً بين يديه ، فعثرت
الحارية به فكسرته ، فقال : ويحك يا إبراهيم ! أما ترى ماجاءت به هذه الحارية ؟
ثم ما كان من كسر القدح ! والله ما أظن أمرى إلا قد قرُب . فقلت : يديم الله
ملوك ، ويعز سلطانك ، ويكتب عدوك ! فاستتم الكلام حتى سمعنا
صوتاً : « قضى الأمر الذي فيه تستفتين ». فقال : يا إبراهيم ، أما سمعت ؟
قلت : ما سمعت شيئاً ، وكنت قد سمعت ؟ قال : تسمع حسناً ! فدنوت من الشط
فلم أر شيئاً ، ثم عاودنا الحديث ، فعاد الصوت بمثله .

قام مُفتقراً إلى مجلسه بالمدينة . فما مضى إلا ليلة أو ليلتان حتى قُتل !

٤٢ — ذنب لا يطمع صاحبه في غُفرانه*

قال يوسف الكوفي - وكان قد روى الأشعار والأحاديث :
حججت ذات سنة ، فإذا أنا برجل عند البيت ، وهو يقول : اللهم اغفرْنِي
وما أراك تفعل ! فقلت : يا هذا ؟ ما أعجب يأسك من عَفْوَالله ! قال : إن لي ذنباً عظيماً !
فقلت : أخبرني .

قال : كنت مع يحيى بن محمد بالموصل ، فأمرنا يوم الجمعة ؛ فاعتراضنا المسجد ؛
فقتلنا ثلاثة ألفاً ؛ ثم نادى مناديه : من علق سوطه على دار فالدار وما فيها له ،
فعلقت سوطى على دار ودخلتها ، فإذا فيها رجل وأمرأة وابنان لها ، فقدَّمتُ الرجل
فقتلته ، ثم قلت للمرأة : هاتي ما عندك ! وإلا ألحقت ابنيك به ؛ فجاءتني بسبعة
دنانير : فقلت : هاتي ما عندك ؟ فقالت : ما عندى غيرها ، فقدَّمتُ أحد ابنيها
فقتلته . ثم قلت : هاتي ما عندك وإلا ألحقت الآخر به ، فلما رأت الجد مني قالت :
ارفق ! فإنَّ عندي شيئاً كان أو ذعنيه أبوها ، جاءتني بدرع مذهبة لم أر مثلها في
حُسْنها ؛ فجعلت أقبلها فإذا عليها مكتوب بالذهب :

إذا جار الأمير وحاجباه وقاضي الأرض أسرف في القضاء
فويل ثم ويل ثم ويل لقاضي الأرض من قاضي السماء
فسقط السيف من يدي وارتعدت ، وخرجت من وجهي إلى حيث ترى .

* ٤٣ — طِيرَة ابن الرومي*

قال علي بن إبراهيم : كنت بداري جالساً ؛ فإذا حجارة سقطت بالقرب مني ،
فبادرت هارباً ؛ وأمرت الغلام بالصعود إلى السطح ، والنظر إلى كل ناحية ،
من أين تأتينا الحجارة ؟ فرجع إلى وقال لي : امرأة من دار ابن الرومي ^(١) الشاعر !
قد تشوّفت ^(٢) ، وقالت ؛ اتقوا الله فيما ، واسقونا جرّة من ماء ! وإلا هلكنا ،
فقد مات من عندنا عطشاً !

فتقدمت إلى امرأة عندنا ذات عقل ومعرفة : أن تصعد إليها وتحاطبها ،
ففعلت وبادرت بالجرّة ، وأتبعتها شيئاً من الطعام ، ثم عادت إلى فقالت : ذكرت
المرأة أن الباب عليها مُقفل منذ ثلاثة أيام بسبب طير ابن الرومي ؟ وذلك أنه
يلبس ثيابه كل يوم ويتعود ؟ ثم يصير إلى الباب ، والفتح معه ؟ فيضيع عينه على
ثقب في خشب الباب ، فتفتح على جار له كان نازلا يازاته ؛ وكان أحدب يقعد
كل يوم على بابه ؛ فإذا نظر إليه رجع ، وخلع ثيابه ، وقال : لا يفتح أحد الباب !
فعجبت لحديثها ، وبعثت بخادم لـ كـان يـعـرـفـه ، فـأـمـرـتـهـ أـنـ يـجـلـسـ
يـازـاـنهـ - وـكـانـتـ العـيـنـ تـمـيلـ إـلـيـهـ - وـتـقـدـمـتـ إـلـىـ بـعـضـ أـعـوـانـيـ أـنـ يـدـعـوـ الجـارـ
الأحدب . فـلـمـ حـضـرـ عـنـدـيـ أـرـسـلـتـ وـرـاءـ غـلـايـ ، لـيـهـضـإـلـىـ ابنـ الروـميـ ،
ويـسـتـدـعـيهـ . فـإـنـيـ جـالـسـ ، وـمـعـيـ الأـحـدـبـ ؛ إـذـ وـافـيـ أـبـوـ حـذـيفـةـ الطـرـسوـيـ ؟ـ وـمـعـهـ

* زهر الآداب : ٢ - ١٧٧ ، ذيل زهر الآداب : ٢٢٣ ، معجم الأدباء : ١٣ - ٢٩٦

(١) هو أبو الحسن على بن العباس الرومي ، ولد ببغداد وعاش فيها متأثراً بالأدب اليوناني وبالثقافة العربية كذلك ، فكان شعره صورة طريفة في الأدب العربي من حيث الابتكار والتنسيق النطقي والاستقصاء في أسلوب جزل متين ، ومات سنة ٢٨٣ هـ (٢) تشوّفت : نظرت وطالوت .

بِرِّذَعَةِ الْمُوسُوسِ ، صَاحِبِ الْمَقْضِدِ ؛ وَدَخَلَ ابْنُ الرُّومِيِّ ؛ فَلَمَّا تَخْطَى عَتْبَةَ بَابِ
الصَّحْنِ عَثَرَ ؟ فَانْقَطَعَ شَسْعُ^(١) نَعْلِهِ ، فَدَخَلَ مَذْعُورًا ! وَكَانَ إِذَا فَاجَأَ النَّاظِرَ
رَأْيَ مِنْهُ مُنْظَرًا يَدِلُّ عَلَى تَغْيِيرِ حَالِهِ .

فَدَخَلَ ، وَهُوَ لَا يَرِى جَارَهُ التَّطَيِّرِ مِنْهُ ؛ فَقَلَتْ لَهُ : يَا أَبا الْحَسْنِ ، أَيْ كَوْنُ شَيْءٍ
فِي خَرْوَجِكَ أَحْسَنَ مِنْ مُخَاطِبَتِكَ لِلْخَادِمِ ، وَنَظَرَكَ إِلَى وَجْهِ الْجَيْلِ ؟ فَقَالَ : قَدْ لَحْقَنِي
مَا رَأَيْتَ مِنْ الْعَثَرَةِ ، لَأَنِّي فَكَرْتُ أَنَّ بِهِ عَاهَةً ! وَهِيَ قَطْعُ أَنْثِيَيْهِ^(٢) ! قَالَ
بِرِّذَعَةَ : وَشِيخُنَا يَتَطَيِّرُ ؟ قَلَتْ : نَعَمْ وَيُفْرِطُ ! قَالَ : وَمَنْ هُوَ ؟ قَلَتْ : عَلَى
ابْنِ الْعَبَاسِ^(٣) . قَالَ : الشَّاعِرُ ؟ قَلَتْ : نَعَمْ ! فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ وَأَنْشَدَهُ :

وَلِمَا رَأَيْتُ الدَّهَرَ يُؤَذِّنُ صَرْفَهُ
بِتَفَرِيقِ مَا بَيْنِ وَبَيْنِ الْحَبَائِبِ^(٤)
رَجَعْتُ إِلَى نَفْسِي فَوَطَّنْتُهُ عَلَى
رَكْوَبِ جَيْلِ الصَّبِرِ عَنْدِ النَّوَافِدِ !
وَمَنْ صَاحِبَ الدُّنْيَا عَلَى جَوَرِ حُكْمِهَا
فَإِيَامُهُ مَحْفُوفَةٌ بِالْمَاصَابِ
وَكُنْ حَذِيرًا مِنْ كَامِنَاتِ الْعَوَاقِبِ
فَخَذْ خَلْسَةَ مِنْ كُلِّ يَوْمٍ تَعِيشُهُ
وَدَعْ عَنْكَ ذِكْرَ الْفَالِ وَالزَّجْرِ وَالْأَطْرِحِ
فَبَقِيَ ابْنُ الرُّومِيَّ بِاهْتَأْ يَنْظَرُ إِلَيْهِ ! وَلَمْ أُدْرِ أَنَّهُ قدْ شَغَلَ قَلْبَهُ حَفْظُ مَا أَنْشَدَهُ ،
ثُمَّ نَهَضَ أَبُو حَذِيفَةَ وَبِرِّذَعَةَ مَعَهُ .

خَلَفَ ابْنُ الرُّومِيَّ لَا يَتَطَيِّرُ أَبْدًا مِنْ هَذَا وَلَا مِنْ غَيْرِهِ ، وَعَجَبَ مِنْ جُودَةِ الشِّعْرِ
وَمَعْنَاهُ ؛ وَحُسْنُ مَائَاهُ ، فَقَلَتْ لَهُ : لَيْتَنَا كَتَبْنَاهُ ! قَالَ : أَكْتُبْهُ فَقَدْ حَفِظْتُهُ
وَأَمَلَاهُ عَلَىَّ !

(١) الشَّسْعُ : أَحَدُ سِيُورِ النَّعْلِ ، وَهُوَ الَّذِي يَدْخُلُ بَيْنَ الإِصْبَعَيْنِ وَيَدْخُلُ طَرْفَهُ فِي الثَّقْبِ الَّذِي
فِي صَدْرِ النَّعْلِ الشَّدُودِ فِي الزَّمَامِ (٢) يَعْنِي أَنَّهُ مُحْبُوبٌ (٣) هُوَ ابْنُ الرُّومِيِّ (٤) الْحَبَائِبُ :
مَفْرِدٌ حَبِيبٌ .

* ٤٤ — تطير الرشيد بن المعتمد

قال ابنُ الْبَانَةِ ^(١) : كنْتُ بَيْنَ يَدِي الرَّشِيدِ بْنِ الْمَعْتَمِدِ فِي مَجْلِسِ أَنْسَهُ ، فَوَرَدَ
الْخَبَرُ بِأَخْذِ يُوسُفَ بْنَ تَاشِفِينَ غَرْنَاطَةَ ، فَفَتَحَّ وَتَلَهَّفَ ، وَاسْتَرَجَ ^(٢) وَتَأْسَفَ ،
وَذَكَرَ قَصْرَ غَرْنَاطَةَ ، فَدَعَوْنَا لِقَصْرِهِ بِالْدَوَامِ ، وَلِلْكِهِ بِتَارِخِ الْأَيَّامِ ، وَأَمْرَ عِنْدِ
ذَلِكَ أَبَا بَكْرِ الإِشْبِيلِيِّ بِالْفَنَاءِ ؟ فَقَوْنَى :

يَا دَارَ مَيَّا — بِالْعَلِيَّاءِ فَالسَّنَدِ أَقْوَتَ ^(٣) وَطَالَ عَلَيْهَا سَالِفُ الْأَمْدِ
فَاسْتَحَالَتْ ^(٤) مَسَرَّتَهُ ، وَتَجَهَّمَتْ أَسِرَّتَهُ ، وَأَمْرَ بِالْفَنَاءِ مِنْ سَتَارِتَهُ فَغَيَّرَ
إِنْ شِئْتَ أَلَا تَرِى صَبْرًا لِمَصْطَبِرِ فَانْظُرْ عَلَى أَى حَالٍ أَصْبَحَ الطَّلَلَ
فَتَأَكَّدْ تَطِيرَهُ ؛ وَاشْتَدَّ ارْبَادُ وَجْهِهِ وَتَغِيرَهُ ، وَأَمْرَ مَغْنِيَّةً أُخْرَى بِالْفَنَاءِ ،
فَغَتَّ :

يَا لَهُفْ نَفْسِي عَلَى مَالِ أُفْرَقَهُ
إِنَّ اعْتَذَارِي إِلَى مَنْ جَاءَ يَسْأَلُنِي
فَتَلَافِيتُ الْحَالَ بَأْنَ قَلْتَ :

مَحْلَ مَكْرَمَةَ لَا هُدَدَ مَبْنَاهُ
الْبَيْتُ كَالْبَيْتِ لَكُنْ زَادَ ذَا شَرْفًا
ثَاوَ عَلَى أَنْجُمِ الْجَوْزَاءِ مَقْعَدَهُ

* فتح الطيب : ٢ - ٣٩٢

(١) هو أبو بكر الداني، ويعرف بابن البانة، وقد قال عنه في الطمح من ٦ ٢٥٦ : المديد الباع، الفريد الانطباع الذي ملك للمجاسن مقاداً، وغدا له البديع مقاداً ... (٢) استرجع عند المصيبة: قال : إنا لله وإنا إليه راجعون . (٣) أقوت : خلت (٤) استحالات : تغيرت . (٥) أقل : افتقر.

حُمْ عَلَى الْمَلِكِ أَنْ يَقُوَّى وَقَدْ وَصَلَتْ بِالشَّرْقِ وَالْغَربِ يُمْنَاهُ وَيُسْرَاهُ
فَلَعْمَرِي لَقَدْ بَسَطَتْ مِنْ نَفْسِهِ، وَأَعَادَتْ عَلَيْهِ بَعْضَ أَنْسِهِ . عَلَى أَنِّي وَقَمْتُ
فِيمَا وَقَعُوا فِيهِ لَقُولِي : « الْبَيْتُ كَالْبَيْتِ » .
وَأَمْرَ إِثْرَ ذَلِكَ أَبَا بَكْرَ بِالْغَنَاءِ ، فَفَنِي :
وَلَمْ أَقْضَيْنَا مِنْ مِنَى كُلَّ حَاجَةٍ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَنْ تُزَمَّ^(١) الرَّكَابُ
فَأَفِقَّنَا أَنْ هَذَا التَّطْبِيرُ يَعْقُبُهُ التَّغْيِيرُ !

(١) زم البعير : خطمه .

* ٤٥ — رؤيا

قال عبد الله بن المعلم : خرجنا من المدينة **مُجَاجًا** ، فإذا أنا بـ**رَجُلٍ** من بنى هاشم من بنى العباس بن عبد المطلب ؛ وقد رفض الدنيا ، وأقبل على الآخرة ، فلمعنى وإياد الطريق ، فأنسٌتْ به ؛ وقلتْ له : هل لك أن تعاد لـ**أبيه** (١) ؟ فابن معى فضلاً من راحلتي ! خزانى خيراً ، ثم أنسَ إلى ؛ فجعل يحدّثنى ؛ فقال :

أنا رجلٌ من ولد العباس ، كنت أسكن البصرة ، وكنت ذا كِبْرٍ شديد ؛
ونعمة طائلة ، وما كثير ، وبذخ زائد . فأمرت يوماً خادماً لي أن يخشوى
فراشاً من حرير وخدّة بورديّ نثير ! فعل .

فإنى لنائم إذا بقمع وردة قد نسيه الخادم ، فقمت إليه ، فأوجعه ضرباً ؛
ثم عدت إلى مضجعه بعد إخراج القمع من الخدّة ؛ فأتاني آتٍ في منامي في
صورة فظيعة ، فهزّني ؛ وقال : أفقى من غشيتك ، وانتبه من رقدتك ، ثم أنشأ
يقول :

يَا خِلُّ ، إِنَّكَ إِنْ تَوَسَّدْ لَيْنَا وُسْدْ بَعْدَ الْيَوْمِ صُمَّ الْجَنْدَلِ
فَامْهَدْ لِنَفْسِكَ صالحاً تَسْعَدْ بِهِ فَلَتَنْدَمَنَّ غَداً إِذَا لَمْ تَفْعَلِ
فَانْتَبَهْتُ مَرْعُوبًا ، وَخَرَجْتُ مِنْ سَاعَتِي هارباً إِلَى رَبِّي !

* مجازي الأدب : ٤ - ٢٠ .
(١) عادل في الحمل : ركب معه .

البَابُ الْثَالِثُ

فِي الْقَصْصِ الَّتِي تَجْلُو عِلْمَهُمْ وَمَعْرِفَهُمْ، وَتَتَوَضَّحُ مِنْهَا
مَنَاجِيَّهُمْ، وَمَا كَانَ مَتَّدًا لَا يَنْهَا مِنْ مَسَائِلِ الْمَقْلُ وَالنَّقلِ
الَّتِي هَدَتْهُمْ إِلَيْهَا فَطَرَهُمْ، أَوْ أَنْهَتْهَا إِلَيْهِمْ تَجَارِبُهُمْ .

٤٦ — فراسة أبناء نزار*

لما حضرت نزاراً الوفاة جمع بيئيه : مضر و إباداً و ربيعة وأنماراً ، وقال لهم : يا بني ؟ هذه القبة الحمراء - وكانت من أدم^(١) - لضر ، وهذا الفرس الأدهم^(٢) والخباء^(٣) الأسود لربيعة ، وهذه الخادم - وكانت شمطاء^(٤) - لإياد ، وهذه الندوة^(٥) والجلس لأنمار يجلس فيه ؛ فإن أشكل عليكم كيف تقتصمون فأتوا الأفقي الجرمي ، ومنزله بنجران^(٦) . فلما مات تшاجروا في ميراثه ، فتوجّهوا إلى الأفقي الجرمي .

فيديناهم في مسیرهم إليه ، إذ رأى مضر أثر كلاماً قد رعى ؛ فقال : إن البعير الذي رعى هذا لأعور ! قال ربيعة : إنه لازور^(٧) ! قال إباد : إنه لأبتر^(٨) ! قال أنمار : إنه لشروع^(٩) !

ثم ساروا قليلاً فإذا هم برجل يُنْشِدُ^(١٠) جله ، فسألهم عن البعير ، فقال مضر : أهو أعور ؟ قال : نعم ، قال ربيعة : أهو أزور ؟ قال : نعم ، قال إباد : أهو أبتر ؟ قال : نعم . قال أنمار : أهو شروع ؟ قال : نعم ! وهذه والله صفة بيري فدلوني عليه . قالوا : والله ما رأيناها ، قال : هذا والله الكذب ! وتعلق بهم ، وقال : كيف أصدقكم وأتم تصيرون بيري بصفته ! فساروا حتى قدموا نجران .

* جمع الأمثال : ١ - ١٥ ، بلوغ الأربع : ٣ - ٢٦٤ ، المسعودي : ١ - ٣٠٢ .

(١) الأدم : الجلد (٢) الأدهم : الأسود (٣) الخباء : يكون من وبر أو صوف أو شعر

(٤) شمطاء : برأسها شيب يخالط السواد (٥) الندوة : مجلس القوم نهاراً (٦) نجران :

مدينة شهيرة بالین ، جرت فيها حوادث قصة « أصحاب الأخدود » (٧) الأزور : من يعشى

على شق . (٨) الأبتر : مقطوع الذنب (٩) الشروع : النافر . (١٠) أنشد الضالة : طلبها .

فَلَمَا نَزَلُوا نَادَى صَاحِبُ الْبَعِيرَ : هُؤُلَاءِ أَخْذُوا جَهَنَّمَ ، وَوَصَفُوا لِي صِفَتَهُ ، ثُمَّ
قَالُوا : لَمْ نَرَهُ .

فَأَخْتَصُمُوا إِلَى الْأَفْعَى الْجَرْهَمِيِّ - وَهُوَ حَكَمُ الْعَرَبِ - فَقَالَ الْأَفْعَى : كَيْفَ
وَصَفْتُمُوهُ وَلَمْ تَرَوْهُ ؟ قَالَ مُضَرٌّ : رَأَيْتَهُ رَعَى جَانِبَاهُ وَتَرَكَ جَانِبَاهُ فَعَلِمْتُ أَنَّهُ أَعْوَرٌ . وَقَالَ
رَبِيعَةُ : رَأَيْتُ إِحْدَى يَدِيهِ ثَابِتَةً الْأَثَرَ وَالْأُخْرَى فَاسْدَتَهُ ؛ فَعَلِمْتُ أَنَّهُ أَزُورٌ ؛ لَأَنَّهُ
أَفْسَدَهُ بِشَدَّةٍ وَطَنَّهُ لَازْوِرَارَهُ . وَقَالَ إِيَادٌ : عَرَفْتُ أَنَّهُ أَبْتَرَ بِاجْتِمَاعِ بَعِيرِهِ ، وَلَوْ كَانَ
ذِيَالًا^(١) لَمْ يَصُمَّ بِهِ^(٢) . وَقَالَ أَنْمَارٌ : عَرَفْتُ أَنَّهُ شَرُودٌ ، لَأَنَّهُ كَانَ يَرْعَى فِي السَّكَانِ
الْمُلْتَفِّ بَنْتَهُ ، ثُمَّ يَجْوِزُهُ إِلَى مَكَانٍ أَرْقَى مِنْهُ وَأَخْبَثُ بَنْتَهُ ؛ فَعَلِمْتُ أَنَّهُ شَرُودٌ . فَقَالَ
الرَّجُلُ : لَيْسُوا بِأَحَادِيبِ بَعِيرِكَ فَاطْلَبْهُ !

ثُمَّ سَأَلُوكُمْ : مَنْ أَتَمْ ؟ فَأَخْبِرُوكُمْ ، فَرَحْبَبْ بَهْمُ ، ثُمَّ أَخْبِرُوكُمْ بِمَا جَاءَ بَهْمُ ، فَقَالَ :
أَنْتَاجُونَ إِلَى وَأَتَمْ كَا أَرَى ! ثُمَّ أَنْزَلُوكُمْ ، فَذَبَحْ لَهُمْ شَاةً ، وَأَتَاهُمْ بَخْمَرٌ ، وَجَلَسَ لَهُمْ
الْأَفْعَى ، حِيثُ لَا يُرَى وَهُوَ يَسْمَعُ كَلَامَهُمْ . فَقَالَ رَبِيعَةُ : لَمْ أَرَ كَالِيمَ لَهُمَا أَطِيبَ
مِنْهُ ، لَوْلَا أَنْ شَاتَهُ غُذِيَّتْ بَلْيَنْ كَلْبَنَةَ ، فَقَالَ مُضَرٌّ : لَمْ أَرَ كَالِيمَ خَرَّاً أَطِيبَ مِنْهُ
لَوْلَا أَنْ حُبْلَتَهَا^(٣) بَنَقَتْ عَلَى قَبْرٍ ، فَقَالَ إِيَادٌ : لَمْ أَرَ كَالِيمَ رَجْلًا أَسْرَى^(٤) مِنْهُ
لَوْلَا أَنْ لَيْسَ لِأَيِّهِ الَّذِي يَدْعُى لَهُ ، فَقَالَ أَنْمَارٌ : لَمْ أَرَ كَالِيمَ كَلَامًا أَفْعَفَ فِي حَاجَتِنَا
مِنْ كَلَامِنَا ؛ وَكَانَ كَلَامُهُمْ بَادِئَنَهُ ، فَقَالَ : مَا هُؤُلَاءِ إِلَّا شَيَاطِينَ !

ثُمَّ دَعَا الْقَهْرَمَانَ^(٥) فَقَالَ : مَا هَذِهِ النَّمَرُ ؟ وَمَا أَمْرُهَا ؟ قَالَ : مَنْ حُبْلَةٌ غَرَسْتَهَا
عَلَى قَبْرِ أَبِيكَ لَمْ يَكُنْ عِنْدَنَا شَرَابٌ أَطِيبٌ مِنْ شَرَابِهَا ، وَقَالَ لِلرَّاعِي : مَا أَمْرُ هَذِهِ

(١) ذِيَالًا : لَهُ ذِيَال طَوِيلٌ . (٢) مَصْعُ بِهِ : يَقَالُ مَصْعُ الدَّابَّةِ بِذَنْبِهَا ؛ أَيْ حَرَكَتْهُ .

(٣) الْحَبْلَةُ : الْكَرْمُ أَوْ أَصْلُ مِنْ أَصْوَلِهِ . (٤) السَّرُوُ : الرُّوْءَةُ فِي شَرْفِ (٥) الْقَهْرَمَانِ :

الْقَامُ بِأَمْرِ الرَّجُلِ .

الشاة ؟ قال : هي شاة صغيرة أرضعها بَلَيْنِ كلبة ، وذلك أن أمها كانت قد ماتت
ولم يكن في الغنم شاة ولدٍ غيرها .

ثم أتى أمها فسألها عن أبيه فأخبرته أنها كانت تحت ملك كثير المال ، وكان
لا يُؤْلَدُ له ، قالت : فخففتْ أن يموتَ ولا ولدَ له فيذهبَ الملكُ !

فخرج الأفعى عليهم ، فقصَّ القومُ عليه قصَّتهم ، وأخبروه بما أوصى به أبوهم ،
فقال : ما أشبهَ الْحُرَاءَ الحراء من مال فهو لمصر ، فذهب بالدنانير والإبل الحمر ، فسمى
مُضْرِي الحراء لذلك . وقال : أما صاحبُ الفرس الأذمُّ والنَّبَاءِ الأسود فله كل شيء
أسود ، فصارت لربيعة الخيل الدهم ، فقيل : ربيعة الفرس . وما أشبهَ الخادم
الشمطاء فهو لإياد ، فصارت له الماشية البلق من الْحُبَلَقَ^(١) والنقد^(٢) ، فسمى إياد
الشمطاء ، وقضى لأنمار بالدرارم وبما فضل ، فسمى أنمار الفضل ، وصدروا^(٣) من
عنه على ذلك !

(١) الْحُبَلَقَ : غنم صغار لا تكبر ، أو قصار المغز ودمامها (٢) النقد : جنس من الغنم قبيح الشكل .

(٣) صدروا : رجعوا

٤٧ — ارعى واحذرِي*

خرج أعرابي مكفوف البصر، ومعه ابنة عم له لرغبي غم لها، فقال الشيخ:
أجد ريح النسم قد دنا، فارفعي رأسك فانظرِي، قالت: أراها كأنها رَبَّ بَرْبَرٍ^(١)
معزى هَرْنَى، قال: ارعى واحذرِي.

ثم قال لها بعد ساعة: إني أجد ريح النسم قد دنا، فارفعي رأسك فانظرِي.
قالت: أراها كأنها بغال دُهم، تجرب جَلَّاها؛ قال: ارعى واحذرِي.

ثم مكث ساعة، ثم قال: إني لأجد ريح الفسم قد دنا فانظرِي. قالت:
أراها كأنها بطن حمار أصحر^(٢). فقال: ارعى واحذرِي. ثم مكث ساعة،
فقال إني لأجد ريح النسم فاترين؟ قالت: أراها كما قال الشاعر^(٣):

دانِ مُسِيفٌ^(٤) فوَيْقَ الأَرْضِ هَنِيدَ بِهِ^(٥) يَكَادُ يَدْفَعُهُ مَنْ قَامَ بِالرَّاحِرِ
كَانَهَا بَيْنَ أَعْلَاهُ وَأَسْفَلَهُ رَيْطٌ^(٦) مَنْشَرٌ أوْ ضَوْءٌ مَصْبَاحٌ
فَمَنْ بَنْجُونَهُ^(٧) كَمَنْ بَعْقُونَهُ^(٨) وَالْمَسْتَكِينُ كَمَنْ يَمْشِي بِقِرْوَاحٍ^(٩)
فقال: انْجِي، لا أبالك! فما انتقضى كلامه حتى هطلت السماء عليهمَا!

* الأغانى: ١١ - ٧١

- (١) الربَّ: القطيع (٢) الصحراء: حرة في غربة (٣) هو عبيد بن الأبرص
(٤) المسف: الذي قد أسف على الأرض، أى دنا منها (٥) الهيدب: السحاب يقرب من
الأرض كأنه متدل (٦) الريط: جمع ريطه وهي كل ملاعة غير ذات لفقين، كأنها نسج واحد
(٧) التجوة: المكان المرتفع الذي تظن أنه نجاوئك (٨) الفقوة: ساحة الدار (٩) القرواح:
أرض قرواح: واسعة. والقرواح أيضا: البارز الذي لا يبرزه عن السماء شيء.

٤٨ - طبّ الحارث بن كَلَدَةَ*

وفد الحارث^(١) بن كَلَدَةَ الثقفي على كسرى أنس شروان ، فأذن له بالدخول عليه ؛ فلما وقف بين يديه ، قال له : من أنت ؟ قال : أنا الحارث بن كَلَدَةَ الثقفي . قال : فما صناعتك ؟ قال : الطب ، قال : أعرابي أنت ؟ قال : نعم ، من صميمها ، وبمحبوبة^(٢) دارها . قال : فما تصنع العرب بطب مع جهلها ، وضعف عقولها ، وسوء أغذيتها ؟ قال : أيها الملك ؛ إذا كانت هذه صفتها كانت أحوج إلى من يُصلِحُ جهْلَهَا ، ويقيم عِوَجَها ، ويُسُونُ أبدانها ، ويعدل أَمْشاجها^(٣) ، فإن العاقل يعرف ذلك من نفسه .

قال كسرى : فكيف تعرف ماتورده عليها ؟ ولو عرفتِ الحَمَ لم تُنْسَب إلى الجهل !

فقال : أيها الملك ؛ العقل من قسم الله تعالى ، قسمه بين عباده كَيْفَيَّةُ الرزق فيهم ، فكلٌّ من قسمته أصاب ، فنهم مُثْرٌ ومُعْدِم ، وجاهل وعالم ، وعجز وحازم ، وذلك تقديرُ العزيزِ العليم . فأُعْجِبَ كسرى بكلامه .

ثم قال : فما الذي تَحْمِدُ من أخلاقها ، ويعجبك من مذاهبها وسباياها ؟ قال الحارث : أيها الملك ، لها أنفس سخية ، وقلوبٌ جريئة^(٤) ، ولغة فصيحة ، وألسن بلية .

* بلوغ الأربع : ٣ - ٣٢٨ ، العقد الفريد : ٤ - ٣٤١

(١) كان الحارث من الطائف ، وهو طبيب العرب في عصره ، سافر إلى فارس وتعلم الطب ، وعرف الداء والدواء ، وكان يضرب بالعود ، تعلم ذلك بفارس واليمن ، وبقي أيام رسول الله وأبي بكر وعمر وعثمان على معاوية وتوف نحو سنة . ٥ (٢) بمحبوبة : صميم (٣) الأمشاج : الأخلال . (٤) جريئة : جريئة .

وأنساب صححة ، وأحساب شريفة ، يمرق ^(١) من أفواههم الكلام مُرْوَقَ السهم
من نبعةِ الرَّام ^(٢) ، أعدَّ من هواءِ الرَّيْع ، وألينَ من سلسيلِ المعين ^(٣) ؛
مُطْعِمُ الطعام في الجذب ، وضارِبُ الهمام في الحرب ، لا يُرَام عِزْهُم ، ولا يُصَارُ
جارُهم ، ولا يُسْتَباح حَرَيمُهم ، ولا يُذَلَّ كريهم ، ولا يُقْرَؤُن بفضلِ بلا فَنَام ،
إِلَّا لِلْمَلِكِ الهمام ، الذي لا يقاسُ به أحد ، ولا يوازيه سُوقَة ^(٤) ولا مَلِك !

فاستوى كسرى جالساً ، وسُرَّ لما سمع من تُحْكَمَ كلامه ؛ وقال لجلسائه :
إني وجدته راجحاً ، ولقوِّمه مادِحاً ، وبفَضْلِتهم ناطقاً ، وبما يُورِدُهُ من لفظه
صادقاً ؛ وكذا العاقل من أحْكَمَ التجارب ! ثم أمره بالجلوس مجلس ، فقال له :
كيف بـَصْرُك بالطَّبَّ ؟ قال : ناهيك !

قال : فـَأَصْلُ الطَّبَّ ؟ قال : ضَبَطُ الشفتين ، والرَّفْقُ بـَالْيَدَيْن . قال : أَصْبَتَ
فـَالدَّاءَ الدَّوِيَّ ^(٥) ؟ قال : إدخال الطعام على الطعام ، هو الذي يُفْنِي البريَّة ،
ويُهْلِكُ السباعَ في جَوْفِ البريَّة . قال : فـَالجَمْرَةُ التي تلَهَّبُ منها الأدواء ؟ قال :
هي التخمة ، إن بقيت في الجوف قتلت ؛ وإن تحلَّلت أَسْقَمت . قال : صدقت .

فـَتَقُولُ فـَالْحِجَامَةُ ؟ قال : فـَنَفْصَانُ الْمَلَال ، فـَيَوْمٌ صَحُونَ لاغِيْمَ فيه ،
والنَّفْسُ طَيِّبة ، والرَّوْقُ سَاكِنة ، لـَسْرُورٍ يـَفْجَئُك ، وـَهُمْ يـَبَاعِدُك . قال : فـَتَقُولُ
فـَدُخُولُ الْحَمَامِ ؟ قال : لـَا تـَدْخُلْه شَبَّعَان ، وـَلَا تـَنْمِ بالليل عَرْيَان ، وـَلَا تـَقْعُدُ عَلَى
الطَّعَامِ غَصْبَان ، وـَارْفَقُ بـَنْفَسِك يـَكْنُ أَرْخَى لـَبَالِك ، وـَقَلْلُ مـَنْ طَعَامُك يـَكْنُ
أَهْنَأْ لـَنْوِمِك .

قال : فـَتَقُولُ فـَالدَّوَاءُ ؟ قال : مـَازْمَتْكَ الصَّحَّةُ فـَاجْتَنبَه ، فـَإِنْ هـَاجْ دَاءُ

(١) يمرق : يخرج (٢) الرَّام : شجر (٣) السلسيل : العذب . والمعين : الماء الجاري

(٤) السوق : خلاف الملك (٥) الداء الدوى : الملك .

فاحسسه بما يرْدَعه قبل استحكامه ؟ فإنَّ البدنَ بمنزلة الأرض ؛ إن أصلحتها عَمَرتْ
وإن تركتها خَرَبتْ .

قال : فما تقولُ في الشراب ؟ قال : أطبيه أهناه ، وأزقه أُمِراه ، وأعدُّه بأشهاء ،
لا تشرب به صِرفاً ^(١) فيوريثك صداعاً ، وينير عليك من الأدواء ^(٣) أنواعاً .

قال : فـأـيـالـلـحـمـانـ أـفـضـلـ ؟ قال : الصـأنـ الفـقـيـ ؛ والـقـدـيدـ المـالـحـ مـهـلـكـ لـلـآـكـلـ
واجتنب لـمـ الجـزـورـ والـبـقـرـ .

قال : فـماـ تـقـولـ فـيـ القـواـ كـهـ ؟ قال : كـلـنـهاـ فـيـ إـقـبـالـهـاـ وـحـيـنـ أـوـانـهـاـ ، وـاتـركـهاـ إـذـاـ
أـدـبـرـتـ وـوـلـتـ وـاقـضـىـ زـمـانـهـاـ ؛ وـأـفـضـلـ القـواـ كـهـ الرـمـانـ وـالـأـتـرـجـ ، وـأـفـضـلـ الـرـيـاحـينـ
الـوـرـدـ وـالـبـنـقـسـجـ ، وـأـفـضـلـ الـبـقـولـ الـهـنـدـبـاءـ ^(٢) وـالـخـسـ .

قال : فـماـ تـقـولـ فـيـ شـرـبـ المـاءـ ؟ قال : هو حـيـاةـ الـبـدـنـ ، وـبـهـ قـوـامـهـ ، يـنـفعـ
ما شـرـبـ مـنـهـ بـقـدـرـ الـحـاجـةـ ، وـشـرـبـ بـهـ بـعـدـ النـوـمـ ضـرـرـ ، أـفـضـلـهـ أـمـرـاهـ ، وـأـرـقـهـ أـصـفـاهـ .

قال : فـماـ طـعـمـهـ ؟ قال : شـئـ لـاـ يـوـصـفـ ، قال : فـمـاـ لـوـنـهـ ؟ قال : اـشـتـبـهـ عـلـىـ الـأـبـصـارـ
لـوـنـهـ ؛ لـأـنـهـ يـحـكـيـ لـوـنـ كـلـ شـئـ يـكـونـ فـيـهـ .

قال : فـماـ النـورـ الـذـىـ فـيـ الـعـيـنـينـ ؟ قال : مـرـكـبـ مـنـ ثـلـاثـةـ أـشـيـاءـ : فـالـبـياـضـ
شـحـمـ ، وـالـسـوـادـ مـاءـ ، وـالـنـاظـرـ رـيحـ .

قال : فـعـلـيـ كـمـ جـبـلـ وـطـبـعـ الـبـدـنـ ؟ قال : عـلـىـ أـرـبـعـةـ طـبـاعـ : الـإـرـأـةـ السـوـدـاءـ
وـهـيـ بـارـدـةـ يـاـبـسـةـ ، وـالـلـرـأـةـ الصـفـرـاءـ وـهـيـ حـارـّـةـ يـاـبـسـةـ ، وـالـدـمـ وـهـوـ حـارـّـ رـطـبـ ،
وـالـبـلـغـ وـهـوـ بـارـدـ رـطـبـ . قال : فـلـمـ لـيـكـنـ مـنـ طـبـعـ وـاحـدـ ؟ قال : لـوـ خـلـقـ مـنـ
طـبـعـ وـاحـدـ لـمـ يـأـكـلـ وـلـمـ يـشـرـبـ ؟ وـلـمـ يـمـرـضـ وـلـمـ يـهـلـكـ ! قال : فـمـ طـبـيعـتـينـ لـوـكـانـ

(١) صِرْفًا : غير ممزوج . (٢) بقلة نافعة للمعدة والكبد والتطحال . (٣) بقلة نافعة للمعدة والكبد والتطحال .

اقصر عليهما ! قال : لم يجُز لأنهما ضدان يقتلان ؟ قال : فن ثلاثة ؟ قال : لم يصلح مُوافقان ومخالف ! فالأربع هو الاعتدال .

قال : فأجل لي الحار والبارد في آخر جامعه ؟ قال : كل حلو حار ، وكل حامض بارد ، وكل حريف ^(١) حار ، وكل مر معدل ، وفي المر حار وبارد . قال : فأفضل ما عولج به المرة الصفراء ؟ قال : كل بارد لين ، قال : فالمرة السوداء ؟ قال : كل حار لين . قال : فالبلغم ؟ قال : كل حار يابس . قال : فالدم ؟ قال : إخراجه إذا زاد ، وتطفنته إذا سخن بالأشياء الباردة اليابسة . قال : فالرياح ؟ قال : بالحقن اللينة ، والأدهان الحارة اللينة . قال : أقتصر بالحقنة ؟ قال : نعم ! قرأت في بعض كتب الحكماء أن الحقنة تتنفس الجوف وتسخن الأدواء عنه ، والعجب من احتقن كيف يهرم أو يعدم الولد ! وإن الجاهل من كل ما قد عرف مضراته ، ويؤثر شهوته على راحة بدنه .

قال : فما الحمية ؟ قال : الاقتصاد في كل شيء ، فإن الأكل فوق المقدار يضيق على الروح ساحتها ، ويسد مسامها .

قال : فما تقول في النساء ^(٢) ... وأين القلب إليها أميل ، والعين برويتها أسر ؟ قال : إذا أصبتها مديبة القامة ، عظيمة الهمامة ^(٣) ، واسعة الجبين ، قنواه العرينين ^(٤) ، كحلاه ^(٥) لعسأ ^(٦) ، صافية الخد ، عريضة الصدر ، مليحة النحر ^(٧) ، في خدها رقة ، وفي شفتها لعس ، مقرونة الحاجبين ، ناهدة الثديين ، اطيفة الخضر ^(٨)

(١) الحريف : الذي يلذع اللسان .

(٢) عبارات في الأصل حذفت هنا (٣) الهمامة : الرأس (٤) قنواه : بينة القنا ، وهو ارتفاع أعلى الأنف واحديداب وسطه وسبوغ طرفه . والعرنين : الألف كله أو ماصلب منه .

(٥) الكحلاه : التي كأنها مكحولة ولم تكحل (٦) لعسأ : في شفتها سواد (٧) النحر : أعلى الصدر (٨) الخضر : وسط الإنسان .

والقديمين ، يمضأ فرعاء^(١) ، جعدة^(٢) غصنة بضة^(٣) ، تخالما في الظلمة بدراً زاهراً
تبسم عن أفحوان وعن مبسم^(٤) كالازجان^(٥) ، كأنها بيضة مكنونة ، ألين
من الزبد ، تفرخ بقرنها ، وتسرك الخلوة معها .

فاستضحك كسرى حتى اختلبت كتفاه ! وقال : الله درك من أعرابي !
لقد أعطيت علمًا ، وخصصت فطنة وفهنا ! وأحسن صلته ، وأمر بتدوين مانطق به .

(١) القرعاء : النامة الشعر (٢) جعدة : غير سبطه الشعر (٣) بضة : فاعمة
(٤) المبسم : الشفر . الأفحوان : نبت من ثبات الربيع ، له نور أبيض . كأنه فجر جارية حديثة السن
(٥) الأرجوان : صبن آخر .

* ٤٩ — حديث قُسْتَ بن ساعدة مع ملك الروم

قال إسحاق بن إبراهيم الموصلى :

حضرت مجلس المؤمن ، فقلت : يا أمير المؤمنين ؟ ألا أحذّك عن الفضلِ
ابن يحيى ؟ قال : بلى ! فقلت : دخلت دار الرشيد ، وإذا الفضلُ بن يحيى وإسماعيل
ابن صبيح ، وعبد الملك بن صالح في بعض تلك الأروقة يتحدون ؛ فلما بصرَ بي
الفضلُ أوْمًا إلى ، وقال : يا إسحاق ؟ انتظِرْناك منذ الفَدَاء ؛ لتساعدَ على مانحنُ
فيه من المذاكرة ! فقلت : ياسيدى ؟ أنا الشَّكِيتُ^(١) إذا أجريتِ الجِيَاد ، وفارز
السابق والمُصلّى ! فقال عبد الملك : مدحتَ نفسك ، ولما تكذب .

ولما فرغ عبد الملك من حديثه قال الفضل : إنْ لَقْسُ^(٢) حديثاً سمعته من
الخليل بن أحمد ؛ فهل عند واحدٍ منكم له ذِكْرٌ ؟ فسكت القومُ ، فقلتُ : ياسيدى ؛
ما نعرفُ له حديثاً إلا حديثَ خطبته بِمِكَاظٍ ! قال : ذاك شئٌ قد فهمته العامةُ
واختبرته الخاصة . ثم أطْرَقَ ساعة ، فقلنا : إنْ رأيْتَ أَنْ تُحدِّثَنَا ؟ فقال :

حدَّثَنِي الخليل بن أحمد : أَنَّ قيسراً ملك الروم بعثَ إلى قُسْتَ بن ساعدة أَسْفَقَ
نَجْرَان - وكان حكِيماً طيباً بليغاً في مَنْطِقَةٍ ؛ فلما دخل عليه ومثل بين يديه حِمْدَ الله

* المحسن والمساوي : ٣٥١ - طبع ليزج .

(١) السكينة : الذي يحيى في الحلبة آخر الحيل (٢) هو قس بن ساعدة خطيب العرب
قاطبة ، والضرورب به مثل في البلاغة والحكمة ، والوعظة المسنة . كان يدين بالتوحيد ، ويؤمن
بالبعث ويدعو العرب إلى نبذ الأوثان ، في المحاكل العامة ، ومواسم الأسواق وسمعه النبي قبل البعثة
يُخطب بمِكَاظٍ ، فعجب من حسن كلامه وأثنى عليه ، وعمر طويلاً ومات قبيل البعثة .

وأنتى عليه ، فأنصه بالجلوس ، فجلس ورحت به ؛ وأذن مجلسه ، وقال : مازلت
مشتاقاً إليك لِمَا سمعتُ من مُناظِرِكَ في الطب .

فكان أول ما سأله عن الشراب ، فقال : أى الأشربة أفضل عاقبة في البدن ؟
قال : ما صقماً في العين ، واشتدّ على اللسان ، وطابت رائحة في الأنف من شراب
الكَرْم . قال : فما تقول في مطبوخه ؟ قال : مرعى ولا كالسعدان ^(١) ! قال : فما
تقول في نبيذ الزيسب ؟ قال : ميت أخى ، وفيه بعض المتعة وما كاد يقوى شيئاً
بعد الموت ! قال : فما تقول في نبيذ العسل ؟ قال : نعم شراب الشيخ للمعدة الفاسدة .
قال : فما تقول في أنبدة التمر ؟ قال : أوساخ يطيب مذاقها في اللهوات ، وتسوء
عاقبتها في البدن ، وتولد الأرواح ^(٢) في البطن لرقتها .

قال : فمن أى شيء يُكون التمل الذي يذهب الغم ويطيب النفس ؟ قال :
زعموا أن العقل تصعد سورة الشراب إلى الدّماغ فإذا صعدت السورة إلى الدماغ
الذى هو أصله ، احتجب البصر بغير عمي ، والسمع بغير صمم ، واللسان بغير خرس ؛
فلا يزال العقل كذلك متحججاً حتى تفككه الطبيعية من إساري السكر ، إما بقوته
فيعدل ، وإما بضعف فيهطيء .

قال : فمن أى شيء انكمار ^(٣) من بعد صحو السكران ؟ قال : من إغفاء
الطبيعة عن مجاهدة السورة في افتراك العقل وتخليصه ، حتى يردها النوم إلى هدوء
وما أشبهه . قال : الصرف أفضل أم المزوج ؟ قال : الصرف سلطان جائر ،
والجائر مذموم ، والمزوج سلطان عادل ، والعادل محمود .

قال : فصف لي الأطعمة . قال : الأطعمة كثيرة مختلفة . وجملة ما أمرتك به

(١) السعدان : نبت ذو شوك ، وهو من أنجع المرعى ، وهذا مثل يشرب لشيء يفضل على
أقرانه وأشكاله (٢) الأرواح : جمع ريح (٣) انكمار : بذة السكر .

الإمساكُ عن غايةِ الإِكثار ، فإن ذلك من أَفْضَل ما بَلَوْنَاهُ من الأدوية ، ورَأْسُ
ما نَامَرُ به من الحِمَيَّة . قال له : عَمَّنْ حَمَلتَ الْحَكْمَة ؟ قال : عَنْ عِدَّةٍ مِنَ الْفَلَاسِفَة .
قال : فَأَفْضَلُ الْحَكْمَة ؟ قال : مَعْرِفَةُ الْمَرءِ بِقَدْرِهِ . قال : فَما تَقُولُ فِي الْحَلْم ؟ قال
الْحَلْمُ الْإِنْسَانُ مَا وَجَهَهُ . قال : فَما تَقُولُ فِي الْمَالِ وَفَضْلِهِ ؟ قال : أَفْضَلُ الْمَالِ مَا أَعْطَى مِنْهُ
الْحَقُّ . قال : فَمَا أَفْضَلُ الْعَطَيَّةِ ؟ قال : أَنْ تُعْطَى قَبْلَ السُّؤَالِ .

قال : فَأَخْبَرْتِي عَمَّا بَلَوْتَ^(١) مِنَ الزَّمَانِ وَتَصْرِيفِهِ ، وَرَأَيْتَ مِنْ أَخْلَاقِ أَهْلِهِ .
قال : بَلَوْنَا الزَّمَانَ فَوَجَدْنَاهُ صَاحِبًا يَخْوُنُ صَاحِبَهُ ، وَلَا يَعْتَبِرُ مَنْ عَاتَبَهُ ، وَوَجَدْنَا
النَّاسَ صُورَةً مِنْ صُورِ الْحَيَاةِ ، يَتَفَاضِلُونَ بِالْعُقُولِ ، وَوَجَدْنَا الْأَحْسَابَ لِيَسْتَ بالآيَاءِ
وَالْأَمْهَاتِ ، وَلِكُنَّهَا فِي أَخْلَاقِ مُحَمَّدةٍ ، وَفِي ذَلِكَ أَقُولُ :

لَقَدْ حَلَبَتُ الزَّمَانَ أَشْطَرَهُ ثُمَّ مَخَضَتُ^(٢) الصَّرِيجَ^(٣) مِنْ حَلَبَ
فَلَمْ أَرَ الفَضْلَ وَالْمَعَالِيَ فِي قَوْلِ الْفَقِيْتِ : إِنِّي مِنَ الْعَرَبِ
حَتَّى نَرَى سَامِيَاً إِلَى خُلُقِيْتِي يَذُودُ حُمُودُهُ عَنِ النَّسَبِ
مَا يَنْفَعُ الْمَرءُ فِي فُكَاهَتِيَّتِي مَنْ عَقْلِيْتِي جَدِيْتِي مَضِيَّ وَعَقْلِيْتِي أَبِي
مَا الْمَرءُ إِلَّا ابْنُ نَفْسِيْتِي فَبِهَا يُعْرَفُ عِنْدَ التَّحْصِيلِ لِلنَّوْبِ
وَوَجَدْنَا أَبْلَغَ الْعَظَاتِ النَّظَرَ إِلَى مَحْلِ الْأَمْوَاتِ ، وَأَحَمَّدَ الْبِلَاغَةَ الْصَّمَتَ ،
وَوَجَدْنَا لِأَهْلِ الْحَزْمِ حَذَارًا شَدِيدًا ، وَبِذَلِكَ نَجَوْا مِنَ الْمَكْرُوهِ ، وَالْكَرْمُ حَسَنُ
الْأَصْطِبَارِ ، وَالْعَزُّ سُرْعَةُ الْاِتْتَصَارِ ، وَالْتَّجْرِبَةُ طَوْلُ الْاعْتَارِ .

قال : خَبَرْتِي هَلْ نَظَرْتَ فِي النَّجُومِ ؟ قال : مَا نَظَرْتُ فِيهَا إِلَّا فِيمَا أَرَدْتُ بِهِ
الْمِدَائِيَّةِ ، وَلَمْ أَنْظَرْ فِيمَا أَرَدْتُ بِهِ السَّكَاهَةَ ، وَقَدْ قَلَتْ فِي النَّجُومِ :

(١) بلوت : خبرت (٢) عَنْصُرُ الْبَنِ : أَخْذَ زَبْدَهُ (٣) الصَّرِيجُ : الْحَالُصُ .

علم النجوم على العقول و بالآخر طلاب^(١) شئ لا يُنال ضلال
ما زا طلابك علم شئ أغليقت من دونه الأفلاك ليس يُنال
هيئات ما أحد بفامض قدره يدرىكم الأرزاق والأجال
إلا الذي فوق السماء مكانه فلوجنه الإكرام والإجلال
قال : فهل نظرت في زَجْر^(٢) الطير ؟ قال : نحن معاشر العرب مولعون بزَجْرِ
الطير . قال : فما أعجب ما رأيته منه ؟ قال : شخصت أنا وصاحب لي من العرب
إلى بعض الملوك ، فألفيناه يريد غزو قوم كانوا على دين النصرانية ، فخرج حتى
إذا كان على فراسخ من مدینته أمر بضرب فساطيطه وأزرو قته لتسوان في إليه جنوده ،
وضرب له فسطاط على شاطئ نهر ، وأمر بخباء فضرب لي ولصاحبي ، فيينا نحن
كذلك إذ أقبل طائران : أسود وأبيض ، وأنا وصاحبي نرمقهما ، حتى إذا كان على
رأسه رفرفا ، ثم غابا ، ثم رجعا أيضا ، حتى إذا كانا قريبا منه طويلا ، ثم أقبلتا
ثعونا فوقعا ثم رتفعا^(٣) . فقال صاحبي : ما رأيت كاليلم طائرين أعجب منهما ،
فأيهمما أنت مختار ؟ فقلت : الأسود . قال : الأبيض أعجبهما إلى ، فما تأوهما ؟ قلت :
الليل والنهر يطويان هذا الرجل في سفره فيموت ، وتأولت اختيارك الأبيض أنك
تنصرف بيد بيضاء مخفقة^(٤) من المال . فإذا هو قد غضب .

فلماجن الليل بعث إلينا الملك لنسمر عنده ، فإذا صاحبي قد أخبره بالخبر ،
فسألني فأخبرته وصدقته . فغضي ، وقال : هذه حمية منك لأهل دينك ! فقلت :
أما أنا فقد صدقتك . فأمر بحبسي ومضى لوجهه . فلم يتتجاوز إلا قليلا حتى مات !
فأوصى لي بعشرين ناقة ، وقال : قاتل الله قسما ! لقد محضنى النصيحة . فانصرفت
من سفري ذلك بعدة من الإبل ، وانصرف مخفقا من المال .

(١) طلاب : طلب (٢) الزجر : ما يحدث من بعض الناس من التسلل بالغيب عند سوح طائر أو حيوان (٣) الرعن : الأكل والشرب رغدا في الريف (٤) مخفقة : خالية .

قال الملك : وما رأيت أياً من الزجر أحب ؟ قلت : ما رأيت مرةً عند الملك
الهمَّامَ أَبِي قَابُوسَ ، وقد خرج عليه خارجَ منْ مُضَرَ يرید مُلْكَه ، وقد حشد له ،
بعث إلى بعض عماله في توجيهه أربعمائة فارس ، ووجهني مع الرسول ، وأمرنا بالشدَّ
على أيديهم في جمع الخيل والرجال - وكان الرسول شاعراً ، فبينما نحن نسير إذ
سنحت لنا ظباء فيها تينس^(١) يقدُّمُها ، وكان أبو قابوس يواعد للقائه في يوم كذا
وكذا ، فتحنّن نقول : إنَّ كَانَ الْمَلَكُ خَرَجَ فِي يَوْمٍ كَذَا فَهُوَ الْيَوْمُ فِي مَوْضِعِ كَذَا ،
وقد أقبلنا ، ونحن نقود جيشاً عَرْمَّاما ، فأنشا الرسول يقول :

أَلَا لَيْتَ شَعْرِي مَا تَقُولُ السَّوَانِحُ أَغَادِي أَبُو قَابُوسَ أَمْ هُوَ رَاجِعُ ؟

فنظرت إلى التينس عند فراغه من هذا البيت ، فوجده قد دخل في
مَكْنِسِه^(٢) حتى توارى فيه ، فدخلتني من ذلك مالم أقدر على أنْ أُنْسِكَ نفسي ؟
حتى استرجعت ، فقال لي رفيقي : مالك ؟ قلت : إنَّ صَدَقَ الزجر فصاحبُك قد
ثَوَّى في التراب ، والتختَ عليه أطباقُ الثرى ! قال : كيف ذلك ؟ قلت : وافقَ
فراغُك من البيت دخولَ التينس في مَكْنِسِه ، فأعْرَضْتُ عنِي .

فَلَمَّا أَصْبَحْتُ فِي الْيَوْمِ الَّذِي وَاعْدَنَا لِلْقَاءِ لَمْ يُوَافِ ، وَلَمْ يَكُنْ بِأُوشِكَ مِنْ أَنْ
أَتَانَا الْخَبْرُ بِهِلَاكِهِ وَقُوْدِ ابْنِهِ .

فَأَكْرَمَهُ قَيْصَرُ وَأَحْسَنَ جَائزَتِهِ .

قلنا : أَيَّدَ اللَّهُ الْوَزِيرَ ! لَقَدْ بَلَغْتَ مَا بَلَغْتَ بِاسْتِحْقَاقِهِ ، وَلَقَدْ حُزِّتَ قَصْبَةَ
الرهان في كل مَنْقَبَة ، فتَبَسَّمَ وَقَالَ : عِزُّ الشَّرِيفِ أَدْبُهُ ، وَإِذَا رَسُولُ الرَّشِيدِ قد
وَفَاهُ فَهُنْ نَحْنُ ، وَتَصَدَّعَ الْمَجْلِسُ وَانْصَرَفَنَا .

(١) التينس : الذكر من الظباء قل المز والعول . (٢) المكنس - بكسر النون : موج الوشن
من الظباء والبقر تسكن فيه من المز .

فَلَمَّا مَضِيَ مِنَ الْلَّيلِ بَعْضُهُ إِذَا أَنَا بِطَارِقٍ قَدْ طَرَقْتِي ، وَبَيْنِ يَدِيهِ غَلْمَانٌ عَلَى
أَغْنَاقِهِمُ الْبَدَرِ^(١) ، وَإِذَا رَسُولُ الْفَضْلِ وَقَدْ حَلَّ إِلَيْهِ مائَةُ أَلْفِ درَمٍ ، وَقَالَ : الْوَزِيرُ
يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ . وَيَقُولُ : ضَبَرْتَ بِاسْمَاعِ الْأَحَادِيثِ ، وَأَوْجَبْتَ عَلَيْهِ بِذَلِكِ مِنْتَهَى ،
وَهَذَا عَطَاءُ وَتَخْ^(٢) فِي جَنْبِ قَدْرِكَ عَنْدِي ، فَخَذْهُ وَلَا تَعْتَدْ بِهِ .

فَقَلَتْ : سَبَحَانَ اللَّهِ الَّذِي خَلَقَ هَذَا الرَّجُلَ ! وَجَبَلَهُ عَلَى كَرْمِ بَذَّ بِهِ مِنْ مَقْنَى
وَمَنْ غَبَرَ . وَإِذَا هُوَ قَدْ وَجَهَ إِلَى أَحْبَابِ الَّذِينَ كَانُوا مَعِي بِمِثْلِ الذِّي وَجَهَ بِهِ إِلَيْهِ ،
فَقَدُوتُ إِلَيْهِ وَأَرَدْتُ أَنْ أَشْكُرْهُ ، فَقَالَ : وَاللَّهِ لَئِنْ ذَهَبْتَ تَكْشِفُ مَا سَرَّ اللَّهُ
لَا جُنُونَكَ ! فَكَانَ مَا أَلْقَيْتِ حَجْرًا . وَاحْتَسَنَتْ عَنْدَهُ ، فَطَعِمْتَ وَشَرَبْتَ ، وَرُحْتَ
وَقَدْ حَلَّنِي عَلَى عِدَّةِ أَفْرَاسٍ بِسُرُوجٍ وَلُجُومٍ مُذَهَّبَةٍ ، وَوَجَهَ مَعِي بِعَشْرَةِ تَخْنُوتٍ^(٣)
ثِيَابٍ وَعَشْرَ بَدَرٍ .

فَقَالَ الْمُؤْمِنُونَ : وَيَحْكُمْ يَا إِسْحَاقَ ! ثَوَابُ حَدِيثِكَ ضَعْفُ مَا أَمْرَكَ بِهِ الْفَضْلِ ،
وَقَدْ أَمْرَتُكَ بِمائَةِ أَلْفِ درَمٍ .
فَقَبَضْتُ ذَلِكَ وَانْصَرَفْتَ .

(١) الْبَدَرُ : جَمْ بَدْرَةٌ : كَيْسٌ فِيهِ أَلْفُ أَوْ عَشْرَةَ آلَافَ درَمٍ . (٢) وَتَخْ : قَلِيلٌ .

(٣) التَّخْ : وَعَاءٌ تَصَانُ فِيهِ الثِّيَابُ .

٥٠ — أَعْرَابِيٌّ فِي سُفَرَ *

زعموا أن رجلاً من كعب خرج في جماعةٍ، ومعه سقاء^(١) من لبن، فسار صدر يومه، فعطش فاناخ ليشرب؛ فإذا غراب ينبع^(٢)، فأثار راحلته، ثم سار، فلما ظهر^(٣) اناخ ليشرب، فنبع الغراب وترغ في التراب، فضرب الرجل السقاء بسيفه، فإذا فيه أسود^(٤) ضخم قتله.

ثم سار، فإذا غراب واقع على سدرة^(٥)، فصاح به فوقع على سلمة^(٦)، فصاح به، فوقع على صخرة، فانهى إليها، فأثار كنزًا.

فلما رجع إلى أبيه قال له: إيه ما صنعت؟ قال: سرت صدر يومي، ثم أنتخت لأنشرب فنبع الغراب، قال: أثرها، وإنما فلست بابني! قال: أثرتها، ثم أنتشت لأنشرب؟ فنبع الغراب، وترغ في التراب، قال: اضرب السقاء، وإنما فلست بابني! قال: فعلت، فإذا أسود ضخم، قال: ثم مه! قال: نم رأيت غرابة على سدرة، قال: أطڑه وإنما فلست بابني! قال: فعلت. فوقع على سلمة، قال: أطڑه وإنما فلست بابني! قال: فعلت، فوقع على صخرة، قال: أخبرني بما وجدت، فأخبره!

* نهاية الأرب: ١٤٠-٣، بلوغ الأرب: ٣٠٩-٣.

(١) السقاء: ما يوضع فيه اللبن. (٢) نبع التراب: صالح. (٣) ظهر: سار في الظهر.

(٤) الأسود: النظيم من الحيات. (٥) السدرة: شجرة النبق. (٦) السلم: شجرة من الصناء، الواحدة سلمة.

* ٥١ - في موت رسول الله*

قال أبو ذؤيب المذلي^(١) : بإنفاساً أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه ؛
فأوجس أهل الحى خيفة عليه ، فبت بليلة ثانية النجوم ، طويلاً الأنata ، لainجاحب
دَيْنُورُهَا^(٢) ولا يطلع نورها ، حتى إذا قرُبَ السَّحْرَ غَوْتُ ، فهتف لـ هاتف
يقول :

خَطْبٌ أَجَلٌ أَنَّا خَـ بـ الـ إـ سـ لـ اـ مـ^(٣)
قُبـضـ النـبـيـ مـ حـ دـ فـ عـ يـوـ نـاـ تـذـرـىـ الدـمـوعـ عـلـيـ بـالـنـسـجـامـ^(٤)
فـوـثـبـتـ مـنـ نـوـيـ فـزـعـاـ ؛ فـنـظـرـتـ إـلـىـ السـمـاءـ فـلـمـ أـرـ إـلـاـ سـعـدـ الـذاـجـ^(٥) ؟ فـقـاءـلـ
بـهـ ذـبـحـاـ يـقـعـ فـالـعـرـبـ ، وـعـلـمـ أـنـ النـبـيـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـ وـسـلـمـ قـدـ مـاتـ ، أـوـ هـوـ مـيـتـ
مـنـ عـلـتـهـ .

فـرـكـبـتـ نـاقـتـىـ وـسـرـتـ حـتـىـ أـصـبـحـتـ ، فـطـلـبـتـ شـيـنـاـ أـزـ جـرـهـ ، فـعـنـ لـيـ شـيـهـمـ^(٦)
قـدـ أـرـمـ عـلـىـ صـلـ^(٧) ، وـهـوـ يـتـلـوـىـ ، وـالـشـيـهـمـ يـقـضـمـهـ حـتـىـ أـكـلهـ ، فـزـجـرـتـ ذـكـ
شـيـنـاـ مـهـمـاـ ؟ فـقـلـتـ : تـلـوـىـ الصـلـ اـنـفـالـ^(٩) النـاسـ عـنـ الـحـقـ عـلـىـ القـائـمـ بـعـدـ رـسـولـ
الـهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـ وـسـلـمـ ، ثـمـ أـوـلـتـ أـكـلـ الشـيـهـمـ إـيـاهـ : غـلـبةـ القـائـمـ عـلـىـ الـأـمـ .

* بلوغ الأربع : ٣ - ٣١٥ ، نهاية الأربع : ٣ - ١٤٢ ، معاهد التنصيص : ١ - ١٩٣
(١) أبو ذؤيب المذلي : شاعر مقدم من شعراء هذيل ، كان في جند عبد الله بن سعد حينما فتح
إفريقياً وعاد إلى مصر ومات بها (٢) الديجور : الظلام (٣) الأطم : القصر وكل حصن
مبني بحجارة وكل بيت مربع مسطح ، جمعه آطام (٤) سجم اللعم : قطر وسال قليلاً أو كثيراً
(٥) متسلل من منازل القراء (٦) الشيهم : ذكر القنافذ (٧) أرم عليه : عض (٨) الصل :
الحياة . (٩) اقتلت عن الشيء : انصرف .

فَخَفَتْ ناققِي حَتَّى إِذَا كَنْتُ بِالْعُلَيْةِ^(١) زَجَرْتُ الطَّيْرَ فَأَخْبَرْتُ بِوْفَاتِهِ .
وَنَبَغَ غَرَابُ سَانِحَا^(٢) بِمَثَلِ ذَلِكَ ، فَتَعَوَّذَ مِنْ شَرِّ مَا عَنَّ لِي فِي طَرِيقَ ، مَمْ
قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ ، وَلِأَهْلِهَا ضَحَّيْجَ كَضْجِيجَ الْحَجِيجَ ، أَهْلَوَا جَمِيعًا بِالْإِحْرَامَ ، فَقَلَتْ :
مَهَ ! قَالُوا : قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَجَهَتْ الْمَسْجِدُ فَأَصْبَتْهُ خَالِيًّا ،
فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَصْبَتْ بَابَهُ مُرْتَجَاهًا^(٣) ، وَقَدْ خَلَّ بِهِ أَهْلُهُ ،
فَقَلَتْ : أَيْنَ النَّاسُ ؟ فَقَيْلَ : فِي سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ ، وَصَارُوا إِلَى الْأَنْصَارِ .

فَجَهَتْ السَّقِيفَةَ ، فَوُجِدَتْ أَبَا بَكْرَ وَعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، وَأَبَا عُبَيْدَةَ وَسَالِمًا ،
وَجَمِيعَةَ مِنْ قَرِيشَ ، وَرَأَيْتُ الْأَنْصَارَ فِيهِمْ سَعْدَ بْنَ عَبَادَةَ وَمَعْمِمَ شَعْرَوْهُمْ ، وَأَمَامَهُمْ
حَسَانُ بْنُ ثَابَتَ ، فِي مَلَأِهِمْ ، فَأَوَيْتُ إِلَى الْأَنْصَارِ ، فَتَكَلَّمُوا فَأَكْثَرُوا ،
وَتَكَلَّمَ أَبُو بَكْرَ ، فَلِلَّهِ مِنْ رَجُلٍ لَا يُطِيلُ الْكَلَامَ ، وَيَعْلَمُ مَوَاضِعَ الْفَصْلِ .
وَاللَّهُ أَنْدَ تَكَلَّمَ بِكَلَامٍ لَمْ يَسْمَعْهُ سَامِعٌ إِلَّا أَنْقَادَ لَهُ وَمَالَ إِلَيْهِ . وَتَكَلَّمَ بَعْدَهُ
عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِكَلَامِ دُونَ كَلَامِهِ ، وَمَدَّ يَدَهُ فِيَابَعَهُ ، وَرَجَعَ أَبُو بَكْرَ رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُ ، وَرَجَعَتْ مَعَهُ ؛ فَشَهَدَتْ الصَّلَاةَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
وَشَهَدَتْ دُفْنَهُ !

(١) عَلَيْهَا الْقَوْمُ : جَلَتْهُمْ (٢) نَبَغَ الْغَرَابُ : صَاحُ . وَالسَّانِحُ : مَا أَنْتَ عَنْ يَعْنِيكَ مِنْ ظَبِي
أَوْ طَائِرٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ . وَالْعَرَبُ تَخْتَلِفُ فِي الْعِيَافَةِ ، فَنَهُمْ مِنْ يَتَبَاهَنُ بِالسَّانِحِ : وَيَتَشَاءُمُ بِالْبَارِحِ ،
وَمِنْهُمْ مِنْ يَخْالِفُ ذَلِكَ (٣) أَرْجَعَ الْبَابَ : أَغْلَقَهُ .

* ٥٢ - عِيَافَةٌ لِهَبٍ *

تعشق كثيير^(١) امرأة من خزانة يقال لها أم الحويزث؛ فشب بها فكريت أن يسمع بها ويفضحها كما سمع بعزة، فقالت له: إنك رجل فقير لا مال لك فابتغ مالاً، ثم تعال فاختطبني كما ينطلب الكرام، قال: فالخلفي ووثقي أنك لا تزوجين حتى أقدم عليك، فلقت ووثقت له. فدح عبد الرحمن ابن إبريق الأزدي وخرج إليه، فلقي ظباء سوانح^(٢)، ولقي غراباً يفحص التراب بوجهه، فتطير من ذلك، حتى قدم على حى من لهب^(٣)، فقال: أعلمكم يزجر^(٤)؟ قالوا: كلنا! فمن تريده؟ قال: أعلمكم بذلك! قالوا: ذلك الشيخ المحنى الصلب، فأناه قصص عليه القصة فكره ذلك له، وقال: قد ماتت أو تزوجت رجل من بنى عمها؟ فقال كثيير^(٥):

تيممت لهبَا أبتغى العلم عندمِ وقد رُدَّ عِلْمُ العائفينَ إِلَى لِهَبِ
فيَمَّتُ شيخاً مِنْهُمْ دَأْ بِجَاهَةٍ^(٥) بَصِيرَاً بِرَجْرِ الطَّيْرِ مُنْحَنِيَ الْصَّلْبِ!
فَقَلَّتُ لَهُ : مَاذَا تَرَى فِي سَوَانِحِ
وَصَوْتِ غَرَابٍ يَفْحَصُ الْوَاجْهَةَ بِالثَّرَبِ
فَقَالَ : جَرِيَ الطَّيْرُ السَّنِيمِحُ بِيَدِهِمَا وَبِالسَّلْبِ

* نهاية الأربع: ٣ - ١٤٠ ، الأغانى: ٩ - ٣٤

(١) كثيير بن عبد الرحمن: من الشعراء الفازلين، ولكنه كان دعياً في الهب غير مرغوب فيه لطبع صورته وهو أن شخصيته فوق تقاضه السياسي، وتردداته بين الشيعة وبين أمية. فأخذ ينشر بعزة بنت عبد الصمرى حتى عرف بها، وكانت وفاتها سنة ١٠٥ هـ. (٢) السانح: ما أثارك عن يمينك من ظبي أو طائر أو غير ذلك، والبارح: ما أثارك من ذلك عن يسارك. (٣) لهب: قبيلة من اليمن معروفة باليافعة وزجر الطير. (٤) الزجر: ضرب من التكهن، وهو اليمين والشماش بالطير وغيرهما. (٥) يبلغه الناس ويقطعنوه.

فِإِلَّا تَكُنْ ماتَتْ فَقَدْ حَالَ دُونَهَا سِوَالَّةُ خَلِيلُ باطِنُهُ مِنْ بَنِي كَنْبِ
ثُمَّ مَدْحُ الرَّجُلِ الْأَزْدِيِّ فَأَصَابَهُ خَيْرًا، ثُمَّ قَدِيمٌ عَلَيْهَا، فَوُجِدَهَا قَدْ
تَزَوَّجَتْ رَجُلًا مِنْ بَنِي عَمِّهَا، فَأَخْذَهُ الْهُلَّاسُ^(١)، فَكُشِّحَ^(٢) جَنْبَاهُ بِالنَّارِ، فَلَمَّا
انْدَمَلَ^(٣) مِنْ عِلْمِهِ، وَضَعَ يَدَهُ عَلَى ظَهُورِهِ؛ فَإِذَا هُوَ بِرَقْمَتَيْنِ^(٤)؛ فَقَالَ : مَا هَذَا؟
قَالُوا : أَخْذَكِ الْهُلَّاسُ، وَزَعَمَ الْأَطْبَاءُ أَنَّهُ لَا عِلَاجَ لَكَ إِلَّا بِالْكُشْحِ بِالنَّارِ،
فَكُشِّحَتْ بِهَا، فَأَنْشأَ يَقُولُ :

عَفَا اللَّهُ عَنْ أُمَّ الْحُوَيْرِثِ ذَنْبَهَا عَلَامٌ تُعْنِي وَتُكْسِي^(٥) دَائِيَا؟
وَلَوْ آذَنُونِي قَبْلَ أَنْ يَرْقُمُوا بِهَا لَقْلَتُ لَهُمْ أُمَّ الْحُوَيْرِثِ ذَنْبَهَا

(١) الْهُلَّاسُ : الصُّورُ، أَوْ مَرْضُ السُّلِّ . (٢) كُشْحٌ : كُويٌّ . (٣) انْدَمَلَ : بَرِيءٌ .

(٤) الْمَرْقُومُ مِنَ الدَّوَابِ : الَّذِي يَكُونُ عَلَى أَوْظَافِهِ كَيَاتٌ صَنَارٌ، وَكُلٌّ وَاحِدٌ مِنْهَا رَفْقَةٌ، وَالْمَرَادُ أَنَّهُ وَجَدَ أَنْزَكِيَّتَهُ . (٥) كَيِّي الشَّيْءٍ : سَرَهُ وَكَتَمَهُ .

٥٣ — أبو النشناش ولهب *

كان أبو النشناش من لصوص بنى تميم ، وكان يعترض القوافل في شذاذٍ^(١) من العرب بين طريق الحجاز والشام ، فيجتازها ، فظففر به بعض عمال مروان بن الحكم ، فحبسه وقيده مدة ، ثم استطاع أن يهرب في وقت غرّة ، فهرب ، ومرّ بغراب على بانة^(٢) ، ينتف ريشه وينصب ، فجزع من ذلك ، ثم مرّ بمني من لهب ، فقال لهم : رجل كان في بلاد وشر ، وحبس وضيق ، فنجا من ذلك ، ثم نظر عن يمينه فلم ير شيئاً ، ونظر عن يساره فرأى غراباً على شجرة بان ، ينتف ريشه ، وينصب ! فقال له اللهم : إن صدقت الطير يعاد إلى حبسه وقيده ، ويطول ذلك به ، ويقتل ويصلب ، فقال له : بفيك الحجر ! قال : لا، بل بفيك ! وأنشأ يقول :

وَسَائِلُ أَيْنَ الرَّحِيلُ وَسَائِلٌ وَمَنْ بِسَالَ الصَّلْوَكَ أَيْنَ مَدَاهِبِهِ ؟

إِذَا ضَنَّ عَنْهُ بَالَّنَّوَالِ أَقْارَبَهُ مَذَاهِبَهُ أَنَّ الْفِجاجَ عَرِيضَةٌ

سَوَاماً وَلَمْ يَبْسُطْ لَهُ الْوَجْهَ صَاحِبُهُ إِذَا مَرَّهُ لَمْ يَسْرَحَ^(٣) سَوَاماً وَلَمْ يُرِخْ

عَدِيَّاً وَمِنْ مَوْلَى تُعَافُ مَشَارِبُهُ فَلَمْ يَمُوتْ خَسِيرٌ لِلْفَتِي مِنْ قَوْدَهُ

سَرَّتْ بَأْبِي النَّشْنَاشِ فِيهَا رَكَابُهُ وَدَوْيَّة^(٤) قَفْرٌ يَحَارُ بِهَا الْقَطَا^(٥)

إِلَّا إِنَّ هَذَا الدَّهْرَ تَتَرَى عَجَابُهُ لِيُدْرِكَ ثَارًا أَوْ لِيَكُسبَ مَغْنَامًا

وَلَا كَسَوَادَ الْيَمِيلَ أَخْفَقَ طَالِبُهُ فَلَمْ أَرَ مَثْلَ الْفَقْرِ ضَاجِعَهُ الْفَتِي

أَرَى الْمَوْتَ لَا يُبْقِي عَلَى مَنْ يُطَالِبُهُ فَعِشْ مُعْدِمًا^(٦) أَوْ مُتْ كَرِيمًا فَإِنِّي

* الأغاني : ١١ - ٤٢ ، ديوان الحماسة : ١ - ٣١

(١) الشذاذ : الذين لم يكونوا في حيهم ومنازلهم . (٢) البان : شجر لحب نمره دهن طيب

(٣) يقال سرح الماشية سرحًا : أخرجها بالغداة إلى المراعي ، والسوام والسامعة : الإبل أرسلت

لترعى ، وأراح الماشية : ردها من العشى إلى مراحها ليلاً . (٤) الدوية : منسوبة إلى الدو

وهو الفلاة البعيدة الأطراف . (٥) يضرب المثل بالقطا في المداية فيقال : أدل من قطة .

(٦) المعدم : الذي افتر .

* ٥٤ - غراب يبشر بموت الحاجاج

قال مُحدث : كنْتُ فِي حَبْسِ الْحَجَاجِ ؛ فَحُبِّسَ مَعَنَا رَجُلٌ ، فَأَقَامَ حِينَما
لَا نَسْمَعُهُ يَتَكَلَّمُ بِكَلْمَةٍ ، حَتَّى كَانَ الْيَوْمَ الَّذِي مَاتَ الْحَجَاجُ فِي اللَّيْلَةِ الَّتِي تَلَيَّهُ ،
فَأَقْبَلَ غَرَابٌ فِي عَشِيَّةِ ذَلِكَ الْيَوْمِ ، فَوَقَعَ عَلَى حَاطِطِ السِّجْنِ فَتَعَقَّ (١) ، قَالَ الرَّجُلُ :
وَمَنْ يَقْدِرُ عَلَى مَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ يَاغْرَابٌ ؟ ثُمَّ نَعَقَ الثَّانِيَةَ قَالَ : مَثُلُكَ مَنْ بَشَرٌ بِخَيْرٍ
يَا غَرَابٌ ! ثُمَّ نَعَقَ الثَّالِثَةَ قَالَ : مِنْ فِيكَ إِلَى السَّمَاءِ يَا غَرَابٌ !

فَقَلَتْ لَهُ : مَا سَمِعْنَاكَ تَكَلَّمَتَ مَذْحِبِتَ إِلَى السَّاعَةِ ، فَمَا دَعَاكَ إِلَى مَا قَلْتَ ؟
قَالَ : إِنِّي نَعَقَ قَالَ : إِنِّي وَقَعْتُ عَلَى سِرِّ الْحَجَاجِ ، فَقَلَتْ : وَمَنْ يَقْدِرُ عَلَى مَا تَقْدِرُ
عَلَيْهِ ؟ ثُمَّ نَعَقَ الثَّانِيَةَ ، قَالَ : إِنَّ الْحَجَاجَ أَصَابَهُ وَجَعٌ ، فَقَلَتْ : مَثُلُكَ مَنْ بَشَرٌ
بِخَيْرٍ ! ثُمَّ قَالَ فِي الثَّالِثَةِ : الْلَّيْلَةُ يَمُوتُ ! فَقَلَتْ : مِنْ فِيكَ إِلَى السَّمَاءِ .

ثُمَّ قَالَ الرَّجُلُ : إِنَّ اَنْسَلَخَ (٢) الصَّبَرُ قَبْلَ أَنْ أَخْرُجَ فَلِيسَ عَلَيَّ بَاسٌ ، وَإِنَّ
دُعِيتُ قَبْلَ الصَّبَرِ فَسُتُّضَرِّبُ عَنْقِي ، ثُمَّ تَبَشُّونَ ثَلَاثَةً لَا يَدْخُلُ عَلَيْكُمْ أَحَدٌ ، ثُمَّ
يُدْعَى بَكُمْ فِي الْيَوْمِ الْزَّاَبِعِ ، فَيَهْتَفُ عَلَى رَوْسَكُمْ بِالْكَفَالَةِ ، فَمَنْ وَجَدَ لَهُ كَفِيلًا خَلَى
سَبِيلِهِ ، وَمَنْ لَمْ يَجِدْ لَهُ كَفِيلًا فَوَيْلٌ لَهُ طَوِيلًا .

فَلَمَا دَخَلَ الْلَّيْلَ سَمِعْنَا الصَّرَارَخَ عَلَى الْحَجَاجِ ، ثُمَّ أَخْرَجَ الرَّجُلَ قَبْلَ الصَّبَرِ ،
فَضُرِّبَ عَنْقُهُ ، ثُمَّ لَمْ يَدْخُلْ عَلَيْنَا أَحَدٌ ثَلَاثَةً ، ثُمَّ دُعِيَ بِنَا وَطَلَبَ مِنَا الْكَفَالَةِ ، ثُمَّ
صَارَ الْأَمْرُ إِلَيْهِ ، فَسَكَنَتْ طَوِيلًا حَتَّى خَيْفَتْ أَنْ أَرَدَ إِلَى الْحَبْسِ ، ثُمَّ تَقْدَمَ رَجُلٌ
فَضَمَّنَنِي ، فَقَلَتْ لَهُ : يَا عَبْدَ اللَّهِ ؟ مَنْ أَنْتَ حَتَّى أَشْكُرَكَ ؟ قَالَ لِي : اذْهَبْ ،
وَلَسْتُ بِمُسْتَوْلٍ عَنْكَ أَبَدًا ، فَانْطَلَقْتُ .

* الفرج بعد الشدة : ١ - ١١٤ .

(١) نَعَقَ الغَرَابَ : نَعَبَ وَصَاحَ (٢) اَنْسَلَخَ النَّهَارَ مِنَ الْلَّيْلَ : خَرَجَ مِنْهُ خَرْوَجًا لَا يَبْقَى مَعَهُ
شَيْءٌ مِنْ ضَوْئِهِ .

٥٥ — صَدَقَ الْزَّاجِرُ^(١)

كان النصّور أَلْزَمَ خالدَ بْنَ بِرْمَكَ ثَلَاثَةَ آلَافَ دَرْهَمَ ، وَنَذَرَ دَمَهُ فِيهَا ، وَأَجَلَهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، فَقَالَ خَالدٌ لِيَحِيى ابْنَهُ : إِنِّي قَدْ طُوْلِبْتُ بِمَا لِيَسَ عَنْدِي ، وَإِنَّمَا يُرَادُ بِذَلِكَ دَمِي ، فَانْصَرَفَ إِلَى أَهْلِكَ فَعَلَّا بَعْدَ مَوْتِي فَاعْلَمَهُ ، ثُمَّ قَالَ : يَا بُنْيَ ؛ وَلَا يَمْنَعُنِّكَ ذَلِكَ مِنْ أَنْ تَنْقِي إِخْرَانَنَا ، فَتَعْلِمَهُمْ حَالَنَا .

قال يحيى : فَأَتَيْتُ إِخْرَانَ وَالَّدِي ، فَقُبِّلُهُ مَنْ جَاهَنَّمَ^(٢) بالرَّدِّ ، ثُمَّ بَعْثَى إِلَى بَعَالٍ جَلِيلٍ ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ يَأْذِنْ لِي ، وَبَعَثَ بَعَالٍ فِي أَنَّرِي لِكِيلَا يُخْبِرَ بِهِ النَّصّورَ .

فَدَخَلَتُ عَلَى عُمَارَةَ^(٣) بْنَ حَمْزَةَ ، وَهُوَ مُتَجَهٌ بِوجْهِهِ إِلَى الْحَائِطِ ، فَسَلَّمَ فَرَدَ رَدًا ضَعِيفًا ، فَضَاقَتِ الْأَرْضُ ، ثُمَّ كَلَّتِ فِيمَا كَنْتُ أَتَيْتُهُ فِيهِ ، فَقَالَ : إِنِّي أَمْكَنْنَا شَيْءًا فَسِيَّأْتِيكَ . فَانْصَرَفْتُ عَنْهُ ، وَصِرَّتُ إِلَى أَبِي ، فَأَعْلَمْتُهُ ذَلِكَ ، وَقَلَّتُ : أَرَاكَ تَشِقُّ مِنْ عُمَارَةِ بَعَالٍ لَا يُؤْمَقُ بِهِ .

فَوَاللهِ إِنِّي لَفِي ذَلِكَ الْحَدِيثِ ، إِذْ طَلَعَ رَسُولُ عُمَارَةَ بِمِائَةِ أَلْفِ دَرْهَمٍ ، وَرَسُولُ صَاحِبِ الْمَصْلِي بِمِائَةِ أَلْفِ دَرْهَمٍ ، وَرَسُولُ مَبَارِكِ التَّرْكِي بِمِائَةِ أَلْفِ دَرْهَمٍ ، فَجَمِيعَنَا فِي يَوْمَيْنِ أَلْفَيْ أَلْفِ دَرْهَمٍ ، وَبَقِيَتْ ثَلَاثَةَ أَلْفَ دَرْهَمٍ ، فَتَعْذِيرُ ذَلِكَ ، فَوَاللهِ إِنِّي لَمَّا زَالَ بِالْجَسْرِ مَهْمُومًا مَغْمُومًا ، إِذْ وَثَبَ إِلَى زَاجِرٍ ، فَقَالَ : قَفْ أَخْبِرْكَ ، فَلَمْ أَلْتَفِ

الْمَحَاسِنُ وَالْمَسَاوِيُّ ٣٤٩ :

(١) الزاجر : الديافة والتکهن . (٢) جبهه : رده عن حاجته واستقبله بما يكره . (٣) عماراة ابن حمزة : من الولاية الأجواد الشعراة جسم له بين ولاية البصرة وفارس والأهواز وإلها ماء والبحرين ، ولد في الكرم أخبار عجيبة ، وتوفي نحو سنة ١٨٠ هـ .

إِلَيْهِ ، فَلَحِقَنِي وَتَعْلَقَ بِي ، قَوْلَتْ : وَيُخْلِكْ ! اذْهَبْ عَنِي ، فَإِنِّي مَشْعُولٌ عَنْكَ ،
فَقَالَ : أَنْتَ وَاللَّهِ مَهْمُومٌ ، وَاللَّهِ لِي فَرْجُنٌ هُمْكَ ، وَلَمْرَنْ غَدَا فِي هَذَا الْمَوْضِعِ
وَاللَّوَاءِ بَيْنَ يَدِيكَ ، فَأَقْبَلْتُ أَعْجَبَ مِنْ قَوْلِهِ ، فَقَالَ لِي : إِنْ كَانَ ذَلِكَ فِي عَلِيْكَ
خَسْنَةً آلَافَ دَرْهَمٍ ! قَوْلَتْ : نَعَمْ ! وَلَوْ قَالَ خَمْسِينَ أَلْفَ دَرْهَمٍ لَقَلْتَ نَعَمْ ؛ لِبَعْدِ
ذَلِكَ عَنِي !

ثُمَّ مَضَيْتُ ؛ فَوَاللَّهِ مَا انْصَرَفْتُ حَتَّى وَرَدَ عَلَى الْمَنْصُورِ الْخَبْرُ بِاَنْتِقَاضِ أَمْرِ
الْمُوْصَلِ ، وَانْتِشَارِ الْأَكْرَادِ بِهَا ؛ فَقَالَ الْمَنْصُورُ : وَيَحْكُمْ ؟ مَنْ هُمْ ؟ – وَكَانَ
الْمَسِيْبُ^(١) بْنُ زُهْيرٍ عِنْدَ الْمَنْصُورِ . وَكَانَ صَدِيقًا لِخَالِدٍ – فَقَالَ : عَنْدِي – وَاللَّهِ –
مَنْ يَكْفِيْكَهُ ، وَأَنَا أَعْلَمُ أَنْكَ سَتْلَقَانِي بِمَا أَكْرَهَ ، وَلَكِنِّي لَا أَدْعُ عَلَى حَالٍ
نُضْحَكَ ! فَقَالَ الْمَنْصُورُ : وَيَحْكُمْ ! قَلَ ، فَلَسْتُ أَرْدِدُ عَلَيْكَ . قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ،
مَا تَرْمِيهَا بِمَثْلِ خَالِدٍ ! فَقَالَ الْمَنْصُورُ : وَيَحْكُمْ ! وَتَرَاهُ يَصْلُحُ لَنَا بَعْدَ مَا أَتَيْنَاهُ بِهِ ؟
قَالَ : نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَنَا زَعِيمُهُ بِذَلِكَ ، وَالضَّامِنُ عَلَيْهِ .

فَتَبَسَّمَ الْمَنْصُورُ ، وَقَالَ : صَدِقَتَ – وَاللَّهِ مَا هُنَّا غَيْرُهُ ، فَلَيَحْضُرْ غَدًا ! فَأَخْضَرَ
فَصَفَحَ عَمَّا بَقِيَ عَلَيْهِ ، وَعَقَدَ لَهُ .

قَالَ يَحْيَى : فَرَدَنَا وَاللَّهِ بِالْزَاجِرِ وَاللَّوَاءِ بَيْنَ يَدِيْهِ ، فَلَمَّا رَأَنِي قَالَ : أَنَا هَاهُنَا
أَنْتَظِرْكَ مِنْذُ غُدُوَّةِ .

فَتَبَسَّمَ إِلَيْهِ وَقَلْتُ : امْضِ ، فَمُضِيَ مَعِي ، وَدَفَعْتُ إِلَيْهِ خَمْسَةَ آلَافَ
الدرهم !

(١) كَانَ الْمَسِيْبُ بْنُ زُهْيرٍ عَلَى شَرْطَةِ الْمَنْصُورِ وَالْمَهْدِيِّ الْعَبَاسِيِّينَ ، وَتَوَفَّ بِيَغْدَادَ سَنَةَ ١٧٥ هـ .

* ٥٦ - علم المأمون وسعة معارفه

قال جعفر بن محمد الأنماني :

لَا دَخْلَ الْمُؤْمِنِ^(١) بَغْدَادُ، وَقَرَّاً بَهَا قَرَارُهُ، أَمْرٌ أَنْ يَدْخُلَ عَلَيْهِ مِنَ الْفَقِيهَاتِ
وَالشَّكَلَمِينَ وَأَهْلِ الْعِلْمِ جَمَاعَةٌ يَخْتَارُهُمْ لِجَالِسَتَهُ وَمُحَادِثَتَهُ، وَكَانَ يَقْدِمُ فِي صَدْرِ نَهَارِهِ
عَلَى لُبُودٍ فِي الشَّتَاءِ وَعَلَى حَصِيرٍ فِي الصَّيفِ، لَيْسَ مَعَهَا شَيْءٌ مِنْ سَائِرِ الْفَرْشِ،
وَيَقْعُدُ لِلْمَظَالِمِ فِي كُلِّ جَمِيعِ مَرْتَبَتَيْنِ، لَا يَمْتَنِعُ مِنْهُ أَحَدٌ.

وأختيرَ له من الفقهاء بجالسته مائةً رجل ، فما زال يختارُهم طبقةً بعد طبقةً حتى حصل منهم عشرة ، كان منهم أَحْدَادُ بْنِ أَبِي دُوَادَ ، وَبَشْرُ الْمَرِيسِيَّ ، وَكَفَتْ أَحْدَادُهُمْ .

فتقدَّ يَنَا يَوْمًا عِنْدَهُ ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُ وَضَعٌ عَلَى الْمَائِدَةِ أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثَةِ لَوْنَ ، فَكَلَّا وَضَعٌ لَوْنٌ نَظَرُ الْمُؤْمِنِ إِلَيْهِ ، فَقَالَ : هَذَا يَصْلُحُ لَكُذَا ، وَهَذَا نَافِعٌ لَكُذَا ؟ فَنَّ كَانَ مِنْكُمْ صَاحِبٌ بَلْغُ وَرْطُوبَةٍ فَلَيَجْتَنِبْ هَذَا ، وَمَنْ كَانَ صَاحِبَ صَفْرَاءَ فَلْيَأْكُلْ كُلَّ مِنْ هَذَا ، وَمَنْ غَلَبَتْ عَلَيْهِ السُّوَدَاءَ فَلِيَأْكُلْ كُلَّ مِنْ هَذَا ، وَمَنْ أَحْبَبَ الزِّيَادَةَ فِي لَهْمِهِ فَلِيَأْكُلْ كُلَّ مِنْ هَذَا ، وَمَنْ كَانَ قَصْدُهُ قِلَّةً لِلْغَذَاءِ فَلَيَقْتَصِرْ عَلَى هَذَا .

فَوْ أَنْذِلَ اللَّهُ إِنْ زَالَتْ تَلْكَ حَالَةً فِي كُلِّ لَوْنٍ يَقْدَّمُ ، حَتَّى رُفِعَتْ الْمَوَانِدُ .

قال له يحيى بن أَنْثَمٍ : يا أمير المؤمنين ! إن خُضناً في الطب كفت جالينوس

* عصر المأمون : ١ - ٣٦٠ .

(١) هو عبد الله الأمون بن هارون الرشيد ، من أعظم خلفاء بنى العباس وعلمائهم وحكمائهم ،
كان وافر المذاق ، عظيم الحلم ، محباً للعلم ، مؤثراً للحكمة ، توفي سنة ٢١٨هـ .

فِي مَعْرِفَتِهِ ! أَوْ فِي النَّجُومِ كُنْتَ هِرْمِسَ فِي حِسَابِهِ ! أَوْ فِي الْفَقَهِ كُنْتَ عَلَى بْنَ أَبِي طَالِبٍ فِي عِلْمِهِ ! أَوْ ذَكَرْنَا السَّخَاءَ فَأَنْتَ فَوْقُ حَاتِمٍ فِي جُودِهِ ! أَوْ ذَكَرْنَا صِدْقَ الْحَدِيثِ كُنْتَ أَبَا ذَرَّ فِي صِدْقِ لَهْجَتِهِ ! أَوْ الْكَرْمَ ، كُنْتَ كَعْبَ بْنَ مَامَةَ فِي إِيَّاشَارَهُ عَلَى نَفْسِهِ !

فَسُرَّ بِذَلِكَ الْكَلَامُ ، وَقَالَ : يَا أَبَا مُحَمَّدَ ؟ إِنَّ الْإِنْسَانَ إِنَّمَا فُضُّلٌ عَلَى غَيْرِهِ مِنَ الْهُوَامَّ بِفَعْلِهِ وَعِقْلِهِ وَتَمِيزِهِ ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ لَّهُ أَطَيْبَ مِنْ لَّهُ ، وَلَا دَمَّ أَطَيْبَ مِنْ دَمَّ

* ٥٧ — وفود الفارابي على سيف الدولة *

نزل أبو نصر الفارابي ^(١) بدمشق ، ودخل على سيف الدولة ^(٢) بن حمدان ، وهو إذ ذاك سلطانها ، ووقف بين يديه ؛ فقال له سيف الدولة : اجلس ! قال : أجلس حيث أنا أو حيث أنت ؟ فقال : حيث أنت .

فتخطى رقاب الناس حتى اتهى إلى مسند ^(٣) سيف الدولة ، وزاحمه فيه ، حتى أخرجه عنه .

وكان على رأس سيف الدولة مماليك ؟ وله معهم لسان خاص يسارئهم به ؛ فقال لهم بذلك اللسان : إن هذا الشيخ قد أساء الأدب ؛ وإنى سائله عن أشياء ، إن لم يعرفها فاخرجوا به !

قال له أبو نصر بتلك اللغة : أيها الأمير ؟ اصبر ؛ فإن الأمور بعواقبها . فعجب سيف الدولة منه ، وعظم عنده .

ثم أخذ يتكلم مع العلماء والحاضرين في كل فن ، فلم يزل كلامه يعلو ولامهم سفل ، حتى صمتوا ، وبقي يتكلم وحده .

ثم أخذوا يكتبون ما يقول ؛ فصرفهم سيف الدولة ، وخلا به ، فقال له :

* ثمرات الأوراق لشحموى :

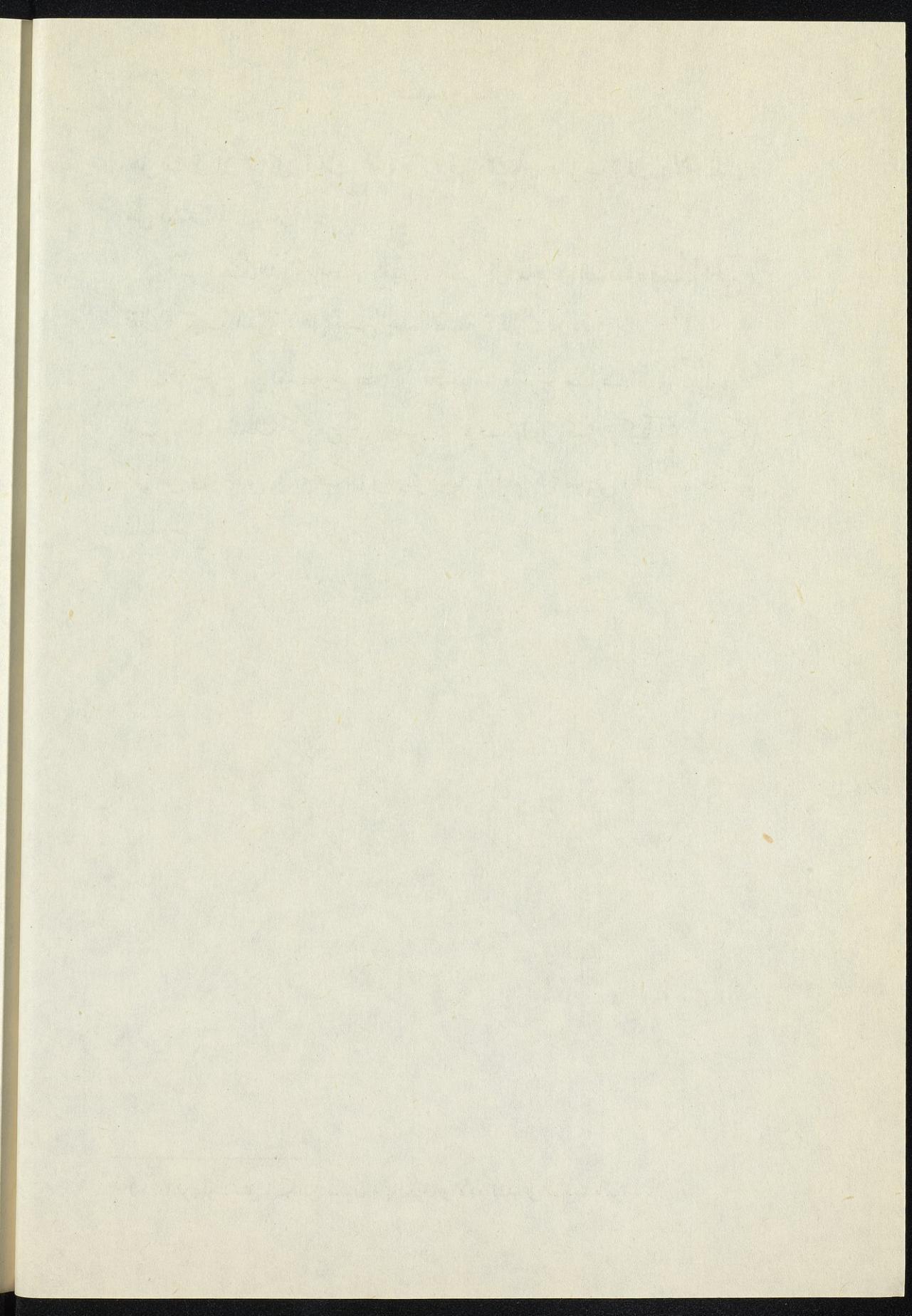
(١) نشأ الفارابي بالشام واشتغل فيها ، وكان فيلسوفاً كاملاً ، بارعاً في كل فن ، وألف كتاباً كثيرة في مواضِع لم يسبقها إليها أحد ، توفي سنة ٣٣٩ هـ . (٢) سيف الدولة : هو علي بن عبد الله ، صاحب التبني ومدحوه . وهو أول من ملك حلب من بني حمدان ، توفي سنة ٣٥٦ هـ . (٣) كل شيء أنسنت إليه شيئاً فهو مسند بالضم ؛ وكذلك ما ينسب إليه يسمى مسندًا بكسر الميم .

هل لك في أن تأكل؟ قال : لا ؟ قال : فهل لك أن تشرب؟ قال : لا . فقال :
هل تسمع؟ قال : نعم .

فأمر سيف الدولة بإحضار القيان ، فحضر كل ماهر في الصنعة ، فخططاً الجميع ،
قال له سيف الدولة : هل تحسن هذه الصنعة؟ قال : نعم .

ثم أخرج من وسطه خريطة ^(١) ففتحها ، فأخرج منها عيدانًا وركبتها ، ثم
لعب بها ؛ فضحك كل من في المجلس ؛ ثم فكّها وركبتها تركيباً آخر ؛ فبكى
كل من في المجلس ؛ ثم فكّها وغير تركيبها ، فنام كل من في المجلس ، فتركهم
نياماً وخرج !

(١) الخريطة : مثل السكبس تكون من الخرق والأدم تشد على ما فيها بالعرا .



البَابُ الرَّابِعُ

فِي الْقَصْصِ الَّتِي يُرَى بِهَا مَا كَانُوا يَتَغَنَّوْنَ بِهِ مِنْ
الْمَكَازِمِ وَالْمَفَاحِرِ ، وَمَا كَانُوا يَتَذَمَّوْنَ بِهِ مِنِ الْمَنَاقِصِ
وَالْمَعَرَّاتِ ، سَوَاء أَكَانَ ذَلِكَ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِكُلِّ مِنْهُمْ فِي
نَفْسِهِ أَمْ فِيمَا يَتَعَصَّلُ بِأَقْرَبِ بَيْنِ مَنْ ذُوِّيهِ ، أَمْ فِيمَا يَضْمُمُ
أَهْلَ قَبْيلَتِهِ ؛ أَمْ فِيمَا يَشْمَلُ النَّاسَ جِيَعاً .

* ٥٨ — سبق السيفُ العزلَ

كان للنعمان بن ثواب العبدى بنون ثلاثة : سعد وسعيد وساعدة ، وكان ذا
شرف وحكمة ، يوصى بنيه ، ويحملهم على أدبه .
أما ابنته سعد فكان شجاعاً بطلاً من شياطين العرب ، لم تفته طلبتة قط ،
ولم يفر عن قرن .

وأما سعيد فكان يُشبه أباه في شرفة وسوداده .
وأما ساعدة فكان صاحب شراب ونداء^(١) وإخوان .
فما رأى الشيخ حال بنية دعا سعداً — وكان صاحب حرب — فقال : يا بني ،
إن الصارم ينبو ، والجواود يكتبوا ، والأثر يغفو ، فإذا شهدت حرها ، فرأيت نارها
تسعرا ، وبطلها يختضر ، وبحرها يزخر ، وضعيفها يُنصر ، وجبارها يُحسر ، فأقلل
المكث والانتظار ، فإن الفرار غير عار إذا لم تكن طالب ثار ، وإياك أن تكون
صيده رماحها ، ونظير نطاها .

وقال لابنه سعيد — وكان جواداً — : يا بني ؟ لا يدخل الجواود ، فابذل الطارف
والتلاد^(٢) ، وأقلل التلاح^(٣) ، تذكر عند السماح ، وابل إخوانك ، فإن وفيهم
قليل ، واصنع المعروف عند محتمله .

* الأمثال : ١ - ٦٤ .

(١) جمع ندمان ، وهو النديم الذى يرافقك ويشاربك (٢) الطارف من المال : المستحدث وهو
ضد التالد (٣) التلاхи : التشاتم .

وقال لابنه ساعدة - وكان صاحب شراب - يابني ، إن كثرة الشراب تفسد القلب ، وتقلل الكسب ؟ فأبصرا نديمك ، واحم حريمك ، وأعن غريمك ، واعلم أنت الظمآن القامح ^(١) خير من الرّى الفاضح ، وعليك بالقصد فإن فيه بلاغا .

ثم إن أباهم النعمان بن ثواب توفى ، فقال ابنه سعيد - وكان جواداً سيداً : آخذن بوصية أبي ، ولا بلوتن إخوانى وشقيقى .

فعمد إلى كبس فذبحه ، ثم وضعه في ناحية من خيائمه وغشاه ثوباً ، ثم دعا بعض شقائه ، فقال : يا فلان ، إن أخاك من وفي لك بعهدك ، وحاطك برؤسده ، ونصرك بوذه . قال : صدقت ! فهل حسدت أمر ؟ قال : نعم ! إنني قتلت فلاناً - وهو الذي تراه في ناحية الخبراء - ولا بد من التعاون عليه ، حتى يُوازى ! فما عندك ؟

قال : يالها سوأة وقعت فيها ! قال : فإني أريد أن تعييني عليه حتى أغيبه ! قال : لست لك في هذا بصاحب ! وتركه وخرج . فبعث إلى آخر من شقائه ، فأخبره بذلك ، وسألته معرفته فرد عليه مثل ذلك ! حتى بعث إلى عدد منهم ، كلهم يردد عليه مثل جواب الأول .

ثم بعث إلى رجل من إخوانه يقال له خزيم بن نوقل ، فلما أتاه ، قال له : يا خزيم ، مالي عندك ؟ قال : ما يسررك ، وما ذاك ؟ قال : إني قتلت فلانا ، وهو

(١) الظمآن القامح : الشديد ، والمعنى : العطش الشاق خير من روى يفضح صاحبه (السان ، مادة قح) .

الذى تراه مُسْجِّى ! قال : أَيْسَرُ خطب ! فتُرِيدُ ماذا ؟ قال : أَرِيدُ أَنْ تُعِينَنِى حتى
أُغَيِّبَه ! قال : هَانَ مَا فَزَعَتَ فِيهِ إِلَى أَخِيكَ !

وكان غلاماً لسعيد قائماً بينهما ، فقال خَزِيم : هل اطَّلعَ على هذا الأمر
أَحَدٌ غَيْرَ غلامكَ هَذَا ؟ قال : لا ! قال : انظِرْ مَا تقولُ ! قال : ما قلت
إِلَّا حَقًّا . فَأَهْوَى خَزِيمَ إِلَى غلامه ، فضرَّ به بالسيف فقتله ، وقال : ليس عبدُ
بَاخٍ^(١) لك .

فارتَأَعْ سعيد ، وفزع لقتل غلامه ، وقال : ويحك ! مَا صنعت ! وجعل يلومه .

قال خَزِيم : إِنَّ أَخَالَكَ مِنْ وَاسِكَ^(١) !

قال سعيد : فإني أردتُ تخبرتك ! ثُمَّ كَشَفَ لَهُ عَنِ الْكَبِشِ ، وَخَبَرَهُ بِمَا
لَقِيَ مِنْ إِخْوانِهِ وَثَقَاتِهِ ، وَمَا رَدَّوا بِهِ عَلَيْهِ ، فقال خَزِيم : سَبَقَ^(١) السَّيْفُ
الْعَذْلَ^(٢) !

(١) ذُعْبَتْ أَمْثَالًا (٢) العَذْلُ : الْلَّوْمُ ، وَيُضَرِّبُ لَمَّا قَدْ فَاتَ .

* ٥٩ - إِيَّاشُ بْنِ مَامَةَ الْإِيَادِيَّ

خرج كعب^(١) بن مامدة الإيادي في قفل^(٢) معهم رجل من بن التمر بن قاسط ، وكان ذلك في حر الصيف ، فضلوا وشح ماؤهم ، فكانوا يتصافنون^(٣) الماء - وذلك أن يُطَرَّح في القلب^(٤) حَصَّةً ، ثم يُصب فيه من الماء يقدر ما يَغْمُرُ الحصّة ؛ فيشرب كل واحدٍ منهم قدر ما يشرب الآخر .

ولما نزلوا للشرب ، ودار القلب بينهم ، حتى انتهى إلى كعب ، رأى الرجل النمرى يُحدِّد النظر إليه ، فآثره بعائه على نفسه ، وقال للساقي : اسوق أخاك النمرى ، فشرب النمرى نصيب كعب من الماء ذلك اليوم !

ثم نزلوا من اللد منزلهم الآخر ، فتصافنوا بقية ما هم ؛ فنظر إليه كفظره أمس وقال كعب كقوله أمس ، وارتحل القوم ، وقالوا : يا كعب ، ارتحل ، فلم يكن له قوة للنهوض ، وكانوا قد قربوا من الماء ، فقالوا له : رد يا كعب ، إنك وارد ، فعجز عن الجواب . ولما أيسوا^(٥) منه خيموا عليه بشوب يمنعه من السبع أن يأكله وتركوه مكانه ، فمات ونجا رفيقه !

* بلوغ الأربع : ١ - ٨١ ، المحسن والمساوي : ٢٠٥ - طبعة ليزج ، الأمثال : ١٦٧-١ .

(١) هو كعب بن مامدة بن عمر بن ثعلبة الإيادي ، الذي يضرب المثل بجوده ، وكان أبوه ملك إياد

(٢) القفل (فتح القاء) : اسم جمع القافل ، أي راجع (٣) تصافنوا الماء : اقتسموا بالحصص

(٤) القلب : القدح يروي الرجل (٥) يئسوا .

٦٠ — وفاة السموءل *

لما أراد امرؤ القيس المضي إلى قيسار ملك الروم ، أودع عند السموءل ^(١)
دروعاً وسلاحاً وأمتعة ، تساوى جملة كثيرة ؛ فلما مات امرؤ القيس أرسل ملك
كندة يطلب الدروع والأسلحة المودعة عند السموءل ، فقال السموءل : لا أدفعها
إلا إلى مستحقها ، وأبى أن يدفع إليه منها شيئاً ؛ فعاوده ، فأبى ؛ وقال : لا أغدر
بذمتي ، ولا أخون أمانتي ، ولا أترك الوفاء الواجب على .

فقصده ذلك الملك من كندة بعسكره ، فدخل السموءل في حصنه ^(٢) ، وامتنع به ،
خاصره ذلك الملك . وكان ولد السموءل خارج الحصن ، فظفر به الملك ، وأخذه
أسيراً ، ثم طاف حول الحصن ، وصاح بالسموءل ، فأشرف عليه من أعلى الحصن ،
لما رأه قال له : إن ولدك قد أسرته ، وهو ذا معنى ، فإن سلمت إلى الدروع
والسلاح رحلت عنك ، وسلمت إليك ولدك ، وإن امتنعت من ذلك ذبحت ولدك
وأنت تنظر ! فاختر أيهما شئت .

* المستطرف : ١ - ٢٠١ ، الغرر : ١٩ ، بلوغ الأربع : ١ - ١٣٦

(١) هو السموءل بن غريض بن عadiاء شاعر جاهلي حكيم أشعر شعره لاميته التي مطلعها :
إذا المرء لم يدنس من الأؤم عرضه فكل رداء يرتديه جيل
ويضرب الثلث بوقائه . توفي نحو سنة ٦٥ ق . هـ . (٢) هذا الحصن يسمى الأبلق الفرد ، وقد بناه
أبوه بياء وفيه يقول السموءل :

لنا جبل يحتمله من نحيره منيع يرد الطرف وهو كليل
هو الأبلق الفرد الذى شاع ذكره يعز على من رامه ويطول
رسا أصله تحت الثرى وسما به للى النجم فرع لا يبال طويل

فقال له السموءل : ما كنت لأخير ذمائي^(١) ، وأبطل وفائي ؟ فاصفع
ماشت ! فذبح ولده ، وهو ينظر . ثم لما عجز عن الحصن رجم خائباً ، واحتسب
السموءل ذبح ولده ، وصبر محافظة على وفائه ؛ فلما جاء الموسم وحضر ورثة
أمرى القيس ، سلم إليهم الدروع والسلاح ، ورأى حفظ ذمامه ، ورعاية وفائه
أحب إليه من حياة ولده وبقائه ! وقال في ذلك :
وفيت بأدرع السكيني إني إذا ما خان أقوام وفيت

* ٦١ - لا حُرّ بُوادي عَوْف*

لما مات ليث بن مالك أخذت بنو عبس فرسه وسلبه^(٢) ثم مالوا إلى خباء
فأخذوا أهله ، وسلبوا أمراته مخاءة بنت عوف بن محمل ، وكان الذي أصابها
عمرو بن قارب وذواب بن أسماء ؛ فسألها مروان^(٣) القرط بن زنابع : من أنت ؟
قالت : أنا مخاءة بنت عوف بن محمل ، فانتزعها من عمرو وذواب ، لأنّه كان رئيس
القوم ، وقال لها : غطّي وجهك ، والله لا ينظر إليه عربي حتى أردهك إلى أبيك ،
وضمّها إلى أهله ! حتى إذا دخل الشهر الحرام أحسن كسوتها وأخدمها وأكرمها
وتحملها إلى عكاظ .

فلما اتهى بها إلى منازل بني شيمان قال لها : هل تعرِفين منازل قومك ومنزل

* الأمثال : ٢ - ٢٩٩ ، بلوغ الأربع : ١ - ١٢٥

(١) أخفر الذمة : إذا لم يف بالمهد (٢) السلب : ما يأخذه أحد القريتين في الحرب من قرنه
ما يكون معه وعليه من سلاح ودبابة (٣) سمي مروان القرط : لأنّه كان يغزو المين وهي
منابت القرط ، ويضرب به المثل في العز ، فيقال : أعز من مروان القرط .

أبيك ؟ فقالت : هذه منازلُ قومى ، وهذه قُبَّةُ أبي ! قال : فانطلقى إلى أبيك ؛
فانطلقتْ خبِيرَتْ بِصَنِيعِ مروانَ .

ثم إن مروان غَرَّاً بَكْرَ بن وائل فقصوا أَثْرَ جيشه ؛ فأسره رجلٌ منهم ، وهو
لا يعرفه ، فأنى به أَمَّه ، فلما دخل عليهما قال له أَمَّه : إنك لتخْتَالُ بِأَسْيِرِكَ كَانَكَ
جُئْتَ بِمَرْوَانَ القرْظَ ! فقال لها : وما تَرَجَّحَينَ من مروان ؟ قالت : عِظَمَ فَدَائِهِ .
قال : وَمَكَمْ تَرَجَّحَينَ من فَدَائِهِ ؟ قالت : مائةَ بَعِيرَ ! قال مروان : ذلك لكِ على أن
تُؤْدِينِي إلى حُمَّاعَةَ بنتِ عوفِ بْنِ حَمْلَمَ !

فَمَضَتْ به إلى عوف^(١) بن حَمْلَمَ ، فبعث إليه عمرو ابن هند أَنْ يأتِيهِ به . وكان
عمرو وَجَد^(٢) على مروان في أمر ، فَلَمَّا أَلَا يَغْفِي عَنْهُ حَتَّى يَضْعَفَ يَدَهُ فِي يَدِهِ؛ فَقَالَ
عوف - حين جاءه الرسول : قد أَجَارْتَهُ أَبْنَتَنِي ! وليسُ إِلَيْهِ سَبِيلٌ ، فَقَالَ عمرو بن
هند : قد آتَيْتُ أَلَا أَغْفُوَ عَنْهُ أَوْ يَضْعَفَ يَدَهُ فِي يَدِي . قَالَ عوف : يَضْعَفَ يَدَهُ فِي يَدِكَ
عَلَى أَنْ تَكُونَ يَدِي يَنْهَمَا ! فَأَجَابَهُ عَمْرُو ابْنُ هَنْدَ إِلَى ذَلِكَ .

فجاء عوف بِمَرْوَانَ فَادْخَلَهُ عَلَيْهِ ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي يَدِهِ ، وَوَضَعَ يَدَهُ يَنْهَمَا ، فَعَفَا
عَنْهُ . وَقَالَ عَمْرُو : لَا حُرَّ بَوَادِي^(٣) عَوْفَ .

(١) من أشراف العرب في الجاهلية ، كان مطاعاً في قومه ، قويًا في عصبيته ، وكانت تصرُّب له
قبة في عكاظ ، توفي نحو سنة ٤٥ ق . هـ (٢) وَجَدْ : غضب (٣) أَى لَاسِدْ بِهِ يَنْاوِهِ .

* ٦٢ — مروءة حاتم

كان عبد قيس بن خفاف البرجى أتى ساتم طي^(١) في دماء حملها عن قومه ، فأسلموه فيها ، وعجز عنها ؛ فقال : والله لا تَنَعِّمْ من يحملها عنى ، وكان شريفاً شاعراً شجاعاً .

فَلَمَا قَدِمَ عَلَيْهِ قَالُوا: إِنَّهُ وَقَعَتْ بَيْنِ وَبَيْنِ قَوْمٍ دَمَاهُ فَتَوَا كَلُوْهَا^(۲)، وَإِنِّي
حَلَّتُهَا فِي مَالِ أَهْلِي، فَقَدْمَتْ مَالِي وَأَخْرَتْ أَهْلِي، وَكَنْتَ أَمْلِي، فَإِنِّي تَحْمِلُهَا
فَرْبَ حَقٍّ قَدْ قَضَيْتَهُ، وَهُمْ قَدْ كَفَيْتَهُ، وَإِنْ حَالَ دُونَ ذَلِكَ حَائِلٌ لَّمْ أَذْمِمْ
يَوْمَكَ، وَلَمْ أَيَّسْ مِنْ غَدِيكَ، ثُمَّ أَنْشأً يَقُولُ:

فَتَّنْتُكَ لِمَا أَسْلَمْتَنِي الْبَرَاجِمُ^(٣)
 قَلْتُ لَهُمْ : يَكْفِي الْحَمَالَةَ حَاتِمُ^(٤)
 وَأَهَادًا وَسَهْلًا أَخْطَأْتُكَ الْأَشَائِمُ^(٥)
 زِيَادَةً مِنْ حَلْتَ عَلَيْهِ الْمَكَارُمُ
 فَإِنْ مَاتَ قَامَتْ لِلسَّخَاءِ مَاتَتْ^(٦)
 بُجُيَّبًا لَهُ مَا حَامَ فِي الْجَوَّ حَاتِمُ^(٧)
 قَلْتُ لَهُمْ : إِنِّي بِذَلِكَ عَالَمُ^(٨)
 حَلْتُ دَمَاءَ الْبَرَاجِمَ جَهَنَّمَ^(٩)
 وَقَالُوا سَفَاهًا : لَمْ حَلْتَ دِعَانَا
 مَتْ قَاتِهِ فِيهَا يَقُولُ لِي مَرْجَبًا
 فِي حِمْلِهَا عَنِي ، وَإِنْ شَتَّ زَادَنِي
 بِعِيشُ النَّدَى مَاعَشَ حَاتِمُ طَيْيَ^(١٠)
 يَنْنَادِينَ : مَاتَ الْجَوْدُ مَعْكَ فَلَا تَرِي
 وَقَالَ رِجَالُهُ : أَنْهَبَ الْعَامَ مَالَهَ

* الأغانى : ٨ - ٢٤٦ ، ذيل الأمالى : ٢٢ ، السمعط : ١٢

(١) هو حاتم بن عبد الله بن سعد الطائي من أشهر أجواد العرب في الجاهلية، مات نحو سنة ٤٥ ق.م (٢) تواكلوا : اتكل بعضهم على بعض (٣) أسلمه : خذله ، والبراجم : قوم من أولاد حنظلة بن مالك (٤) الأشام : ضد الميامن .

ولكنه يُعطى مِنْ أموال طَيْءٍ
إذا جَلَّ (١) المالُ الْحَقُوقُ الْلَّوازِمُ
فِي عَطْيَةِ الْتِي فِيهَا الْفَنِي وَكَانَه
لِتَصْغِيرِهِ تَلَكَ الْعَطِيمَةَ جَارِمَ (٢)
بِذَلِكَ أَوْصَاهُ عَدِيٌّ وَحَسْرَجٌ وَسَعْدٌ وَعَبْدُ اللَّهِ تَلَكَ الْقَمَاقَمَ (٣)
فَقَالَ لَهُ حَاتِمٌ : إِنِّي كَفَتُ لِأَحِبِّ أَنْ يَأْتِيَنِي مِثْلُكَ مِنْ قَوْمِكَ ، هَذَا مِرْبَاعِي (٤)
مِنَ الْفَارَةِ عَلَى بَنِي تَمِيمٍ فَخُذْهُ وَافْرَا ؛ فَإِنْ وَفَى بِالْحَمَالَةِ ، وَإِلَّا أَكْمَلْتُهَا لَكَ ، وَهُوَ
مَائَةٌ بَعْدِ سُوَى نِيَّهَا وَفِصَالِهَا ، مَعَ أَنِّي لَا أَحِبُّ أَنْ تَؤْبَسَ (٥) قَوْمَكَ بِأَمْوَالِهِ .
فَضَحَّكَ أَبُو جُبَيْرٍ ، وَقَالَ : أَئِي بَعْدِ دَفْتَهُ إِلَيْيَّ ، وَلَيْسَ ذَنْبَهُ فِي يَدِ صَاحِبِهِ
فَأَنْتَ مِنْهُ بَرِيٌّ ، فَدَفَعَهَا إِلَيْهِ وَزَادَهُ مَائَةً بَعْدِ ، فَأَخْذَهَا وَانْصَرَفَ رَاجِعًا إِلَى قَوْمِهِ ؛
فَقَالَ حَاتِمٌ فِي ذَلِكَ :

أَتَانِي الْبُرْجُمِيُّ أَبُو جُبَيْرٍ طَوِيلٍ
فَقَلَّتْ لَهُ : خَذْ الْمِرْبَاعَ مِنْهَا
عَلَى حَالٍ وَلَا عُوَدْتُ نَفْسِي
فَخُذْهَا إِنْهَا مَائَةً بَعْدِ
سُوَى النَّابِ الرَّذِيَّةِ (٦) وَالْفَصِيلِ (٧)
فَلَا مَنْ عَلَيْكَ بِهَا ، فَإِنِّي
فَأَبَ الْبُرْجُمِيُّ وَمَا عَلَيْهِ
يَخْرُجُ الدَّيْلَ يَنْفُضُ (٨) مَذْرَوَيَّهِ

(١) جَلَّ : ذَهَبَ بِهِ وَاسْتَأْصلَهُ (٢) جَارِمٌ : مَذْنَبٌ (٣) الْقَمَاقَمَ : جَمْ قَقَامُ وَهُوَ السِيدُ
الْعَظِيمُ ، وَهُؤُلَاءِ الَّذِينَ وَرَدُوا فِي الْبَيْتِ هُمْ أَجْدَادُ حَاتِمٍ (٤) الْمِرْبَاعُ : مَا يَأْخُذُهُ الرَّئِيسُ مِنَ الْفِنِيمَةِ
خَاصَّةً دُونَ أَصْحَابِهِ وَهُوَ رِبِّ الْفِنِيمَةِ (٥) تَؤْبَسُ : تَرُوعٌ (٦) الرَّذِيَّةُ : الْهَزِيلَةُ الْبُضِيْفَةُ
(٧) الْفَصِيلُ : وَلَدُ النَّاقَةِ إِذَا فَصَلَ عَنْ أَمْهٰهِ (٨) قَالَ فِي الْقَامَوسِ : جَاءَ يَنْفُضُ مَذْرُوِيَّهُ
بَاغِيًّا مَتَهَدِّدًا ، وَالْمَذْرُوَانُ : نَاحِيَتَا الرَّأْسِ مُثْلَّ الْفَوْدَيْنِ ، ثُمَّ اسْتَعْيَرَ لِلْمُنْكَبَيْنِ وَالْإِلَيْتَيْنِ وَالظَّرْفَيْنِ

٦٣ — مَاوِيَّةٌ تتحدث عن كرم حاتم*

قالت مَاوِيَّة امرأة حاتم :

أصابتنا سَنَةُ اقْشِرَتْ لَهَا الْأَرْضُ ، وَأَغْبَرَ أَفْقَ السَّمَاءِ ، وَرَاحَتِ الْإِبْلُ
حُدْبَتِ حَدَّا بِسِيرٍ^(١) ، وَضَنَتِ الْمَرَاضِعُ عَلَى أَوْلَادِهَا ، فَاسْتَبَضَ^(٢) بِقَطْرَةٍ ،
وَحَلَقَتِ^(٣) السَّنَةُ الْمَالُ ، وَأَنْيَقَتَا بِالْمَلَكَ . فَوَاللَّهِ إِنَا لَفِي لَيْلَةٍ صَنِيرٍ^(٤) ، بَعِيدَةٌ
مَا بَيْنَ الْطَّرَفَيْنِ ، إِذَا تَضَاغَى^(٥) صَبَيَّتَنَا جَوْعًا : عَبْدُ اللَّهِ ، وَعَدِيٌّ ، وَسَفَانَةً . قَامَ
حَاتِمٌ إِلَى الصَّبَيْنِ ، وَقَاتَ^(٦) أَنَا إِلَى الصَّبَيْيَةِ . وَأَقْبَلَ يَعْلَمِي بِالْحَدِيثِ ؛ فَعْرَفْتُ
مَا يَرِيدُ ، فَتَنَاهَمْتُ^(٧) .

فَلَمَّا تَهُوَّرَتِ^(٨) النَّجُومُ ، إِذَا شَىٰ : قَدْ رَفَعَ كِسْرَ الْبَيْتِ^(٩) ثُمَّ عَادَ . فَقَالَ
حَاتِمٌ : مَنْ هَذَا ؟ قَالَتْ : جَارُكَ فَلَانَةُ ، أَتَيْتُكَ مِنْ عِنْدِ صَبَيَّيْهِ يَتَعَاوَزُونَ عُوَاءَ
الْذَّيْابِ ، فَمَا وَجَدْتُ مُعَوَّلًا إِلَّا عَلَيْكَ يَا أَبَا عَدِيٍّ . قَالَ : أَعْجَلُهُمْ ، فَقَدْ
أَشْبَعَ اللَّهُ وَإِيَّامِ^(١٠) !

فَأَقْبَلَتِ الْمَرْأَةُ تَحْمِلُ اثْنَيْنِ ، وَيَسْتَشِي بِجَانِبِهَا أَرْبَعَةَ ، كَأَنَّهَا نَعَامَةٌ حَوْلَهَا
رِئَالُهَا^(١١) .

قَامَ حَاتِمٌ إِلَى فَرْسِهِ فَوَجَأْ^(١٢) لَبَّتِهِ بِمُدْيَةٍ خَرَّ ، ثُمَّ كَشَطَهُ عَنْ جَلْدِهِ ، وَدَفَعَ

* العقد الفريد : ١ - ١٠٨ ، أمثال الميداني : ١ - ١٢٣ .

(١) الحدب : جمع أحدب وهو صفة للجمل عند الجموع ، والحدابير : جم حدباء وهي الناقة الضامرة

(٢) تبضن : تسيل قليلاً قليلاً (٣) أي أهلكته واستأصلته كما تستأصل الموسي الشعر (٤) صنير :

باردة (٥) تضاغوا : تصايموا (٦) تهورت : انحدرت إلى المقرب (٧) الكسر : الشقة

(٨) السفل من الجباء (٩) الرئال : أولاد النعام . (١٠) وجأ : طعن

المديةَ إِلَى الْمَرْأَةَ ، فَقَالَ لَهَا : شَانَكَ ! فَاجْتَمَعُنَا عَلَى الْلَّهُمَّ نَشَوْى وَنَأْكُلُ . ثُمَّ جَعَلَ
يَمْشِي فِي الْحَيَّ يَأْتِيهِمْ بَيْتًا ، فَيَقُولُ : هُبُّوا أَيُّهَا الْقَوْمُ ، عَلَيْكُمْ بِالنَّارِ ! فَاجْتَمَعُوا
وَالْتَّفَعَ فِي ثُوبِهِ ، وَجَلَسَ فِي نَاحِيَةٍ يَنْظُرُ إِلَيْنَا . فَوَاللَّهِ إِنْ ذَاقَ مِنْهُ مُزْعَةً^(١) ، وَإِنَّهُ
أَحَوجُ إِلَيْهِ مِنَا ! فَأَصْبَحَنَا وَمَا عَلَى ظَهِيرِ الْأَرْضِ مِنْ فَرْسٍ إِلَّا عَظِيمٌ وَحَافِرٌ ؛
فَانْشأَ حَاتِمٌ يَقُولُ :

مَهْلَأَ نَوَارٌ^(٢) أَقْلَى اللَّوْمَ وَالْعَذَلَاءِ
وَلَا تَقُولِي لَشَيْءٌ فَاتَّ : مَا فَعَلَأَ
وَلَا تَقُولِي لَمَالِ^(٣) كُنْتُ مُهْلِكَهُ
مَهْلَأَ وَإِنْ كُنْتُ أَعْطَى إِلِّي إِنْسَانَ وَأَخْبَلَهُ
يَرِى الْبَخِيلُ سَبِيلَ الْمَالِ وَاحِدَةً^(٤) إِنَّ الْجَوَادَ يَرِى فِي مَالِهِ سُبُلَـ

(١) المزعنة : النقطمة من اللحم ، وإن نافية ، يعني ما .

(٢) هي امرأة حاتم . (٣) الخيل : الجن .

* ٦٤ — بين حاتم وماوية*

لما تزوج حاتم ماوية، وكانت من أحسن النساء؛ لبنت عنده زمنا؛ ثم إنَّ
ابن عم له - يقال له مالك - قال لماوية :

ما تصنعين بحاتم؟ فوالله لئن وجد شيئاً ليتلقنه، ولئن لم يجد ليتكلفه، ولئن
مات ليتركته ولدَه عيالاً على قومه؛ طلق حاتماً وأنا أتزوج بك، فأنا خير لك منه
وأكثُر مالاً، وأنا أمسك عليك وعلى ولدك. فقالت ماوية : صدقت، إنه
ل كذلك ، فلم يزل بها حتى طلقت حاتماً.

وكانت النساء أو بعضهن يطلقن الرجال في الجاهلية ، وكان طلاقهن أثمن
بحولهن أبواب بيوتهن ، إن كان الباب إلى المشرق جعلته إلى المغرب؛ وإن
كان الباب قبل اليمن جعلته قبل الشام؛ فإذا رأى ذلك الرجل علم أنها قد
طلقتها .

فأتى حاتم فوجدها قد حولت باب الخبراء ، فقال لابنه : يا عدى ، ما ترى
أمك؟ ما عدَّا عليها؟ قال : لا أدرى ! غير أنها غيرة باب الخبراء - وكأنه لم
يلحن^(١) لما قال ؛ فدعاه فهبط به بطن واد .

وجاء قوم فنزلوا على باب الخبراء ، كما كانوا ينزلون فتوافى خمسون رجلاً ،
فضاقت بهم ماوية ذرعاً؛ فقالت لجاريتها : اذهب إلى مالك ، فقولي له : إن أضيافاً
لـ حاتم قد نزلوا بنا وهم خمسون رجلاً ، فأرسل إلينا بناب نقرهم ولبن نفبقوهم^(٢) .

* ذيل الأمالى : ١٥٣ .

(١) لم يلحن : لم يفطن . (٢) الفبوق : الشرب بالعشري ، وغبقة : سقاء إيه فى هذا الوقت .

وقالت لجاريها : انظرى إلى جينه وفمه ، فإن شافتهـ بالمعروف فاقبلي منه :
وإن ضربـ بـ جـ يـ هـ (١) على زـ وـ زـ ؛ فـ اـ زـ جـ عـ وـ دـ عـ .

فَلَمَّا أَتَتْ مَالِكًا وَجَدَهُ مُتَوَسِّدًا وَطَبِّأً^(٢) مِنْ لَبَنٍ ، فَأَيْقَظَهُ وَأَبْلَغَهُ الرِّسَالَةَ ؟

وقالت : إنما هي الليلة حتى يعلم الناس مكانك ؟ فادخل يده في رأسه ، وضرب بلحبيته على زوره ، وقال لها : أقرني عليها السلام ، وقولي لها : هذا الذي أمرتك أن تُطلق حاتماً من أجله ، فما عندى من كبيرة قد تركت العمل ، وما كفت لأنحر صفيّة^(٣) غزيرة بشحم كلاتها ، وما عندى لين يكفي أضياف حاتم !

فرجعت الجارية فأخبرتها بعراقت منه، وأعلمتها بمقالته؛ فقالت لها: ويلك!

أنتي حاتماً قولي له : إن أضيافك قد نزلوا الليلة بنا ، ولم يعلموا بمكانتك ، فارسل إلينا بباب نصرها ونقرم ، وبلبن نسقهم ، فإنما هي الليلة حتى يعرفوا مكانك .

فأَتَتِ الْجَارِيَةُ حَاتِمًا فَصَرَخَتْ بِهِ . فَقَالَ حَاتِمٌ : لَبِيكِ قَرِيبًا دُعُوتِ ! فَقَالَتْ :

إِنْ مَوَيْهَةً تَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامُ وَتَقُولُ لَكَ إِنْ أَصْبَارِكَ قَدْ نَزَلُوا بِنَا اللَّيْلَةَ فَأَرْسِلْ

إليهم ببابٍ شعرها لم ولبن نسقهم . فقال : نعم وأبى ! ثم قام إلى الإبل فأطلق

ثنتين (٤) من عقائيمها، ثم صاح بهما حتى أتى الخبراء، فضرب عرائيفها (٥)،

فقط ما فيه تصريح وتقول : هذا الذى طلقتك فيه ! ترك ولدك وليس

لُمْشَىٰ!

(١) الاعي : منبت الاعي ، وما لحيان . (٢) الوطب : سقاء اللبن ، وهو من جلد .

(٣) الصفية : الناقة الغزيرة . (٤) الثانية : الناقة الطاعنة في السادسة . (٥) العرقوب من الدابة في رجلها عزلة الركبة في يدها .

٦٥ — مروءة ووفاء*

خرج النعمان^(١) بن النذر يوماً يتصدّى على فرسه اليَحْمُوم^(٢)، فأجراه على
أثرِ عَيْر^(٣)؛ فذهب به الفرسُ في الأرض ، ولم يقدر عليه ، وانفردَ عن أصحابه ،
وأخذَتْهُ السَّيَّاء^(٤)؛ فطلب ملجأً يلجأ إلَيْهِ ، فدفعَ إلَى بناء ، فإذا فيه رجلٌ من طَيْنٍ
يقال له حَنْظَلة ، ومعه امرأة له؛ فقال لها: هل مِنْ مَأْوى؟ فقال حَنْظَلة: نعم!
وخرج إلَيْهِ ، فأتَرَاهُ ، ولم يكن الطَّائِي عِيرُ شَاء ، وهو لا يُعرفُ النعمان؟ فقال لامرأته:
أرى رجلاً ذا هيئة ، وما أخلاقه؟ أن يكون شريفاً خطيراً ، فما الحيلة؟ قالت: عندى
شيءٌ من طَحِينٍ كنتُ ادْخُرْتُه ، فاذْبَحِ الشَّاة لاتَّخِذَ من الطَّحِين خُبْزَ مَلَة^(٥).
وأخرجتِ المرأةُ الدَّقيقَ ، فخبَزَتْ منه ، وقام الطَّائِي إلَى شاته فاحتَلَّها ،
ثم ذبحَها؛ فاتَّخذَ من لحمها مَرَقَةً مَضِيرَة^(٦) ، وأطعْمه من لحمها ، وسقاها من لبنها ،
واحتال حتى وجده شرابةً فَسَقَاه ، وجعل يُحَدِّثُه بقيَّةَ ليلته .
فَلَمَّا أَصْبَحَ النعمانُ لِبس ثِيَابَه ، ورَكِبَ فَرْسَه ، ثُمَّ قال: يا أخَا طَيْنٍ؛ اطلِبْ
ثوابك ، أنا الْمَلِكُ النعمان! قال: أَفْعُلُ إِنْ شاءَ الله.

* أمثال الميداني: ١ - ١٤٦ ، المستطرف: ١ - ١٩٩ - ، الأغاني: ١٩ - ٨٨ ، مجم
البلدان: ٦ - ٢٨٥ ، المحسن والأضداد: ٥٨ ، بلوغ الأربع: ١ - ١٢٧ ، المحسن
والمساوي: ١١٧ ، طبعة ليزج .

(١) من ملوك الحيرة ، تولى الملك بعد عمرو بن هند ، ويكنى أبا قابوس ، وهو مدحون النافقة
الذيباني ، وحسان بن ثابت ، وحامِ الطَّائِي؟ ومات نحو سنة ٨ ق. م. (٢) اليَحْمُوم: الأسود
وهو اسم فرس كان للنعمان (٣) العَيْر: الحمار الوحشى (٤) المطر (٥) الملا: الرماد الحار . وخبز
الملا: ما يصنع فيها . (٦) المضيرية: أن يطبخ اللحم بالبن البحث الصريح حتى ينضج اللحم وتختر
المضيرية .

ثُمَّ لَحْقَ الْخَيْلَ ، فَضَى نَحْوَ الْحِيرَةِ ، وَمَكَثَ الطَّائِفُ بَعْدَ ذَلِكَ زَمَانًا حَتَّى أَصَابَتْهُ
نَكْبَةً وَجَهْدًا ، وَسَاءَتْ حَالُهُ ؛ فَقَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ : لَوْ أَتَيْتَ الْمَلَكَ لِأَحْسَنَ إِلَيْكَ ؟
فَأَقْبَلَ حَتَّى انْهَى إِلَى الْحِيرَةِ ، فَوَافَقَ يَوْمَ بُؤْسِ النَّعَانَ ، فَإِذَا هُوَ وَاقِفٌ فِي خَيْلَهُ
فِي السَّلَاحِ .

فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ النَّعَانُ عَرَفَهُ ، وَسَاعَهُ مَكَانُهُ ، فَوَقَفَ الطَّائِفُ - الْمَنْزُولُ بِهِ - بَيْنَ
يَدِي النَّعَانَ ، فَقَالَ لَهُ : أَنْتَ الطَّائِفُ الْمَنْزُولُ بِهِ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : أَفَلَا جَئْتَ فِي
غَيْرِ هَذَا الْيَوْمِ ! قَالَ : أَبَيْتَ اللَّعْنَ ! وَمَا كَانَ عِلْمِي بِهَذَا الْيَوْمِ ؟ قَالَ : وَاللَّهِ لَوْ سَنَحَ
لِي فِي هَذَا الْيَوْمِ قَابُوسٌ ^(١) لَمْ أَجِدْ بَدَأًا مِنْ قَتْلِهِ ، فَاطْلَبْ حاجَتَكَ مِنَ الدُّنْيَا ،
وَسَلْ مَا بَدَأَ لَكَ فَإِنَّكَ مَقْتُولٌ ! قَالَ : أَبَيْتَ اللَّعْنَ ! وَمَا أَصْنَعْ بِالدُّنْيَا بَعْدَ نَفْسِي ؟
قَالَ النَّعَانُ : إِنَّهُ لَا سَبِيلٌ إِلَيْهَا . قَالَ : فَإِنْ كَانَ لَا بَدِئْ فَأَجْلِنِي حَتَّى أَلِمَّ بِأَهْلِي ،
فَأُوصِي إِلَيْهِمْ ، وَأَهْيِ حَالَمِ ، ثُمَّ الْصَّرْفُ إِلَيْكَ . قَالَ النَّعَانُ : فَأَقْمِ لِي كَفِيلًا
بِمُوافَاتِكَ . فَالْتَّفَطَ الطَّائِفُ إِلَى شَرِيكِ ^(٢) بْنِ عُمَرَ ، وَهُوَ وَاقِفٌ بِجَنْبِ النَّعَانَ ،
فَقَالَ لَهُ :

يَا شَرِيكَ يَا بْنَ عُمَرَ هَلْ مِنَ الْمَوْتِ حَالَهُ ^(٣)
يَا أَخَا كُلَّ مُصَابٍ يَا أَخَا مَنْ . لَا أَخَاهُ
يَا أَخَا النَّعَانَ فُلَكَ الْأَسْيَامِ ضَيْفًا قَدْ أَتَى لَهُ
فَأَبَى شَرِيكَ أَنْ يَتَكَفَّلَ بِهِ ؛ فَوَثَبَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ كُلْبِ يَقَالُ لَهُ قُرُادُ بْنُ
أَجْدَعَ ، فَقَالَ النَّعَانُ : أَبَيْتَ اللَّعْنَ ! هُوَ عَلَيَّ ! قَالَ النَّعَانُ : أَفَعَلْتَ ؟ قَالَ : نَعَمْ !
فَضَمَّنَهُ إِبَاهُ ، ثُمَّ أَمْرَ الطَّائِفَ بِخَمْسَمِائَةِ نَاقَةٍ ؛ فَضَى الطَّائِفُ إِلَى أَهْلِهِ ، وَقَدْ جَعَلَ الْأَجْلَ

(١) قابوس : ابن النعان (٢) كان شريك هذا رديف النعان ، يجلس عن يمينه ويشرب
بعده ويخلفه إذا غزا . . (٣) حيلة .

حولًا من يومه ذلك إلى مثل ذلك اليوم من قابل ، فلما حال عليه الحول ،
وبقي من الأجل يوم ، قال النعسان لقراد : ما أراك إلا هالكا غدا ،
فقال قراد :

فإن يك صدر هذا اليوم ولّي فإن غدا لتأطيره قريب
فلا أصبح النعسان ركب في خيله ورجله ^(١) متسلاً كما كان يفعل حتى أتى
الغررين ^(٢) فوق ينهمما ؛ وأخرج معه قرada ، وأمر بقتله ، فقال له وزراوه :
ليس لك أن تقتلها حتى يستوفى يومه ، فتركه ؛ وكان النعسان يشتهي أن يقتل قرادا
ليغسل الطائئ من القتل ؛ فاكادت الشمس تحيب ^(٣) وقراد قائم على النطع ^(٤) ،
والسياف إلى جنبه حتى أقبلت أمرأته وهي تقول :

أيا عين بكى لي قراد بن أجدها رهينا لقتل لا رهينا موعدا
فيبياهم كذلك إذ رفع لهم شخص من بعيد ، وقد أمر النعسان بقتل قراد ،
فقيل له : ليس لك أن تقتلها حتى يأتيك الشخص فتعلم من هو ؟ فكشف حتى انتهى
إليه الرجل ، فإذا هو الطائئ !

فلم ينظر إليه النعسان شق عليه مجنه ، فقال له : ما حملك على الرجوع بعد
إفلاتك من القتل ؟ قال : الوفاء ، قال : وما دعاك إلى الوفاء ؟ قال : ديني . قال
النعسان : وما دينك ؟ قال : النصرانية . قال النعسان : فاغرضها على ، فعرضها عليه ؛
فتنصر النعسان وأهل الحيرة أجمعون ، وترك القتل منذ ذلك اليوم ؛ وأبطل تلك

(١) الخيل . الفرسان ، والرجل اسم جم للرجل ، وهو مala ظهر له في سفره يركبه .

(٢) الغريان : مثنى غري ، بناءان طويلا ، يقال لها قبر مالك وعقيل نديعه الأبرش
وسيا بذلك ، لأن النعسان بن المنذر كان يغيرهما بدم من يقتله يوم بؤسه . (٣) تحيب الشمس : تعيب

(٤) النطع : بساط من جلد .

السُّنَّة ، وأمر بهدم الْفَرِيَّين ، وعفا عن قُرَادِ الْطَّائِي ؟ وقال : والله ما أَذْرَى أَيْمَهَا
أَوْفِي وَأَكْرَم ؛ أَهْذَا الدَّى نَجَا مِنَ الْقَتْلِ فَعَاد ، أَمْ هَذَا الَّذِي ضَيَّنَهُ اللَّهُ لَا أَكُونُ
أَلَامَ الْثَّلَاثَة ؛ فَأَنْشَأَ الطَّائِي يَقُول :

ما كُنْتُ أُخْلِفُ ظَنَّهُ بَعْدَ الَّذِي
أَسْدَى إِلَى مِنَ الْفَعَالِ ^(١) الْخَالِي
وَلَقَدْ دَعْتُنِي لِلْخِلَافِ ضَلَالَتِي
فَأَيْتُ غَيْرَ تَمْبُّدِي وَفَعَالِي !

(١) الفعال - بالفتح : الفعل السَّكِير .

٦٦ — مَسْكُرْمَةُ *

حدّث عمرو بن العلاء فقال :

جلس النعانُ بن النذر وعليه حلةٌ مرصعةٌ بالدر، لم يرَ مثلها قبل ذلك اليوم. وأذنَ للعرب في الدخول عليه، وكان فيهم أوسُ بن حارثة^(١)، فجعلت العرب تنظرُ إلى الحلةِ، وكلٌّ منهم يقول لصاحبه : ما رأيتَ مثلَ هذه الحلةَ قطًّا، ولا سمعتَ أحدًا من الملوك قدَرَ على مثلها - وأوسُ بن حارثة مُطرِق لا ينظر إليها - فقال له النعان : ما أرى كلَّ مَنْ دخل على إلا استحسنَ هذه الحلة ، وتحدَّثَ مع صاحبه في أمرها إلا أنت ؟ ما رأيْتَكَ استحسنتها ولا نظرتها .

قال أوس : أسعد الله الملك ! إنما تستحسن الحلة إذا كانت في يد التاجر، وأما إذا كانت على الملك، وأشرق فيها وجهه فنظرِي مقصور عليه لا عليها فاسترجح عقله. فلما عزموا على الانصراف قال لهم النعان : اجتمعوا إلى في غد فإني مُلِيسُ هذه الحلة لسيد العرب منكم ، فانصرف العرب عنه ، وكلٌّ يزعم أنه لا يبس الحلة . فلما أصبحوا تزيّنوا بأغلى الملابس وتقليدوا بأحسن السيف ، وركبوا أجودَ الخيل ، وحضروا إلى النعان ؛ وتأخر عنهم أوسُ بن حارثة ؛ فقال له أصحابه : مالك لا تَنْدُو مع الناس إلى مجلس الملك ، فلعلك تكون صاحبَ الحلة . فقال أوس : إن كنْتُ سيد قومي فما أنا بسيِّد العرب عند نفسي ، وإن حضرت ولم آخذها انصرفتُ منقوصاً ، وإن كفتُ المطلوبَ لها فسيُعرَفَ مكانِي، فأمسكوا عنه .

* اختصار من نوادر الأخبار - مخطوط .

(١) أوس بن حارثة : من أجداد العرب في الجاهلية ، بنوه بطن من بنى مزيقياء ، وهم إحدى قبيلتي الأوس والمخزرج ، أصلهم من اليمن ، ونزلوا يترب وجاء الإسلام وهم بها .

و نظر النعماٌ فِي وُجُوهِ الْقَوْمِ ، فَلَمْ يَرَ أُوسَ بْنَ حَارِثَةَ ؛ فَانسْتَدِعِي بَعْضَ خَاصِّتَهُ ،
وَقَالَ : اذْهَبْ لِتَعْرِفَ خَبَرَ أُوسَ ، فَمُضِي رَسُولُ النَّعْمَانَ ، وَاسْتَخْبَرَ بَعْضَ أَحْمَابِهِ ؛
فَأَخْبَرَهُ بِمَقَالَتِهِ ، فَعَادَ إِلَى النَّعْمَانَ ، فَأَخْبَرَهُ بِذَلِكَ ، فَبَعْثَ النَّعْمَانُ إِلَيْهِ رَسُولًا ، وَقَالَ :
احْضُرْ آمِنًا مَا خَيْفَتَ عَلَيْهِ ، فَخَضَرَ أُوسَ بِثِيَابِهِ الَّتِي حَضَرَ بِهَا بِالْأَمْسِ ، وَكَانَتْ
الْأَرْبَ قَدْ اسْتَبَشَرَتْ بِتَأْخِيرِهِ خَوْفًا مِنْ أَنْ يَكُونَ هُوَ الْأَخْذَ لِلْحُلْمَةِ .

فَلَمَ حَضَرْ وَأَخْذَ مَجْلِسَهِ ، قَالَ لِهِ النَّعْمَانَ : إِنِّي لَمْ أُرِكَ غَيْرَتَ ثِيَابَكَ فِي يَوْمِكَ ؟
فَالْبَسَ هَذِهِ الْحَلَةَ لِتَجْمَلَ بِهَا ، شَمَ خَلَمَّا وَأَبْلَسَهُ إِيَاهَا . فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى الْأَرْبَ
وَحْسَدُوهُ ؛ وَقَالُوا : لَا حِيلَةَ لَنَا فِيهَا ؛ إِلَّا أَنْ تُرَغَّبَ إِلَى الشُّعُرِاءِ أَنْ يَهْجُوَهُ بِقَبِيحِ
الْفَعْلِ ؛ فَإِنَّهُ لَا يَخْفِضُ رَفْعَتَهِ إِلَى الشُّعُرِ . فَجَمِعُوا فِيمَا يَنْهَا خَمْسَائِنَ نَاقَةً ، وَأَتَوْا بِهَا
إِلَى رَجُلٍ يَقَالُ لَهُ جَرَوْلَ^(١) ، وَقَالُوا لَهُ : خَذْ هَذِهِ ، وَاهْجُ لَنَا أُوسَ بْنَ حَارِثَةَ .

وَكَانَ جَرَوْلُ يَوْمَئِذٍ أَشْعَرَ الْأَرْبَ وَأَقْوَاهُ هَبَاجَهُ ؛ فَقَالَ لَهُمْ : يَا قَوْمَ ؛ كَيْفَ أَهْجُو
رَجُلًا حَسِيبًا لَا يُنْكَرُ بِيَتِهِ ، كَرِيمًا لَا يَنْقُطُ عَطَاؤُهُ ، فَيَصْلَأُ^(٢) لَا يُطْنَنُ عَلَى رَأْيِهِ ،
شَجَاعًا لَا يُضَامِ نَزِيلُهُ ، مُحْسِنًا لَا أَرَى فِي بَيْتِ شِيشَا إِلَّا مِنْ فَضْلِهِ !

فَسَمِعَ بِذَلِكَ بَشَرُ بْنُ أَبِي خَازِمٍ - وَكَانَ شَاعِرًا - فَرَغَبَ فِي الْبَذْلِ ؛ وَأَخْذَ إِلَيْهِ
وَهَبَاجَهُ ، وَذَكَرَ أَمْهَ سَعْدِي . فَسَمِعَ أُوسَ بِذَلِكَ ؛ فَوَجَّهَ فِي طَلَبِهِ ، فَهَرَبَ وَتَرَكَ إِلَيْهِ
فَأَتَوْا بِهَا إِلَى أُوسَ بْنَ حَارِثَةَ ، فَأَخْذَهَا وَشَدَّ فِي طَلَبِهِ ؛ وَجَعَلَ بَشَرُ بْنُ أَبِي خَازِمٍ
يَطُوفُ فِي أَحْيَاءِ الْأَرْبِ يَلْتَمِسُ عَزِيزًا يَجِدُهُ عَلَى أُوسَ ، وَكُلُّ مَنْ قَصَدَهُ يَقُولُ : قَدْ
أَجَرَتُكَ إِلَّا مِنْ أُوسَ بْنَ حَارِثَةَ ، فَإِنِّي لَا أَقْدِرُ أَنْ أُحِبَّرَ عَلَيْهِ - وَكَانَ أُوسَ قَدْ بَثَّ
عَلَيْهِ الْعَيْنَينِ ؛ فَرَآهُ بَعْضُ مَنْ كَانَ يَرْصُدُهُ ، فَقَبَضَ عَلَيْهِ ، وَأَتَى بِهِ إِلَى أُوسَ ، فَلَمَّا
مَثَلَ بَيْنَ يَدِيهِ قَالَ لَهُ : وَيْلَكَ ! أَتَذَكَرُ أَمِي وَلَيْسَ فِي عَصْرِنَا مَثَلُهَا ؟ قَالَ : قَدْ كَانَ

(١) هُوَ الْحَطِيَّةُ . (٢) فَيَصْلَأُ : حَامِكَ .

ذلك أَيْهَا الْأَمِيرُ ؟ فَقَالَ : وَاللَّهِ لَا قَتَلْنَاكَ قَتْلَةً تَحِيَا بِهَا سُعْدَى - يَعْنِي أَمْهَ .
ثُمَّ دَخَلَ أَوْسَ إِلَى أَمْهَ سُعْدَى ، وَقَالَ : قَدْ أَتَيْتُكَ بِالشَّاعِرِ الَّذِي هَجَّاكَ . وَقَدْ
آتَيْتُ لِأَقْتَلَنَاهُ قِتْلَةً تَحِيَا بِهَا ! قَالَتْ : يَا بْنِي ؟ أَوْ خَيْرٌ مِّنْ ذَلِكَ ! قَالَ : وَمَا هُوَ ؟
قَالَتْ : إِنَّهُ لَمْ يَجِدْ نَاصِراً مِّنْكَ ، وَلَا تُجِيرَأُ عَلَيْكَ ، وَإِنَّا قَوْمٌ لَا نَرِى فِي اصْطَنَاعِ
الْمَعْرُوفِ مِنْ بَأْسٍ ، فَبِحَقِّ عَلَيْكَ إِلَّا أَطْلَقْتَهُ ، وَرَدَدْتَ عَلَيْلَهِ إِلَيْهِ ، وَأَعْطَيْتَهُ مِنْ مَالِكٍ
مِّثْلِ ذَلِكَ ، وَمِنْ مَالِي مِثْلَهُ ، وَأَرْجِعْهُ إِلَى أَهْلِهِ سَالِمًا ؛ فَإِنَّهُمْ أَيْسُوا^(١) مِنْهُ !
خَرَجَ لِهِ أَوْسٌ ، وَقَالَ : مَا تَقُولُ أَنِّي فَاعِلُ بِكَ ؟ قَالَ : تَقْتُلُنِي لَا حَالَةَ ! قَالَ :
أَفَتَسْحِقُ ذَلِكَ ؟ قَالَ : نَعَمْ ؟ قَالَ : إِنَّ سُعْدَى الَّتِي هَجَّوْتَهَا قَدْ أَشَارَتْ بِكَذَا وَكَذَا ،
وَأَمْرَ بِجَلَّ كِتَافِهِ^(٢) ، وَقَالَ لَهُ : انْصِرْ فَإِلَى أَهْلِكَ سَالِمًا ، وَخُذْ مَا أَمْرَتُ لَكَ بِهِ !
فَرَفِعَ يَسْرِيرِيهِ إِلَى السَّمَاءِ وَقَالَ : اللَّهُمَّ أَنْتَ الشَّاهِدُ عَلَىَّ أَلَا أَعُودُ إِلَى شَعِيرٍ
إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَذْحَافًا لِأَوْسِ بْنِ حَارِثَةَ .

(١) يَئْسُوا ، (٢) الْكَتَافُ : هُوَ جَبَلٌ يَشَدُّ بِهِ .

* ٦٧ - أُجَارَهُ مِنَ الْمَوْتِ ! *

أَتَى الْأَعْشَى الْأَسْوَدَ الْعَنْسِيَّ^(١) وَقَدْ امْتَدَّ حَمَامَتَهُ فَاسْتَبَطَأَ جَانِزَتَهُ . قَالَ الْأَسْوَدُ : لِيَسْ عَنْدَنَا عَيْنٌ ، وَلَكِنْ نُعْطِيكَ عَرَضًا ، فَاعْطِاهُ خَمْسِيَّةً مِنْ قَالْدُهَنَا ، وَبِخَمْسِيَّةٍ حُلَلًا وَعَنْبَرًا .

فَلَمَّا مَرَ بِبِلَادِ بَنِي عَامِرٍ خَافَهُمْ عَلَى مَامَعَهُ ، فَأَتَى عَلْقَمَةَ^(٢) بْنَ عَلَانَةَ قَالَ لَهُ : أَجِرْنِي ؟ قَالَ : قَدْ أَجَرْتُكَ . قَالَ : مِنَ الْجَنِّ وَالْإِنْسَنِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ! قَالَ : وَمِنَ الْمَوْتِ ؟ قَالَ : لَا !

فَأَتَى عَامِرَ بْنَ الطَّفَيْلَ ، قَالَ : أَجِرْنِي ؟ قَالَ : قَدْ أَجَرْتُكَ . قَالَ : مِنَ الْجَنِّ وَالْإِنْسَنِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ! قَالَ : وَمِنَ الْمَوْتِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ! قَالَ : وَكَيْفَ تُجِيرُنِي مِنَ الْمَوْتِ ! قَالَ : إِنْ مَتَّ وَأَنْتَ فِي جِوارِي بَعْثَتُ إِلَى أَهْلَكَ الدِّيَّةَ . قَالَ : الْآنَ عَلِمْتُ أَنَّكَ أَجَرْتَنِي مِنَ الْمَوْتِ . ثُمَّ مَدَحَ عَامِرًا وَهَبَّا عَلْقَمَةَ ؛ قَالَ عَلْقَمَةَ : لَوْ عَلِمْتُ الَّذِي أَرَادَ كَفْتَ أَعْطَيْتُهُ إِيَاهُ !

* الأغاني : ٩ - ١٢٠ .

(١) الأسود العنسي : هو عبطة بن كعب بن غوث ، خرج بعد حجة الوداع في عامه مذحج ، وادعى النبوة وكان كاهناً قتلته فيروز ودادزويه وقيس غيبة . والأعنسي : هو ميمون بن قيس من شعراء الطبقية الأولى في الجاهلية ، عاش عمرًا طويلاً ، وأدرك الإسلام ولم يسلم ، ومات في اليهودية سنة ٥٧ هـ .

(٢) علقة بن علانة : والد من الصحابة ، كان في الجاهلية من أشراف قومه وكان كريعاً، توفي نحو سنة ٢٠ هـ .

٦٨ - يزيد بن عبد المدان عند الحارث بن جفنة*

قدم يزيد^(١) بن عبد المدان وعمرو بن معد يكر ومكشوح المرادي على ابن جفنة^(٢) زواراً، وعنه وجوه قيس: ملأ عب الأسنة، ويزيد بن عمرو، ودرید بن الصبة. فقال ابن جفنة ليزيد بن عبد المدان: ماذا كان يقول الدين^(٣) إذا أصبح؟ فقال: كان يقول: آمنت بالذى رفع هذه (يعنى السماء)، ووضع هذه (يعنى الأرض) وشق هذه (يعنى أصبه) ، ثم يخسر ساجداً؛ فإذا رفع رأسه قال:

إِن تغفر اللَّهُمَّ تغفر جمًا وَأَيْ عَبْدٍ لَكَ مَا أَلْمَأَ
 فقال ابن جفنة: إن هذا الذودين، ثم مال على القيسين وقال: لا تخدشونى عن هذه الرياح: الجنوب، والشمال، والدبور، والصبا، والنكلباء؛ لم سميت بهذه الأسماء؟ فإنه قد أعينى علمها؟ فقال القوم: هذه أسماء وجدنا العرب عليها لا نعلم غير هذا! فضحك يزيد. ثم قال لابن حفنة: يا خير الفتيان، ما كفت أحسب أن هذا يسقط علمه عن هؤلاء، وهم أهل الورير! إن العرب لضرب أبياتها في القبلة مطلع الشمس لتذفّتهم في الشتاء، وتزول عنهم في الصيف؛ مما هي من

* الأغاني: ١٠ - ١٣٩ ، مذهب الأغاني: ١ - ٥٧.

(١) كان يزيد سيد مذحج شاعراً من أشراف اليمن وشجاعتها، وفد على بني جفنة - أمراء بادية الشام، وعاد إلى اليمن فأقام بمنجران إلى أن كان يوم الكلاب الثاني فقتل فيه نحو سنة ٤٨ ق.ھ.

(٢) كان بنو جفنة يقيمون بالشام ملوكاً عليه وعلى ما يليه من بادية العرب ولكنهم كانوا عملاً ملوك الروم، وظلوا حتى انداد آخر ملوكهم جبلة بن الأبيه إلى الإسلام في عهد عمر بن الخطاب.

(٣) الدين: جدي يزيد.

الرياح عن يمين البيت فهى الجنوب ، وما هبَّ عن شماله فهى الشمال ، وما هبَّ من
أمامه فهى الصباً ، وما هبَّ من خلفه فهى الدّبور ، وما استدار من الرياح بين
هذه الجهات فهى النَّكْباء ...

قال ابنُ جفنة : إنَّ هذا لِلعلمُ يابن عبد المدان !

وأقبل ابنُ جفنة على القيسين يسألهم عن النعمان بن المنذر ، فعابوه وصغروه ،
فنظر ابنُ جفنة إلى يزيد وقال له : ما تقولُ يابنَ عبد المدان ؟ فقال : يا خير الفتىان ،
ليس صغيراً من منعك العراق ، وشَرِّك في الشام ، وقيل له : أبىت اللعن ! وقيل
لك : يا خير الفتىان ! وألْفَي أباه ملِكاكاً ألميتَ أباك ملِكاً ؟ فلا يسرُّك منْ
يفرُّك ، فإنَّ هؤلاء لو سألهُم عنك النعمان لقالوا : فيك مثلَ ما قالوا فيه ، وایمُ الله !
ما فيهم رجلٌ إِلَّا ونَعْمَةُ النعمان عندَه عظيمة ...

فضضب عامرُ بن مالك وقال : يا بنَ الدَّيَان ، أَمَا وَاللَّهُ لَنْحَتَلَبَنْ بِهَا دَمًا !
فضحك يزيد وقال : ما لهم والله جرأةُ بني الحارث ، ولا فتك مُراد ، ولا بأس
زُبُيد ، ولا مغارُ طيُّ ، وما هم ونحن - يا خير الفتىان - بسواء ؟ ما قتلنا أسيراً فقط ،
ولا اشتينا حرَّةً فقط ، ولا بسكينا قتيلاً نُبِيَّ به ، وإنَّ هؤلاء ليعجزون عن ثأرهم
حتى يُقتل السَّمِّيُّ بالسَّمِّيِّ والجَارُ بالجَار ... ثم قال :

تمَالَى على النعمان قومٌ إِلَيْهم موارِدُه في ملَكَه ومصَادِرِه
على غير ذنبٍ كان منه إِلَيْهم سوى أنه جادَتْ عَلَيْهِمْ مَوَاطِرِه
فباعَدَهُمْ من كُلِّ شرٍّ يخافُه وقرَّبَهُمْ من كُلِّ خيرٍ يبادرُه
فظنُوا ، وأعراضُ المنون كثيرةٌ ، بأنَّ الذِّي قالوا من الأَمر ضائِرٌ
ولم ينْقُصُوه بالذِّي قيلَ شُعْرَهُ ولا فلَّتْ أَنْيابُه وأظافره

وَلَلْحَارِثُ الْجَفْنِيُّ أَعْلَمُ بِالذِّي
بَيْوَهُ بِهِ النَّعْمَانُ إِنْ حَفَتُ^(١) طَائِرَهُ
فِيهَا حَارِكُمْ فِيهِمْ لِنَعْمَانَ نِعْمَة
مِنَ الْفَضْلِ وَلِلَّهِ الَّذِي أَنَا ذَا كِرْهَهُ
وَعَظِيمًا كَسِيرًا قَوَّمَتْهُ جَوَابِرُهُ
ذُنُوبًا عَفَا عَنْهَا ، وَمَالًا أَفَادَهُ ،
وَلَوْ سَالَ عَنْكَ الْعَائِبِينَ ابْنُ مَنْذُرٍ
لَقَالُوا لَهُ الْقَوْلُ الَّذِي لَا يُحَاجِدُهُ
فَلَمَّا سَمِعْ ابْنُ جَفَنَةَ هَذَا الْقَوْلَ عَظِيمًا يَزِيدُ فِي عَيْنِهِ ، وَأَجْلَسَهُ مَعَهُ عَلَى سَرِيرِهِ ،
وَسَقَاهُ بِيَدِهِ ، وَأَعْطَاهُ عَطِيَّةً لَمْ يُعْطِهَا أَحَدًا مِنْ وَفَدِ عَلِيهِ قَطْ ؛ وَلِمَا قَرَبَ يَزِيدُ
رَكَابِهِ لِيَرْتَحِلَّ سَمِعَ صَوْتًا إِلَى جَانِبِهِ وَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ يَقُولُ :

أَمَّا مِنْ شَفِيعٍ مِنَ الزَّائِرِينَ يُحِبُّ الشَّنَآنَ زَنْدَهُ ثَاقِبُ
يَرِيدُ ابْنُ جَفَنَةَ إِكْرَامَهُ وَقَدْ يَسْحُبُ الضَّرَّةَ^(٢) الْحَالِبُ
فِي يَقْدَنِي مِنْ أَظَافِيرِهِ وَإِلَّا فَإِنِّي غَدَّا ذَاهِبُ
فَقَدْ قَلْتُ يَوْمًا عَلَى كُورْبَةِ
وَفِي الشَّرِبِ فِي يَثْرَبِ غَالِبُ
أَلَا لَيْتَ غَسَانَ فِي مَلَكَهَا^{*}
كَلْحُمْ وَقَدْ يَخْطُى الشَّارِبُ
وَمَا فِي ابْنِ جَفَنَةَ مِنْ سُبَّةِ
كَلْمَى قَرِيبٌ مِنَ الْأَبْعَدِينَ وَفِي الْحَلْقِ مِنْ شَجَنِي نَاشِبُ

فَقَالَ يَزِيدُ : عَلَى بِالرَّجُلِ ، فَأَتَى بِهِ ، فَقَالَ : مَا خَطِبُكِ ! أَنْتَ تَقُولُ هَذَا
الشِّعْرُ ! قَالَ : بَلْ قَالَهُ رَجُلٌ مِنْ جُذَامِ جَفَنَةِ ابْنُ جَفَنَةَ ، وَكَانَتْ لَهُ عِنْدَ النَّعْمَانِ
مِنْزَلَةٌ ، فَشَرَبَ ، فَقَالَ لَهُ شَرَابِهِ شَيْئًا أَنْكَرَهُ عَلَيْهِ ابْنُ جَفَنَةَ ، فَخَبَسَهُ ، وَهُوَ
مُخْرَجٌ غَدَّا فَقَاتَهُ . فَقَالَ يَزِيدُ : أَنَا أَغِيَثُكَ ، فَقَالَ لَهُ : وَمَنْ أَنْتَ حَتَّى أَعْرَفَكَ ؟ فَقَالَ :

(١) حَفَتْ : طَارَ . (٢) الضَّرَّةُ : الضرع

أنا يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَدَانِ ؟ فَقَالَ: أَنْتَ لَهَا وَأَبِيكَ ! قَالَ: أَجْسِلْ ؟ فَقَدْ كَفَيْتَكَ
أَمْرَاهُ ، فَلَا يَسْمَعُنَاكَ أَحَدٌ تَنْشِدُ هَذَا الشِّعْرَ .

وَغَدَا يَزِيدُ عَلَى ابْنِ جَفْنَةَ لِيُودِعَهُ ، فَقَالَ لَهُ: حَيَّاكَ اللَّهُ يَا بْنَ الْدِيَانَ ، حَاجَتَكَ !
قَالَ: تَلْحَقُ قُضَايَةً بِالشَّامَ ، وَتَؤْثِرُ مِنْ أَنْتَكَ مِنْ وَفُودِ مَذْهَجَ ، وَتَهَبُ الْجَذَامَيَّ
الَّذِي لَا شَفِيعَ لَهُ إِلَّا كَرْمَكَ . قَالَ: قَدْ فَعَلْتُ ، أَمَا أَنِّي حَبَسْتَهُ لِأَهْبَهَ لِسَيِّدِ نَاحِيَتَكَ
وَكُنْتَ ذَلِكَ السَّيِّدُ ، وَوَهْبَهُ لَهُ ، فَاحْتَمَلَهُ يَزِيدُ مَعَهُ !

* إغاثة - ٧٩

جاور^(١) رجلان من هَوَازِنْ فِي بَنِي مُرَّةَ بْنِ عُوفَ ، وَكَانَ قَدْ أَصَابَا دَمَّاً فِي قُوَّمِهِما . ثُمَّ إِنَّ قَيْسَ بْنَ عَاصِمَ الْمِقْرَى^(٢) أَغَارَ عَلَى بَنِي مُرَّةَ ، فَأَصَابَ وَاحِدًا مِنْهُمَا فِي عِدَّةِ أَسَارِيٍّ كَانُوا عِنْدَهُمْ ، فَقَدِيَ كُلُّ قَوْمٍ أُسْيَرَهُ مِنْ قَيْسَ بْنَ عَاصِمَ ، وَتَرَكَوا الْمَوَازِنَ ، فَاسْتَغَاثَ أَخُوهُ بِوْجُوهِ بَنِي مُرَّةَ : سَنَانَ بْنَ أَبِي حَارِثَةَ ، وَالْحَارِثَ بْنَ عُوفَ ، وَالْحَارِثَ بْنَ ظَالِمٍ ، وَهَاشِمَ بْنَ حَرْمَلَةَ ، وَالْحَصِينَ بْنَ الْحَمَّامَ ، فَلَمْ يَفْتَشُوهُ . فَرَكِبَ إِلَى مُوسَمِ عُكَاظَ ، فَأَتَى مَنَازِلَ مَذْهِجِ لِيَلَّاً ، وَنَادَى :

دعوت سناناً وابن عوفٍ وحارثاً
 أعيذهم في كل يوم وليلة
 حليفهم الأدни، وجارٌ بيورتهم
 فصموا، وأحداث الزمان كثيرة
 فيما ليت شعرى من لإطلاق غلمةٍ
 فسمح صوتاً من الوادى ينادى بهذه الأبيات:
 وعالیت دَعْوی بالْحُصَینِ وهاشم
 بترك أسيير عند قيس بن عاصم
 ومن كان عما سرهم غير نائم
 وكم في بني العلات^(۲) من متّصايم!
 ومن ذا الذى يحظى به في المواسيم!

أَلَا أَيْتَهُمْ ذَلِكَ الَّذِي لَمْ يُحِبُّنَّ عَلَيْكُمْ بَحْرٌ يَحْلِي الْكُرَبَابَ

* مهذب الأغانِي : ٥ - ٦

(١) جاوره مجاورة وجواراً : صار جاره (٢) منقر : بطن من عيّم ، وقيس بن عاصم : كان سيد عيّم ، ولما وفدت على النبي صلى الله عليه وسلم بسط له رداءه وقال : هذا سيد الوبر ، ولما توفى قال فيه الشاعر :

و ما كان قيس هلك هلك واحد ولكن بنيان قوم تهدما

(٣) بنو العلات : هم بنو رجل واحد من أمهات شتي .

(۱۲) - قصص - أول

عليكَ بِذَا الْحَيِّ مِنْ مَذْحَجٍ وَالْفَصَبَ
فَنَادِ يَزِيدَ بْنَ عَبْدِ الْمَدَانِ ، وَقِيسًا ، وَعَمْرُو بْنَ مَعْدِنِ يَكْرُبَ
يَفْكُوا أَخَاكَ بِأَمْوَالِهِمْ ! وَأَقْلَلُهُمْ فِي الْعَرَبِ !
أُولَئِكَ الرَّهُوسُ فَلَا تَعْدُهُمْ وَمَنْ يَجْعَلِ الرَّأْسَ مِثْلَ الذَّنْبِ !
فَاتَّبَعَ الصَّوْتَ فَلَمْ يَرَ أَحَدًا ! فَنَدَا عَلَى الْمَكْشُوحِ قَيْسَ بْنَ عَبْدِ يَغْوَثِ الْمُرَادِيَ
فَأَخْبَرَهُ خَبْرُهُ ، فَقَالَ لَهُ : وَاللهِ إِنَّ قَيْسَ بْنَ عَاصِمَ مَا قَارَضَهُ مَعْرُوفًا قَطًّا ، وَلَا هُوَ
بِحَارٍ ، وَلَكِنْ اشْتَرَ أَخَاكَ مِنْهُ وَعَلَىَّ الْمُنْ، وَلَا يَمْنَعُكَ غَلَاؤهُ .

ثم أتى عمرو بن معد يكرب فقال له عمرو : هل بدأت بأحدٍ قبلِي ؟ فقال :
نعم ، بقيس بن عبد يغوث ، قال : عليكَ بَنْ بَدَأْتَ بِهِ ، فتركه وأتى بزياد بن
عبد المدان فأخبره بقصته ، فقال له يزيد : مرحبا بك وأهلاً ، أبْعَثُ إِلَيْكَ قيس بن
عاصم ، فإنْ هُوَ وَهُبْ لِي أَخَاكَ شَكْرَتَهُ وَإِلَّا أَغْرَتُ عَلَيْهِ حَتَّى يَتَقَبَّلَنِي بِأَخِيكَ ، فإنْ
بَلَّهَا وَإِلَّا دَفَعْتُ إِلَيْكَ كُلَّ أَسِيرٍ مِنْ بَنِ تَمِيمٍ بِنْ جَرَانَ ، فاشترطْتَ بِهِ أَخَاكَ !
قال : هذا الرضا . فأرسل يزيد إلى قيس بن عاصم بهذه الأبيات :

يَا قِيسُ مُأْرِسِلُ أَسِيرًا مِنْ بَنِي جَمْشِ (١)
لَا تَأْمَنَ الْدَهْرَ أَنْ تَسْجُنَ بَعْصَتِهِ
فَافْكُكْ أَخَامِنْقَرَ عَنْهُ، وَقُلْ حَسْنَا

وَبَعْثَةَ الْأَيَّاتِ رَسُولًا إِلَى قَيْسَ بْنِ عَاصِمٍ، فَأَنْشَدَهُ إِلَيْهَا، ثُمَّ قَالَ لَهُ : يَا أَبَا عَلَىٰ : إِنْ يَزِيدَ بْنَ عَبْدِ الْمَدَانِ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ ، وَيَقُولُ لَكَ : « إِنَّ الْمَرْوُفَ قُرُوضٌ ، وَمَعَ الْيَوْمِ غَدٌ ، فَاطْلُقْ لِي هَذَا الْجُلْشَمِيًّا »، فَقَدْ اسْتَعْنَ بِأَشْرَافِ بَنِي مَرَّةَ ،

(۱) جسم : بطن من هوازن .

وَبَعْرُو بْنُ مَعْدِيَكْرَبْ، وَمَكْشُوحُ الْمَرَادِيُّ، فَلَمْ يُصِبْ عِنْدَهُ حَاجَتِهِ، فَاسْتَجَارَ بِهِ،
وَلَوْ أَرْسَلْتَ إِلَيْهِ فِي جَمِيعِ أَسَارِي مُضْرِ لِقَضِيتُ حَاجَتِكْ ».

فَقَالَ قَيْسَ بْنُ عَاصِمَ لِمَنْ حَصَرَهُ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ : هَذَا رَسُولُ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَدَانِ
سَيِّدِ مَذْحَاجَ وَابْنِ سَيِّدِهَا ، وَمَنْ لَا يَرَالَ لَهُ فِيكُمْ يَدُ ، وَهَذِهِ فَرَصَةٌ لَكُمْ فَمَا تَرَوْنَ ؟
قَالُوا : نَرَى أَنَّ نَفْلِيهِ عَلَيْهِ وَنَحْكُمُ فِيهِ شَطَطاً ، فَإِنَّهُ لَنْ يَخْذُلَهُ أَبْدًا وَلَوْ أَتَى مُنْهُ عَلَى
مَالِهِ . فَقَالَ قَيْسٌ : بِئْسَمَا رَأَيْتُمْ ! أَمَا تَخَافُونَ سِبْجَالَ الْحَرُوبِ ، وَدُولَ الْأَيَامِ ، وَمَحَازَةَ
الْقَرْوَضِ !

فَلَمَّا أَبْوَأَ عَلَيْهِ قَالَ : يَبْعُونِيهِ . فَأَغْلَوْهُ عَلَيْهِ ، فَتَرَكَهُ فِي أَيْدِيهِمْ - وَكَانَ أَسِيرًا
فِي يَدِ رَجُلٍ مِنْ بَنِي سَعْدٍ ^(١) - وَبَعْثَ إِلَيْ يَزِيدَ فَأَعْلَمَهُ بِهَا جَرِيٌّ ، وَأَنَّ
الْأَسِيرَ لَوْ كَانَ فِي يَدِهِ أَوْ يَدِ مِنْقَرٍ لَأَخْذَهُ وَبَعْثَ بِهِ ؛ وَلَكِنَّهُ فِي يَدِ رَجُلٍ مِنْ
بَنِي سَعْدٍ .

فَأَرْسَلَ يَزِيدَ إِلَى السَّعْدِيَّ : أَنْ سِرْ إِلَى بَأْسِيرِكَ وَلَكَ فِيهِ حَكْمُكَ ، فَأَتَى
السَّعْدِيُّ يَزِيدَ ، فَقَالَ لَهُ : احْتَكْمْ ، فَقَالَ : مائِنَةُ نَاقَةٍ وَرَعَاوَهَا ، فَقَالَ لَهُ يَزِيدُ :
إِنَّكَ لِتَصِيرُ الْهَمَةَ ، قَرِيبُ الْغَنِيِّ ، جَاهِلٌ بِأَخْطَارِ بَنِي الْحَارَثِ ! أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ
غَبَنْتُكَ يَا أَخَا بَنِي سَعْدٍ ! وَلَقَدْ كَنْتُ أَخَافُ أَنْ يَأْتِي مُنْهُ عَلَى جَلْ أَمْوَالِنَا ؛
وَلَكِنْكَمْ يَا بَنِي تَمِيمٍ قَوْمٌ قَصَارُ الْهَمَمِ . وَأَعْطَاهُمْ مَا احْتَكْمْ ؛ فَجَاءُوهُ الْأَسِيرَ وَأَخْوَهُ
حَتَّى مَاتَأَ بَنْجَرَانَ .

(١) سَعْدٌ : بَطْنُ مِنْ تَمِيمٍ .

* ٧٠ — ارجعوا عزيزاً ذل

وَجَّهَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى طَبَّى فِرِيقًا مِنْ جَنْدِهِ ، يَقْدِمُهُمْ عَلَى
عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَفَرَغَ عَدَى^(١) بْنُ حَاتَمَ الطَّائِي - وَكَانَ مِنْ أَشَدِ النَّاسِ عِدَاءً لِرَسُولِ
اللَّهِ - إِلَى الشَّامِ فَصَبَّحَ عَلَىٰ الْقَوْمَ ، وَاسْتَأْفَ خَيْلَهُمْ وَنَعَمَهُمْ وَرَجَالَهُمْ وَنِسَاءَهُمْ إِلَى
رَسُولِ اللَّهِ .

فَلَمَّا عَرَضَ عَلَيْهِ الْأَسْرَى نَهَضَتْ مِنْ بَيْنِ الْقَوْمِ سَقَافَةُ بُنْتِ حَاتَمٍ ؛ فَقَالَتْ :
يَا مُحَمَّدُ ؟ هَلَّكَ الْوَالَدُ ، وَغَابَ الْوَافِدُ ، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُخْلِنِي عَنِّي ، وَلَا تُشْتَمِّتَ بِي
أَحْيَاءَ الْعَرَبِ ! فَإِنْ أَبِي كَانَ سَيِّدَ قَوْمِهِ ، يَفْكُثُ الْعَانِي^(٢) ، وَيَقْتُلُ الْجَانِي ، وَيَحْفَظُ
الْجَارَ ، وَيَحْمِي الْذَّمَارَ ، وَيُفَرِّجُ عَنِ الْمَكْرُوبِ ، وَيَطْعِمُ الْطَّعَامَ ، وَيَفْسِي السَّلَامَ ،
وَيَحْمِلُ السَّكَلَ^(٣) ، وَيَعْنِي عَلَى نَوَابِ الدَّهْرِ ، وَمَا أَتَاهُ أَحَدٌ فِي حَاجَةٍ فِرَدَّهُ
خَائِبًا ؛ أَنَا بُنْتُ حَاتَمَ الطَّائِي !

فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يَا جَارِيَةٌ ؟ هَذِهِ صَفَاتُ الْمُؤْمِنِينَ حَقًا ، لَوْكَانَ
أَبُوكَ مُسْلِمًا لَتَرْتَخِنَا عَلَيْهِ خَلْوَا عَنْهَا ؛ فَإِنْ أَبَاهَا كَانَ يَحْبُّ مَكَارَمَ الْأَخْلَاقِ .
ثُمَّ قَالَ : « ارجعوا عزيزاً ذلّ ، وَغَنِيَا افتقرُ ، وَعَالَمَا ضَاعَ بَيْنَ جَهَالٍ ».
وَامْتَنَّ عَلَيْها بِقَوْمِهَا فَأَطْلَقُهُمْ تَكْرِيمًا لَهَا !

فَاسْتَأْذَنْتُهُ فِي الدُّعَاءِ لَهُ ؛ فَأَذِنَّ لَهَا ، وَقَالَ لِأَحْبَابِهِ : اسْمَعُوا وَأُعْوِنُوا . فَقَالَتْ : أَصَابََ

* الأغاني : ١٦ - ٩٣ ، إنسان العيون : ٢ - ٢٨٥ ، غرر الحصائر : ١٢ .

(١) عَدَى بْنُ حَاتَمَ : صَاحِبُ الْأَجْوَادِ الْمُقْلَاءِ كَانَ رَئِيسَ قَوْمِهِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ ، وَكَانَ
إِسْلَامَهُ سَنَةٌ ٩ هـ ، وَشَهَدَ فَتْحَ الْعَرَاقَ ، وَالْجَلَلَ ، وَصَفَنَ ، وَالْمَهْرَوَانَ مَعَ عَلَيْهِ .

(٢) العَانِي : الْأَسْرَى (٣) السَّكَلَ : الْعَائِلَ وَالْيَتَمَ

الله بِرِّكَ مواقَعَهُ ، ولا جعلَ لكَ إلَى لِئَمِّ حاجَةٍ ، ولا سلبَ نعمَةً عنْ كَرِيمٍ قَوْمٍ
إلا جعلَكَ سبِيباً فِي رَدَّهَا عَلَيْهِ .

فَلَمَّا أطْلَقَهَا رَجَعَتْ إِلَى أَخِيهَا عَدِيٌّ وَهُوَ بَدُومَةُ الْجَنَدِلِ . فَقَالَتْ لَهُ : يَا أَخِي ؟
إِنِّي أَيْتُ هَذَا الرَّجُلَ قَبْلَ أَنْ تَعْنَقَكَ حَبَائِلَهُ ، فَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ هَذِيَا وَرَأِيَا سِيفَلْبُ أَهْلَ
الْغَلْبَةِ ؛ وَرَأَيْتُ خِصَالًا تَعْجِبُنِي : رَأَيْتُهُ يُحِبُّ الْفَقِيرَ ؛ وَيُفَكِّ الأَسِيرَ ؛ وَيُرَحِّمُ
الصَّفِيرَ ، وَيُعْرِفُ قَدْرَ السَّكِيرِ ؛ وَمَا رَأَيْتُ أَجْوَدَ وَلَا أَكْرَمَ مِنْهُ ، فَإِنْ يَكُنْ
نَبِيًّا فَلَلْسَابِقِ فَضْلُهُ ، وَإِنْ يَكُنْ مَلِكًا فَلَنْ تَزَالَ فِي عَزٍّ مَلْسَكَهُ : فَقَدْمَ عَدِيٍّ إِلَى
رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَسْلَمَ ، وَأَسْلَمَتْ سَفَانَةً !

* ٧١ - زعيم العجم وعمر بن الخطاب

لَا أُقْتَى بِالْهُرُمَانِ أَسِيرًا إِلَى عَمَّرَ بْنِ الْخَطَابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قِيلَ لَهُ :
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ هَذَا زَعِيمُ الْعَجَمِ ، وَصَاحِبُ رُسْتَمَ^(١) ؛ فَقَالَ لَهُ عَمَّرُ رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُ :

أَعْرِضْ عَلَيْكَ إِلَيْكَ نُصْحَّا لَكَ فِي عَاجِلَكَ وَآجِلَكَ . فَقَالَ : إِنَّمَا أَعْتَقْدُ مَا أَنَا
عَلَيْهِ ، وَلَا أَرَغَبُ فِي إِلَيْكَ رِهْبَةً . فَدَعَا عَمَّرَ بِالسِّيفِ ؛ فَلَمَّا هُمْ بِقَتْلِهِ ، قَالَ :
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، شَرَبَةٌ مِّنْ مَاءِ هِيَ أَفْضَلُ مِنْ قَتْلِي عَلَى الظَّمَآنِ ؟ فَأَمَرَ لَهُ بَشَرَةٌ مِّنْ
مَاءِ ، فَلَمَّا أَخْذَهَا الْهُرُمَانُ قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَنَا آمِنٌ حَتَّى أَشْرَبَهَا ؟ قَالَ :
نَمْ ؛ فَرَمَى بِهَا ، وَقَالَ . الوفاء - يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ - نُورٌ أَبْلَجَ ! قَالَ : صَدِقتَ ! لَكَ
الْتَّوْقُفُ عَنْكَ ، وَالنَّظَرُ فِيْكَ ، ارْفُوا عَنْهُ السِّيفَ !

فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، الْآنَ أَشْهُدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ،
وَمَا جَاءَ بِهِ حَقٌّ مِّنْ عَنْدِهِ . فَقَالَ عَمَّرَ : أَسْلَمْتَ خَيْرَ إِسْلَامٍ ، فَمَا أَخْرَكَ ؟ قَالَ :
كُرِهْتُ أَنْ يُطْلَبَ بِي أَنِّي أَسْلَمْتُ خَوْفًا مِّنَ السِّيفِ ، فَقَالَ عَمَّرَ : أَلَا إِنَّ لِأَهْلِ
فَارِسَ عَقُولًا اسْتَحْقَوْا بِهَا مَا كَانُوا فِيهِ مِنَ الْمُلْكِ ، ثُمَّ أَمْرَ بِبِرِّهِ وَإِكْرَامِهِ !

* نهاية الأرب : ٦ - ٧٧ :

(١) رستم : كان من أعظم رجال فارس ، وقاد جيوش وقعة القادسية التي انتصر فيها المسلمون
أيام عمر بن الخطاب ، وقتل رستم في هذه الموقعة .

* ٧٢ - أبو سفيان عند هرقل

قال أبو سفيان ^(١) بن حرب :

كُنَّا قوماً تجارة ، وكانت الحرب بيننا وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حصرتنا حتى نهكت أموالنا . فلما كانت المدنة - مدنة الحديبية - بيننا وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، خرجت في فجر من قريش إلى الشام ، وكان وجه متجرنا منه غزوة ، فقدمناها حين ظهر هرقل على مَنْ كان بأرضه من الفرس ، فآخر جهم منها ، وانزع منهم صليبيه الأعظم ، وكانوا قد استلبوه إياها .

فَلَمَّا بَلَغَهُ ذَلِكُّ مِنْهُمْ وَبَلَغَهُ أَنَّ صَلَيْبَهُ قَدْ اسْتُقْدِمَ مِنْهُمْ ، وَكَانَتْ خَصْ مِنْزَلَهُ ، خَرَجَ مِنْهَا يَمْشِي عَلَى قَدْمِيهِ شَكْرَا لِلَّهِ حِينَ رَدَ عَلَيْهِ مَارِدٌ ، لِيَصْلِي فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، تُبَسِّطُ لَهُ الْبُسْطُ وَتُلْقِي عَلَيْهَا الرَّتَاحِينَ .

فَلَمَّا اتَّهَى إِلَى إِيلِيَاءِ فَقْضَى فِيهَا صَلَاتَهُ ، وَكَانَ مَعَهُ بَطَارِقُهُ وَأَشْرَافُ الرُّومِ ، أَصْبَحَ ذَاتَ عُذُوَّةِ مَهْمُومًا يَقْلِبُ طَرْفَهُ إِلَى السَّمَاءِ . فَقَالَ لَهُ بَطَارِقُهُ : وَاللهِ لَكَأَنْكَ أَصْبَحْتَ الْفَدَا مَهْمُومًا .

فَقَالَ : أَجل ! رَأَيْتُ الْبَارِحةَ أَنَّ مُلْكَ الْخِتَانِ ظَاهِرٌ . فَقَالُوا : أَيْهَا الْمَلِكُ ، مَا نَعْلَمُ أُمَّةً تَخْتَنُ إِلَّا الْيَهُودُ ، وَهُمْ فِي سُلْطَانِكَ وَتَحْتَ يَدِكَ ، فَابْتَلِ إِلَى كُلِّ مَنْ :

* الأغاني : ٦ - ٣٤٥

(١) هو صخر بن حرب ، من سادات قريش في الجاهلية ، كان من رؤساء المشركين يوم الأحزاب ويوم أحد ، وأسلم يوم فتح مكة سنة ٨ هـ . ووقف سنة ٣١ هـ .

لَكَ عَلَيْهِ سُلْطَانٌ فِي بَلَادِكَ فَمُرِّهُ فَلَيُضْرِبَ أَعْنَاقَ مَنْ تَحْتَ يَدِكَ مِنْ يَهُودٍ،
وَاسْتَرِخْ مِنْ هَذَا الْمَمَّ .

فَوَاللَّهِ إِنَّهُمْ لَفِي ذَلِكَ مِنْ رَأِيهِمْ يَدْبِرُونَهُ إِذَا أَتَاهُ رَسُولُ صَاحِبِ بُصْرَىٰ^(١)
بِرِّجْلِ مِنَ الْعَرَبِ يَقُولُهُ - وَكَانَتِ الْمَلُوكُ تَهَادِي الْأَخْبَارَ بَيْنَهُمْ - فَقَالَ: أَيْهَا الْمَلَكُ:
إِنَّ هَذَا رَجُلٌ مِنَ الْعَرَبِ مِنْ أَهْلِ الشَّاءِ وَالْإِبْلِ يَحْدُثُ عَنْ أَمْرٍ حَدَثَ فَاسْأَلْهُ .
فَلَمَّا اتَّهَىَ بِهِ إِلَى هِرَقْلَ رَسُولُ صَاحِبِ بُصْرَىٰ ؛ قَالَ هِرَقْلُ لِمَنْ جَاءَ بِهِ: سَلْهُ
عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ الَّذِي كَانَ بِيَلَدِهِ ، فَسَأَلَهُ ، فَقَالَ: خَرَجَ بَيْنَ أَظْهَرِنَا رَجُلٌ يَزْعُمُ أَنَّهُ
نَبِيٌّ ، وَقَدْ اتَّبَعَهُ نَاسٌ فَصَدَّقُوهُ وَخَالَفُهُ آخَرُونَ ، وَقَدْ كَانَ بَيْنَهُمْ مَلَاحِمٌ فِي
مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَتَرَكُتُهُمْ عَلَى ذَلِكَ !

فَلَمَّا أَخْبَرَهُ الْخَبَرُ قَالَ: جَرِّدُوهُ؛ فَإِذَا هُوَ مُخْتَوْنُ . فَقَالَ: هَذَا وَاللَّهِ النَّبِيُّ الَّذِي
رَأَيْتُ ، لَا مَا تَقُولُونَ ؛ أَعْطُوهُ ثِيَابَهُ وَيَنْطَلِقْ ، ثُمَّ دَعَا صَاحِبَ شُرُطَتِهِ فَقَالَ لَهُ:
أَقْلِبِ الشَّامَ ظَهِيرًا لِبَطْنَ حَتَّى تَأْتِيَنِي بِرِجْلٍ مِنْ قَوْمِ هَذَا الرَّجُلِ .

فَإِنَّا لَبِغَزَّةَ إِذْ هَجَمَ عَلَيْنَا صَاحِبُ شُرُطَتِهِ فَقَالَ: أَتَمْ مِنْ قَوْمِ الْحِجَازِ؟ قَلَنا:
نَعَمْ ، قَالَ: انْطَلِقُوا إِلَى الْمَلِكِ ، فَانْطَلَقُوا بَنَا. فَلَمَّا اتَّهَىَنَا إِلَيْهِ قَالَ: أَتَمْ مِنْ رَهْطٍ هَذَا
الرَّجُلُ الَّذِي بِالْحِجَازِ؟ قَلَنا: نَعَمْ . قَالَ: فَأَيْسُكُمْ أَمَسَّ بِهِ رِحَمًا؟ قَالَ أَبُو سَفِيَانُ:
قَلَتْ: أَنَا ، قَالَ: ادْنُ ، ثُمَّ أَقْعَدْنِي بَيْنَ يَدِيهِ وَأَقْعَدْ أَصْحَابِي خَلْفِي ، وَقَالَ لَهُمْ: إِنِّي
سَأَسْأَلُهُ ، فَإِنْ كَذَبَ فَرَدُوا عَلَيْهِ .

قَالَ: فَوَاللَّهِ لَقَدْ عِلِّمْتُ أَنْ لَوْ كَذَبْتُ مَا رَدُوا عَلَيَّ ، وَلَكِنِي كَفَتْ أَمْرًا
سِيدًا أَتَبَرَّمْ مِنَ السَّكْدَبِ ، وَعَرَفْتُ أَنْ أَيْسَرَ مَا فِي ذَلِكَ إِنَّ أَنَا كَذَبْتُهُ أَنْ يَحْفَظُوهُ
عَلَيَّ؛ ثُمَّ يَحْدُثُوا بِهِ عَنِّي ، فَلَمْ أَكَذِّبْهُ .

(١) بَدْ مِنْ أَعْمَالِ دَمْشَقَ.

وقال : أخبرني عن هذا الرجل الذى خرج بين أظهركم يدَّعى ما يدَّعى . فعلتُ أزْهَد له شأنه وأصْفَر له أمره ، وأقول له : أيتها الملك ، ما يهْمك من شأنه ! إن أمره دون مابيَّنك . فعل لا يلتفت إلى ذلك مني . ثم قال : أنشئني فيها أسائلك عنه من شأنه . قلت : سَلْ عما بَدَّاك .

قال : كيف نَسَبَةُ فِيكُمْ ؟ قلت : تَحْضُرُ ، هو أَوْسَطَنَا^(١) نَسِبًا . قال : أَخْبَرْنِي ، هل كان أحدٌ من أهل بيته يقول ما يقول فهو يتشبه به ؟ قلت : لا . قال : هل كان له فيكم مُلْكٌ فسلبتموه إِيَاه ، فجاء بهذا الحديث لتردوا عليه مُلْكَه ؟ قلت : لا . قال : أَخْبَرْنِي عن أَتَبَاعِه مِنْكُمْ مَنْ هُمْ ؟ قلت : الضعفاء والمساكين والأحداث من الفلان والنساء ، فاما ذُوو الأسنان من الأشراف من قومه فلم يتبعه منهم أحد . قال : فأخبرني عمن يتبعه أَيْحَبُهُ ويلَّذُمُهُ ، أَمْ يَقْلِيهُ^(٢) ويفارِقه ؟ قلت : قَدْما يتبعه أحد فيفارقه . قال : فأخبرني كيف الحربُ يبنكم وبينه ؟ قلت : سِجال يُدَال علينا وندَال عليه^(٣) .

قال : فأخبرني هل يَغْدِر ؟ فلم أجده شيئاً أَغْتَمَرُ فيه غيرَها ؟ قلت : لا ، ونحن منه في مُدَة^(٤) ولا نَامَ غدره . قال : فوالله ما التفت إِلَيْها مُتَّى .

ثم كررَ الحديث فقال : سألك عن نسبة فيكم ؟ فزعمت أنه محض من أوسطكم نسباً فكذلك يأخذ الله النبي لا يأخذ إلا من أوسط قومه نسباً ، وسألتك : هل كان أحد من أهل بيته يقول مثل قوله فهو يتشبه به ؟ فزعمت أن لا . وسألتك : هل كان له مُلْكٌ فيكم فسلبتموه إِيَاه فجاء بهذا الحديث يطلب مُلْكَه ؟ فزعمت أن لا . وسألتك عن أتباعه ، فزعمت أنهم الضعفاء والأحداث والمساكين والنساء ، وكذلك

(١) أي خيرنا وأفضلنا نسباً (٢) يبغضه (٣) يدال علينا وندال عليه : أي نغلبه مرة وبغلبنا أخرى (٤) في مدة : يعني بها مدة صلح الحديبية .

أتباع الأنبياء في كل زمان . وسألتك عنْ يتبَعه أيمَّهُ ويَلِزَمَهُ أَم يَقْبِلُهُ ويَفْرَقُهُ ؟
فَزَعمْتَ أَنَّهُ لَا يَتَبَعُهُ أَحَدٌ فَيَفْرَقُهُ ، فَكَذَلِكَ حَلَوَةُ الإِيمَانِ لَا تَدْخُلُ قَلْبَ رَجُلٍ
فَتَخْرُجُ مِنْهُ .

وَسَأَلْتُكَ عَنِ الْحَرْبِ يَنْكِمُ وَيَنْتَهِ ، فَزَعْمَتَ أَنَّهَا سَبَّاجَالٌ تُدَالُونَ عَلَيْهِ وَيُدَالُونَ
عَلَيْكُمْ ، وَكَذَلِكَ حَرْبُ الْأَنْبِيَاءِ ، وَلَمْ تَكُونُ الْعَاقِبَةُ . وَسَأَلْتُكَ : هَلْ يَغْدِرُ ؟ فَزَعْمَتَ
أَنَّ لَا : فَإِنْ كُنْتَ صَدَقْتَنِي عَنْهُ فَلَيَغْلِبَنَّ عَلَى مَا تَحْتَ قَدَمَيِّ هَاتِينِ ، وَلَوْ دِدْتُ
أَنِّي عَنْهُ فَأَغْسِلُ قَدَمِيَّهُ ! انْطَلِقْ لِشَانِكَ .

فَقَمْتُ مِنْ عَنْهُ وَأَنَا أَضْرِبُ بِيَاحْدِي يَدَىٰ عَلَى الْأُخْرَىٰ وَأَقُولُ : يَا عِبَادَ اللَّهِ !
لَقَدْ أَمِيرٌ^(١) أَمْرُ ابْنِ أَبِي كَبِشَةَ^(٢) ! أَصْبَحْتَ مُلُوكُ بَنِي الْأَصْفَرَ^(٣) يَهْسَابُونَهُ فِي
مُلْكِكُمْ وَسُلْطَانِكُمْ !

(١) أَمْرٌ : عَظِيمٌ (٢) أَبُو كَبِشَةً : رَجُلٌ مِنْ خَزَاعَةَ خَالِفٌ قَرِيشًا فِي عِبَادَةِ الْأَوْتَانِ ، وَعَبْدُ
الشَّعْرَى الْعَبْرِ ، فِي الْمُشْرِكِونَ الَّذِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ابْنَ أَبِي كَبِشَةَ لِخَلْفَهِ إِيَّاهُ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ
تَعَالَى ، تَشَبِّهَا لَهُ بِأَبْنَى كَبِشَةَ الَّذِي خَالَفَهُمْ إِلَى عِبَادَةِ الشَّعْرَى (٣) بَنِي الْأَصْفَرَ : لَقْبُ مُلُوكِ الرُّومِ

* ٧٣ - إسلام أبي ذرَّ *

قال أبو ذرٌّ^(١) : كُنْت رجلاً من غفار ، فبلغنا أن رجلاً قد خرج بعكة يزعم
أنه نبىٰ ، فقلت لأخى : انطلق إلى هذا الرجل وكلمه ، واثنى بخبره ؛ فانطلق
فلقيه ، ثم رجع ، فقلت : ما عندك ؟ فقال : والله لقد رأيت رجلاً يأمر بالخير ، وينهى
عن الشرّ ؟ فقلت له : لَمْ تُشْفَنِي مِنَ الْخَبْرِ !

فأخذت حِرَاباً وعاصماً ، ثم أقبلت إلى مكة ؛ فعملت لا أُعِرفُه ، وأكرهُ أن
أسأل عنه ، وأشرب من ماء زرم ، وأكون في المسجد ؛ فرَّ بِى عَلَىٰ^٢ ، فقال :
كَانَ الرَّجُلَ غَرِيبٌ ؟ قلت : نعم ! فانطلق إلى المنزل وانطلقت معه لا يسألني عن
شيء ولا أُخْبِرُه .

فَلَمَا أَصْبَحَتْ غَدُوتُ^٣ إِلَى الْمَسْجِدِ لِأَسْأَلَّ عَنْهُ ، وَلَيْسَ أَحَدٌ يَخْبُرُنِي عَنْهُ بَشِيءٍ ؛
فَرَّ بِى عَلَىٰ^٤ ، فقال : أَمَا آنَّ لِلرَّجُلِ أَنْ يَعْرِفَ مَنْزِلَهُ بَعْدَ ؟ قلت : لا ، قال :
انطلق معي ، ثم قال : مَا أَمْرُكَ ؟ وَمَا أَقْدَمْتَ هَذِهِ الْبَلَدَةَ ؟ فقلت : إِنْ كَتَمْتَ
عَلَىٰ أَخْبَرْتُكَ ! قال : فَإِنِّي أَفْعُلُ . قلت له : بلغنا أنه خرج هاهنا رجل يزعم أنه
نبيٰ ، فأرسلت أخي ليكلمه ، فرجع ولم يشفعني من الخبر ، فأردت أَنْ ألقاه .
قال : أَمَا إِنْكَ قَدْ رُشِدْتَ ، هَذَا وَجْهِي إِلَيْهِ فَاتَّبِعْنِي ، ادْخُلْ ! ؟ حيث أَدْخُل ؟

* الزبيدي : ٢ - ٥٤ .

(١) هو من غفار ، وهي قبيلة من كنانة ، وأسلم أبو ذر بعكة ولم يشهد بدرأ ولا أحداً ولا
الخدق ، لأنَّه حين أسلم رجم إلى بلاد قومه ، حتى مضت هذه الشاهد ثم قدم المدينة على رسول الله
صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ومات بالربذة سنة ٣٢ هـ .

فإني إن رأيت أحداً أخافه عليك قت إلى الحائط كأنى أصلاح نعلى ،
وامضِ أنت .

فضى ومضيت معه حتى دخل ، ودخلت معه على النبي صلى الله عليه وسلم ،
قال له : اغْرِضْ عَلَى إِسْلَام ، فعَرَضَه ، فَأَسْلَمَتْ مَكَانِي ، فقال لى : يا أبا ذر
اَكْتُمْ هَذَا الْأَمْرَ ، وارجع إلى بلدك ، فإذا بلغك ظُهُورُنَا فاقْبِلْ . فقلت : والذى
بعثك بالحق لأضرُّنَّ به بين أظهرهم .

فجاء إلى المسجد ، وقر بيش فيه ، فقال : يامعاشر قريش ؟ إنىأشهد أن لا إله
إلا الله وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله . فقالوا : قوموا إلى هذا الصابى^(١) ، فقاموا
فضرِبَتْ لآمُوت ، فأدركنى العباس ، فاكِبَ علىّ ، ثم أقبل عليهم ، فقال :
ويسلكم ! تقتلون رجالاً من غفار ومتجركم وممركم على غفار ! فاقلعوا عنى .
فلما أن أصبحت في الغدر جمعت فقلت مثل ماقلت بالأمس . فقالوا : قوموا
إلى هذا الصابى ، فصُنِعَ بي مثل ما صُنِعَ بالأمس ! وأدركنى العباس فاكِبَ
علىّ ، وقال مثل مقاتله بالأمس !

(١) صباً : خرج من دين إلى دين .

٧٤ — جُود عَمَانِ بْنِ عَفَانَ *

أصحاب الناسَ قَحْطٌ فِي خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ ، فَلَمَا اشْتَدَّ بِهِمُ الْأَمْرُ جَاءُوا إِلَى
أَبِي بَكْرٍ وَقَالُوا يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللَّهِ ، إِنَّ السَّمَاءَ لَمْ تَنْطِرْ ، وَالْأَرْضَ لَمْ تَنْبِتْ ، وَقَدْ
تَوَقَّعَ النَّاسُ الْمَلَكَ ؟ فَمَا نَصَّنَّعَ ؟ فَقَالَ لَهُمْ : انْصِرُوهُمْ وَاصْبِرُوهُمْ ، فَإِنِّي أَرْجُو اللَّهَ أَلَا
تُمْسِوْهُمْ حَتَّى يُفَرِّجَ اللَّهُ عَنْكُمْ .

فَلَمَّا كَانَ فِي آخِرِ النَّهَارِ وَرَدَ أَخْبَرُ بَأنْ عِيرًا لِعَمَانِ بْنِ عَفَانَ جَاءَتْ مِنَ الشَّامِ .
فَلَمَّا جَاءَتْ خَرْجَ النَّاسِ يَتَلَقَّوْهُنَّا ، فَإِذَا هِيَ أَلْفُ بَعِيرٍ مُوسَقَةً بُرُّا وَزَيْتَاً وَزَبَيْباً ،
فَأَنْاخَتْ بَيْبَانَ (١) ، فَلَمَّا جَعَلْهَا فِي دَارِهِ جَاءَ التَّجَارُ ، فَقَالَ لَهُمْ : مَا تَرِيدُونَ ؟
قَالُوا : إِنَّكُمْ لَتَعْلَمُونَ مَا نَرِيدُ ! بِعِنْدِنَا مِنْ هَذَا الَّذِي وَصَلَّى إِلَيْكُمْ ، فَإِنَّكُمْ تَعْلَمُونَ ضَرُورَةَ
النَّاسِ إِلَيْهِ ! قَالَ : حُمَّاً وَكَرَامَةً . كَمْ تَرْبِحُونَنِي (٢) عَلَى شَرَائِنِي ؟ قَالُوا : الدَّرْهَمُ دَرْهَمِينَ .
قَالَ أُعْطِيْتُ زِيَادَةً عَلَى هَذَا . قَالُوا : أَرْبَعَةَ . قَالَ : أُعْطِيْتُ زِيَادَةً عَلَى هَذَا . قَالُوا :
خَمْسَةَ . قَالَ : أُعْطِيْتُ أَكْثَرَ مِنْ هَذَا . قَالُوا : يَا أَبَا عُمَرَ ، مَا بَقِيَ فِي الْمَدِينَةِ تَجَارَ
غَيْرَنَا وَمَا سَبَقَنَا إِلَيْكُمْ أَحَدٌ ، فَنَّ ذَا الَّذِي أُعْطَاكُمْ ؟ قَالَ : إِنَّ اللَّهَ أَعْطَانِي بِكُلِّ درْهَمٍ
عَشْرَةً . أَعْنَدْكُمْ زِيَادَةً ؟ قَالُوا : لَا . قَالَ : فَإِنِّي أَشْهِدُ اللَّهَ أَنِّي جَعَلْتُ مَا حَمَلتُ هَذِهِ
الْعِيرَ صَدَقَةً لِلَّهِ عَلَى الْمَسَاكِينِ وَفَقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ .

* غُرُورُ الْخَصَائِصُ : ١٥٣ .

(١) عَمَانِ بْنِ عَفَانَ : ثالِثُ خَلِيفَةِ الْمُسْلِمِينَ ، وَكَانَ غَنِيًّا لَمْ يَخْلُ بِمَالِهِ فِي سَبِيلِ الإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ .
وَانْتَهَتْ خِلَافَتُهُ بِقَتْلِهِ سَنَةَ ٣٥ هـ (٢) أَرْبَعَهُ عَلَى سَلْعَتِهِ : أُعْطَاهُ رِبَاعًا .

* ٧٥ - لبيد والوليد بن عقبة

كان لَبِيدُ^(١) بْنُ رَبِيعَةَ جَوَاداً شَرِيفاً فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالإِسْلَامِ، وَكَانَ قَدَّاً لِفِي
الْجَاهِلِيَّةِ أَنْ يُطْعَمَ مَا هَبَتِ الصَّبَّاً. ثُمَّ أَدَمَ ذَلِكَ فِي إِسْلَامِهِ، وَكَانَتْ لَهُ حَقْنَتَانِ يَغْدُو
بِهِمَا وَيَرْوَحُ فِي كُلِّ يَوْمٍ عَلَى مَسْجِدِ قَوْمِهِ فَيُطْعَمُهُمْ، وَتَرَلَ لَبِيدُ السَّكُوفَةَ، وَأَمِيرُهَا
الْوَلِيدُ بْنُ عَقبَةَ، فَبَيْنَا هُوَ يَخْطُبُ النَّاسَ إِذْ هَبَتِ الصَّبَّا، فَقَالَ الْوَلِيدُ فِي خُطْبَتِهِ عَلَى
الْمَنْبِرِ: قَدْ عَلِمْتُ حَالَ أَخِيكُمْ أَبِي عَقِيلٍ، وَمَا جَعَلَ عَلَى نَفْسِهِ: أَنْ يُطْعَمَ مَا هَبَتِ
الصَّبَّاً، وَهَذَا يَوْمٌ مِنْ أَيَامِهِ. وَقَدْ هَبَتِ رِيحُهَا، فَأَعْيَنُوهُ، وَأَنَا أُولُوْنِ مَنْ فَعَلَ.
ثُمَّ انْصَرَفَ الْوَلِيدُ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ بِمَا تَأْتِيَ مِنَ الْجَزْرِ، وَبِهَذِهِ الْأَبْيَاتِ:

أَرِيَ الْجَزَّارَ يَسْحَدَ شَفَرَتِيهِ إِذَا هَبَتِ رِيَاحُ أَبِي عَقِيلٍ
أَشْمَ الأَنْفِ أَصْبَدَ^(٢) عَامِرِي طَوِيلُ الْبَاعِ كَالسَّيْفِ الصَّقِيلِ
وَفَيَابِنُ الْجَعْفَرِيَّ بِمَا نَوَاهُ عَلَى الْعَلَاتِ^(٣) وَالْمَالِ الْقَلِيلِ
بَنَحْرُ الْكَوْمِ^(٤) إِذْ سَحَبَتِ إِلَيْهِ ذِيولَ صَبَّاً تَجَاذَبُ بِالْأُصِيلِ
فَلَمَا وَصَلَتِ الْمَهْدِيَّةُ إِلَى لَبِيدِ شَكْرَهُ، وَقَالَ: إِنِّي تَرَكْتُ الشِّعْرَ مِنْ قَرَأْتِ
الْقُرْآنَ؛ ثُمَّ قَالَ لِابْنِهِ: أَجِيبَهُ، فَلَعْمَرَى لَقَدْ عَشْتُ دَهْرًا وَمَا أَعْيَا بِجَوَابِ
شَاعِرٍ، فَقَالَتْ:

إِذَا هَبَتِ رِيَاحُ أَبِي عَقِيلٍ دَعَوْنَا عَنْدَ هَبَّتِهِ الْوَلِيدَأَ

* المجزءة: ٣٩ ، المستطرف: ٢ - ٥٠ ، الأغاني: ١٤ - ٩٣ ، بلوغ الأرب: ٣ - ٩٢.

(١) لَبِيدُ بْنُ رَبِيعَةَ الْمَارِيَّ: أَحَدُ أَشْرَافِ الشُّعُرَاءِ الْجَهِيدِينَ وَالْقَوَادِ الْفَرَسَانُ الْمُعْرِبِينَ وَهُوَ
مِنْ أَصْحَابِ الْمَعْلَقَاتِ لَا ظَهَرَ إِلَيْهِ أَسْلَمَ وَحْسَنَ إِلَيْهِ، وَمَاتَ سَنَةً ٤١ هـ (٢) الأَصِيدُ: رَافِعٌ
رَأْسَهُ كَبِيرًا (٣) عَلَى الْعَلَاتِ: عَلَى كُلِّ حَالٍ (٤) الْكَوْمُ: الْقَطْعَةُ مِنِ الْإِبلِ.

أشمَّ الْأَنفَ أَصِيدَ عَبْشِمِيَا^(١) أَعَانَ عَلَى مُرْوَعِهِ لَيْدَا
 بِأَمْتَالِ الْمَضَابِ^(٢) كَانَ رَجْنَاً عَلَيْهَا مِنْ بَنِي حَامٍ قَعُودًا
 أَبَا وَهْبٍ جَزَّاكَ اللَّهُ خَيْرًا نَحْرَنَاهَا وَأَطْعَنَاهَا الْوُفُودَا
 قَعْدًا ، إِنَّ الْكَرِيمَ لَهُ مَعَادٌ وَظَنَّ بَنِي أَرْزَوِي أَنْ يَعْوَدَا
 فَقَالَ لَبِيدٍ : أَجَبَتِ وَأَحْسَنَتِ ، لَوْلَا أَنْكِ سَأَلْتِ فِي شِعْرِكِ . قَالَتْ : إِنَّهُ أَمِيرٌ
 وَلَيْسَ بِسُوقَةٍ ، وَلَا بِأَسَّ بِسْوَالِهِ ، وَلَوْ كَانَ غَيْرَهُ مَاسُؤْلَنَا ! قَالَ : أَجَلٌ ، إِنَّهُ عَلَى
 مَذْكُورٍ ، وَأَنْتِ يَا بَنِيَّةٌ فِي هَذَا أَشْعَرَ !

(١) نسبة إلى عبد شمس (٢) المضاب: جمع مضبة، وهي ما ارتفع من الأرض، والمعنى:
 أَعَانَ بِجَهَالٍ ضَخَّامَ الْمَضَامَ لِضَخَّامَهَا ، وَقَدْ شَبَّهَ أَسْتَمْتَهَا بِقَوْمٍ سَوْدَ قَاعِدِينَ عَلَيْهَا ،
 وَمِنْ بَنِي حَامٍ أَيِّ السُّوْدَانَ .

* ٧٦ - الحطينة والزبرقان بن بدر

قدم الزبرقان على عمر في سنة مُجْدِّبة ، ليؤدي صدقات قومه ، فقيه الحطينة بقرقري^(١) ، ومعه ابناه أوس وسَوَادَةُ وبناته وامرأته ، فقال له الزبرقان - وقد عرفه ولم يعرفه الحطينة - أين تُريد ؟ قال : العِراق ، فقد حَطَمْتَنا هذه السنة ، قال : وتصنف ماذا ؟ قال : وَدِدتْ أَنْ أَصَادَفَ بَهَا رَجُلًا يَكْفِي مَئْوِنَةً عِيالَ ، وأُصْفِيَ مَدْحِي أَبْدًا .

قال له الزبرقان : قد أصبتَه ، فهل لك فيه يُوسِّعُك لبناً وترأً ، ويجاورُك أحسن جوار وأكرومَه ؟ فقال له الحطينة : هذا وأبيك العيش ، وما كفتُ أرجو هذا كلَّه . قال : فقد أصبتَه . قال : عندَ مَنْ ؟ قال : عندَي . قال : ومن أنت ؟ قال : الزبرقان بن بدر^(٢) . قال : وأين حَلَّك ؟ قال : ارَكَبْ هذه الإبل ، واستقبل مطلعَ الشمس ، وسل عن القمر حتى تأتيَ منزلي .

ثم كتب إلى أمه - وكان اسمها أم شَدْرَةَ : أن أحسني إليه ، وأكثري له من التمر واللبن . وكان الحطينة دميأ ، لا تأخذُ العين ، ومعه عيال كذلك ؟ فلما رأيتُ أم شَدْرَةَ حالَه هان عليها وقصَّرتْ به^(٣) .

* الأغاني : ٢ - ١٨٠ ، نهاية الأرب : ٣ - ٢٩٧ ، ذيل زهن الآداب : ٢٢٧ ، ابن أبي الحديد : ٣ - ١٠٣ ، الكامل : ١ - ٣٥٤ ، ٣٤٨

(١) قرقري : أرض باليامنة فيها قرى وزروع كثيرة ونجيل (٢) الزبرقان : البدر ، وسمى به الحسين بن بدر لحسنه ، وكان رسول الله قد استعمل الزبرقان على صدقات قومه وأقره أبو بكر وتوفى أيام معاوية سنة ٤٥ هـ (٣) قصرت به : لم تكرمه ولم تبلغ ما يرضيه .

ونظر بغيض^(١) وبنو أَنْفِ الناقة إلى ما تصنع به أُم شَدْرَة ، فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ : أَنْ ائْتُنَا ؟ فَأَبَى عَلَيْهِمْ وَقَالَ : إِنْ مِنْ شَأْنَ النَّسَاءِ التَّقْصِيرُ وَالْفَلْتَةُ ، وَلِسْتُ بِالَّذِي أَحْمَلُ عَلَى صَاحِبِهَا ذَنْبَهَا ؟ فَلَمَا أَلْحَى عَلَيْهِ بَنُو أَنْفِ النَّاقَةِ قَالَ لَهُمْ : لَسْتُ بِحَامِلٍ عَلَى الرَّجُلِ ذَنْبَ غَيْرِهِ ، فَإِنْ تُرِكْتُ وَجْهِيْتُ تَحْوِلَاتُ إِلَيْكُمْ ، فَأَطْعُمُهُمْ وَوَعْدُهُمْ وَعْدًا عَظِيمًا .

فَلَمَّا لَمْ يَجِدُهُمْ دَسْوَا إِلَى هُنْيِدَةَ زَوْجَةِ الزَّبِرْقَانِ : أَنَّ الزَّبِرْقَانَ إِنَّمَا يَرِيدُ أَنْ يَتَزَوَّجَ ابْنَتَهُ مُلِيكَهُ - وَكَانَتْ جَمِيلَةً كَامِلَةً - فَظَهَرَتْ مِنَ الْمَرْأَةِ الْحَطِيشَةِ جَفْوَةً ، وَهِيَ فِي ذَلِكَ تُدَارِيْهُ . ثُمَّ أَرَادُوا النَّجْعَةَ^(٢) ، فَقَالَتْ لَهُ أُمُّ شَدْرَةَ : قَدْ حَضَرَتِ النَّجْعَةُ ، فَأَرَكَبَ أَنْتَ وَأَهْلَكَ هَذَا الظَّهَرَ إِلَى مَكَانٍ كَذَا وَكَذَا ، ثُمَّ ارْدَدْهُ إِلَيْنَا حَتَّى نَلْحَقَكُمْ ، فَإِنَّهُ لَا يَسْعَنَا جَمِيعًا . فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا : بَلْ تَقْدِمُ أَنْتِ أَحْقَى بِذَلِكَ ، فَفَعَلَتْ .

وَتَثَاقَلتْ عَنْ رَدِّهِ إِلَيْهِ ، وَتَرَكَتْهُ يَوْمَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةَ ، وَأَلْحَى بَنُو أَنْفِ النَّاقَةِ عَلَيْهِ ، وَقَالُوا لَهُ : قَدْ تُرِكْتَ بِهِضِيْعَةٍ ، فَلَمَا أَلْحَوَا عَلَيْهِ أَجَابُوهُمْ ، فَقَالَ : أَمَا الآنَ فَنِمْ أَنَا صَائِرٌ مَعْكُمْ ؟ وَتَحْمِلُ مَعَهُمْ . فَضَرَبُوا لَهُ قُبَّةً ، وَرَبَطُوا بِكُلِّ طُنْبٍ مِنْ أَطْنَابِهَا جُلَّةً^(٣) هَيْجَرِيَّةً ، وَأَرَاحُوا^(٤) عَلَيْهِ إِبْلِهِمْ ، وَأَكْثَرُوا لَهُ مِنَ الْمَرْ وَاللَّبْنِ ، وَأَعْطَوْهُ لَقَاحًا^(٥) وَكُسْوَةً .

فَلَمَّا قَدِمَ الزَّبِرْقَانَ سَأَلَّهُ عَنْهُ ، فَأَخْبَرَ بِقَصْتَهُ ، فَرَكَبَ فَرْسَهُ ، وَأَخْذَ رُمَحَّهُ ،

(١) كَانَ بَغِيْضٌ وَبَنُو أَنْفِ النَّاقَةِ يَنْازِعُونَ الزَّبِرْقَانَ الشَّرْفَ ، وَكَانُوا أَشْرَفَ مِنَ الزَّبِرْقَانَ ؟ إِلَّا أَنَّهُ قَدْ كَانَ اسْتَعْلَمَ بِنَفْسِهِ (٢) النَّجْعَةُ : طَلْبُ الْكَلَامِ فِي مَوْضِعِهِ (٣) الْجَلَةُ : وَعَاءٌ يَتَعَذَّذُ مِنْ الْحَوْصَنِ يَوْضِعُ فِيهِ الْمَرْ يَكْنُزُ فِيهِ (٤) إِرَاحَةُ الْإِبْلِ : رَدَهَا فِي الشَّتَّى (٥) الْلَّقَاحُ : جَمْ جَلْقَحٌ وَهِيَ النَّاقَةُ الْحَلَوبُ .

وسار حتى وقف على نادي القرْبَعِيَّين ، فقال : رُدُوا على جاري ! فقالوا : ما هو
لك بجاري ، وقد اطْرَحْتَه وضَيَّقْتَه ، فَأَلَمَ^(١) أَنْ يَكُونَ بَيْنَ الْحَيَّيْنِ حَرْبٌ ؟ فَخَضَرَهُمْ
أَهْلُ الْحَجَّا مِنْ قَوْمِهِمْ ، وَلَامُوا بَغْيَاصًا وَقَالُوا : ارْدُدْ عَلَى الرَّجُلِ جَارَهُ ، فَقَالَ :
لَسْتُ مُخْرِجَهُ وَقَدْ أَوْيَتُهُ ، وَهُوَ رَجُلٌ حِرْثٌ مَالِكٌ لِأُمْرِهِ ، فَخَيْرُوهُ ، فَإِنْ اخْتَارَنِي لِمْ
آخِرَ جَهَ ، وَإِنْ اخْتَارَهُ لِمْ أَكْرِهُ .

فَخَيْرُوا الْحَطِينَةَ، فَاخْتَارَ نَبِيَّضًا وَرَهْطَهُ، فَجَاءَ الرَّبُّ بِرْقَانَ وَوَقَفَ عَلَيْهِ، وَقَالَ لَهُ :
يَا أَبَا مُدِيكَةٍ ؟ أَفَأَرْقَتَ جَوَارِيَ عَنْ سُخْطِيِّ وَذِمَّةٍ ؟ قَالَ : لَا ؛ فَانْصَرَفَ وَتَرَكَهُ .
وَجَعَلَ الْحَطِينَةَ يَمْدُحُ الْقُرَيْبِيِّينَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَهْجُو الرَّبُّ بِرْقَانَ ، وَهُمْ يَحْضُونَهُ عَلَى
ذَلِكَ وَيُنْهَرُّضُونَهُ فِي أَبَيِّ وَيَقُولُ : لَا ذَنْبَ لِلرَّجُلِ عِنْدِي ، حَتَّى أَرْسَلَ الرَّبُّ بِرْقَانَ إِلَى
رَجُلٍ مِّنَ النَّمِيرَ بْنَ قَاسِطٍ فَهَجَا نَبِيَّضًا ؟ قَالَ :

أردى إبلى بجوف الماء حلّت
وقد وَرَدَتْ مِيَاهَ بَنِي قُرَيْبٍ
تُحَلَّا (٣) يَوْمَ وِزْدِ النَّاسِ إِبْلِي
الْأَمْ أَكْ جَارَ شَمَاسَ بْنَ لَأْيِ
فَقْلَتْ : تَحْوَلِي يَا أَمَّ بَكْرٍ
وَجَدْنَا يَيْتَ بَهْذَلَةَ بْنَ عَوْفٍ
وَمَا أَضْحَى لِشَمَاسِ بْنَ لَأْيِ
سِوَى أَنَّ الْحَطِينَةَ قَالَ قُولَا

(١) ألم : قرب (٢) الرواء : الكثير المروي (٣) تحلاً : غنم (٤) مخنة : ضائقة

(٦) الفعال : اسم لفظي الحسن من المود والكرم ونحوه (٧) دحا الفناء : عظم واتسم

(٧) الرياء : الطول والمنة والفضل .

فَيَنْذِدُ قَالُ الْحَطِينَةُ يَهْجُو الزَّبْرِقَانُ ، وَيَنْاضِلُ عَنْ بَعِيشٍ — قَصِيدَتُهُ التَّى
يَقُولُ فِيهَا :

فِي آلِ لَأْيٍ بْنِ شَمَاسٍ بْنِ مَكَىَسٍ^(٢)
فِي بَانِسٍ جَاءَ يَخْدُو آخرَ النَّاسِ
يُومًا يَجِيءُ بِهَا مَسْحِيٌّ وَإِبْسَاسِيٌّ^(٥)
كَيْمَاكُونُ لَكُمْ مَتَّحِيٌّ^(٦) وَإِمْرَاسِيٌّ^(٧)
وَلَمْ يَكُنْ بِجَرَاحِي فِيكُمْ آسِيٌّ
وَلَنْ تَرِي طَارِدًا لِلْحُرُّ كَالْيَاسِ
ذَا فَاقِهٍ حَلَّ فِي مُسْتَوْعِرِ شَائِسِيٌّ^(٨)
وَغَادَرُوهُ مَقِيًّا بَيْنَ أَرْمَاسِيٍّ^(٩)
وَجَرَحُوهُ بِأَنْيَابٍ وَأَصْرَاسِ
وَاقْعُدْ فَإِنْكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ^(١١) الْكَاسِيٌّ
لَا يَذْهَبُ الْغُرْفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ
مِنْ آلِ لَأْيٍ صَفَّةٌ^(١٢) أَصْلُهَا رَاسِيٌّ

وَاللَّهُ مَا مَعْشَرٌ لَامُوا امْرَأً جُنْبَا^(١)
مَا كَانَ ذَنْبُ بَعِيشٍ لَا أَبَا الْكَمْ^(٣)
لَقَدْمَرٌ يَتَكُمْ^(٣) لَوْ أَنَّ دِرَّتَكُمْ^(٤)
وَقَدْ مَدْحَتَكُمْ عَمْدًا لِأَرْشِدَكُمْ
لَمَّا بَدَأْتِي مِنْكُمْ غَيْبٌ أَفْسِكَمْ
أَزْمَعْتُ يَأسًا مُبِينًا مِنْ نَوَالِكُمْ
مَا كَانَ ذَنْبُ بَعِيشٍ أَنْ رَأَى رَجَلًا
جَارًا لِقَوْمٍ أَطَالُوا هُونَ مِنْزِلَهِ
مَلَوْا قِرَاهٍ وَهَرَّتَهُ^(١٠) كَلَبُهُمْ
دَعَ الْمَكَارَمَ لَا تَرَأَ حَلْ لِبْغِيَّهَا
مَنْ يَفْعَلُ الْخَيْرَ لَا يَعْذَمْ جَوَازِيَّهَا
مَا كَانَ ذَنْبِيَّ أَنْ فَلَتْ مَعَوْلَكُمْ

(١) المبنب : القريب (٢) جمع كيس : الليب الفطن ، والمراد بالمعشر الزبرقان ورهطه (٣) مرى الناقة يعربها : مسع ضرعها ، المراد مداراتهم ومدحهم ليدوا عليهم بالعطاء (٤) الدرة : اللبن

(٥) الإباس : أن تدعو الناقة باسمها وتلاطفها لندر (٦) التبع : أن يقف الرجل فوق البئر ليجذب الدلو (٧) الإيمراس : وضع حبل البئر في البكرة بعد أن انزلق منها (٨) المستوعر :

المكان الوعر ، والثاثسي : المكان الغليظ المرتفع (٩) الرمس : القبر ، وجمعه أرماس . والهون : المذلة : أى تركوه كالميت (١٠) هرته الكلاب بعثته . وهو كناية عن أنه كان غريباً بينهم

(١١) الطاعم : الطعم . والكاسي : الكسو .

(١٢) الصفة : الحجر الصلد الضخم .

قد نَاضلُوكَ فَسْلُوا مِنْ كَنَاثِهِمْ مَجْدًا تَلِيدًا وَبَلًا غَيْرَ أَنْكَاسٍ^(١)
 فَاسْتَعْدَى عَلَيْهِ الزَّبْرَقَانُ عَمْرَ بْنَ الْخَطَابَ ، فَرَفَمَهُ عَمْرٌ إِلَيْهِ وَاسْتَشَدَهُ فَأَنْشَدَهُ ،
 قَالَ عَمْرٌ : مَا أَسْعَمُ هَجَاءَ وَلَكِنَّهَا مَعَاتِبَةً . قَالَ الزَّبْرَقَانُ : أَوْ تَبْلُغُ مَرْوِقَتِي إِلَّا
 أَنْ آَكَلَ وَأَلْبَسَ ! قَالَ عَمْرٌ : عَلَىٰ بِحْسَانٍ ، لَبْسٌ بِهِ ، فَسَأَلَهُ ، قَالَ : أَتَرَا هَجَاءَ ؟
 قَالَ : نَعَمْ وَسَلَحَ عَلَيْهِ ! خَبْسَهُ عَمْرٌ ، قَالَ فِي الْجَبَسِ :

أَعُوذُ بِحَمْدِكَ إِنِّي امْرُؤٌ سَقْتُنِي الْأَعْادِي إِلَيْكَ السَّجَالَا^(٢)
 فَإِنَّكَ خَيْرٌ مِّنَ الزَّبْرَقَانِ أَشَدُّ تَكَالًا وَأَزْجَى نَوَالًا
 فَإِنْ لَكُلُّ مَقَامٍ مَقَالًا تَحْنَنُ عَلَىٰ هَدَاكَ الْمَلِيكُ
 فَإِنْ لَكُلُّ زَمَانٍ رِجَالًا وَلَا تَأْخُذْنِي بِقَوْلِ الْوُشَاءِ
 فَإِنْ كَانَ مَا زَعَمُوا صَادِقًا فَإِنْ كَانَ مَا زَعَمُوا صَادِقًا
 حَوَاسِرَ لَا يَشْتَكِينَ الْوَجَاجَ^(٤)
 فَلَمْ يَلْتَفِتْ عَمْرٌ إِلَيْهِ ، حَتَّىٰ قَالَ :
 مَاذَا تَقُولُ لِأَفْرَاخِ بَنِي مَرَّاخِ^(٥) أَقْلِيتَ كَاسِبَهُمْ فِي قَعْدَ مُظْلِمَةٍ
 أَنْتَ الْإِمَامُ الَّذِي مِنْ بَعْدِ صَاحِبِهِ
 لَمْ يُؤْثِرُوكَ بِهَا إِذْ قَدَّمْتُكَ لَهَا^(٦)

(١) أَنْكَاسٌ : جمع نَكْسٍ ، وَهُوَ أَضْعَفُ السَّهَامِ . وَمَعْنَى الْبَيْتِ : إِنَّ الْعَربَ كَانُوا إِذَا أَسْرَوْا أَسْيَرًا خَيْرَهُو بَيْنَ التَّخْلِيةِ ، وَجَزِ النَّاصِيَةِ ، وَالْأَسْرِ ، فَإِنْ اخْتَارَ جَزِ النَّاصِيَةِ جَزِوهَا لَهُ ، وَخَلُوا سَبِيلَهُ ، ثُمَّ جَعَلُوا ذَلِكَ الشِّعْرَ فِي كَنَاثِهِمْ ، فَإِذَا افْتَخَرُوا أَخْرَجُوهُ وَأَرْوَهُمْ مَفَارِخَهُمْ .

(٢) السَّجَالُ : جَمْ سَجْلٍ ، وَهُوَ الدَّلْوُ الْعَظِيمَةِ مَلْوَأً^(٣) جَمْ رَجَلٍ ، أَئِي رَاجِلٍ .

(٤) الْوَجَاجُ : الْحَفَا ، وَقِيلَ شَدَتْهُ^(٥) الْآلُ : عَمَدُ الْحَيَّةِ^(٦) ذُو مَرْخٍ : وَادِ الْحَجَازِ .

(٧) الْأَثْرُ : وَاحِدَهَا أَثْرٌ ، وَمَعْنَاهَا الْإِسْتِثَارَةُ وَالْمَكْرَمةُ .

فامنْ علِي صِبَّيْهِ بِالرَّمْل مُسَكِّنْهُمْ بينَ الْأَبَاطِح تَفْشِمْ بِهَا الْقَرَرُ^(١)
 أَهْلِي فِدَاوِكَ كَمْ يَنْفِي وَيَنْهِمُ منْ عَرْض دَاوِيَة^(٢) تَعْمَى بِهَا الْخَبْرُ^(٣)

فبَكَ عُمَرْ حِينَ قَالَ : « مَاذَا تَقُولُ لِأَفْرَاخِ بَذِي مَرَّاحٍ » . فَقَالَ عُمَرْ بْنُ
 الْعَاصِ : مَا أَظْلَلْتَ الْخَضْرَاءِ ؟ وَلَا أَقْلَتَ الْفَبَرَاءِ أَعْدَلَ مِنْ رَجُلٍ يَسْكُنُ عَلَى تَرْزِكَهُ
 الْحَطِيَّةِ ! فَقَالَ عُمَرْ : عَلَىٰ بِالْكَرْسِيِّ ، فَأَتَىٰ بِهِ ؛ جَلَسَ عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : أَشِيرُوا عَلَىٰ
 فِي الشَّاعِرِ فَإِنَّهُ يَقُولُ الْهُجْرَ ؟ وَيَنْسِبُ بِالْحَرَمَ ، وَيَمْدُحُ النَّاسَ وَيَذْهَمُ بِغَيْرِ مَا فِيهِمْ.
 مَا لَرَانِي إِلَّا قَاطِعًا لِسَانَهُ ؟ ثُمَّ قَالَ : عَلَىٰ بِالْطَّسْتِ ، فَأَتَىٰ بِهَا^(٤) . ثُمَّ قَالَ : عَلَىٰ
 بِالْمِخْصَفِ^(٥) ، عَلَىٰ بِالسَّكِينِ ، لَا ؛ بَلْ عَلَىٰ بِالْمُوسِي فَهُوَ أَوْحَى^(٦) ! فَضَّجَ الْحَطِيَّةَ
 وَقَالَ : إِنِّي وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ هَجَوْتُ أَبِي وَأُمِّي وَأَمْرَأَتِي وَنَفْسِي ، فَتَبَسَّمَ عُمَرْ ،
 ثُمَّ قَالَ : مَا الَّذِي قَلْتَ ؟ قَالَ : قَلْتُ لِأَبِي وَأُمِّي :
 وَلَقَدْ رَأَيْتُكِ فِي النِّسَاءِ فَسُوتْنِي وَأَبَا بَنِيكِ فَسَاءَنِي فِي الْمَجَلِسِ
 وَقَلْتُ لِأَبِي خَاصَّةً :
 فَبَئْسَ الشَّيْخُ أَنْتَ لَدَى نَعِيمٍ وَبَئْسَ الشَّيْخُ أَنْتَ لَدَى الْمَعَالِي
 وَقَلْتُ لِأُمِّي خَاصَّةً :
 تَنْحَىٰ وَاجْلَسَنِي مِنْ بَعِيدًا أَرَاحَ اللَّهُ مِنْكِ الْعَالَمِينَا !
 أَغْرِيْ بالَا^(٧) إِذَا اسْتُؤْدِعْتُ سِرًا وَكَانُونَا^(٨) عَلَى التَّحْدِيدِنَا ؟
 حَيَاةُكِ مَاعْلَمْتُ حَيَاةً سُوءً وَمَوْتُكِ قَدْ يَسِرَ الصَّالِحِينَا

(١) القرر : جمع قرة ، وهي البرد (٢) الداوية : الفلاة الواسعة (٣) الطست مؤنث ، وقد تذكر (٤) المخفف : محرز الإسكاف (٥) أوحى : أسرع .
 (٦) أصل الغربال : ما غربل به ، وهو يريد أنها لا تحفظ سراً (٧) القانون : التقبيل والخ من الناس ، وقيل : القانون الذي يجلس حتى يحصل الأخبار والأحاديث .

وقلت لامرأتى :

أطْوَّفْ مَا أطْوَفْ نُمْ آوِي إِلَى بَيْتِ قَعِيدَتِهِ لَسْكَاعَ^(١)

وقلت لنفسى :

أَبَتْ شَفَقَاتِي الْيَوْمَ إِلَّا تَكَامَ بسوءِ افْرَا أَدْرِى مِنْ أَنَا قَاتِلُهُ
 أَرَنِي لِي وَجْهًا شَوَاهِدَ اللَّهُ خَلْقَهُ فَقُبْحَ منْ وَجْهِ وَقْبَحَ حَامِلُهُ
 قَالُوا : لَا يَعُودُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَشَارُوا إِلَيْهِ أَنْ قَلَ لَا أَعُودَ ، فَقَالَ : لَا أَعُودَ
 يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . فَقَالَ لَهُ : النَّجَاءُ ! ثُمَّ قَالَ لَهُ عُمَرُ : يَا حُطَيْثَةُ ، كَانَى بِكَ عِنْدَ فَتِي
 مِنْ قَرِيشٍ ، قَدْ بَسْطَ لَكَ نُمْرُقَةً^(٢) ، وَكَسَرَ لَكَ أُخْرَى وَقَالَ : غَنَّنَا يَا حُطَيْثَةُ ،
 فَطِفِقْتَ تَغْنِيَهُ بِأَعْرَاضِ النَّاسِ^(٣) !

قَالَ ابْنُ أَسْلَمْ : فَمَا افْقَضْتِ الدِّينِا حَتَّى رَأَيْتِ الْحُطَيْثَةَ عِنْدَ عَبِيدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَدْ
 بَسْطَ لَهُ نُمْرُقَةً ، وَكَسَرَ لَهُ أُخْرَى وَقَالَ : غَنَّنَا يَا حُطَيْثَةُ ، فَجَعَلَ يَغْنِيَهُ ، فَقَلَتْ لَهُ :
 يَا حُطَيْثَةُ ، أَتَذَكَّرُ قَوْلَ عُمَرَ ؟ فَفَزَعَ وَقَالَ : يَرْحُمُ اللَّهُ ذَلِكَ الْمَرءُ ، أَمَا إِنَّهُ لَوْ كَانَ
 حَيَا مَا فَعَلْتُ !

(١) السكاع: الأمة الشيئية (٢) النمرقة: الوсадة (٣) يروى أن عُمر رضي الله عنه لما أطلق الحطيثة أراد أن يؤكّد عليه الحجة فاشترى منه أعراض المسلمين جميعاً بثلاثة آلاف درهم ، ف قال الحطيثة في ذلك

وأخذت أطراف الكلام فلم تدع شيئاً يضر ولا مدحياً ينفع
 ومنعني عرض الشيء فلم يخف ذي وأصبح آمناً لا يفزع

٧٧- قدوم الخطيبة على عتبة بن التهامي*

يبنا سعيد بن العاص يعشى الناس بالمدينة ، والناس يخرجون أولاً ؛
 لاذ نظر على بساطه إلى رجل قبيح المنظر ، رث المينة ، جالس مع أصحاب سمره ؛
 فذهب الشرطُ يقيمه ؛ فأبى أن يقول ، وحانت من سعيد التفاته ؛ فقال : دعوا
 الرجل ، فتركوه ، وخاضوا في أحاديث العرب وأشعارها مليئاً ، فقال لهم الخطيبة^(١) :
 والله ما أصبتم جيدَ الشعر ، ولا شاعر العرب ، فقال له سعيد : أتعرفُ من ذلك
 شيئاً ؟ قال ، نعم ، قال : فمن أشعرُ العرب ؟ قال الذي يقول :
 لا أعدُ الإقتارَ عذماً ولكنْ . فقدَ مَن رزّتهُ الإعدامُ
 وأنشدَ القصيدة حتى أتى عليها .

قال له : من يقولها ؟ قال : أبو دواد الإيادي ، قال : ثم من ؟

قال : الذي يقول :

أفلح^(٢) بما شئتَ فقد يدركه بأجلهِ وقد يخندع^(٣) الأربيب
 ثم أنسدها حتى فرغ منها ؛ قال : ومن يقولها ؟ قال : عبيد بن الأبرص ، قال :
 ثم من ؟ قال : لحسبك بي عند رغبة أو رهبة إذا رفعت إحدى رجلي على
 الأخرى ، ثم عويت في إثر القوافِ عواه الفصيل الصادى ؛ قال : ومن أنت ؟

* الأغاني : ٢ - ١٦٨

(١) الخطيبة : هو أبو مليكة جرول بن أوس بن مالك العبسي ، أحد المجاهين والمداهين
 المبيدين ، عاش مدة في الجاهلية وجاء الإسلام فأسلم ، ومات سنة ٥٩ هـ (٢) أفلح : من الفلاح
 وهو البقاء ، أى عش بما شئت من عقل وحق ، فقد يرزق الأحق ، ويحرم العاقل (٣) رجل
 مخدع : خدع مراراً .

قال : الحطينة ، فرَّحَ بِه سعيد ، ثم قال : أَسأْتَ بِكُمَا نَفَسَكُ مِنْذَ الْلِيْلَةِ ،
ووصله وكساه .

ومضى لوجهه إلى عُتيبة بن النهاس العِجْلُ فسأله ، فقال له : مَا أَنَا عَلَى عَمَلِ
فَاعْظِيْكَ مِنْهُ ، وَلَا فِي مَا فَضَلَّ عَنْ قَوْمٍ ، قال له : فَلَا عَلَيْكَ ! وَانْصَرْفُ .
قال له بعض قومه : لقد عرَّضْتَنَا وَنَفَسَكَ لِلشَّرِ ! قال : وَكَيْفَ ؟ قالوا : هَذَا
الْحَطِينَةُ ، وَهُوَ هَاجِيْنَا أَخْبَثَ هَجَاءَ ، قال : رَدْوَهُ ، فَرَدْوَهُ إِلَيْهِ ، فقال له : لَمْ
كَتَمْتَنَا نَفَسَكَ ؟ كَأَنَّكَ تَطْلُبُ الْعِلَالَ عَلَيْنَا ؟ اجْلَسْ فَلَكَ عِنْدَنَا مَا يُسْرِكُ ، فَجلسَ ،
قال له مَنْ أَشْعَرَ النَّاسَ ؟ قال الَّذِي يَقُولُ :

وَمَنْ يَجْعَلُ الْمَعْرُوفَ مِنْ دُونِ عِرْضِهِ يَفِرُّهُ^(١) وَمَنْ لَا يَتَقَرَّ الشَّتْمَ يُشْتَمِّ
قال عُتيبة : إن هذا من مقدّمات أَفَاعِيكَ ، ثم قال لوكيله : اذهب معه إلى
السوق فلا يطلب شيئاً إلا اشتريته له . فجعل يعرض عليه الخزَّ ورقيق الثياب فلا
يريد لها ، ويُؤْمِنُ إلى السَّكْرَابِيس^(٢) والأَكْسِيَةَ الغَلَاظَ ، فيشتريها له ، حتى قضى
أَرْبَه^(٣) ، ثم مضى .

فَلَمَ جَلَسْ عُتيبة فِي نَادِي قَوْمِهِ أَقْبَلَ الْحَطِينَةُ ، فَلَمَ رَأَهُ عُتيبة قَالَ : هَذَا مَقَامُ
الْعَائِدِ بِكَ يَا أَبَا مُلِيْكَةَ مِنْ خَيْرِكَ وَشَرِكَ ، قال : قَدْ كُنْتَ قَلْتُ بِيَتِينَ ، فَاسْمَعْهُمَا ؛
ثُمَّ أَنْشَأْ يَقُولُ :

سُئِلَتْ فَلَمْ تَبْخَلْ وَلَمْ تَعْطِ طَائِلًا فَسِيَانٌ لَا ذَمَّ عَلَيْكَ وَلَا حَمْدٌ
وَأَنْتَ أَسْرُورٌ لَا جَوْدٌ مِنْكَ سَجِيَّةٌ فَتَعْطِي ، وَقَدْ يُعْدِي عَلَى النَّائِلِ الْوُجْدُ^(٤)
ثُمَّ رَكَضَ فَرْسَهُ ، فَذَهَبَ !

(١) يَفِرُّهُ : يَتَمَّهُ وَلَا يَنْقَصُهُ ، وَالْبَيْتُ لِزَهِيرِ بْنِ أَبِي سَلْمَى (٢) السَّكْرَابِيسُ : ثِيَابُ الْقَطْنِ

(٢) الْأَرْبُ : الْحَاجَةُ .

(٣) يُعْدِي : يَعْيَنُ ، وَالنَّائِلُ : مَا نَلَتْهُ مِنْ مَعْرُوفٍ إِنْسَانٌ . وَالْوَجْدُ : الْبِسْرُ وَالْوَسْعُ .

* ٨٨ — فقير عند سعيد بن العاص *

قدم سعيد^(١) بن العاص الكوفة عاملًا عليها؛ فكانت له موائد يغشاها الأشراف والقراء؛ فكان فيمن يغشى موائدَه رجل من القراء فقير؛ فقالت له أمرأته يوماً: وَيْحَك ! إنه يبلغنا عن أميرنا هذا كرم وجود؛ فاذكر له بعض مانحن فيه !

فتعشّى عنده ذات ليلة ، فلما انصرف الناس ثبت الرجل ، فقال له سعيد: إني قد أرى جلوسك ، وما جلست إلا ولد حاجة ، فاذكرها - رحمك الله ! فتقدّم الرجل وتلعم . فقال سعيد لغمانه: تنهّوا ، ثم قال له - رحمك الله - لم يبق إلا أنا وأنت ، فاذكر حاجتك ، فتعقد أيضًا وتعصى ، فنفح سعيد المصباح فأطّفأه ، ثم قال له: رحمك الله - إنك لست ترى وجهي ، فاذكر حاجتك ! قال: أصلح الله الأمير ، أصابتنا حاجة فأحببت ذكرها لك . قال له: إذا أصبحت فاقرأ فلاناً وكيلي !

فلما أصبح أتي الوكيل ، فقال له: إن الأمير قد أمرني بشيء؟ فهل جئت بمن يحمل؟ قال: لا والله ما عندى من يتحمل ! ورجع إلى أمرأته ، وجعل يعذّلها ويلومها . وقال لها: إن وكيله قال: جئت بمن يحمل؟ وما هي إلا قوّصرة^(٢) من تمر ، أو قفيز من بُر ، ولو كانت دراهم أو دنانير أعطاينها بيده ! قالت:

* عين الأدب والسياسة: ١٩٠

(١) سعيد بن العاص: أحد أجواد العرب وكرمائهم ، كان يأتيه الرجل يسأله فلا يكون عنده ، فيقول: ما عندى ولكن اكتب على به ، فيكتب عليه كتاباً ثم يدفع له بعد ذلك ، توف سنة ٥٩ هـ.

(٢) القوّصرة: وعاء يوضع فيه التمر .

وَيَحْكَ ! مَا كَانَ مِنْ شَيْءٍ فَقَوْنَا بِهِ . فَكَثُرَ أَيَامًا ، ثُمَّ لَقِيَهُ الْوَكِيلُ ، فَقَالَ لَهُ :
وَيَحْكَ ! أَينَ تَكُونُ ؟ أَخْبَرَتُ الْأَمِيرَ أَنَّهُ لِيْسَ عِنْدَكَ مَنْ يَحْمِلُ ؛ فَأَمْرَنِي أَنْ أُوجِّهَ
عَنْكَ مَنْ يَحْمِلُ .

فَوَجَهَ مَعَهُ بِثَلَاثَةِ مِنَ السُّودَانِ يَحْمِلُ كُلُّ وَاحِدٍ بَذْرَةً عَلَى عَاتِقِهِ ، حَتَّى
أَوْزَدَهَا مَنْزَلَهُ .

فَأَطْلَقَ وِكَاءَ ^(١) بَذْرَةً مِنْهَا ، وَوَهَبَ لَهُمْ مِنْهَا دُرَيْهَمَاتٍ ، وَقَالَ : انْصِرُوهُ !
قَالُوا : إِلَى أَيْنَ ؟ مَا حَمَلَ لَهُمْ مَلُوكٌ قَطُّ هَدِيَّةً ؟ فَرَجَعَ فِي مَلَكَهُ !

(١) الوِكَاءُ : الرباط .

* ٧٩ - قصر سعيد بن العاص*

لما حضرتْ سعيدَ بن العاص الوفاةُ وهو في قصره قال له ابنهُ عمرو : لو نزلتَ
إلى المدينة ! فقال : يا بني ؟ إن قومي لن يصيروا علىَ بأن يحملوني على رقابهم ساعةً
من نهار ! وإذا أنا ميت فاذتهم^(١) ، فإذا وارينى فانطلق إلى معاوية فانفعنى له ،
وانظر في دينى ، واعلم أنه سيعرض عليك قضاءه فلا تفعل ، واعرض عليه قصرى
هذا ؟ فإني إنما أخذته نزهة وليس بمال .

فلمات آذن الناس به ؛ فحملوه من قصره حتى دُفِن بالبيع^(٢) ، وروا حل^{*}
عمرو بن سعيد مُناخة ، فعزّاه الناس على قبره وودعوه ؛ وكان هو أول من نعاه إلى
معاوية ، فتوجع له وترحم عليه ؛ ثم قال : هل ترك ديننا ؟ قال : نعم ! ثمانية ألف ،
قال : هي على ؟ قال : قد ظن ذلك ، وأمرني ألا أقبله منك ، وأن أعرض عليك
بعض مالي فبتابعه ؛ فيكون قضاء دينه منه . قال : فاعرض على^(٣) . قال : قصره ،
قال : قد أخذته بدينه . قال : هو لك على أن تحملها إلى المدينة وتجعلها بالوافية^(٤)
قال : نعم ؛ فحملها له إلى المدينة ، وفرّقها في غرماه ، وكان أكثرها
عدايات^(٥) .

فأتاه شاب من قريش بصل^٦ فيه عشرون ألف درهم بشهادة سعيد على نفسه ،
وشهادة مولى له عليه ؛ فأرسل إلى المولى فأقر أه الصك ؛ فلما قرأه بكى ، وقال :

* الأغاني : ١ - ٣٢

(١) آذتهم : أعلمهم (٢) البيع : مقبرة أهل المدينة (٣) الدرهم الواق : درهم وأربعة
دواائق ، والدائق : سدس الدرهم (٤) عدات : عطايا وعد بها .

نعم ، هذا خطأ ! وهذه شهادتي عليه ! فقال له عمرو : من أين يكون لهذا الفتى
عليه عشرون ألف درهم ، وإنما هو صناعوك من صالحيك قريش ؟ قال : أخبرك عنه :
مر سعيد بعد عزله ، فاعتراض له هذا الفتى ، ومشى معه ، حتى صار إلى منزله ،
فوقف له سعيد ، فقال : ألك حاجة ؟ قال : لا ، إلا أني رأيتك تمشي وحدك ؟
فأحببته أن أصل جناحك . فقال لي : اثنى بصحيفة ما ، فأتبنته بهذه ، فكتب
على نفسه هذا الدين ، وقال له : إنك لن تصاف عنـنا شيئاً ؟ فخذ هذا فإذا
أتانا شيء فأتبـنا !

قال عمرو : لاجرـم ! والله لا يأخذها إلا بالواافية ، أعطـه إياها ، فدفعـ إليه
عشرين ألف درهم !

* ٨٠ - معاوية وسعيد بن العاص !

مرض سعيدُ بن العاص وهو بالشام ، فعادَهُ معاوية ، ومعه شرحبيل بن السمط
ومسلم بن عقبة المريّ ، ويزيد بن شجرة الزهرى؛ فلما نظر سعيدُ معاوية وثبَ عن
صدرِ مجلسه ، إعظاماً له . فقال له معاوية : أقسمتُ عليك أبا عثمان ألا تتحرّك
فقد ضعفتَ بالعلة ، فسقط ، فتبادر معاوية نحوه حتى حنَّ عليه ؛ وأخذ بيده ، فأقعده
على فراشه ، وقعد معه ، وجعل يسألُه عن علتِه ومنامه وغذائه ، ويصفُ له ماينبغى
أنْ يتوقفَ ، وأطال القعود معه .

لما خرج التفتَ إلى شرحبيل بن السمط ؛ ويزيد بن شجرة ، فقال : هل
رأيْتَا خللاً في مال أبي عثمان ؟ فقالا : ما رأينا شيئاً نشكِّره ؛ فقال مسلم بن عقبة :
ما تقول ؟ قال رأيتُ ! قال : وما ذاك ؟ قال : رأيتُ على حشمه ^(١) ومواليه ثياباً
وسمحة ، ورأيتُ صحن داره غير مكتنوس ، ورأيت التجار يخاصمون قهراً مانه ^(٢) !
قال : صدقتَ ! كل ذلك قدر رأيتك .

فوجئَ إليه مع مسلم بثلاثمائة ألف ؛ ، فسبق رسوله يبشره بها ؛ ويخبره بما كان ؛
فغضب ؛ سعيد ، وقال للرسول : إنَّ صاحبك ظنَّ أنه أحسن فاساء ، وتأول فاختلط ؛
فاما وسخُ ثياب الحشم فنَّ كثرة حرّكتهم اسختُ ثيابهم ، وأما كنسُ الدار

* العقد الفريد : ١ - ١٥٠

(١) الحشم : خدم الرجل .

(٢) القبرمان : هو كالخازن والوكيل الحافظ لما تحت يده ، القائم بأمور الرجل .

فليست أخلاقنا أخلاقاً من جعل داره مراته ، وزينته لبسته ^(١) ، ومعروفة عطره ،
ثم لا يبالى بمن مات هزا من ذى لحمة ^(٢) أو حرمة ، وأما منازعة التجار قهر مانى
فن كثرة حوائجه وبيعه وشرائه لم يجد بدا من أن يكون ظالماً أو مظلوماً . وأما
المال الذي أمر به أمير المؤمنين فقد قبلناه ، وأمرنا لاصحائك منه بمائة ألف !
ولشرع حمبل بعثتها ، ولزياد بعثتها ! وفي سعة الله وبسط يدِ أمير المؤمنين
ما عليه مُعَوْلنا !

فركب مسلم بن عقبة إلى معاوية فاعله بذلك ، فقال : صدق ابن عمى فيما قال ،
وأخذت فيما انتهيت إليه ، فاجعل نصيبيك من المال لروح بن زنباع عقوبة لك ،
 فإنه من جنى جنائية عوقب بعثتها ، كما أنه من فعل خيراً كوفه عليه !

(١) اللبسة : حالة من حالات اللبس . (٢) اللحمة : القرابة .

* ٨١ — كَرَم معاوية*

قال معاوية يوماً لعقيل^(١) بن أبي طالب : هل من حاجة فأقضيها لك ؟
 قال : نعم ، جارية عرضت على أبي أصحابها أن يبيوها إلا بأربعين ألفاً ! فأحب
 معاوية أن يمازحه ، فقال : وما تصنع بجارية قيمتها أربعون ألفاً ، وأنت أعمى
 تجذزى بجارية قيمتها خمسون درهماً ؟

قال : أرجو أن تلديلى غلاماً إذا أغضبته يضرب عنقك بالسيف ! فضحك
 معاوية ، وقال : مازحناك يا أبا يزيد ! وأمر فابتليعت له الجارية ؟ وولدت له
 مسلماً .

فلا أتت على مسلم ثمانى عشرة سنة ، وقد مات عقيل أبوه ، قال معاوية :
 يا أمير المؤمنين ؟ إن لي أرضاً بمكان كذا من المدينة ، وإنى أغطيت بها مائة ألف ،
 وقد أحبت أن أبيعك إياها ؟ فادفع إلى ثمنها ، فأمر معاوية بقبض الأرض ،
 ودفع الثمن إليه .

فبلغ ذلك الحسين بن علي ؛ فكتب إلى معاوية : أما بعد ! فإنك غررت
 غلاماً من بني هاشم ، فابتليعت منه أرضاً لا يملكونها ، فاقبض من الغلام ما دفعته ،
 واردد علينا أرضنا .

فبعث معاوية إلى مسلم ؛ فأخبره بذلك ، وأقرأه كتاب الحسين ، وقال :

* ابن أبي الحديد : ٣ - ٨٢ .

(١) هو أخو على بن أبي طالب ، أسر يوم بدر ، فنداء العباس بأربعة آلاف درهم . وأسلم
 عقيل ولحق معاوية وترك أخاه علياً ، ومات بعد ما عمي سنة ٦٠ .

ازْدَدْ عَلَيْنَا مَا لَنَا ، وَخُذْ أَرْضَكَ ؛ فَإِنَّكَ يَعْتَدُ مَا لَا تَمْلِكُ ! فَقَالَ مُسْلِمٌ : دُونَ ذَلِكَ
أَنْ أَضْرِبَ رَأْسَكَ بِالسَّيْفِ ! فَاسْتَلَقَ مَعَاوِيَةُ ضَاحِكًا يَضْرِبُ بِرِجْلِيهِ ، ثُمَّ قَالَ :
يَا بُنْيَةً ؟ هَذَا وَاللهِ كَلَامٌ قَالَهُ لِأَبْوَكَ حِينَ ابْتَعَثْتُ لَهُ أَمَّكَ !

نَمْ كَتَبَ إِلَى الْحَسَنِ : إِنِّي قَدْ رَدَدْتُ عَلَيْكُمُ الْأَرْضَ ، وَسَوَّغْتُ مَسْلَمًا
مَا أَنْذَدْ .

فَقَالَ الْحَسَنُ : أَيْمَنُ يَا آلَ أَبِي سُفْيَانَ إِلَّا كَرَّمًا !

* ٨٢ — معاوية يعفو*

لما استعمل معاوية زِياداً على العراق كتب إليه : أما بعد فانظر عبد الله^(١)
ابن هاشم بن عتبة ، فشدَّ يده إلى عنقه ، ثم أبْعثَ به إلى^{إلى} .

فحمله زِياداً من البصرة مُقيداً مَغلولاً إلى دمشق ، فادخلَ على معاوية ،
وعنده عمرو بن العاص ؟ فقال معاوية لعمرو : هل تعرف هذا ؟ قال : لا ! قال :
هذا الذي يقول أبوه^(٢) يوم صيفين :

إني شَرَيت^(٣) النفس لما اعتلا
وأكثَرَ اللَّوْمَ وما أَفَلَ
أَعْوَرُ يَبْغِي أَهْلَه^(٤) تَحَلَّا
قد عالَجَ الْحَيَاةَ حَتَّى مَلَّا
لَابْدَ أَنْ يَفْلَلَ^(٥) أو يَفَلَّا يَتَلَهُمْ بِذِي الْكُعُوبِ^(٦) تَلَّا
* لَا خَيْرٌ عِنْدِي فِي كَرِيمٍ وَلَّى *

قال عمرو متمثلاً :

وقد يَنْبَتُ المَرَاعِي على دِمَن^(٧) التَّرَى وَتَبْقَى حَزَازَاتُ النُّفُوسِ كَاهِيَا
دونك يا أمير المؤمنين ! الضَّب^(٨) ! فاشْخُبْ أَوْدَاجَهُ على أَسْبَاحِهِ^(٩) ،

* المسعودي : ٢ - ٥٧

(١) كانت في نفس معاوية من يوم صفين لحن على هاشم بن عتبة وولده عبد الله بن هاشم .

(٢) جاء عمدار بن ياسر إلى هاشم بن عتبة - وكان هاشم أعزور - فقال : يا هاشم ؟ أعزوراً وجينا ؟

اركب ، فركب ومضى معه وهو يرتجز : إني شريت النفس

(٣) شريت النفس : بعثها في سبيل الله ، لما اعتل : لما رمانى عمدار بالجبن .

(٤) يبغى أهله : أى محل أهله ومصيرهم وهم الذين استشهدوا قبله . (٥) يفل : يهزم .

(٦) تله : صرعه . ذو الكعوب : الرمح^(٧) الدمن : جم دمنة وهي ما اسود من آثار الدار

(٨) الضب : يضرب بخنادعه المثل ، فيقال : أخذع من ضب (٩) الأوداج : عروق في العنق ،

وشخت أوداج القتيل دمًا : جرى دمهما ، والأسياج : جمع سبحة وهي من القيميس بنقيه .

(١٤ - قصص - أول)

فلا ترده إلى العراق ؟ فإنه لا يصبر على النفاق ، وهم أهل غدرٍ وشقاق ، وإن له هوَي سَيُودِيه ، ورأياً سِيُطْغِيه ، وبطأنة سَتُقْوِيه ؛ وجزءٌ سِيَّئَةٌ سِيَّئَةٌ مثلها !

فقال عبد الله : يا عمرو ؛ إن أُقتل فرجلٌ أَسْلَمَهُ قومُهُ وأدْرَكَهُ يوْمُهُ ؛ أَفَلَا كان هذا منك إِذْ تَحْمِدُ عن القتال ، ونخن ندعوكَ إلى النزال ! فقال عمرو : أما والله لقد وقعتَ ، ولا أحسبك مُنْفَلِتاً من مَخَالِبِ أمير المؤمنين !

فقال عبد الله : أما والله يابنَ العاص ؛ إنك لبَطَرٌ في الرَّخاء ، جَمَانَ عند اللقاء ، غَشُومٌ إِذَا وَلَيْتَ ، هِيَابٌ إِذَا لَقِيتَ ؛ أَفَلَا كان هذا منك إِذْ غُرِكَ أَقْوَامٌ يُعْتَقُوا صغاراً ، ولم يُمْزَقُوا كباراً ، لهم أَيْدٍ شِدَادٌ ، وأَلْسَنَةٌ حَدَادٌ ...

فقال عمرو : أما والله لقد رأيْتُ أباك يومئذ تتحقق أحشاؤه ، وتبُقُّ^(١) أَعْوَاهُ ! . . .

فقال عبد الله : يا عمرو ؛ إننا قد بَلَوْنَاكَ ومقاتلَتَك ؛ فوجدنا لسانَكَ كَذُوبًا غَدَرًا ، خلوتَ بآقواءِم لا يعرفونك ، وجُنْدٌ لا يسامونك ؛ ولو رُمِتَ المنطقَ في غير أهل الشام بلحظَ^(٢) إِلَيْهِ عَقْلُكَ ، ولتأجْلِجَ لسانَكَ ، ولا ضطَرَبَ فَخِذَاكَ اضطراب القَعْدَ الذي أَثْقَلَهُ حِلْمُه !

فقال معاوية : ليهَا عَنْكَا ؛ وأمر بإطلاق عبد الله ! فقال عمرو لمعاوية :

أمرْتُكَ أَسْرَأً حازِمًا فَعَصَيْتَنِي وكان من التوفيق قتلُ ابنِ هاشم
الْأَلْيَسَ أَبُوهُ ، يَا معاوِيَةُ ، الَّذِي أَعَانَ عَلَيْاً يَوْمَ حَزَّ الْفَلَادِيمِ^(٣)
فلم يَنْشَنِي حتَّى جَرَتْ من دمائنا يُصْفِيْنَ أَمْثَالَ البحورِ الْخَضَارِيمِ^(٤)

(١) تبُقُّ : تخرج ، بق النبت بقوافٍ : طلم .

(٢) جحظت العين : إذا برزت مقلتها ، والمراد اضطراب عقلك وبرد ، ولم يسلس لك قياد التفكير . (٣) النلصسة : رأس الحلق ، والجم غلام . (٤) الحضرم : البحر العظيم ، وبقيت الباء في « ينشي » للضرورة

وهذا ابنه ، والمرء يُشَبِّهُ سِنْخَهُ
ويُوشِكُ أَنْ يَقْرَعَ^(١) بِهِ سِنَّ نَادِيم
قال عبد الله يحييه :

ضَغِينَةً صَدَرَ غِشْمَا غَيْرُ نَامِ
يَرِى مَا يَرِى عَمْرُ وَمَلُوكُ الْأَعْجَمِ
إِذَا مَنَعَتْ مَنَّهُ عَهْوُدُ الْمُسْلِمِ
عَلَيْكَ جَنَاحًا هَاشِمٌ وَابْنُ هَاشِمٍ
وَلَا مَا جَرَى إِلَّا كَاضْفَاثٍ حَالَمٍ
وَإِنْ تَرَ قَتْلَى تَسْتَحْلَ حَمَارِي^(٢)
مُعاوِيَةَ إِنَّ الْمَرْءَ عَمْرًا أَبْتَلَهُ
يَرِى لَكَ قَتْلَى يَابْنَ هَنْدِي ، وَإِنَّا
عَلَى أَنْهُمْ لَا يَقْتَلُونَ أَسِيرَهُمْ
وَقَدْ كَانَ مِنَّا يَوْمَ صِفَيْنَ نَعْرَةً^(٣)
قَضَى مَا انْفَضَى مِنْهَا وَلَيْسَ الدُّرْيَ مَضِي
فَإِنْ تَعْفُ عَنِي تَعْفُ عَنْ ذِي قَرَابَةٍ
قال معاوية :

إِلَى اللَّهِ فِي الْيَوْمِ الْعَصِيبِ الْقُمَاطِرِ^(٤)
بِإِدْرَاكِ ثَارِي فِي لَوْيٍ وَعَامِرٍ
وَزَلَّتْ بِهِ إِحْدَى الْجَدُودِ الْعَوَاثِرِ
عَلَيْنَا فَأَرْدَتْهُ رِمَاحُ نَهَارِ^(٥)
أَرَى الْعَفْوَ عَنْ عُلَيْمَا قَرِيشٍ وَسِيلَةً
وَلَسْتُ أَرَى قَتْلَ العُدَاءِ ابْنَ هَاشِمٍ
بِلِ الْعَفْوَ عَنْهُ بَعْدَ مَا بَانَ جُرْمُهُ
فَكَانَ أَبُوهُ يَوْمَ صِفَّيْنَ جَمَرَةً

(١) قرع سنه : حرقه ندما ، أى سحقه حتى سمع له صرير ، وسكن الفعل للضرورة .
والسنخ : الأصل من كل شيء . (٢) نعر القوم : هاجوا واجتمعوا في الحرب .
(٣) وكان عبد الله بن هاشم من أقرباء معاوية .
(٤) يوم قطر : شديد (٥) التهاب : الملاك .

* ٨٣ - الوفِ !

كان أبو بلال^(١) مِرْداس بن حُدَيْرٍ تعظِّمه الخوارج ، وكان مجتهداً كثيراً الصواب في لفظه ، فلقيه غَيْلان بن خَرَشَةَ الضَّبَّى ؛ فقال : يا أبا بلال ؟ إنِّي سمعتُ الأمير^(٢) البارحةَ يذَكُّر البَلْجاءَ^(٣) ، وأحسبها سُنْنَةَ حَنْدَ ، فمضى إِلَيْها مِرْداس ، فقال لها : إنَّ الله قد وسَعَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ فِي التَّقْيَةِ^(٤) فاستَرَى ، فإنَّ هَذَا الْمَسْرِفَ عَلَى نَفْسِهِ الْجَبَارِ الْعَنِيدِ قَدْ ذَكَرْتَكِ ! قالت : إنَّ يَأْخُذَنِي فَهُوَ أَشَقُّ بِي ! فَأَمَّا أَنَا فَأَحَبُّ أَنْ يُعَذَّبَ^(٥) إِنْسَانٌ بِسَبِّي !

فوجَّهَ إِلَيْها عَبِيدُ الله بن زِيَادَ ، فَأَتَى بِهَا ، فَقَطَّعَ يَدِيهَا وَرِجْلِيهَا ؛ وَرَمَى بِهَا فِي السُّوقِ ، فَرَأَى مِرْدَاسَ ، وَالنَّاسُ مجتمعونَ ، فقال : ما هذا ؟ فقالوا : البَلْجاءُ ! فعَرَجَ عَلَيْها ، فَنَظَرَ ، ثُمَّ عَضَّ عَلَى لَحْيَتِهِ ، وَقَالَ لِنَفْسِهِ : لَهُذِهِ أَطِيبُ نَفْسًا مِنْكَ يا مِرْداس !

ثُمَّ إِنَّ عَبِيدَ الله تَبَّعَ الْخَوَارِجَ خَبَسَهُمْ ، وَحَبَسَ مَرَادَسًا ؛ فَرَأَى صَاحِبُ السُّجْنِ شَدَّةَ اجْتِهادِهِ ، وَحَلاوةَ مَنْطِفَتِهِ ، فَقَالَ لَهُ : إِنِّي أَرَى لَكَ مَذْهَبًا حَسَنًا ، وَإِنِّي لَأَحَبُّ أَنْ أُولِيَّكَ مَعْرُوفًا ! أَفَرَأَيْتَ إِنْ تَرْكَتُكَ تَنْصَرِفُ لِيَلَامَى بَيْتَكَ

* رغبة الآمل : ٧ - ١٨٧ ، السِّكَامِلُ : ٢ - ١٥٤

(١) من عظام الإباضية وأحد الحطاباء الأبطال ، سجن عبيد الله في الكوفة ، ونجا من السجن وجمع من قاتل عبيد الله فشنب قتال في يوم جمعة وتواضع الفريقان إلى ما بعد الصلاة فأحاط بهم جيش عبيد الله وهم في صلاتهم فقتلتهم عن آخرهم ، وحملوا رأس عبيد الله على ابن زياد سنة ٦١ هـ .

(٢) هو عبيد الله بن زياد أمير البصرة ، ولاد معاوية عليهما سنّة ٥٥ هـ ، وكان شديداً على الخوارج

(٣) البلجاء : هي امرأة من بنى حرام وكانت من مجتهدات الخوارج (٤) التقى : حفظ النفس بما يست高中生 من المكر و (٥) عنته : ألزمها ما يصعب عليه أداؤه .

أَتَدْلِجُ^(١) إِلَى؟ قَالَ: نَعَمْ! فَكَانَ يَفْعُلُ ذَلِكَ بِهِ! وَلَمَّا عَبَيْدُ اللَّهُ فِي حَبْسِ
الْخَوَارِجِ وَقَتَلُوهُمْ، فَكَلَمَ فِي بَعْضِ الْخَوَارِجِ، فَلَمَّا وَبَيْ، قَالَ: أَفْعَمُ النَّفَاقَ
قَبْلَ أَنْ يَنْجُمَ^(٢)، لَكَلامُ هُولَاءِ أَسْرَعَ إِلَى الْقُلُوبِ مِنَ النَّارِ إِلَى الْيَرَاعَ^(٣)!

فَلَمَّا كَانَ ذَاتُ يَوْمٍ قَتَلَ رَجُلٌ مِّنَ الْخَوَارِجِ رَجُلًا مِّنَ الشَّرَطِ، فَقَالَ ابْنُ زِيَادٍ:
مَا أَدْرِي مَا أَصْنَعُ بِهُولَاءِ! كَلَّا أَمْرَتُ رَجُلًا بِقَتْلِ رَجُلٍ مِّنْهُمْ فَتَكَوَا بِقَاتِلِهِ،
لَا قَتَلَنَّ مَنَ فِي حَبْسِي مِنْهُمْ.

فَأَخْرَجَ السَّجَانُ مِرْدَاسًا إِلَى مَنْزِلِهِ كَمَا كَانَ يَفْعُلُ، وَأَتَى مِرْدَاسًا بِالْخَبَرِ، فَلَمَّا
كَانَ السَّحَرَ تَهِيًّا لِلْخُرُوجِ، فَقَالَ لِهِ أَهْلَهُ: أَتَقِ اللَّهُ فِي نَفْسِكَ، إِنَّكَ إِنْ رَجَعْتَ
قُتِلْتَ! فَقَالَ: إِنِّي مَا كَنْتُ لِأَلْقِي اللَّهَ غَادِرًا! فَرَجَعَ إِلَى السَّجَانِ، فَقَالَ لِهِ: أَمَّا
عْلَمْتَ مَا عَزَمْتَ عَلَيْهِ صَاحِبُكَ؟ قَالَ: عْلَمْتُ. فَقَالَ: أَعْلَمْتَ وَرَجَعْتَ! قَالَ: نَعَمْ!
وَلَمْ يَكُنْ جَزَاؤُكَ مَعِ إِحْسَانِكَ أَنْ تَعَاقَبَ بِسُبْبِي!

وَأَصْبَحَ عُبَيْدُ اللَّهِ يَقْتُلُ الْخَوَارِجَ، ثُمَّ دَعَا بِمِرْدَاسِ، فَلَمَّا حَضَرَ وَثَبَ السَّجَانُ؛
فَقَبِيلَ قَدَمِهِ؛ ثُمَّ قَالَ: هَبْ لِي هَذَا، وَقُصْ عَلَيْهِ قَصَّتَهُ، فَوَهَبَهُ لِهِ!

(١) ادْلِجْ: سار آخر الليل، وأَدْلِجْ: سار من أول الليل (٢) يَنْجُمْ: يَظْهُرْ (٣) الْيَرَاعَ: جم يَرَاعَة، وهي القصبة.

* ٨٤ — أَسْخَى مِنَ الْبَحْرِ إِذَا زَخَرَ *

حبس معاوية عن الحسين^(١) بن على صلاتيه ، حتى ضاقت عليه حاليه ، فقيل له : لو وجّهت إلى ابن عمك عبيد الله بن العباس ، فإنه قديم بنحو مرتـ
ألف ألف درهم !

قتال الحسين : وأين تقع ألف من عبيد الله ، فوالله لهو أجود من
الريح إذا عصف ، وأسخى من البحر إذا زخر ؟ ثم وجه إليه مع رسولي بكتاب ،
ذكر فيه حبس معاوية صلاتيه عنه وضيق حاله ؛ وأنه يحتاج إلى مائة ألف درهم .
فلا قرأ عبيد الله كتابه - وكان من أرق الناس قليلاً ؛ وألنيهم عطفاً^(٢) -
أنهملت عيناه ، ثم قال : ويلك يا معاوية مما اجترحت يداك من الإثم حين
أصبحت لئن المهد ، رفيق العياد ؛ والحسين يشكو ضيق الحال ، وكثرة
العيال !

ثم قال لقهرمانه^(٣) : احمل إلى الحسين نصف ما أملكه من فضة وذهب
وثوب ودبابة ! وأخبره أن شاطرته مالي ، فإن أقنعه ذلك وإلا فارجع وأحمل إليه
الشطر^(٤) الآخر . فقال له القيم : فهذه المؤن التي عليك من أين تقوم بها ؟ قال :
إذا بلغنا ذلك دلتلك على أمر تقيم به حالك .

فلا أتى الرسول برالته إلى الحسين ، قال : إن الله ! تحملت والله على ابن
عمي ، وما حسبته يتسع لنا بهذا كله ، فأخذ الشطر من ماله ؛ وهو أول من فعل
ذلك في الإسلام .

* خزانة الأدب : ٣ - ٢٥٧ ، الطبعة الأميرية .

(١) هو الحسين بن على بن أبي طالب رضي الله عنه ، ولد بالمدينة ، ونشأ في بيت النبوة ، وقتل
بكرباء سنة ٦١ هـ (٢) أصل العطف : الجانب (٣) القهرمان : كالخازن والوكيل المحافظ لما
تحت يده ، والقائم بأمور الرجل بلغة الفرس (٤) الشطر : النصف .

* ٨٥ - يَجُودُ عَلَى مِقْدَارِ نَفْسِهِ

خرج عُبَيْدُ اللَّهِ (١) بْنُ الْعَبَّاسِ مَرَّةً مِنَ الْمَدِينَةِ يَرِيدُ مَعاوِيَةَ فِي الشَّامِ، فَاصْبَأَتْهُ سَمَاءٌ؛ فَنَظَرَ إِلَى نُوَيْرَةَ (٢) عَنْ يَمِينِهِ، فَقَالَ لِغَلَامِهِ: مِلْ بَنَا إِلَيْهَا.

فَلَمَّا أَتَيْاهَا إِذَا شِيفْخُ ذُو هَيْثَةِ رَثَّةَ، قَالَ لَهُ: أَنْيَخْ؛ ازْلَ، حُيُّيْتَ! وَدَخَلَ إِلَى مَنْزِلِهِ، قَالَ لِمَرْأَتِهِ: هَيْيَ شَاتِكَ أَقْضِي بِهَا ذِيْمَامَ (٣) هَذَا الرَّجُلُ، فَقَدْ تَوَسَّمْتُ فِيهِ الْخَيْرَ؛ إِنْ يَكُنْ مِنْ مُضَرٍّ فَهُوَ مِنْ بَنِي عَبْدِ الْمَطْلَبِ، وَإِنْ يَكُنْ مِنْ الْيَمِينِ فَهُوَ مِنْ بَنِي آكِيلِ الْمَرَّارِ (٤). قَالَتْ لَهُ: قَدْ عَرَفْتَ حَالَ صِنْبِيْتِيْ، وَأَنَّ مَعِيشَتَهُمْ مِنْهَا؛ وَأَخَافُ الْمَوْتَ عَلَيْهِمْ إِنْ فَقَدُوهَا؛ قَالَ: مَوْتُهُمْ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ الْلَّوْمِ (٥)، ثُمَّ قَبَضَ عَلَى الشَّاةِ؛ فَأَخْذَ الشَّفَرَةَ، وَأَنْشَدَ:

قَرِيْبَتِيْ (٦) لَا تُوقِظِيْ بَنْدِيْهِ إِنْ يُوَقِظُوا يَنْسِحِبُوا عَلَيْهِ
وَيَنْزَعُوا الشَّفَرَةَ مِنْ يَدِيْهِ أَبْغِضُ هَذَا أَنْ يُرَى لِدِيْهِ
ثُمَّ ذَبَحَهَا وَكَسْطَ جَلَدَهَا، وَقَطَعَهَا أَرْبَاعًا، وَقَذَفَهَا فِي الْقِدْرِ حَتَّى إِذَا اسْتَوَتْ
ثَرَدَ (٧) فِي جَفَنَةٍ؛ فَعَشَاهَمْ ثُمَّ غَدَّاهُمْ.

وَأَرَادَ عُبَيْدُ اللَّهِ الرَّحِيلَ، قَالَ لِغَلَامِهِ: ارْمِ لِلشِّيفْخِ مَامِعْكَ مِنْ نَفْقَهِ، قَالَ:
ذَبَحْ لَكَ الشَّاةَ فَكَافِئْهُ بِشَمْنَ عَشْرَةَ أَمْثَالِهَا؛ وَهُوَ لَا يَعْرُفُكَ! قَالَ: وَيَحْلِكَ!

* خزانة الأدب : ٣ - ٥٩٣ ، الطبعة الأميرية .

(١) عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ الْعَبَّاسِ: كَانَ مُشْهُورًا بِالْجَبُودِ، مَعْدُودًا مِنَ الْأَجْوَادِ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ فَطَرَ جِيرَانَهُ فِي رَمَضَانَ، وَأَوَّلُ مَنْ وَضَمَ مَوَائِدَهُ فِي الطَّرِيقِ، تَوَفَّ سَنَةُ ٨٧ هـ (٢) تَصْفِيرُ نَارِ

(٣) النَّمَامُ: الْحَرْمَةُ (٤) آكِيلُ الْمَرَّارُ: جَدُّ امْرَىءِ الْقَيْسِ. وَبَنُو آكِيلِ الْمَرَّارِ: هُمْ مَلُوكُ الْيَمِينِ (٥) الْلَّوْمُ: الْبَخْلُ (٦) الْقَرِيبَةُ: ذَاتُ الْقِرَابَةِ (٧) يَقَالُ: ثَرَدَ الْحَبْزُ، أَيْ فَتَهُ .

إن هذا لم يكن يملك من الدنيا غير هذه الشاة ، فجاد لنا بها ، وإن كان لا يعرفنا
فأنا أعرف نفسي ، ارم بها إليه ، فرماها إليه ، فكانت خمساً دينار !

ثم ارتحل عبيد الله ، فأتى معاوية ، فقضى حاجته ، ثم أقبل راجعاً إلى المدينة ،
حتى إذا قرب من ذلك الشيخ قال لغلامه : مل بنا نظره في أي حالة هو ،
فاتهيا إليه ، فإذا برجل سرى عنده دخان عال ، ورماد كثير ، وإبل وغم ،
فرح بذلك ، وقال له الشيخ : انزل بالرحب والسعنة ! فقال له عبيد الله :
أتعرفني ؟ فقال : لا ، والله ، فمن أنت ؟ فقال : أنا نزيلك ليلة كذا وكذا ، فقام
إليه فقبل رأسه ويديه ورجليه ، وقال : قد قلتُ أبياتاً ؛ أسمعها مني ؟ فقال :
هات ، فأنسد :

توسمته^(١) لما رأيت مهابةً
عليه وقلتُ : المرء من آل هاشم
ملوك عظامٌ مِنْ كِرَامٍ أَعاظِمٍ
وإلا فمت . آل المدار فائهم
فقمتُ إلى عزٍّ بقيمةٍ أعزٍّ
لأذبحها فعلَ أمرىٰ غَيْرِ نادِمٍ
فهوَضني عنها غنَىٰ ولم تكنْ
تساوي^(٢) عزِّيٰ غير حسِّ دراهِمٍ
فقتلت لأهلي في الخلاء^(٣) وصَبَقْتِي : أحقاً أرى أم تلك أحلامٌ نائمٌ !
فضحك عبيد الله ، وقال : أعطينا أكثر ما أخذتَ منا ، ياغلام ، أعطِه منلها !
وبلنت فعلته معاوية فقال : الله در عبيد الله ، من أي بيضة خرج ! وفي أي
عش دراج !

(١) توسمته : تفريسته (٢) تساوى : يوضع الضمة على الآية للضرورة (٣) الخلاء : الفضاء .

٨٦ — من حِيل الْكُرَمَاءُ *

أهـى معاوـية إلـى عـبـيد الله بن العـباس حـلـلاً كـثـيرـة ، وـمـسـكـاً وـآـيـةً من
ذـهـب وـفـضـة ، وـوـجـهـها إـلـيـهـ مع حـاجـيـهـ ؟ فـلـما وـضـعـهـا بـيـنـ يـدـيـهـ نـظـرـ إـلـىـ الحـاجـبـ وـهـوـ
بـطـيـلـ النـظـرـ فـيـهـ . فـقـالـ : هـلـ فـيـ نـفـسـكـ مـنـهـا شـيـءـ ؟ قـالـ : نـعـمـ ، وـالـلـهـ إـنـ فـيـ نـفـسـيـ
مـنـهـا مـاـ كـانـ فـيـ نـفـسـ يـعـقـوبـ مـنـ يـوسـفـ !

فـضـحـكـ عـبـيد الله وـقـالـ : فـشـأـنـكـ بـهـاـ ؟ فـهـىـ لـكـ ! قـالـ : جـعـلـتـ فـدـاكـ ! أـنـاـ
أـخـافـ أـنـ يـلـغـ ذـلـكـ مـعـاوـيـةـ ؟ فـيـغـضـبـ لـذـلـكـ . قـالـ : فـاخـتـمـهـ بـخـاتـمـكـ ، وـادـفـعـهـ
إـلـىـ الـخـازـنـ ، وـهـوـ يـحـلـمـهـ إـلـيـكـ لـيـلـاـ . فـقـالـ الحـاجـبـ : وـالـلـهـ إـنـ هـذـهـ الـحـيـلـةـ فـيـ الـكـرـمـاءـ
أـكـثـرـ مـنـ الـكـرـمـ ؛ وـلـوـ دـيـدـتـ أـنـىـ لـأـمـوتـ حـتـىـ أـرـاكـ مـكـانـهـ . يـعـنىـ مـعـاوـيـةـ .
فـظـنـ عـبـيد الله أـنـهـاـ مـكـيـدـةـ مـنـهـ ؟ فـقـالـ : دـعـ هـذـاـ الـكـلـامـ ؛ إـنـاـ مـنـ قـوـمـ
ـنـفـيـ بـمـاـ عـقـدـنـاـ ، وـلـاـ نـفـضـ مـاـ أـكـدـنـاـ !

٨٧ — يَدُ عَنْدِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ *

أَتَى رَجُلٌ عَبِيدَ اللَّهِ بْنَ الْعَبَّاسِ^(١) — وَهُوَ بِفِنَاءِ دَارِهِ قَالَ : يَا بَنَّ الْعَبَّاسَ ؛
إِنِّي لَيْسَ بِكَ يَدًا وَقَدْ احْتَجْتُ إِلَيْهَا ؛ فَصَعَّدَ فِيهِ بَصَرُهُ وَصَوْبَاهُ ، فَلَمْ يَعْرِفْهُ . ثُمَّ قَالَ
لَهُ : مَا يَدُكَ عَنْدَنَا ؟ قَالَ : رَأَيْتُكَ وَاقِفًا بِزَمْرَمْ وَغَلَامُكَ يَمْتَحِنُ^(٢) لَكَ مِنْ مَائِهَا ،
وَالشَّمْسُ قَدْ صَهَرَتْكَ ، فَظَلَلْتُكَ بِطَرَافَ كَسَائِي حَتَّى شَرَبْتَ !

قَالَ : إِنِّي لَا أَذْكُرُ ذَلِكَ ، وَإِنَّهُ يَرْتَدِدُ فِي خَاطِرِي وَفِكْرِي ! ثُمَّ قَالَ لِقَيْمِهِ :
مَا عَنْدَكَ ؟ قَالَ : مِائَتَا دِينَارٍ وَعَشْرَةُ آلَافٍ دِرْهَمٍ . قَالَ : ادْفَعْهَا إِلَيْهِ ، وَمَا أَرَاهَا تَنْفِي
بِحَقِّ يَدِهِ عَنْدَنَا !

قَالَ لَهُ الرَّجُلُ : وَاللَّهِ لَوْمَ يُكَنُ لِإِسْمَاعِيلَ وَلَدُّ غَيْرُكَ لَكَانَ فِيهِ مَا كَفَاهُ ،
فَكَيْفَ وَقَدْ وَلَدَ سَيِّدَ الْأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ شَفَعَ بِكَ
وَبِأَبِيكَ !

* خزانة الأدب : ٣ - ٢٥٦ ، الطبعة الأميرية .

(١) في عبيد الله يقول شاعر المدينة :

وَفِي السَّنَةِ الشَّهِيَّاءِ أَطْعَمْتَ حَامِضًا وَحْلَوًا وَلَمَّا نَامَكَ وَمَزَعًا
وَأَنْتَ رَبِيعُ الْبَيْتَامِيِّ وَعَصْمَةً إِذَا الْمُحْلُّ مِنْ جَوِ السَّمَاءِ تَطْلَعُ
أَبُوكَ أَبُو الْفَضْلِ الَّذِي كَانَ رَحْمَةً وَغَيْثًا وَنُورًا لِلْخَلَائِقِ أَجْمَعًا
النَّامِكُ : نَمَكُ السَّنَامِ : أَكْتَنَزَ . الْمَزْعُ : مَزْعُ الْمَاعِنِ : فَرْقَهُ . الْمُحْلُّ : الْجَدْبُ .
(٢) مَتْحُ الْمَاءِ : نَزْعَهُ .

* ٨٨ - لو بدأْتِ بِي

خرج الحسنُ والحسينُ وعبدُ الله بن جعفر حجاجاً ، فقاتهم أثقالُهم^(١) ؟
خاعوا وعطشوا ؟ فرروا بعجوز في خباء لها ؟ فقال أحدُهم : هل مِنْ شَرَابٍ ؟
قالت : نعم . فأناخُوا إِلَيْهَا ، وليس لها إِلَّا شُوَيْهَة^(٢) . قالت : احلبوها فأشربوا
لبها ، ففعلوا .

قالوا : هل مِنْ طعام ؟ قالت : لا ؛ إِلَّا هذه الشاة فليذبحُها أحدُكم حتى
أَهْيَ لَكُمْ مَا تَأْكِلُونَ !

فقام إِلَيْها أحدُهم فذبحَها وَكَسَطَها^(٣) ، ثم هَيَّأتْ لَهُمْ طعاماً فَأَكَلُوا ، وأقاموا
حتى أَبْرَدوا^(٤) .

فَلَمَّا ارْتَحَلُوا قَالُوا : نحن نَفَرُ مِنْ قَرِيشٍ نَرِيدُ هَذَا الوجه ؟ فَإِذَا رَجَعْنَا سَالِمِينَ ،
فَأَلَّى بِنَا فَإِنَا صَانُونَ إِلَيْكَ خِيرًا ! وَارْتَحَلُوا .

وَأَقْبَلَ زوجُها ، فَأَخْبَرَتْهُ بِخَبْرِ الْقَوْمِ وَالشَّاةِ ، فَنَفَضَ وَقَالَ : وَيَمْكُ ! تَدْبَحِين
شَانِي لَقَوْمٍ لَا أَعْرِفُهُمْ ، ثُمَّ تَقُولِينَ : نَفَرَ مِنْ قَرِيشَ !
ثُمَّ بَعْدَ مَدَّةٍ أَجْلَتُهُمَا الْجَاجِعَةُ إِلَى دُخُولِ الْمَدِينَةِ فَدَخَلَاهَا ، وَجَعَلَا يَلْتَقِطُانَ
البَعْرَ وَيَعْشَانَ بَشْمَهُ ؟ فَرَتَ العَجُوزُ بَعْضَ سِكَّكِ الْمَدِينَةِ ، فَإِذَا الحَسَنُ بْنُ عَلَى
وَاقَتَ بَيْبَابَ دَارِهِ ، فَرَعَفَ الْعَجُوزَ ، فَبَعْثَ إِلَيْهَا غَلَامَهُ ، فَدَعَا بِهَا ، فَقَالَ لَهَا :

* عمرات الأوران للعموي : ٢٤

(١) جم نقل : وهو الناع (٢) شاة صفيرة (٣) يريد : سلخها (٤) أبردوا : دخلوا
في آخر النهار .

يا أمة ^(١) الله ، أتعرفينى ؟ قالت : لا ! قال : أنا ضيفك بالأمس يوم كذا وكذا !
قالت : بأي أنت وأمى !

ثم اشتري لها من شيات الصدقة ألف شاة ، وأمر لها بالف درهم ، وبعث بها
مع غلامه إلى الحسين ، فأمر لها بمثل ذلك ، وبعث بها مع غلامه إلى عبد الله بن
جعفر ، فقال لها : بكم وصلك الحسن والحسين ؟ قالت : بآلفي درهم ، وألفي شاة .
قال لها . لو بدأتنى بي لأتعبتهما في العطاء ! أعطوهها عَطِيشَةً ^{ما} .
فرجعت العجوز إلى زوجها بأربعة آلاف درهم ، وأربعة آلاف شاة !

(١) أصل الأمة المملوكة .

٨٩ — اختبار الأجواد*

تَمَارِيْ ثَلَاثَةُ فِي أَجْوَادِ الْإِسْلَامِ ، قَالَ رَجُلٌ : أَسْخَنَ النَّاسَ فِي عَصْرِنَا هَذَا
عَبْدُ اللهِ بْنُ جَعْفَرَ بْنُ أَبِي طَالِبٍ . وَقَالَ آخَرٌ : أَسْخَنَ النَّاسَ عَرَابَةً^(١) الْأَوْسَى .
وَقَالَ ثَالِثٌ : بَلْ قَيْسَ بْنُ سَعْدٍ^(٢) بْنُ عَبَادَةَ . وَأَكْثَرُوا الْجِدَالَ فِي ذَلِكَ ، وَعَلَى
ضَحِيجِهِمْ وَهُمْ بِفَنَاءِ الْكَعْبَةِ .

فَقَالَ لَهُمْ رَجُلٌ : قَدْ أَكْثَرْتُمُ الْجِدَالَ فِي ذَلِكَ ، فَمَا عَلَيْكُمْ أَنْ يَضْعَىَ كُلُّ
وَاحِدٍ مِنْكُمْ إِلَى صَاحِبِهِ يَسْأَلُهُ ، حَتَّى تَنْظُرُوا مَا يُعْطِيهِ ، وَنَحْكُمُ عَلَى الْعِيَانِ ؟
فَقَامَ صَاحِبُ عَبْدِ اللهِ إِلَيْهِ ، فَصَادَفَهُ قَدْ وَضَعَ رِجْلَهُ فِي غَرْزٍ^(٣) نَاقَتِهِ يَرِيدُ
ضَيْعَةً لَهُ ، فَقَالَ : يَا بْنَ عَمٍّ رَسُولِ اللهِ ! قَالَ : قُلْ مَا تَشَاءُ . قَالَ : أَنَا بْنُ سَبِيلٍ
وَمَنْقُطَعُ بِهِ ، فَأَخْرَجَ رِجْلَهُ مِنْ غَرْزِ النَّاقَةِ ، وَقَالَ لَهُ : ضَعْ رِجْلَكَ ، وَاسْتَوِ عَلَى
الراحلة ؛ وَخُذْ مَا فِي الْحَقِيقَةِ ، وَاحْتَفِظْ بِالسِيفِ ، فَإِنَّهُ مِنْ سَيِّوفِ عَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ !

فَجَاءَ بِالنَّاقَةِ ، وَالْحَقِيقَةُ فِيهَا مَطَارِفُ^(٤) خَرَّ ، وَأَرْبَعَةُ آلَافِ دِينَارٍ ، وَأَعْظَمُهَا
وَأَجْلَلُهَا السِيفُ !

وَمَضِيَ صَاحِبُ قَيْسَ بْنِ سَعْدٍ بْنِ عَبَادَةَ ، فَصَادَفَهُ نَائِمًا ، فَقَاتَتِ الْجَارِيَةُ :

* غرر الحصائق : ١٠٥ ، غرر الأوراق للحموي : ١ - ١٠٢

(١) عَرَابَةُ الْأَوْسَى : مِنْ سَادَاتِ الْمَدِينَةِ الْأَجْوَادِ الْمُهُورَيْنَ أَدْرَكَ حَيَاةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وَأَسْلَمَ صَفِيرًا ، وَتَوَفَّ بِالْمَدِينَةِ سَنَةُ ٦٠ هـ (٢) كَانَ مِنْ دَهَاءِ الْعَرَبِ وَذُوِّي الرَّأْيِ الصَّابِبِ ، وَكَانَ
شَرِيفٌ قَوْمَهُ غَيْرَ مَدَافِعٍ ، وَعَاشَ إِلَى أَيَّامِ مَعاوِيَةَ ، وَمَاتَ سَنَةُ ٥٨ هـ .

(٣) الغرز : ركاب الرجل (٤) المطرف من الثياب : ما جعل في طرفه علماً .

هو نائم ، فما حاجتك إليه ؟ قال : ابن سبيل ومنقطع به ، قالت : حاجتك أهون من إيقاظه ! هذا كيس ^١ فيه سبعمائة دينار ، والله يعلم أن مافي دار قيس غيره ، خذه ؛ وأمض إلى معاطن ^(١) الإبل ، إلى أموال ^(٢) لنا بعلامتنا فخذ راحلة من رواحله ، وما يصلحها وعبداؤ ، وأمض لشأنك !

ولما انتبه قيس من رقادته أخبرته بما صنعت فأعتقها .

ومضى صاحب عرابة الأوسي إلىه ، فلألفاه قد خرج من منزله يريد الصلة وهو يمشي على عبدين ، وقد كف بصره ، فقال : يا عرابة ، ابن سبيل ومنقطع به ، فخلق العبدان ، وصفق بيمناه على يسراه ، وقال : أوه ! أوه ! ماتركت الحقوق لعرابة مالاً ، ولكن خذها - يعني العبدان - قال : ما كنت بالذى أقص جناحيك . قال : إن لم تأخذها فهما حرآن ، فإن شئت تأخذ ، وإن شئت تعتقن ، وأقبل يلتسم الخاطط ، راجعا إلى منزله .

فأخذها صاحبه ، وجاء بهما إلى رفاته ؛ فقالوا : إن هؤلاء الثلاثة أجود عصرهم ، إلا أن عرابة ^(٣) أكثرهم جودا لأنه أعطى جده ،

(١) المعاطن : جمع معطن ، وهو ميراث الإبل (٢) أموال : تريد الإبل ، وأكثر ما يطلق المال عند العرب على الإبل ، لأنها كانت أكثر أموالهم (٣) وفي عرابة الأوسي يقول الشاعر المري : رأيت عرابة الأوسي يسمو إلى الحيرات منقطع القرىن فإذا مارأية وفت لجد تلقاها عرابة باليمين

٩٠ - إِنَّ هَذَا لِسْخَنَ مِنِّي *

خرج عبد الله ^(١) بن جعفر إلى ضيعة له فنزل على نخيل قوم؛ فيها غلام أسود يقوم عليها، فأتى بثلاثة أقراس ^(٢)، فدخل كلب فدنا منه، فرمى إليه بقرص فأكله، ثم رمى إليه بالثاني والثالث فأكلهما، وعبد الله ينظر إليه، فقال : يا غلام ، كم قوتك كل يوم؟ قال : مارأيت ! قال : فلِمَ آتَرْتَ الْكَلْبَ ؟ قال : لأن أرضنا ليست بأرض كلاب ، وإنما قد جاء من مسافة بعيدة جائعاً ، فكرهت ردة !

قال : فما كفت صانعا اليوم ؟ قال : أطوى ^(٣) يومي هذا ! فقال عبد الله ابن جعفر : والله إن هذا لسخني مني فاشترى النخل والعبد ، وأعتقه ووهب ذلك له !

* المستظرف : ٢ - ٣٦ .

(١) انظر صفحة ٢٤ . (٢) القرص كالرغيف ، ويقال : ترد أيضاً (٣) أطوى : لا أكل شيئاً

٩١ — إِنَّا نُنْزِلُ الضَّيْفَ وَلَا نُرْحِلُهُ *

خرج داودُ بن سُمْ إلى حربِ بن خالد ، فلما قَدِيمَ عليه قام غِلْمانُهُ إلى مَتَاعِهِ ،
فأَدْخَلَوهُ وَحَطَّوْا عن راحلته ، فلما دَخَلَ أَنْشَدَهُ :

وَلَمَّا دُفِعْتُ لِأَبْوَاهِمْ وَلَاقِيتُ حَرَبًا لَقِيتُ النَّجَاحَ
وَجَدْنَاهُ يَحْمَدُهُ الْمُعْتَفُونُ ^(١) وَيَأْبَى عَلَى السُّرُرِ إِلَّا سَمَاحًا
وَيُغْشَوْنَ حَتَّى تَرَى كَلْبَهُمْ يَهَابُ الْهَرَبَرَ ^(٢) وَيَنْسِي النَّبَاحَ
فَأَمْرَ لَهُ بِجُوازَرَ كَثِيرَةٍ ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَهُ فِي الْاِنْصَارَافِ ، فَأَذْنَ لَهُ ، وَأَعْطَاهُ
أَلْفَ دِينَارٍ .

فَلَمَّا خَرَجَ مِنْ عَنْدِهِ ، وَغَلَمَانُهُ جَلوْسٌ ، لَمْ يَقُمْ إِلَيْهِ أَحَدٌ مِنْهُمْ وَلَمْ يُعْنِهِ ، فَظَنَّ
أَنَّ حَرَبًا سَاخْطُ عَلَيْهِ ، فَرَجَعَ إِلَيْهِ وَقَالَ : أَوَاجَدَ ^(٣) أَنْتَ عَلَى ؟ قَالَ : لَا ، وَلَمْ
ذَكِرْ فَأَخْبَرْهُ خَبَرَ الْفِدَانِ ، قَالَ : ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَسَلَّمُهُمْ .

فَرَجَعَ إِلَيْهِمْ فَسَلَّمُهُمْ ، فَقَالُوا : إِنَّا نَنْزِلُ الضَّيْفَ وَلَا نُرْحِلُهُ !

فَلَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ سَمِعَ الْفَاضِرِيُّ بِمَدِينَتِهِ ، فَأَتَاهُ ، فَقَالَ : إِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَ هَذَا
الْحَدِيثَ مِنْكَ ، فَخَدَّثَهُ ، فَقَالَ : وَاللَّهِ إِنْ فِي الْفِلَمَانِ أَحْسَنُ مِنْ شِعْرِكَ !

* الأَمَالِيُّ : ١ - ٢٤٢ ، وَنُرْحِلُهُ : نُحْمِلُهُ عَلَى الرَّحِيلِ .

(١) الْمُعْتَفُونَ : كُلُّ طَالِبٍ فَضْلٌ أَوْ رِزْقٌ (٢) الْهَرَبَرُ : صَوْتُ السَّكَلَبِ دُونَ النَّبَاحِ . (٣) أَوَاجَدَ : أَغَضَبَ .

* ٩٢ - الأخطل محبوس في كنيسة

قال إسحاق بن عبد الله : قدمت الشام وأنا شاب مع أبي ، فكنت أطوفُ
في كنائسها ومساجدها ، فدخلت كنيسة دمشق ، وإذا الأخطل ^(١) فيها
محبوس ، بعجلت أنظر إليه . فسأل عن فأخبر بنسيبي ؛ فقال : ياهتي ؟ إنك لرجل
شريف ، وإني أسألك حاجة . قلت : حاجتك قضية . قال : إن القس حبسني
ها هنا فتكلمه ليخلني عنِّي .

فأنيت القس فانتسبت له ، فرحب وعظم ، ثم قلت : إنَّ لِي إِلَيْكَ حاجة .
قال : وما حاجتك ؟ قلت : الأخطل تخلي عنه . قال : أعيذُك بالله من هذا ! مثلُك
لا يتكلم فيه ؛ فاسق يشم أعراض الناس ويهجوم ! فلم أزل أطلب إليه حتى
مضى معى متكتنا على عصاه ، فوقف عليه ورفع عصاه ، وقال : ياعدوا الله ! أتعودُ
تشتم الناس وتهجوم وتقذيف المحسنات ! وهو يقول : لست بعائد ولا أفعل ،
ويستخذى له .

قلت له : يا أبا مالك ، الناس يهابونك ، وال الخليفة يُسْكِرُك ، وقدرُك في
الناس قدرُك ، وأنت تخضع لهذا وتستخذى له ! فجعل يقول لي : إنه الدين !
أنه الدين !

* الأغاني : ٨ - ٢٠٩ .

(١) هو أبو مالك غيث الأخطل بن غوث التميمي النصراوي شاعر الأمويين ، نشأ في قومه تغلب
بأرض الجزيرة ينتصر لهم على مصر عامَّة ، وقبس خاصة ، ولما كان متصلًا بالخلافاء ومحروب قومه
مع قيس صار يجيد مدح الملوك ووصف المعارك وكذلك الخمر لعاقرته إياها ، وكان أخطر الشعراء
لدى الأمويين ، اتخذوه شاعرهم ، ومات سنة ٨٤٥ هـ .

(١٥ قصص - أول)

٩٣ — عماره الفقيه وعبد الملك بن مروان *

قال عماره الفقيه :

كنت أجالس عبد الملك بن مروان ^(١) كثيراً في ظل الكعبة ، فيينا أنا معه إذ قال لي : يا عماره ، إن تعش قليلاً فسترى الأعنق إلى مائة والأمارات نحوى سامية ، وإذا كان ذلك فلا عليك أن تجعلنى لرجائك باباً ولأملك ذريعة ^(٢) ، فوالله إن فعلت لأملأ يديك غبطة ، ولاكسونك نعمة سابقة .

ثم إن عبد الملك سار إلى دمشق ، وصارت إليه الخلافة ، فخرجت إليه زائراً واستأذنت فاذن لي ، ودخلت فسلمت عليه ، فلما انقضى سلامي ، قال : مرحبًا بأخي ؛ ونادى أحد غلمانه ، فقال : بوشه ^(٣) داراً ، وأحسين مهاده ، وزرنه ، وآثره على خاصتي .

ففعل ، وأقت عنده عشرين ليلة أحضر غداه وعشاءه ؟ فلما أردت الانصراف والأذبة إلى أهل أمر لي بعشرين ألف دينار ومائتي ألف درهم ، ومائة ناقة برقيقها وكسوتهم ، وقال لي : أتراني يا عماره ملأت يديك غبطة ؟ فقلت : يا سبحان الله ، يا أمير المؤمنين ؟ وإنك لذا كر لذلك ؟ قال : نعم ! والله لا خير فيمن ينسى ما وعده ويدرك ما أوعد ^(٤) . كم لهذا الأمر يا عماره ؟

* غرر الحصائر : ١٥٨

(١) من أعظم الخلفاء ودهائهم ، نشأ في المدينة واستعمله معاوية عليها ، واقتلت إليه الخلافة سنة ٦٩ هـ ، وتوفى بدمشق سنة ٨٦ . (٢) سببا . (٣) بوشه : أنزله (٤) الوعد في التغير والإبعاد في الشر .

قلت : والله لكانه بالأمس ، وله دهر يا أمير المؤمنين ! قال : فوالله ما كان ذلك
عن خبر سمعناه ، ولا حديث كتبناه ، ولا أثر رويناه ؛ غير أنى عقلت في الحدائق
أشياء رجوت أن يرفع الله بها درجتي ، وينشر بها ذكرى .

قلت : وما هي يا أمير المؤمنين ؟ قال : كنت لا أشاري ، ولا أماري ^(١) ،
ولا أهتك ستراً ستره الله دُونِي ، ولا أرتكب محراً حظره الله على ، ولا
حسدت ، ولا بغيت ؛ وكنت من قومي واسطة القلادة ، وكنت أكرم جليسى
وإات كان ذمياً ، وأرفع قدر الأديب ، وأكرم ذا الثقة ، وأدارى السفيه ،
وأرحم الضعيف ، فبذلك رفع الله قدرى ! يا عمارة ؛ خذ أهبة السفر ؛ وامض
راشداً !

(١) المشاراة : الملاحة ، أو لا يشارر من الشعر فقلبت إحدى الراءين ياء ، المماراة : المخاصة
في الشيء ليس فيه منفعة . أولاً ياري : أى لا يدفع ذا الحق عن حقه .

٩٤ — بين الحجاج الثقفى ويزيد بن المهلب*

أخذ الحجاج^(١) يزيد بن المهلب ، وعدّ به وقصده ، واستأصل موجوده وسجنه ، فتوصل يزيد بحسن تلطقه ، ودخل فيما جعله الله نجاة من تفه ، وأرغب السجان ، واسم الله إليه ، وهراب هو والسجان ؟ وقصد الشام إلى سليمان بن عبد الملك بن مروان - وكان الخليفة في ذلك الوقت الوليد بن عبد الملك .

فما وصل يزيد بن المهلب إلى سليمان بن عبد الملك أكرمها وأحسن إليه ، وأقامه عنده ؛ فكتب الحجاج إلى الوليد يعلمه أن يزيد هرب من السجن ، وهو عند سليمان بن عبد الملك أخي أمير المؤمنين ولـي عهد المسلمين ؛ وأمير المؤمنين أشهل رأياً .

فكتب الوليد إلى أخيه سليمان بذلك ، فكتب سليمان إلى أخيه : يا أمير المؤمنين ؛ إنما أجرت يزيد بن المهلب لأنه هو وأبوه وإخوته من صنائعنا قدّيماً وحدينا ، ولم أجر عدواً للأمير المؤمنين ؛ وقد كان الحجاج قصده وعدّ به ، وأغرمه^(٢) أربعة آلاف ألف درهم ظلماً ، ثم طالبه بثلاثة آلاف ألف درهم ، وقد سار هذا الرجل إلى مساقير فأجرته ، وأنا أغرم عنه ثلاثة آلاف ألف الدرهم ؛ فإن رأى أمير المؤمنين لا يخزني في ضيق فعلى ، فإنه أهل الفضل والكرم .

* العقد الفريد : للملك السعيد ١٠٢ ، تاريخ الطبرى : ٨ - ٧٣ ، ثغرات الأوراق : ٢٠٨ ، وفيات الأعيان : ٢ - ٢٧٠

(١) الحجاج بن يوسف بن أبي عقيل الثقفى ولد سنة ٤٤ هـ ونشأ بالطائف . واتصل بعد الملك بن مروان ولم يزل يرقى إلى أن ولى العراق والمشرق ، وطار ذكره ، وعظم سلطانه . وملك بواسط سنة ٩٥ هـ (٢) أغرمته غرمه .

فكتب إليه الوليد : « لا والله ، لا أؤمنه حتى تبعث به إلى في وثاق ^(١) ». فكتب إليه سليمان : ولئن أنا بعثت به إليك لا جيئن معه ؛ فأنسدك الله ألا تفصحني ولا تُخْفِرني . فكتب إليه الوليد : والله لئن جئتني لا أؤمنه .

قال يزيد : ابتعنى إليك ؟ فوالله ما أحب أن أوقع بينك وبينه عداوة وحربا ، ابعث إليك بي ، وأرسل معى ابنك ، واكتب إليه بالطف مقدرات عليه .

فأحضر سليمان ولده أبوب ققيده ، ودعا بيزيد فقيده ، ثم شد قيد هذا إلى قيد هذا بسلسلة ، وغلّها بغلّتين ^(٢) ، وحملهما إلى الوليد ، وكتب إليه : « أما بعد يا أمير المؤمنين ، فإني قد وجّهت إليك يزيد وابن أخيك أبوب بن سليمان ، وقد هممت أن كون ثالثهما ، فإن هممت يا أمير المؤمنين بقتل يزيد ، فبالتّ عليك أبداً بأبوب من قبله ، ثم اجعل يزيد ثانية ، واجعلني إذا شئت ثالثا ، والسلام » .

فما دخل يزيد بن المهلب وأبوب بن سليمان عليه في سلسلة واحدة أطْرَقَ استحياء ، وقال : لقد أَسْأَنا إلى سليمان إذ بلغنا به هذا المبلغ ...

فأراد يزيد أن يتكلّم ويحتاج عن نفسه ، فقال له الوليد : ما تحتاج إلى كلام ؛ فقد قبلنا عذرك ، وعلمنا ظلم الحجاج ؛ ثم أحضر حدادا ، وأزال عنهمما الحديد ، وأحسن إليهما ، ووصل أبوب ابن أخيه بثلاثين ألف درهم ، ووصل يزيد ابن المهلب بعشرين ألف درهم ؛ وردها إلى سليمان ، وكتب كتابا إلى الحجاج يقول له : لا سبيل لك على يزيد بن المهلب ، فإذاك أن تعاودني فيه بعد اليوم .

فسار يزيد إلى سليمان بن عبد الملك بن مروان في أعلى المراتب ، وأفضل المنازلا .

(١) الوثاق : ما يشد به (٢) الغل : جامعة توضع في العنق أو في اليد .

* ٩٥ - زُفْرَنُ الْحَاجَاجُ يُجْهِرُ خَالِدَ بْنَ عَتَّابَ

استعمل الحجاجُ خالدَ بنَ عَتَّابَ على الرَّأْيِ ، وَكَانَتْ أُمَّهُ أَمَّهَ وَلَدٌ ؛ فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْحَاجَاجُ يَسْبُّ أُمَّهَ ، وَيَقُولُ : أَنْتَ الَّذِي هَرَبْتَ عَنْ أَبِيكَ حَتَّى قُتُلَ - وَقَدْ كَانَ حَلْفًا لَا يَسْبُّ أَحَدًا أُمَّهَ إِلَّا أَجَابَهُ كَائِنًا مِنْ كَانَ .

فَكَتَبَ إِلَيْهِ خَالدٌ : كَتَبْتَ إِلَيَّ تَشْتَمُّ أُمِّي ، وَتَزَعَّمُ أَنِّي فَرَزَتُّ عَنْ أَبِي حَتَّى قُتُلَ ؛ وَلِعُمْرِي لَقِدْ فَرَرْتُ عَنْهُ ، وَلَكِنْ بَعْدَ أَنْ قُتُلَ ، وَحِينَ لَمْ أَجِدْ لِي مَقَاتِلًا . وَلَكِنْ أَخْبَرْنِي عَنْكَ يَا شِيمَ حِينَ فَرَرْتَ أَنْتَ وَأَبُوكَ يَوْمَ الْحَرَّةِ^(١) عَلَى جَلِيلِ ثَفَالِ^(٢) ، أَئِكَّا كَانَ أَمَّا صَاحِبِهِ .

فَقَرَأَ الْحَاجَاجُ الْكِتَابَ وَقَالَ : صَدِيقٌ !

أَنَا الَّذِي فَرَرْتُ يَوْمَ الْحَرَّةِ ثُمَّ ثَنَيْتُ كَرَّةً بِفَرَّةٍ
وَالشِّيخُ لَا يَفِرُّ إِلَّا مَرَّةً

ثُمَّ طَلَبَهُ فَرَّ إِلَى الشَّامَ ، وَسَلَمَ بَيْتَ الْمَالِ ، وَلَمْ يَأْخُذْ مِنْهُ شَيْئًا .

وَكَتَبَ الْحَاجَاجُ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بِعَاكَانَ مِنْهُ . وَقَدْمَ خَالِدَ الشَّامَ ، فَسَأَلَ عَنْ خَاصَّةِ عَبْدِ الْمَلِكِ فَقَيِيلَ لَهُ : رَوْحَ بْنَ زِبَّاعَ . فَأَتَاهُ حِينَ طَلَعَتِ الشَّمْسُ ، فَقَالَ : إِنِّي جَثْثُكَ مُسْتَجِيرًا . فَقَالَ : إِنِّي أَجْرُتُكَ إِلَّا أَنْ تَكُونَ خَالِدًا . قَالَ : فَإِنِّي

* الأغاني : ١٦ - ٤٠ .

(١) كانت وقعة الحرّة أيام يزيد . وهي موضع بظاهر المدينة، وقعت في ذي الحجة من سنة ٦٢ هـ :

(٢) الثفال : البطيء من الإبل .

خالد . فتغَيَّرَ ، وقال : أَنْشَدُكَ اللهُ إِلَّا خَرَجْتَ عَنِي ، فَإِنِّي لَا آمِنُ عَبْدَ الْمَلِكِ !
فقال : أَنْظِرْنِي ^(١) حَتَّى تَغْرِبَ الشَّمْسُ . فَجَعَلَ رَوْحٌ يُرَايِهَا حَتَّى خَرَجَ خَالِدٌ !
فَأَتَى زُفْرَ بْنَ الْحَارِثَ السَّكَلَابِيَّ ، فَقَالَ : إِنِّي جَئْنَتُكَ مُسْتَجِيرًا . قَالَ : قَدْ
أَجْرَتْكَ . قَالَ : أَنَا خَالِدُ بْنُ عَتَّابٍ . قَالَ : وَإِنْ كُنْتَ خَالِدًا .

فَلَمَّا أَصْبَحَ دُعَا ابْنِيْنِ لَهُ ؛ فَتَهَادَى بَيْنَهُمَا - وَقَدْ أَسْنَ - فَدَخَلَ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ
وَقَدْ أَذِنَ لِلنَّاسِ ؛ فَلَمَّا رَأَاهُ دُعَا لَهُ بَكْرَسِيًّا ، فَجُبِّعَ عِنْدَ فَرَاشِهِ . فِيمَسِ ، ثُمَّ قَالَ :
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ إِنِّي قَدْ أَجْرَتُ عَلَيْكَ رِجْلًا فَأَجْرُهُ . قَالَ : قَدْ أَجْرَتُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ
خَالِدًا . قَالَ : فَهُوَ خَالِدٌ . قَالَ : لَا وَلَا كِرَامَةً !

فَقَالَ زُفْرَ لِابْنِيْهِ : أَنْهَضَانِي . فَلَمَّا وَلَى قَالَ : يَا عَبْدَ الْمَلِكَ ؛ أَمَا وَاللهِ لَوْ كَفَتَ
تَعْلُمُ أَنْ يَدِيْ تُطْبِقَ كَمْـَـلَ الْقَنَاءِ لِأَجْرَتَ مِنْ أَجْرَتُ ! فَضَحِّكَ ، وَقَالَ :
قَدْ أَجْرَنَا .

وَأُرْسَلَ إِلَى خَالِدٍ بِالْأَلْفِ دِرْهَمٍ .

(١) أَمْهَلَنِي .

* ٩٦ - اخْتَكِمُوا وَأَكْثِرُوا *

استعمل الوليد^(١) بن عبد الملك عثمان بن حيان المرى على المدينة ، وأمره بالغليظة على أهل الظنة^(٢) ، فلما استخلف سليمان بن عبد الملك أخذه بألف ألف درهم ، فاجتمعت القيسية في ذلك ، فتحمّلوا شطرها^(٣) ، وضاقوا ذرعاً بالشطر الثاني ، ووافق ذلك استعمال سليمان يزيد بن المهلب على العراق ، فقال عمر بن هبيرة : عليكم بيزيد بن المهلب ، فاما أحد غيره .

فتحمّل إلى يزيد عمر بن هبيرة ، والقعقاع بن حبيب ، والمذيل بن زفر بن الحارث ، وسار معهم عثمان ؛ فاستأذن لهم يحيى حاجبه ؛ فخرج يزيد إلى الرواق^(٤) قرب ورحب ، ثم دعا بالغداء ، فأتوا ب الطعام ما أنكروا منه أكثراً مما عرفوا . فلما تقدّموا تكلم عثمان بن حيان - وكان لسناً مفوهًا - فقال : زادك الله في توفيقك أيها الأمير ؛ إن الوليد وجهني إلى المدينة عاملاً عليها ، وأمرني بالغليظة على أهل الظنة ، وإني سليمان أغرمي^(٥) غرماً - والله - ما يسعه مالى ، ولا تحمله طاقتى ؛ فأتيناك لتحمل من هذا المال ما خف عليك ، وما بقي - والله - ثقيل على .

ثم تكلم كلّ منهم بما حضره ؛ فقال يزيد بن المهلب : مرحباً بكم وأهلاً ، إنَّ خير المال ما قضى فيه الحقوق ، ومحبت به المغارم ؛ وإنما لي من المال

* العقد الفريد : ١ - ١٥٤ .

(١) الوليد بن عبد الملك : من ملوك الدولة الأموية ولي الخلافة سنة ٨٦ هـ ، وكانت وفاته بيبر مران سنة ٩٦ هـ (٢) التهمة . (٣) الشطر : النصف (٤) الرواق : سقف في مقدم البيت أو الفسطاط (٥) أغرمي : غرمي .

ما فَضَلَّ عن إِخْرَانِي ، وَإِيمَانُ الله لَوْ عَلِمْتُ أَنْ أَحَدًا أَمْلَأَ بِحَاجَتِكُم مِنِّي لَهُ دِيْتُكُمْ
إِلَيْهِ ! فَاحْتَكِمُوا وَأَكْثِرُوا !

فَقَالَ عُمَانُ بْنُ حَيَّانَ : النَّصْف - أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمْيَر . قَالَ : نَعَمْ وَكَرَامَة !
أَغْدُوا عَلَى مَالِكُمْ فَخُذُوهُ ؛ فَشَكَرُوا إِلَهُهُ ، وَقَامُوا فَرِجُوا .

فَلَمَّا صَارُوا عَلَى بَابِ السَّرَادِقِ ، قَالَ عُمَرُ بْنُ هُبَيْرَةَ : قَبَّحَ اللَّهُ رَأْيَكُمْ ، وَاللهُ
مَا يُبَالِي يَزِيدَ ؛ أَنْصَفَهَا تَحْمِلَ أُمَّ كَلَّهَا ؛ فَنِّ لَكُمْ بِالنَّصْفِ الْبَاقِي ؟

قَالَ الْقَوْمُ : هَذَا وَاللهِ الرَّأْيُ ! وَسِمَعَ يَزِيدُ مُنَاجَاتَهُمْ ؛ فَقَالَ لَهُجَاجَهُ : انْظُرْ
يَا يَحْيَى ، إِنْ كَانَ بَقِيَ عَلَى الْقَوْمِ شَيْءٌ فَلْيَرْجِعُوهُ !

فَرَجَعُوا إِلَيْهِ ، وَقَالُوا : أَقْلِنَا ! قَالَ : قَدْ فَعَلْتُ ! قَالُوا : إِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَحْمِلَهَا
كَلَّهَا ؛ فَأَنْتَ أَهْلُهَا ، وَإِنْ أَبَيْتَ فَمَا لَهَا أَحَدٌ غَيْرُكَ ! قَالَ : قَدْ فَعَلْتُ .

وَغَدَّا يَزِيدُ بْنُ الْمَهْلَبِ إِلَى سَلِيمَانَ ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ أَتَانِي عُمَانُ بْنُ
حَيَّانَ وَأَصْحَابِهِ . قَالَ : أَمَسَّكَ فِي الْمَالِ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ سَلِيمَانَ : وَاللهِ لَا يَخْذُنَهُ
مِنْهُمْ ! قَالَ يَزِيدُ : إِنِّي قَدْ حَمَلْتُهُ ! قَالَ : فَأَدَّهُ ! قَالَ يَزِيدُ : وَاللهِ مَا حَمَلْتُهُ إِلَّا لِأَوْدِيهِ .

ثُمَّ قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ إِنْ هَذِهِ الْحَمَالَةَ ^(١) وَإِنْ عَظُمَ خَطْبُهَا ، فَجَاهَهُ
وَاللهُ أَعْظَمُ مِنْهَا ، ثُمَّ غَدَا يَزِيدُ بِالْمَالِ عَلَى الْخُزَانَ فَدَفَعَهُ إِلَيْهِمْ .

فَدَخَلُوا عَلَى سَلِيمَانَ فَأَخْبَرُوهُ بِقَبْضِ الْمَالِ ؛ فَقَالَ : وَفَتْ يَمِينُ سَلِيمَانَ ؛ اْجْلِوا
إِلَى أَبِي خَالِدِ مَالَهُ .

(١) الْحَمَالَةُ : الغَرْمُ يَحْمِلُ عَنِ الْقَوْمِ .

* ٩٧ — أنت أخو الندى وحليفه

قال بعض مشيخة قريش :

أَذِنَ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ يَوْمًا لِلنَّاسِ ، فَدَخَلُوا عَلَيْهِ ، وَأَذِنَ لِلشَّعَرَاءِ ؛ فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ بَدَرَ بَيْنَ يَدِيهِ عُوَيْفُ^(١) الْقَوَافِيُّ الْفَزَارِيُّ فَاسْتَأْذَنَهُ فِي الإِنْشادِ ، فَقَالَ : مَا بَقَيْتَ لَى بَعْدَ مَا قُلْتَ لِأَخِي بْنِ زُهْرَةَ ؟ قَالَ : وَمَا قُلْتُ لَهُ مَعَ مَا قُلْتُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قَالَ : أَلْسَتَ الَّذِي تَقُولُ :

يَا طَلْحَةً أَنْتَ أَخو النَّدِي وَحْلِيفُهُ إِنَّ الَّذِي مِنْ بَعْدِ طَلْحَةَ مَا تَأْتِي

إِنَّ الْفَعَالَ^(٢) إِلَيْكَ أَطْلَقَ رَحْلَهُ فَبِحِيثٍ بَيْتٍ مِنَ الْمَنَازِلِ بَاتَ

أَلْسَتَ الَّذِي تَقُولُ :

إِذَا مَا جَاءَ يَوْمُكَ يَا بْنَ عَوْفٍ فَلَا مَطَرَّتْ عَلَى الْأَرْضِ السَّمَاءُ
تَسَاقِ النَّاسُ بَعْدَكَ يَا بْنَ عَوْفٍ ذَرِيعَ^(٣) الْمَوْتِ لِيْسَ لَهُ شِفَاءٌ
أَلْقَمْ عَلَيْنَا السَّاعَةُ يَوْمَ قَامَتْ عَلَيْهِ ؟ لَا وَاللَّهِ لَا أَسْمَعُ مِنْكَ شِنَّاً ، وَلَا
أَنْفَعُكَ بِنَافِعَةً أَبَدًاً . أَخْرِجُوهُ عَنِ !

فَلَمَّا أَخْرَجَ قَالَ لَهُ الْقَرْشِيُّونَ وَالشَّامِيُّونَ : وَمَا الَّذِي أَعْطَاكَ طَلْحَةً^(٤) حِينَ
اسْتَخْرَجَ هَذَا مِنْكَ ؟ قَالَ : أَمَّا وَاللَّهِ لَقَدْ أَعْطَانِي غَيْرُهُ أَكْثَرَ مِنْ عَطْيَتِهِ ، وَلَكِنْ

* الأغاني : ١٧ - ١٠٨

(١) هو عويف بن معاوية من قيس عيلان ، كان شاعرًا مقلاً من شعراء الدولة الأموية وبيته كان أحد البيوتات المقدمة الفاخرة في العرب (٢) الفعال : الفعل الحسن ، أو الكرم (٣) موت ذريم : سريعم .

(٤) هو طلحة بن عبد الله بن عوف من بنى زهرة أحد الأجداد المقدمين ، كانت عادته إذا أصاب مala أن يفتح بابه ليشاهد أصحابه والناس فيطعم ويحيز حتى ينعدم عنده فيغلق الباب فلا يقصده أحد ، توفي سنة ٩٧

لَا وَاللَّهُ مَا أَعْطَانِي أَحَدٌ قَطُّ أَحَنِي فِي قَلْبِي ، وَلَا أَبْقَى شَكْرًا ، وَلَا أَجْذَرَ أَلَا أَنْسَاهَا
مِنْ عَطْيَتِهِ ! قَالُوا : وَمَا أَعْطَاكَ ؟ قَالَ :

قَدِيمْتُ الْمَدِينَةَ وَمَعِي بُضِيْعَةً^(١) لِي ، لَا تَبْلُغُ عَشْرَةَ دَنَارِيْنَ ، أَرِيدُ أَنْ أَبْتَاعَ
قَوْدًا مِنْ قِعْدَانِ الصَّدَقَةِ . فَإِذَا بَرَجَلُ فِي صَحْنِ الشَّوْقِ عَلَى طِنْفِسَةِ قَدْ طُرِحَتْ لَهُ ،
وَإِذَا النَّاسُ حَوْلَهُ ، وَإِذَا بَيْنَ يَدِيهِ إِبْلٌ ؟ فَظَنَنْتُ أَنَّهُ عَامِلُ السَّوقِ ، فَسَلَمَتْ عَلَيْهِ
فَأَنْبَتْنِي^(٢) وَجَهْتُهُ ؟ قَلَّتْ رَحْمَكَ اللَّهُ ! هَلْ أَنْتَ مُعِينٌ عَلَى قَوْدٍ مِنْ هَذِهِ
الْقِعْدَانِ تَبَيَّنَاهُ لِي ؟ فَقَالَ : نَعَمْ ! أَوْ مَعَكَ مِنْهُ ؟ قَلَّتْ نَعَمْ !

فَأَهْوَى يَدَهُ إِلَيَّ فَأَعْطَيْتُهُ بُضِيْعَتِي ؛ فَرَفَعَ طِنْفِسَتَهُ وَأَلْقَاهَا تَحْتَهَا ، وَمَكَثَ
طَوِيلًا ، ثُمَّ قَمَتْ إِلَيْهِ قَالَ : رَحْمَكَ اللَّهُ ! انْظُرْ فِي حَاجَتِي . قَالَ : مَا مَنْعِنِي مِنْكِ
إِلَّا النَّسِيَانُ ، أَمَعَكَ حَبْلٌ ؟ قَلَّتْ نَعَمْ . قَالَ : أَفْرُجُوكَ ، فَأَفْرَجُوكَ عَنْهُ حَتَّى اسْتَقْبِلَ
الْإِبْلَ الَّتِي بَيْنَ يَدِيهِ ، فَقَالَ : اقْرُنْ هَذِهِ وَهَذِهِ وَهَذِهِ ، فَمَا بَرَحْتُ حَتَّى أَمْرَلَى
بِثَلَاثَيْنَ بَكْرَةً ، أَدْنَى بَكْرَةً مِنْهَا خَيْرًا مِنْ بَصَاعَتِي ! ثُمَّ رَفَعَ طِنْفِسَتَهُ فَقَالَ : وَشَانِكَ
بِبَصَاعَتِكَ فَاسْتَعِنْ بِهَا عَلَى مِنْ تَرْجُعٍ عَلَيْهِ .

فَقَلَّتْ رَحْمَكَ اللَّهُ ! أَنْذَرْتِي مَا تَقُولُ ؟ فَمَا بَقَى أَحَدٌ عِنْدَهُ إِلَّا سَهْرَنِي وَشَتَمَنِي !
ثُمَّ بَعْثَتْ مَعِي نَفْرًا فَأَطْرَدَوْهَا^(٣) حَتَّى أَطْلَمُوكُوكَهَا مِنْ رَأْسِ الثَّنِيَّةِ ، فَوَاللَّهِ لِأَنْسَاهِ
مَادِمَتْ حَيَا أَبْدًا .

(١) البَصَاعَةُ : القَطْلَةُ مِنَ الْمَالِ الَّذِي يَتَجَرُّ فِيهِ ، وَالبُضِيْعَةُ تَصْفِيرُهَا

(٢) أَنْبَتْنِي : عَرَفْتُهُ حَقَّ الْمَعْرِفَةِ .

(٣) أَطْرَدَتِ الْإِبْلَ : أَمْرَتْ بِطَرْدِهَا ، وَطَرَدَ الْإِبْلَ : ضَمَّهَا مِنْ نَوَاحِيهَا .

* ٩٨ - ما كذب مذشدة عليه إزاره *

خرج عمر^(١) بن عبد العزيز مع سليمان ي يريد الصائفة . فالتقى غلامانه وغلامان سليمان على الماء فاقتتلوا ، فضرب غلامان عمر غلامان سليمان ؛ فشكوا ذلك إلى سليمان ، فأرسل إلى عمر فقال له : ضرب غلامانك غلاماني . قال : ما علمنت . فقال له سليمان : كذبت ! قال : ما كذبت مذشدة على إزارى ، وعلمت أن الكذب يضر أهله ؛ وإن في الأرض عن مجلسك هذا لستة .
فتحجز ي يريد مصر ، فبلغ ذلك سليمان ، فشق عليه ؛ فدخلت فيما بينهم اعنة لها ، فقال لها سليمان : قولي له : يدخل على ولا يعاتبني ، فدخل عليه عمر ، فاعتذر إليه سليمان ، وقال له : يا أبو حفص ؛ ما اغتنمت بأمر ، ولا أكر بني هم إلا خطرت فيه على بالي ، فأقام !

* سيرة عمر بن عبد العزيز : ٢٣

(١) عمر بن عبد العزيز : الخليفة الصالح ، ولد بالمدينة ، ونشأ بها وولى إمارتها للوليد ، وولى الخلافة سنة ٩٩ هـ ، وأخباره في عدله وحسن سياسته كثيرة ، توفي سنة ١٠١ هـ .

* ٩٩ — أَعْطِيهِكَ مَا لَيْسَتِ

لَمَّا وَلَى عَمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ أَتَتْ عَمَّةً لَهُ إِلَى فَاطِمَةَ امْرَأَتِهِ ؛ فَقَالَتْ : إِنِّي أُرِيدُ كَلَامًا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَتْ لَهَا : اجْلِسِي حَتَّى يَفْرُغُ ؛ فَجَلَسَتْ ، فَإِذَا بُغْلَامًا قَدْ أَنْفَقَ فَأَخْذَ سِرَاجًا . فَقَالَتْ لَهَا فَاطِمَةُ : إِنِّي كُنْتُ تَرِيدِينِي فَلَا آنَ ، فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ فِي حَوَاجِزِ الْعَامَةِ كَتَبَ عَلَى الشَّعْمِ ، وَإِذَا صَارَ فِي حَاجَةٍ نَفْسَهُ دُعا بِسِرَاجِهِ .

فَقَامَتْ فَدَخَلَتْ عَلَيْهِ فَإِذَا بَيْنَ يَدِيهِ أَقْرَاصٌ وَشَيْءٌ مِنْ مَلْحٍ وَزَيْتٍ وَهُوَ يَتَعَشَّى ، فَقَالَتْ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ أَتَيْتُ لَهُ لَحْاجَةً لِي ، ثُمَّ رَأَيْتُ أَنْ أَبْدِأَ بِكَ قَبْلَ حَاجَتِي ! قَالَ : وَمَا ذَاكَ يَا عَمَّةً ؟ قَالَتْ : لَوْ اتَّخَذْتَ لَكَ طَعَامًا أَلَيْنَ مِنْ هَذَا ؟ قَالَ : لَيْسَ عَنْدِي يَا عَمَّةً ، وَلَوْ كَانَ عَنْدِي لَفَعَلْتُ ! قَالَتْ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، كَانَ عَمَّكَ عَبْدُ الْمَلِكِ يُجْرِي عَلَيَّ كَذَا وَكَذَا ، ثُمَّ كَانَ أَخْوَكَ الْوَلِيدَ فَزَادَتِي ؟ ثُمَّ كَانَ أَخْوَكَ سَلِيمَانَ فَرَازَدَنِي ، ثُمَّ وَلَيْتَ أَنْتَ فَقَطَعْتَهُ عَنِي .

قَالَ : يَا عَمَّةً ؟ إِنِّي عَمِّي عَبْدَ الْمَلِكَ ، وَأَخِي الْوَلِيدَ ، وَأَخِي سَلِيمَانَ كَانُوا يَعْطُونِكَ مِنْ مَالِ الْمُسْلِمِينَ ، وَلَيْسَ ذَلِكَ الْمَالُ لِي فَأَعْطِيَكَهُ ؟ وَلَكِنِّي أَعْطَيْكَ مَا لَيْسَتِ إِنْ شَاءَتِ اسْتِهِنَتْ : وَمَا ذَاكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قَالَ : عَطَافِي مَا شَاءَتِ دِينَارٌ ؟ فَهَلْ لَكَ فِيهِ ؟ قَالَتْ : وَمَا يَلْعُغُ مِنْيَ عَطَافِكَ ؟ قَالَ : فَلَسْتَ أَمْلِكُ غَيْرَهُ يَا عَمَّةً ؟ فَانْصَرَفَتْ عَنْهُ !

١٠٠ — الشمعة والسراج*

وقد على عمر بن عبد العزيز بريد^(١) من بعض الآفاق ، فاتتهى إلى باب عمر ليلاً ؛ فقرع الباب ، فخرج إليه البواب ، فقال : أعلم أمير المؤمنين أن بالباب رسولاً من فلان عامله ؟ فدخل فأعلم عمر - وقد كان أراد أن ينام - فقعد ، وقال : ائذن له !

فدخل الرسول فدعا عمر بشمعة غليظة فأججت ناراً ، وأجلس الرسول ، وجلس عمر ، فسأله عن حال أهل البلد ومن بها من المسلمين وأهل العهد ، وكيف سيرة العامل ؟ وكيف الأسعار ؟ وكيف أبناء المهاجرين والأنصار ، وأبناء السبيل والفقراء ؟ وهل أعطى كل ذي حق حقه ؟ وهل له شاكٍ ؟ وهل ظلم أحداً ؟

فأبأه بجميع ماعلم من أمر تلك المملكة ، يسأله فيحفي^(٢) السؤال ، حتى إذا فرغ عمر من مسأله قال له : يا أمير المؤمنين ، كيف حالت في نفسك وبدنك ؟ وكيف عيالك وجميع أهل بيتك ومن تُعنى بشأنه ؟ ففتح عمر الشمعة فأطافها بفتحته ، وقال : ياغلام ، على سراج ، فأني بفتيله لا تقاد تضي ، فقال : سل عما أحببت ، فسأله عن حاله ، فأخبره عن حال ولده وأهل بيته .

فعجب البريد للشمعة وإطفاؤه إياها ، وقال : يا أمير المؤمنين ، رأيتك فعلت أمراً مارأيتك فعلت مثله ! قال : وما هو ؟ قال : إطفاؤك الشمعة عند مسألتي إياك

* سيرة عمر بن عبد العزيز : ١٦١

(١) رسول . (٢) أحق سؤاله : ردده .

عن حالك وشأنك . فقال : ياعبد الله ، إن الشمعة التي رأيتها أطفأها من مال الله ومال المسلمين ، وكنت أسألك عن حوالهم وأمهم ، فكانت تلك الشمعة تَقِدُ بين يدي فيما يصلاحهم ، وهي لهم . فلما صرت لشاني وأم عيالي ونقسي أطفأت نار المسلمين !

* ١٠١ - حديث عمر بن عبد العزيز مع ابنه عبد الملك حين احتجز

كان عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز من أحب الناس إلى أبيه ، فرض فاشتد سرمه ، فأخبر أبوه بذلك ، فأتاه فوقف عليه ، وقال : يا بني ! كيف تجده ؟ قال : أجدني صالحاً - وكتم ما به كراهة أن يغمه - قال : يابني ، اصدقني عن نفسك ، فإن أحب الأمور إلى فيك لموضع القضاء . قال : أجدني يا بنت أموت ! فولى عمر إلى قبلته ، فيينا هو في صلاته إذ مات عبد الملك ، فأتاه مزاحم ، فقال : يا أمير المؤمنين ؛ توفى عبد الملك ، فخرّ مغشياً عليه .

فلما دفن عبد الملك قال مزاحم - وكان قد عهد إليه إذا رأى منه أمر ينزعجه أن يخبره بذلك : يا أمير المؤمنين ، رأيت منك عجباً ، أتيت عبد الملك فسألته عن حاله فكتم ما به فقلت له : يابني ، اصدقني عن نفسك ، فإن أحب الأمور إلى فيك لموضع القضاء ؛ فأخبرك أنه يموت . فلما مات خررت مغشياً عليك . قال : قد كان ذلك يامزاحم ! فقد علمت أن ملك الموت قد دخل إلى منزلي ؛ فأخذ بضعة مني ، فراعنى ذلك فأصابني ما قد رأيت !

١٠٢ - عَفَةُ جَرِيرٍ^(١) وَفُجُورُ الْفَرَزْدَقِ^{*}

قَدِيمُ الْفَرَزْدَقِ^(٢) عَلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، وَهُوَ عَلَى الْمَدِينَةِ وَالِّيْهَا مِنْ قَبْلِ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَأَنْزَلَهُ عُمَرُ مِنْزَلًا قَرِيبًا مِنْهَا كَرْمَهُ ، وَأَحْسَنَ ضِيَافَتَهُ ، ثُمَّ إِنَّهُ بَلَغَهُ عَنْهُ أَنَّهُ صَاحِبُ فُجُورٍ ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ عُمَرُ بِالْطَّافِ مَعَ جَارِيَّتِهِ ، وَقَالَ : اغْسِلِ رَأْسَهُ وَأَلْطِفِيهِ جَهْدَكِ^(٣) - وَأَرَادَ اخْتِبَارَهُ بِذَلِكَ لِيُعْلَمُ حَالُهُ .

فَأَتَتْهُ الْجَارِيَّةُ ، وَفَعَلَتْ مَا أَمْرَهَا بِهِ مَوْلَاهَا ، ثُمَّ قَالَتْ لَهُ : أَمَا تَرِيدُ أَنْ تَفْسِلَ رَأْسَكِ ؟ قَالَ : بَلِّي ، فَقَرَبَتْ إِلَيْهِ الْفِسْلُ^(٤) ، ثُمَّ ذَهَبَتْ لِتَفْسِلَ رَأْسَهُ ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهَا ، وَذَلِكَ بَعْدَ عُمَرَ ، وَهُوَ يَتَطَلَّعُ عَلَيْهَا مِنْ خَوْجَةٍ^(٥) لَهُ .
وَلَمَّا خَرَجَتِ الْجَارِيَّةُ إِلَى عُمَرَ بَعَثَ إِلَيْهِ : أَنَّهُ أَخْرَجَ عَنِ الْمَدِينَةِ ، وَلَئِنْ أَخْذَتُكُمْ فِيهَا - مَادَمَ لِي سَلَامٌ - لَا أَعْقِبُنِيكُمْ ، وَنَفَاهُ عَنِ الْمَدِينَةِ .

فَلَمَّا خَرَجَ وَصَارَ عَلَى رَاحِلَتِهِ قَالَ : قَاتِلُ اللَّهِ ابْنَ الْمَرَاغَةِ^(٦) كَانَهُ كَانَ يَنْظَرُ إِلَيْهِ

حيث يقول :

وَكَنْتَ إِذَا نَزَلْتَ بَدَارِ قَوْمٍ رَحِلتَ بَخْزِيَّةٍ^(٧) وَتَرَكْتَ عَارِ

* تقاضى جرير والفرزدق : ١ - ٣٩٧ ، طبع ليدن .

(١) جرير بن عطية الخطني : أحد خول الشعراء المسلمين ، ولد باليمامة ، ونشأ بالبادية وذهب
قال الشعر ونبغ فيه ، ولما عظم أمره اتصل بالحجاج ومدحه ، ثم اتصل بعد الملك بن مروان ،
وعد من مدارج بني أمية . مات سنة ١١٠ هـ . (٢) الفرزدق هو أبو فراس همام بن غالب ،
نشأ بالبصرة وأخذته أبوه برواية الشعر ونظمها فرواوه ونبغ فيه ، وتعرف بولادة البصرة ومدحهم
وهجائهم ، ثم رحل إلى خلفاء بني أمية بالشام ومدحهم ونال جوازهم . مات سنة ١١٠ هـ .

(٣) الجهد : الطاقة (٤) الفسل : ما يفصل به الرأس (٥) الخوجة : كوة في الجدار تؤدي
الضوء (٦) ابن المراغة : هو جرير . (٧) الخزية : البلية

ثُمَّ قَدِمَ جَرِيرٌ عَلَى مُحَمَّدٍ فَأَنْزَلَهُ فِي مَنْزِلِ الْفَرِزْدَقِ، وَبَعْثَ إِلَيْهِ بِتْلَكِ الْجَارِيَةِ
بِعِينِهَا، وَأَمْرَهَا أَنْ تَفْعَلَ بِجَرِيرٍ مَا فَعَلَتْ بِالْفَرِزْدَقِ؛ فَأَلْطَافَتْهُ، وَفَعَلَتْ بِهِ مَثَلَ
مَا فَعَلَتْ بِالْفَرِزْدَقِ، وَقَالَتْ لَهُ: قُمْ أَيُّهَا الشَّيْخُ، فَاغْسِلْ رَأْسَكَ، فَقَامَ، وَقَالَ لَهَا:
تَنَحَّى عَنِّي، قَالَتْ لَهُ الْجَارِيَةُ: سَبَحَانَ اللَّهِ! إِنَّمَا بِعْنَى سَيِّدِي لِأَخْدُمُكَ، فَقَالَ:
لَا حَاجَةَ لِي فِي خِدْمَتِكَ، ثُمَّ أَخْرَجَهَا مِنَ الْحِجْرَةِ، وَأَغْلَقَ الْبَابَ عَلَيْهِ وَأَتَرَرَ،
فَغَسَلَ رَأْسَهُ، وَعَزَّرَ يَنْظَرُ إِلَيْهِ مِنْ حِينِ بَعْثَتْ بِالْجَارِيَةِ إِلَى أَنْ خَرَجَتْ مِنْ عَنْدِهِ.
فَلَمَّا رَاحَ ^(١) أَهْلُ الْمَدِينَةِ مِنْ مَنَازِلِهِمْ إِلَى عُمَرَ حَدَّثَهُمْ بِفِعْلِ الْفَرِزْدَقِ وَجَرِيرِ،
وَمَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِمْ، ثُمَّ قَالَ: عَجِبْتُ لِقَوْمٍ يَفْضَلُونَ الْفَرِزْدَقَ عَلَى جَرِيرٍ مَعَ عَفَّةَ
جَرِيرٍ وَفُجُورِ الْفَرِزْدَقِ، وَقَلَّةٌ وَرَاعِيَهُ وَخَوْفِهِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ!

(١) رَجَعَ.

* ١٠٣ — خالد القسْرِيُّ وَ زَيْدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ

قال زيد بن عبيد الله : أتت الشام ، فبينما أنا يوماً على باب هشام بن عبد الملك
إذ خرج على رجل من عنده ، فقال لي : من أنت يا فتى ؟ قلت : يمان ! قال :
فمن أنت ؟ قلت : زيد بن عبيد الله بن عبد المدان ، قال : فتبسم وقال : قم إلى
ناحية العسكر ، فقل لأصحابي : ترحاوا ؛ فإن أمير المؤمنين قد رضي عنك ، وأمرني
بالمسيير .

قلت : من أنت يرحمك الله ؟ قال : خالد ^(١) بن عبد الله القسْرِيُّ ، ثم قال :
ومرّهم يافتى أن يعطوك مِندِيل ثيابي وبرْذونِي الأصفر . قال : فلما جُزِّتْ قليلاً
ناداني ، فقال : يافتى ؟ وإن سمعتَ بي قد وليتُ العراق يوماً ، فالحق بي .

قال : فذهبت إليهم ، قلت لهم : إن الأمير قد أرسلني إليكم بأن أمير المؤمنين
قد رضي عنه ، وأمره بالمسير ؛ فجعل هذا يحتضنني ، وهذا يقبّل رأسي ؛ فلما رأيتُ
ذلك منهم قلت : وقد أمرني أن تعطوني مِندِيل ثيابي وبرْذونِي الأصفر قالوا :
إي والله وكراهة ؛ فأعطيوني مِندِيل ثيابي وبرْذونِي الأصفر ؛ فما أسمى بالعسكر أحد
أجود ثياباً ولا مر كباً مني .

فلم ألبث إلا يسيراً حتى قيل : قد ولَى خالدُ العَرَاقَ ؛ فركبني من ذلك هم ؟
قال لي عَرِيف ^(٢) لنا : مالى أراك مهموماً ؟ قلت : قد ولَى خالدُ كذا وكذا ، وقد

* الطبرى : ٨ - ١٨١ .

(١) كان خالد القسْرِيُّ أمير العراق من قبل هشام بن عبد الملك الأموي وولى قبل ذلك مكة ،
وكان معدوداً من خطباء العرب المشهورين بالفصاحة والبلاغة ، جواداً كثيراً العطاء ، وتوفى سنة
١٢٠ هـ مقنولاً ودفن بالخيرة .

(٢) العَرِيف : رئيس القوم .

أصبتُ هاهنا رُزْيَقًا عِشْتُ بِهِ، وأخْشى أَنْ أَذْهَبَ فِي تَغْيِيرِ عَلَىٰ، فَيَفْوَتِنِي هَذَا وَذَلِكَ،
فَلَسْتُ أُدْرِي كَيْفَ أَصْنَعُ؟ قَالَ لِي : هَلْ لَكَ فِي خَصْلَةٍ؟ قَلْتُ : وَمَا هِيَ؟ قَالَ :
تُوكَلُّنِي بِأَرْزَاقِكَ وَتَخْرُجُ ؛ فَإِنْ أَصْبَتَ مَا تَحْبَتَ فِي أَرْزَاقُكَ ؛ وَإِلَّا رَجَعْتَ فَدَفَعْتُهَا
إِلَيْكَ . قَلْتُ : نَعَمْ ، وَخَرَجْتَ .

فَلَمَّا قَدِمْتُ الْكَوْفَةَ لَبَسْتُ مِنْ صَالِحِ ثَيَابِي ؛ وَأَذِنْتَ لِلنَّاسِ فَتَرَكْتُهُمْ حَتَّىٰ أَخْذَنَا
مَجَالِسَهُمْ ، ثُمَّ دَخَلْتُ ، فَقَمَتْ بِالبَّابِ ، فَسَلَّمَتْ وَدَعَوْتُ وَأَثْنَيْتُ ، فَرَفِعَ رَأْسَهُ
قَالَ : أَحْسَنْتَ ! بِالرَّءُوبِ وَالسَّعَةِ ، فَارْجَعْتُ إِلَى مَنْزِلِي حَتَّىٰ أَصْبَتُ سَمَانَةَ دِينَارٍ
بَيْنَ نَقْدٍ وَعَرَضٍ .

ثُمَّ كَنْتُ أَخْتَلِفُ إِلَيْهِ ؛ قَالَ لِي يَوْمًا : هَلْ تَكْتُبُ يَا زِيَادَ؟ قَلْتُ : أَقْرَأُ
وَلَا أَكْتُبُ ، أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ! فَضَرَبَ يَدِهِ عَلَى جَبِينِهِ ، وَقَالَ : إِنَّ اللَّهَ وَإِنَا إِلَيْهِ
رَاجِعُونَ ! سَقْطَمِنْكَ تَسْعَةً أَعْشَارًا مَا كَنْتُ أُرِيدُهُ مِنْكَ ، وَبِقِلْكَ وَاحِدَةٍ فِيهَا غَيْرَ الدَّهْرِ .
قَلْتُ : أَيْهَا الْأَمِيرُ ، هَلْ فِي تَلْكَ الْوَاحِدَةِ نَمْنُ غَلامٌ؟ قَالَ : وَمَاذَا حَيْتَنِدُ؟
قَلْتُ : تَشْتَرِي غَلامًا كَاتِبًا تَبْعَثُ بِهِ إِلَىٰ فِي عِلْمِنِي . قَالَ : هِيَهَاتِ ! كَبَرْتَ عَنْ ذَلِكَ !
قَلْتُ : كَلَا ؛ فَاشْتَرَى غَلامًا كَاتِبًا حَاسِبًا بِسْتِينِ دِينَارًا ، فَبَعْثَثُ بِهِ إِلَىٰ فَأَكْبِتُ
عَلَى السَّكَنَابِ ، وَجَعَلْتُ لَا آتِيهِ إِلَّا لِيَلَا ، فَامْضَتْ إِلَّا خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةَ حَتَّىٰ
كَبَتْ مَا شَتَّتْ وَقَرَأْتُ مَا شَتَّتْ !

قَالَ : فَإِنِّي عَنْهُ لَيْلَةٌ إِذْ قَالَ : مَا أُدْرِي هَلْ أَنْجَحْتَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا؟ قَلْتُ :
نَعَمْ ، أَكْتُبُ مَا شَتَّتْ وَأَقْرَأُ مَا شَتَّتْ ! قَالَ : إِنِّي أَرَاكَ ظَفَرْتَ مَنْهُ بَشِّي ، يَسِيرٌ فَأُعْجِبُكَ
قَلْتُ : كَلَا .

قَالَ : أَقْرَأُ هَذَا الطُّومَارَ ^(١) ، فَقَرَأْتُ مَا بَيْنَ طَرْفَيْهِ فَإِذَا هُوَ مِنْ عَالِمِهِ عَلَىٰ
الرَّىٰ ، قَالَ : اخْرُجْ فَقَدْ وَلَيْتَكَ عَمِلْهَ !

(١) الطومار : الصحيفة .

* ١٠٤ — الفقر خصم لجوج *

رَكِبْ خَالِدُ^(١) فِي يَوْمٍ شَدِيدٍ بِالْبَرِّ كَثِيرِ الْغَيْمِ ، فَتَعَرَّضَ لَهُ رَجُلٌ فِي الطَّرِيقِ ؛
 فَقَالَ لَهُ : نَاشِدُكَ اللَّهَ إِلَّا ضَرَبْتَ عَنِّي ! قَالَ لَهُ : أَكُفَّرُ بَعْدَ إِيمَانٍ ؟ قَالَ : لَا ؛
 قَالَ : أَفَتَرْغَبُ عَنْ طَاعَةِ الرَّحْمَنِ ؟ قَالَ : لَا ؛ قَالَ : أَفْقَتَنِتَ نَفْسًا ؟ قَالَ : لَا . قَالَ :
 فَأَنْتَ سَبِيلُ ذَلِكَ ؟ قَالَ : لِي خَصْمٌ لَجُوجٌ قَدْ عَلَقَ بِي ، وَلِزَمْنَى وَقَهْرَنَى . قَالَ : مَنْ
 هُوَ ؟ قَالَ : الْفَقِيرُ ! قَالَ : فَكَمْ يَكْفِيكَ لِدِفْعَتِهِ ؟ قَالَ : أَرْبَعَةَ آلَافَ دَرْهَمٍ ، قَالَ :
 إِنِّي مُمْدُّثٌ بِأَرْبَعَةَ آلَافَ دَرْهَمٍ .

ثُمَّ قَالَ خَالِدٌ : يَا غَلامُ ، ادْفَعْ لَهُ أَرْبَعَةَ آلَافَ دَرْهَمٍ ، وَالتَّفَتَ وَقَالَ : هَلْ
 رَبِيعَ أَحَدَّ مِنَ التَّجَارِ كَرِبَّجِي الْيَوْمَ ؟ قَالُوا : وَكِيفَ ذَلِكَ ؟ قَالَ : عَزَمْتُ عَلَى أَنْ
 أَعْطَى هَذَا الرَّجُلَ ثَلَاثَيْنِ أَلْفَ دَرْهَمٍ ، فَلَمَّا طَلَبَ أَرْبَعَةَ آلَافَ دَرْهَمٍ وَفَرَّ عَلَى سَتَةَ
 وَعَشْرَيْنَ أَلْفَ دَرْهَمٍ .

فَلَمَّا سَمِعَ الرَّجُلُ ذَلِكَ مِنْهُ قَالَ : حَاشَاكَ وَأَعِيدُكَ بِاللَّهِ أَنْ تَرْجِعَ عَلَى مُؤْمِلِكَ .
 فَقَالَ : يَا غَلامُ : أَعْطِهِ ثَلَاثَيْنِ أَلْفَانَا ، ثُمَّ قَالَ لِلرَّجُلِ : اقْبِضْ الْمَالَ ؛ وَادْهَبْ آمَنَا
 إِلَى خَصْمِكَ ، وَمَتَى رَجَعْ يُعَارِضُكَ فَاسْتَنْجِدْ بِنَا عَلَيْهِ !

* المختار من نوادر الأخبار - مخطوط .

(١) هو خالد بن عبد الله القسري .

* ١٠٥ - يشتكي الفقر

أَتَى رَجُلٌ إِلَى عَلَى بْنِ سَلَيْمَانَ ، قَالَ لَهُ : بِالَّذِي أَسْبَغْتَ عَلَيْكَ هَذَا النَّعْمَ - مَنْ
غَيْرُ شَفِيعٍ كَانَ لَكَ إِلَيْهِ تَفْضِلًا مِنْهُ عَلَيْكَ - إِلَّا أَنْصَقْتَنِي مِنْ خَصْمِي ، وَأَخْذَتَ
الْحَقَّ مِنْهُ ، فَإِنَّهُ ظَلَوْمٌ غَشُومٌ ، لَا يَسْتَحِي مِنْ كَبِيرٍ ، وَلَا يَلْتَفِتُ إِلَى صَغِيرٍ ! قَالَ
لَهُ : أَعْلَمُنِي مَنْ هُوَ ؟ فَإِنْ يَنْصُفْكَ ، وَإِلَّا أَخْذَتُ الَّذِي فِيهِ عِينَا ! مَنْ هُوَ ؟
قَالَ : الْفَقْرُ ، فَأَطْرَقَ إِلَى الْأَرْضِ مَلِيئًا ، يَنْكُثُ^(١) الْأَرْضَ يَاصْبِعُهُ ، ثُمَّ
رَفَعَ رَأْسَهُ ، فَأَمْرَرَ لَهُ بِعَشْرَةِ آلَافِ دِينَارٍ ، فَأَخْذَهَا وَمَضَى ، فَلَمَّا سَارَ خَارِجًا
قَالَ : رُدُوهُ .

فَلَمَّا مَثَلَ بَيْنَ يَدِيهِ قَالَ : يَاذَا الرَّجُلِ ، سَأَنْتُكَ بِاللَّهِ - مَتَى أَنْتَكَ خَصْمُكَ
مَتَعْسِفًا - إِلَّا أَتَيْتَ إِلَيْنَا مَتَظَلِّلًا .

* عَيْنُ الْأَدْبِ وَالسِّيَاسَةِ : ١٨٦ .

(١) النَّكْتُ : أَنْ تَفْرَبَ الْأَرْضَ بِقَضْبِ فَيُؤْزَرُ فِيهَا .

* ١٠٦ — حدثني عن أغرب ما مر بك

لما أفضت الخلافة إلى بني العباس اختفى جميع رجال بني أمية - وكان منهم إبراهيم بن سليمان - فتشعر له عند السفاح^(١) بعض خواصه . فأعطيه الأمان ، ثم أحله مجلسه ، وأكرم مثواه .

وقال له السفاح ذات يوم : يا إبراهيم ، حدثني عن أغرب ما مر بك أيام اختفائك .

قال : كنت مختفيًا في الحيرة منزل مشرف على الصحراء ، فيینما كنت يوماً على ظهر ذلك البيت أبصرت أعلاماً سوداء قد خرجت من الكوفة ترید الحيرة ، فأوجست منها خيفة إذ حسبتها نقصانى .

خرجت مسراً من الدار متسلكاً ، حتى أتيت الكوفة ، وأنا لا أعرف من أختفى عنده ، فبقيت متحيرًا في أمرى ، فنظرت فإذا أنا بباب كبير فدخلته ، فرأيت في الرحبة^(٢) رجلاً وسما^(٣) لطيف الهيئة ، نظيف البزة^(٤) ، فقال لي : من أنت؟ وما حاجتك؟ قلت : رجل خائف على دمه ، جاء يستجير بك . فأدخلني منزله ، وواراني في حجرة تلي حجرة حرمه^(٥) . فاقترن عنده ، ولكل ما أحب من طعام وشراب ولباس ، وهو لا يسألني عن شيء من حالى ، إلا أنه كان يركب في كل يوم من الفجر ، ولا يرجع إلا قبيل الظهر .

* بحر الآداب : ٣ - ٥٢ .

(١) اسمه عبد الله بن محمد ، أول خلفاء الدولة العباسية ، بويغ له بالخلافة جهراً في الكوفة سنة ١٣٢ هـ ، وتوفي بالأنبار سنة ١٣٦ هـ . (٢) الرحبة : الساحة . (٣) وسما : حسن الوجه . (٤) البزة : الثياب . (٥) حرمه : نسائه .

فقلت له يوماً : أراك تدرين ^(١) الركوب ، فقين ذلك ؟ قال لي : إن إبراهيم ابن سليمان بن عبد الملك قتل أبي ، وقد باغني أنه مختفي في الحيرة ، فانا أطلبه على أجده وأدرك منه ثارى . فلما سمعت ذلك - يا أمير المؤمنين - عظم خوف ، وضاقت الدنيا في عيني ، وقلت : إنني سُقْتُ نفسي إلى حَتْفِي .

ثم سألت الرجل عن اسمه وأسم أبيه ، فأخبرني عن ذلك ؛ فعلمت أن كلامه حق ؛ فقلت له : ياهذا ؟ إنه قد وجَب على حقيقتك ، وجزءاً لمعرفتك لي أريده أن أدلَّك على ضالتك .

قال : وأين هو ؟ قلت : أنا بُعيَّنك إبراهيم بن سليمان ، فأخذ بشأرك . فقبس ، وقال : هل أضجرك ^(٢) الاختفاء والبعد عن دارك وأهلك فأحببت الموت ؟ قلت : لا والله ! ولكنني أقول لك الحق ، وإنني قتلت أباك في يوم كذا من أجلكدا وكذا .

فلمَا سمع الرجل كلامي هذا ، وعلم صدقى تغيير لونه واحمررت عيناه ؛ ثم فكر طويلاً ، وانتفت إلى ، وقال . أمّا أنت فسوف تلقى أبي عند حاكم عادل فياخذك بشأره منك ، وأمّا أنا فلا أخفر ذمتي ^(٣) ، ولكنني أرغب أنْ تبعد عنى فإني لست آمن عليك من نفسى . ثم إنه قدَّم لي ألف دينار ، فأبىت أخذها ، وانصرفت عنه .

فهذه الحادثة أغرب ما مر بي ، وهذا الرجل هو أكرم من رأيته ، وسمعت عنه بعدَك يا أمير المؤمنين .

(١) تدرين : تديم (٢) أضجرك : أتعبك (٣) لا أخفر ذمتي : لا أنقض عهدي معك ولا أغدر بك بعد أن أمنتك .

* ١٠٧ — المنصور وأهله

قال أحمد بن إسماعيل :

كان أبي ومشايخ أهلي يجلسون مع أبي جعفر المنصور^(١) ، وكان أحدهما يجلسون دون ذلك ، وكان يتقدّم من أمرنا ما كان يتقدّم من أمور ولده ، حتى يستقرى^(٢) أحدنا ، ويسأله ما بلغ من القرآن ، وكُنّا نصل الفَدَاء^(٣) والعشى^(٤) فنجلس في مجلسه ، حتى يخرج إلينا .

وإنا صرنا في مجلسه ذات يوم كعادتنا ، فجلسنا ننتظر خروجه ، وأفاض أبي وعمومي في استبيطانه واستئثاره عليهم ، فأطربوا في ذلك ، وكان الموكل بالباب - سليم الأسود - يرفع الستر إذا جاء ، خانت من سليم غفلة ، وجاء أبو جعفر وهو يتسمّع عليهم ، ففهم ما هم فيه ، ووثب سليم ليرفع الستر ، فامسك بيده ومنعه من رفعه حتى استوعب سمعه جميع ما كانوا فيه .

فلم انقضى كلامهم أمر برفع الستر ودخل ، فقاموا له كنحو ما كانوا يفعلون ، فقال : ما هذا ؟ إنما ينبغي أن تفعلوا هذا بحضور العامة ، لتشدّوا بذلك سلطانكم ، فاما مجالس اخلوّة ففتحن فيها اخوة .

ثم أمرهم بالجلوس ، وأقبل عليهم ، وقال : يا عمومي ، ويا إخوتي ، قد سمعت ما كنتم فيه ، وقولكم : استأثر علينا ، ولعمرى لقد كان ذلك ، وما استئثار علىكم إلا لكم ، وإشفاقاً من ذهاب سلطانكم ، وزوال أموالكم ، وإنما أبكي

* غرر الحصائر : ١٦٧

(١) انظر صفحة ١١٠ . (٢) استقرى : تتبع (٣) الفداء : ما بين صلاة الفجر إلى طلوع الشمس (٤) العشي من صلاة المغرب إلى المغبة .

لَكُمْ رِقَّةً عَلَيْكُمْ ، فَكَأُنَيْ بِالرَّجُلِ مِنْكُمْ وَمِنْ أَبْنَائِكُمْ ، أَوْ مِنْ أَبْنَاءِ أَبْنَائِكُمْ
بَيْنَ يَدَيِ الرَّجُلِ مِنْ وَلَدِيْ أَوْ وَلَدِيْ وَلَدِيْ ، يَنْتَسِبُ لَهُ فَلَا يَعْرُفُهُ ، بَلْ لَعْلَهُ
يَبْلُغُ عَلَيْهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ ، فَذَهَبُوا لِيَتَكَلَّمُوا ، فَقَالَ : أَقْسَمْتُ عَلَيْكُمْ مَا
سَكَتْتُمْ ، أَفَيُضُوا بِنَا فِي غَيْرِ هَذَا الْحَدِيثِ .

قَالَ أَحْمَدُ : وَضَرَبَ الدَّهْرُ ضَرَبَانَهُ^(١) ، وَمَاتَ الْمَنْصُورُ ، وَوَلَيَ الْمَهْدَىٰ وَمَاتَ ،
وَوَلَيَ الْمَهْدَىٰ ثُمَّ مَاتَ ، وَوَلَيَ الرَّشِيدُ ، وَخَرَجَ إِلَى الرِّقَّةِ ، وَنَالَتْنَا جَفْوَةً ، وَلَزِمْنِي
دَيْنٌ خَرَجَتْ إِلَيْهِ ، فَكَانَ أَوْلُ مَا لَقِيتُ مُوكَبًا عَظِيمًا ، فَقَلَتْ : مَا هَذَا ؟ فَقَيْلَ لِي
هَذَا وَلِيَّ الْعَهْدِ : الْأَمِينُ وَالْمَأْمُونُ .

فَتَرَجَّلَتْ وَسَلَّمَتْ عَلَيْهِمَا ، قَالَا : مَنْ أَنْتَ ؟ قَلَتْ : أَحْمَدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ
عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَلَّبِ ، وَبَكَيْتُ ، فَاتَّهَى الْخَبْرُ مِنْ سَاعَتِهِ
إِلَى الرَّشِيدِ ، فَلَمْ أَصُلْ إِلَى مَنْزِلِي حَتَّى لَقِيَنِي رَسُولُهُ يَدْعُونِي .

فَلَمَّا دَخَلْتُ عَلَيْهِ ، قَالَ لِي : مَمَّا بَكَيْتَ ؟ قَلَتْ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، كَانَ مِنْ
الْقَصَّةِ كَيْتَ وَكَيْتَ ، وَسُقْتُ إِلَيْهِ خَبْرَ الْمَنْصُورِ ، فَبَكَيْتُ إِذَا كَنْتَ الْمُبَتَلَى بِذَلِكَ
دُونَ مِنْ حَضَرَهُ ، فَقَالَ لِي : هَمَا أَبْنَا أَخِيكَ ، وَهِيَ عَوْرَةٌ فَاسْتُرْهَا ، وَلَنْ تُسْأَلْ عَنْ
نَسَبِكَ بَعْدَ الْيَوْمِ ، مَا أَقْدَمْتَ ؟ قَلَتْ : دِينٌ لَزِمْنِي . قَالَ : وَمَنْ هُوَ ؟ قَلَتْ : عَشْرُونَ
أَلْفَ دِينَارٍ . فَقَالَ : يَا غَلَامُ ، احْلِهَا إِلَيْهِ السَّاعَةَ ، وَاجْعَلْ مَعَهَا خَمْسَةَ آلَافِ دِينَارٍ
لِحِفْظِهِ الْحَدِيثَ عَنِ الْمَنْصُورِ . هَلْ مِنْ حَاجَةٍ لَكَ غَيْرَ ذَلِكَ ؟ قَلَتْ : أَوْدُعُ
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَانْصَرَفَتْ .

(١) ضَرَبَ الدَّهْرَ ضَرَبَانَهُ وَمِنْ ضَرَبَانَهُ : مِنْ ، وَذَهَبَ بَعْضُهُ .

* ١٠٨ — هذا بُغية أمير المؤمنين*

أَهْدَرَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الْمُنْصُورُ دَمَ رَجُلٍ ، كَانَ يَسْعَى بِفَسَادِ دَوْلَتِهِ مَعَ الْخَوَارِجِ ،
مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ . وَجَعَلَ لِمَنْ دَلَّ عَلَيْهِ ، أَوْ جَاءَ بِهِ مَائَةً أَلْفَ دِرْهَمٍ . ثُمَّ إِنَّ
الرَّجُلَ ظَهَرَ فِي بَغْدَادَ ، فَبَيْنَا هُوَ يَسْعَى بُخْتَفِيَّا فِي بَعْضِ نَوَاحِيهَا ، إِذَا بَصَرَ بِهِ رَجُلٌ
مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ ، فَعْرَفَهُ ؛ فَأَخْذَ بِمَجَامِعِ ثِيَابِهِ ، وَقَالَ : هَذَا بُغْيَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ .

فَبَيْنَا الرَّجُلُ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ إِذَا سَمِعَ وَقْعَ حَوَافِرِ الْخَيلِ ، فَالْتَّفَتَ فَإِذَا مَعْنُ
ابْنِ زَائِدَةَ^(١) ، فَاسْتَغْاثَ بِهِ ؛ وَقَالَ : أَجْرِنِي أَجْرَكَ اللَّهُ ! فَالْتَّفَتَ مَعْنُ إِلَى الرَّجُلِ
الْمُتَعَلِّقِ بِهِ ، وَقَالَ لَهُ : مَا شَأْنُكَ وَهَذَا ؟ فَقَالَ : إِنَّهُ بُغْيَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِي أَهْدَرَ
دَمَهُ وَجَعَلَ لِمَنْ دَلَّ عَلَيْهِ مَائَةً أَلْفَ دِرْهَمٍ . فَقَالَ : دَعْهُ . وَقَالَ لِعَلَامِهِ : انْزِلْ عَنِ
دَابِّتِكَ ، وَاحْمِلْ الرَّجُلَ عَلَيْهَا .

فَصَاحَ الرَّجُلُ الْمُتَعَلِّقُ بِهِ وَصَرَخَ وَاسْتَجَارَ بِالنَّاسِ ، وَقَالَ : أَيُّحَالُ بَيْنِ وَبَيْنِ
بُغْيَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ؟ فَقَالَ لَهُ مَعْنُ : اذْهَبْ قَلْ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَخْبِرْهُ
أَنَّهُ عَنْدِي .

فَانْطَلَقَ الرَّجُلُ إِلَى الْمُنْصُورِ وَأَخْبَرْهُ ، فَأَصْرَمَ الْمُنْصُورَ بِإِحْضَارِ مَعْنَ فِي السَّاعَةِ ؛
فَلَمَّا وَصَلَ أَمْرُ الْمُنْصُورَ إِلَى مَعْنَ دَعَا جَمِيعَ أَهْلِ بَيْتِهِ وَمَوَالِيهِ وَأَوْلَادَهُ وَأَقْارَبَهُ
وَحَاشِيَتِهِ ، وَجَمِيعَ مَنْ يَلُوذُ بِهِ ؛ وَقَالَ لَهُمْ : أَقْسِمْ عَلَيْكُمْ أَلَا يَصْلَ إِلَى هَذَا الرَّجُلِ
مَكْرُوهٌ أَبْدًا ؟ وَفِيمَ عَيْنَ تَأْرُفٍ .

* ذيل غرارات الأوراق للجموي : ١٦٧ ، غرر الحصائر : ١٧

(١) كان معن بن زائدة جواداً شجاعاً، جزيل العطاء، كثير المعروف مدحه مقصوداً، وكان في أيام بني أمية متقللاً في الولايات ومنقطعاً إلى بزيده بن عمر بن هبيرة الفزارى، فلما كانت أيام المنصور اتصل به بعد أحداث، وصار من خواصه، وتوفي سنة ١٥٨ .

ثُمَّ إِنَّهُ سَارَ إِلَى الْمَنْصُورِ؛ فَدَخَلَ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ، فَلَمْ يَرَدْ عَلَيْهِ الْمَنْصُورُ السَّلَامَ، ثُمَّ
قَالَ لَهُ: يَا مَعْنَى؟ أَتَتَجَرَّأُ عَلَىَّ؟ قَالَ: نَعَمْ، يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! فَقَالَ الْمَنْصُورُ: وَنَعَمْ أَيْضًا!
وَقَدْ اشْتَدَّ غَضْبُهُ . فَقَالَ مَعْنَى: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ كَمْ مِنْ مَرَةٍ تَقْدَمَ فِي دُولَتِكَ بِلَائِنِ ،
وَحُسْنُ غَنَائِي^(١)؟ وَكَمْ مِنْ مَرَةٍ خَاطَرْتُ بِدِمِي؟ أَفَمَا رَأَيْتُمُونِي أَهْلًا لِأَنْ يُوَهَّبَ لِي
رَجُلٌ وَاحِدٌ اسْتَبْجَارٌ بَيْنَ النَّاسِ ، يُوَهَّبُهُ أَنِّي عَبْدٌ مِنْ عَبْدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَكَذَلِكَ
أَنَا! فَرَبِّ بِمَا شَاءَتْ ، وَهَانَدَا بَيْنَ يَدِيكَ!

فَأَطْرَقَ الْمَنْصُورُ سَاعَةً ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ ، وَقَدْ سَكَنَ مَا بِهِ مِنْ الْفَضْبِ ، وَقَالَ لَهُ:
قَدْ أَجَرَ نَاهَ لَكَ يَا مَعْنَى . فَقَالَ لَهُ مَعْنَى: إِنَّ رَأْيَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يُجْمَعَ بَيْنَ الْأَجْرَيْنِ
فَأَمْرَرَ لَهُ بِصَلَةٍ أَحْيَاهُ وَأَغْنَاهُ .

فَقَالَ الْمَنْصُورُ: قَدْ أَمْرَنَا لَهُ بِخَمْسِينَ أَلْفَ دَرَمٍ . فَقَالَ مَعْنَى: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟
إِنْ صَلَاتِ الْخُلُفَاءِ عَلَى قَدْرِ حِنَّاياتِ الرَّعْيَةِ ، وَإِنْ ذَنْبَ الرَّجُلِ عَظِيمٌ ، فَأَجْزِلْ لَهُ
صِلَّتَهُ . قَالَ: قَدْ أَمْرَنَا لَهُ بِمَائَةِ أَلْفِ دَرَمٍ . فَقَالَ لَهُ مَعْنَى: عَجَّلْنَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ،
فَإِنَّ خَيْرَ الْبَرِّ عَاجِلٌ ، فَأَمْرَرْتَعْجِيلَهَا؛ فَحَمِلَهَا وَانْصَرَفَ؛ وَأَتَى مَنْزَلَهُ؛ وَقَالَ: لِلرَّجُلِ:
يَارَجُلُ؟ خُذْ صِلَّتَكَ وَالْحَقَّ بِأَهْلِكَ؛ وَإِيَّاكَ وَمُخَالَفَةُ الْخُلُفَاءِ فِي أَمْرَوْهُمْ بَعْدَ هَذِهِ .

(١) الْفَنَاءُ : النَّفَمُ .

١٠٩ — معن بن زائدة والأسود*

قال معنُ بن زائدة : لما هربت^(١) من المنصور خرجتُ من باب حرب ، بعد أن أقتلتُ في الشمس أيامًا ، وخففتُ لحيتي وعارضتَ ، ولبسْتُ جبةً صوفٍ غليظةً ، وركبتُ جملًا ، وخرجتُ عليه لأمضِي إلى الباشية ، فتبَعَّنِي أسود متقدلٌ سيفاً ، حتى إذا غبتُ عن الحرس ، قبض على خطام^(٢) الجمل فأناخه ، وقبضَ على ، فقلت : ما شأْنُك ؟ فقال : أنتَ بغيةُ أمير المؤمنين ! فقلتُ له : ومنْ أنا حتى يطلبني أمير المؤمنين ؟ فقال : معنُ بن زائدة . فقلت : ياهذا ، اتقِ الله ! وأين أنا منْ معن ؟ فقال : داعً هذا عنكَ ، فأنَا والله أعرفُ بك . فقلت له : فإنْ كانت القصةُ كاتقول ، فهذا جوهر حملته معى بأضعافٍ مابذله المنصور لمن جاءه بي ، فهذه ولا تسفِك دمي .

قال : هاته ، فآخرجتُ إليه ، فنظر إليه ساعةً ؛ وقال : صدقتَ في قيمته ، ولستُ قابله حتى أسألك عن شيءٍ ، فإنْ صدقتنِي أطلقتكَ ؛ فقلت : قل ، فقال : إن الناس وصفوك بالجود ، فأخبرني : هل وهبتَ قطًّ مالكَ كله ؟ قلتُ : لا ، قال : فنصفه ؟ قلت : لا ، قال : فثلثه ؟ قلت : لا ؟ حتى بلغ العشر ، فاستحبَّيتُ ، وقلت :

* نهاية الأرب : ٣ - ١١ ، عصر الأمون ٢ - ١٩٧ .

(١) كان سبب غضب المنصور أن معنا كان منقطعاً إلى يزيد بن عمر بن هبيرة في عهد بن أبيمية، فلما كان عهد المنصور وجرى القتال بين المنصور ويزيد انضم معن إلى يزيد وأبل بلاء حسناً حتى قتل يزيد ، فهرب معن وطلب المنصور مُعفا عنه بعد ذلك .

(٢) خطام الجمل : كل جبل يعلق في حلقة العير مُعقد على أنفه .

أَظْنَنَ أَنِّي قَدْ فَعَلْتُ هَذَا ! قَالَ : مَا ذَاكَ بِعَطِيمٍ ! أَنَا وَاللَّهِ رَاجِلٌ^(١) وَرِزْقِي مِنْ
أَبِي جَعْفَرٍ عَشْرُونَ دَرْهَمًا ، وَهَذَا الْجَوْهَرُ قِيمَتُهُ أَلْفُ دِينَارٍ ، وَقَدْ وَهَبْتُهُ لَكَ ، وَوَهْبَتُكُ
لِنَفْسِكَ ، وَلَجُودِكَ الْمُأْتُورُ بَيْنَ النَّاسِ ! وَلِتَعْلَمَ أَنَّ فِي الدُّنْيَا مَنْ هُوَ أَجْوَدُ مِنْكَ ،
فَلَا تَعْجِبْكَ نَفْسُكَ ، وَلَا تُحْقِرْ بَعْدَ هَذَا كُلَّ شَيْءٍ قُطْعَلَهُ ، وَلَا تَتَوَقَّفُ عَنْ مَكْرُمَةٍ ، ثُمَّ
رَمَى بِالْعَدْلِ إِلَيْهِ ، وَخَلَى خَطَامَ الْجَلْ وَانْصَرِيفَ .

فَقَلَتْ : يَا هَذَا ! قَدْ فَضَحَّتَنِي ، وَلَسْفَكَ دَمِي أَهُونُ عَلَى مَا فَعَلْتَ ، فَخُذْ
مَادَفَعْتُهُ إِلَيْكَ ، فَإِنِّي عَنْهُ فِي غَنِيٍّ ؛ فَضَحَّكَ هُنْمَ قَالَ : أَرَدْتَ أَنْ تَكَذِّبَنِي فِي مَقَامِي
هَذَا ! فَوَاللَّهِ لَا آخِذُهُ ، وَلَا آخِذُ لِمَعْرُوفٍ ثُمَّنَا أَبْدًا ، وَمَضِيَ .

فَوَاللَّهِ لَقَدْ طَلَبْتُهُ بَعْدَ أَنْ أَمِنْتُهُ ؛ وَبِذَلِكَ لَمْ يَجِدْ بِهِ مَا شاءَ ، فَمَا عَرَفْتُ لَهُ
خَبَرًا ، وَكَانَ الْأَرْضُ ابْتَلَعْتُهُ .

(١) الرَّاجِلُ : سَدُّ الْفَارَسِ ،

* ١١٠ - عقید المجد والجود *

كان لمعن زائدة شاعر^{*} ينشي مجلسه في كل يوم ، فاقطع عنه أياماً ، فلما دخل عليه قال : ما أبطأك ؟ قال : ولد لي مولد ! قال : فما سميتها ؟ قال : سميت[†] معناً بمعن ، ثم قلت له : هذا سمى عقید المجد والجود^(١) قال : ياغلام ؛ أعطه ألف دينار ، وقل بيتأ آخر ؛ فقال : سما بجودك جود الناس كلهم فصار جودك محراب الأجاويد^(٢) قال : ياغلام ؛ أعطه ألف دينار ، وقل بيتأ آخر ، فقال : أنت الجoward ومنك الجود أوله فإن فقدت فما جود بوجود قال : ياغلام ، أعطه ألف دينار ، وقل بيتأ آخر ، فقال : من نور وجهك تضحي الأرض مشرقة^{*} ومن بنائك يجري الماء في العود قال : ياغلام ، أعطه ألف دينار ، وقل بيتأ آخر ، فقال الغلام : لا تقل شيئاً بعد ذلك ، والله لم يبق في بيت المال إلا ما أخذت ، ثم انصرف .

* المختار من نوادر الأخبار - مخطوط .

(١) هو سمى فلان : إذا وافق اسمه اسم فلان ، وعقید المجد : معاقدة ، أي ملازمته .

(٢) جمع جoward .

* ١١١ — مثلك يُصطنع *

طلب المنصورُ معنَّ بن زائدة زمناً ، وما زال مستتراً حتى كان يوم الماشرية ^(١)
فلمَا وثبَ القومُ على المنصور ، وكادوا يفعلنَه ، وثبت معنٌّ وهو مُتَلِّمٌ ، فانتقضَ
سيفه وقاتل ، فأبلى بلاءً حسناً ، وذبَّ ^(٢) القومَ عنه حتى نجا .

ثم جاءَ المنصور راكِبَ بغلةً ، وجلَّأها ييدَ الربيع ، فقال له : تنحْ فإني أحقُّ
باللجاجِ منك في هذا الوقت وأعظمُ فيه غناه ، فقال له المنصور : صدقَ ، فادفعه إليني !
فأخذَه ، ولم يزلُ حتى انكشفَ تلك الحال .

قال له المنصور : مرأنتِ ؟ الله أبوك ! قال : أنا طليقك يا أمير المؤمنين ؟
معن بن زائدة ! قال قد أمنتَ الله على نفسك ومالك ، ومثلك يُصطنع . ثم أخذَه
معه ، وخلع عليه وجباه وزينَه ، ثم دعا به يوماً فقال له : إني قد أملأتك لأمرِ
فكيف تكونُ فيه ؟ قال : كما يحبُّ أميرُ المؤمنين . قال : وليتُك اليمن
فابسطِ السيفَ فبهم حتى ينقضَ حلف ربيعة واليمن ، وابلغَ من ذلكَ ما يحبُّ
أمير المؤمنين .

* المذهب : ٩ - ٨٨ .

(١) الماشرية : مدينة بناها السفاح بالقرب من الكوفة سنة ١٣٤ هـ . وفيها حبس المنصور
عبد الله بن حسن بن علي بن أبي طالب ومن كان معه من أهل بيته .

(٢) ذب عنه : منع ودفع .

* ١١٢ - نعمة عدوك قلادة في عنق

أرسل المنصور إلى شيخ من أهل الشام - وكان من بطانة^(١) هشام بن عبد الملك بن مروان - فسأله عن تدبير هشام في حربه مع الخوارج ، فوصف الشيخ له ما دبر ، فقال : فعل - رحمه الله - كذا ، وصنع - رحمه الله - كذا ! فقال المنصور : قمْ عليك لعنة الله ! تطاً باسطي وترحم على عدوى ! فقام الرجل ، وقال - وهو مولى : إن نعمة عدوك قلادة في عنق لا ينزعها إلا غسل.

فقال له المنصور : ارجع ياشيخ ، فرجع ، فقال : أشهد أنك حرث شريف ، ارجع إلى حديثك . فعاد الشيخ إلى حديثه ، حتى إذا فرغ دعا له بمال ، فأخذنه ، وقال : والله يا أمير المؤمنين ، مالي إليه حاجة ، ولقد مات عنك كينت في ذكره ، فما أحوجني إلى الوقوف على باب أحدٍ بعده ، ولو لا جلاله أمير المؤمنين وإيتاري طاعته ما ليست نعمة أحدٍ بعده .

فقال المنصور : إذا شئت ، الله أنت ! فلو لم تكن لقومك لكتبت أبقيت لهم بمنداً محلاً وعزًا باقياً .

* المحسن والمساوي : ١١٩ ، (طبع ليزج) .

(١) بطانة الرجل : خاصته .

* ١١٣ — جود عبد الواحد بن سليمان

قال عبد الله بن إبراهيم الجمحي : قلت لابن ^(١) هرمة : أتدخ عبد الواحد
ابن سليمان بشر ما مدحت به غيره فتقول فيه هذا البيت :

وَجَدْنَا غَالِبًا كَانَتْ جَنَاحًا وَكَانَ أَبُوكَ قَادِمَةً ^(٢) الْجَنَاح

ثُمَّ تَقُولُ فِيهَا :

أَعْبَدَ الْوَاحِدَ الْيَمَونَ إِنِي أَغَصَّ حِذَارَ سُخْطَكَ بِالْقَرَاحِ ^(٣)
فِيَّا شَيْءَ اسْتَوْجِبَ ذَلِكَ مِنْكَ ؟ فَقَالَ : إِنِي أَخْبُرُكَ بِالْقَصَّةِ لِتَعْذِيرِنِي :
أَصَابَنِي أَزْمَةٌ بِالْمَدِينَةِ ، فَاسْتَهْضَتِي بَنْتُ عَمِّي لِلْخَرْوَجِ ؛ فَقَلَتْ لَهَا : وَيَحْكُ !
إِنَّهُ لَيْسَ عِنْدِي مَا يَقِنُنِي . فَقَالَتْ : أَنَا أَهْضَكَ بِمَا أَمْكَنْتَنِي ، وَكَانَتْ عِنْدِي نَابٌ ^(٤)
لِي ، فَتَهْضَتْ عَلَيْهَا نَهْجَدُ ^(٥) النَّوَامِ ، وَنَوْذِي السَّمَارِ ، وَلَيْسَ مِنْ مَنْزِلِ أَنْزَلَهُ إِلَّا قَالَ
النَّاسُ : ابْنُ هَرْمَةَ ! حَتَّى دَفَعْتُ إِلَى دِمْشِقَ .

فَأَوْيَتُ إِلَى مَسْجِدِ عبدِ الواحدِ فِي جَوْفِ اللَّيلِ ، فَجَلَسْتُ فِيهِ أَنْتَظِرُهُ إِلَى أَنْ
بَزَغَ الْفَجْرُ ، فَإِذَا الْبَابُ يَنْفَلِقُ عَنْ رَجْلِ كَانَهُ الْبَدْرُ ، فَدَنَّا فَادَنَ ، ثُمَّ صَلَى رَكْعَتِينِ ؛
وَتَأْمَلَتِهِ فَإِذَا هُوَ عبدُ الْوَاحِدِ ، فَقَمَتْ فَدَنَوْتُ مِنْهُ وَسَلَّتْ عَلَيْهِ ؛ فَقَالَ لِي :
أَبُو إِسْحَاقَ ! أَهْلًا وَمَرْحَبًا ؛ فَقَلَتْ : لَبِيكَ ، بَأْبِي أَنْتَ وَأَمِي ! وَحِيَاكَ اللَّهُ بِالسَّلَامِ

* الأغاني : ٦ - ١٠٧ .

(١) اسمه إبراهيم بن علي : شاعر قال عنه الأصمى : إنه أحد من ختم به الشعر وكان مدمناً
للشراب مفرماً به ، وهو من سكان المدينة ، توفي سنة ١٠٥ هـ (٢) القوادم : أربع أو عشر
ريشات في مقدم الجناح ، الواحدة قادمة (٣) القراح : الماء لا يخالطه شيء (٤) الناب :
اثنافة المسنة (٥) نهجد النوام : نوقة لهم ، وهو من الأضداد .

(١٧ قصص - أول)

وَقَرْبَكَ مِنْ رِضْوَانِهِ؟ فَقَالَ: أَمَا آنَ لَكَ أَنْ تَزُورَنَا؟ فَقَدْ طَالَ الْمَهْدُ، وَاشْتَدَّ
الشَّوْقُ، فَاوْرَاءِكَ؟ قَالَ: لَا تَسْلِنِي - بِأَبِي أَنْتَ وَأَمِي - إِنَّ الدَّهْرَ قَدْ أَخْنَى عَلَىَّ؛
فَمَا وَجَدْتُ مُسْتَغْاثَةً غَيْرَكَ؟ فَقَالَ: لَا تَرْعِ (١)؛ فَقَدْ وَرَدْتَ عَلَىَّ مَا تَحْبَثُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.
فَوَاللَّهِ إِنِّي لَا أَخْاطِبُهُ، إِذَا بَلَاثَةً فَتِيهَ قَدْ خَرَجَوْا كُلُّهُمُ الْأَشْطَانَ (٢)، فَسَلُوا
عَلَيْهِ، فَاسْتَدْنِي الْأَكْبَرَ مِنْهُمْ فَهُمْ إِلَيْهِ بَشِّيَّ دُونِي وَدُونِ أَخْوِيهِ، فَضَى إِلَى
الْبَيْتِ ثُمَّ رَجَعَ، فَلَسَّ إِلَيْهِ فَكَلَمَهُ بَشِّيَّ دُونِي ثُمَّ وَلَىَ، فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ رَجَعَ وَمَعَهُ
عَبْدُ صَابِطٍ (٣)، يَحْمِلُ عَبْتَاهُ مِنَ الثِّيَابِ حَتَّىٰ ضَرَبَ بِهِ بَيْنَ يَدِيَ (٤)، ثُمَّ هَمَسَ إِلَيْهِ ثَانِيَّةً
فَمَادَ، وَإِذَا بِهِ قَدْ رَجَعَ وَمَعَهُ مِثْلُ ذَلِكَ، فَضَرَبَ بِهِ بَيْنَ يَدِيَ.

فَقَالَ لِي عَبْدُ الْوَاحِدِ: ادْنُ يَا أَبَا إِسْحَاقَ؛ فَيَقِنِي أَعْلَمُ أَنَّكَ لَمْ تَصْرُ إِلَيْنَا حَتَّىٰ تَفَاقَمَ
صَدْعُكَ؛ خَذْ هَذَا وَارْجِعْ إِلَى عِيَالِكَ، فَوَاللَّهِ مَا سَلَّنَا لَكَ هَذَا إِلَّا مِنْ أَشْدَاقِ
عِيَالِنَا، وَدَفَعَ إِلَى أَلْفِ دِينَارٍ، وَقَالَ لِي: قُمْ فَارْحِلْ فَأُغِثْ مَنْ وَرَاءِكَ.

فَقَمْتُ إِلَى الْبَابِ، فَلَمَّا نَظَرْتُ إِلَى نَاقِتِي ضِيقَتُ؛ فَقَالَ لِي: تَعَالِ، مَا أَرَى هَذِهِ
مُبْلَغَتِكَ . يَاغْلَامُ؟ قَدْمَ لَه جَلَّا . فَوَاللَّهِ لَقَدْ كَنْتُ بِالْجَلْلِ أَشَدَّ سُرُورًا مِنِّي بِكُلِّ
مَا نَلَّتُهُ؛ فَهَلْ تَلَوْنِي أَنْ أَغْصِ حِذَارَ سُخْطِ هَذَا بِالْقَرَاحِ! وَاللَّهِ مَا أَنْشَدَهُ لِي لَتَشَدَّدَ
بِيَتَّا وَاحِدًا .

(١) لَا تَرْعِ - لَا تَخْفَ - لَا تَنْزَعَ (٢) الْأَشْطَانُ: جَمْ شَطَنْ، وَهُوَ الْحَبْلُ الطَّوِيلُ مِ

(٣) ضَابِطٌ: قَوْيٌ شَدِيدٌ (٤) رَىْ بِهِ .

* ١١٤ - أبو حنيفة يرعى الجوار*

كان لأبي حنيفة^(١) جار بالسکوقة يُغَنِّي في غرفته، ويسمع أبو حنيفة غناه
فيجبه، وكان كثيراً ما يغنى:

أضاعوني وأى فتى أضاعوا
ليوم كريمه وسداد^(٢) ثغر
غلقيه العسس^(٣) ليلة فأخذوه وجُبِسَ .

ففقد أبو حنيفة صوته تلك الليلة، فسأل عفه من غدى فأخبره؛ فدعاه سواده
وطويته^(٤) فلبسمها، وركب إلى عيسى بن موسى، فقال له: إن لي جاراً أخذته
عسستك البارحة فجُبِسَ، وما علمت منه إلا خيراً. قال عيسى: سلوا إلى أبي حنيفة
كل من أخذه العسس البارحة؛ فأطلقوا جميعاً؛ فلما خرج الفتى دعا به أبو حنيفة
وقال له سرراً: ألسْتَ كفت تغنى يافتي كل ليلة:

* أضاعوني وأى فتى أضاعوا *

فبلى أضعناك؟ قال: لا والله، ولكن أحسنت وتكرمت، أحسن الله
جزاءك. قال: فعد إلى ما كنت تغنى، فإني كنت آنس^١ به، ولم أربه بأساً،
قال: أفعل!

(*) الأغاني: ٤١٤-١.

(١) هو النعمان بن ثابت من موالى تميم الداري بن ثعلبة، دعاه ابن هبيرة للقضاء فأبى ومات يعتقد
سنة ١٥٠ هـ (٢) سداد الشر: سده بالحيل والرجال (٣) العسس: جمع عاس وهو الذي
يطوف بالليل يحرس الناس ويكشف أهل الريبة (٤) الطويلة: الفلنسوة العالية المدمعة بميدانه
وكان السواد شعاراً لبني العباس.

* - يُؤْمِنُ اللَّهُ الصِّدْقَاتُ ١٠٥

قال سوار : انصرف يوماً من دار المهدى^(١) ، فلمـا دخلت منزل دعوت بالطعام فلم تقبله نفسى ، فأمرت به فرـفع ، ودخلت وقت القائلة فلم يأخذنى نوم ، فنهضت وأمرت بىغله لى فأسرجـت وأحضرـت ، فركبتـها .

فَلَمَّا خَرَجَتْ أَسْتَقْبَلَنِي وَكِيلُ لِي، وَمَعَهُ مَال، قَوْلَتْ : مَا هَذَا ! فَقَالَ: أَلْفَادِرْهُمْ جَبِيْتُهَا مِنْ مُسْتَغْلَكَ الْجَدِيدِ . قَوْلَتْ: أَمْسِكْهَا مَعَكَ وَاتَّبِعْنِي .

فخلّيت رأس البغة حتى عبرت الجسر، ثم سرت حتى انتهيت إلى الصحراء، ثم رجعت إلى باب الأنبار، فاتهيت إلى باب دار لطيف، عليه شجرة، وعلى الباب خادم، فوقفت وقد عطشت؛ فقلت للخادم: عندك ما تُسقِّيني؟ قال: نعم! وقام، فأخرج قلة نظيفة طيبة الرائحة، عليها منديل، فتناولني فشربت، وحضر وقت العصر فدخلت مسجداً، فصلّيت فيه.

فَلِمَا قُضِيَتْ صَلَاتِي إِذَا أَنَا بِأَعْمَى يَتَلَمَّسُ الْبَطْرِيقَ ، فَقُلْتَ : مَا تَرِيدُ يَا هَذَا ؟ قَالَ : إِيَّاكَ أَرِيدُ ! قَلْتَ : وَمَا حَاجَتِكَ ، فَجَاءَ حَتَّى قَعَدَ إِلَيْهِ وَقَالَ : شَمِّتْ مِنْكَ رَائِحَةً طَيِّبَةً ، فَظَنَّتْ أَنَّكَ مِنْ أَهْلِ النَّعِيمِ ، فَأَرْدَتْ أَنْ أَلْقِي إِلَيْكَ شَيْئًا . فَقُلْتَ : قَلْ . قَالَ : تَرِى بَابَ هَذَا الْقَصْرِ ؟ قَلْتَ : نَعَمْ ، قَالَ : هَذَا قَصْرُ كَانَ لِأَبِي فَبَاعَهُ ، وَخَرَجَ إِلَى خُرَاسَانَ وَخَرَجَتْ مَعَهُ ، فَزَالَتْ عَنِ النَّعْمَ الَّتِي كَفَّا فِيهَا ، وَعَيْتَ ، فَقَدِمَتْ هَذِهِ

* العقد الفريد للملك السعيد : ١٢٣

(١) هو محمد بن عبد الله ، ولد بعد وفاة أبيه سنة ١٥٨ هـ ، وكان محمود المسيرة محباً إلى الرعية بواداً توفى سنة ١٦٩ هـ .

لدينة ؟ فأتتني صاحب هذه الدار لأسأله شيئاً يَصِلُّنِي به وأتوصل به إلى سوراً ؟
إنه كان صديقاً لأبي . قلت : ومن أبوك ؟ قال : فلان ابن فلان :

قال : فإذا هو كان أصدق الناس لي ، فقلت له : ياهذا ؟ فإن الله تعالى قد أتاك
سوراً ؛ ومنعه النوم ، والطعام والقرار حتى جاء به فأقعده بين يديك . ثم دعوت
لوكيلاً ، فأخبزت الدراما منه ، فدفعتها إليه ؛ وقلت له : إذا كان غَدَّ فصر إلى
سربى ؟ ثم مضيت فقلت : ما أَحَدَثْتُ أمير المؤمنين المهدى بشىء أَظْرَفَ من هذا .
فاتته فاستاذته عليه فاذن لي ، فلما دخلت عليه حدثته ، فأعجبه ، ثم أمرني
بأنفي دينار ، وقال : ادفعها إلى الأعمى . فهضت ، فقال : اجلس ، أعليك دين ؟
قلت : نعم ! قال : كم دينك ؟ قلت : خسون ألف درهم ! فامسك ، وجعل يجادلني
ساعة ، وقال : امض إلى منزلك . وإذا بخادم معه خسون ألفاً ، وقال : يقول لك
أمير المؤمنين : اقض بها دينك ؛ فقبضت ذلك منه .

فما كان من الغد أبطأ على الأعمى ، وأتاني رسول المهدى يدعوني ، فحيثته ،
قال : فكررت البارحة في أمرك ، فقلت : يقضي دينه ، ثم يحتاج إلى الفرض
أيضاً ، فأمرت لك بخمسين ألف درهم أخرى . فقبضتها ، ثم انصرفت !
نجاني الأعمى ، فدفعته إليه الألفين ، وقلت له : قد رزق الله تعالى بكرمه -
بإسداء المعروف إليك - بأضعف ذلك ، ثم أعطيته شيئاً آخر من ماله ، وجهزته
وانصرف .

١١٦ - العرق دَسَاسُ *

قال عثمان بن سليمان :

خرجتُ في فَقَرٍ من هُذيل من أهل البصرة ، نزيد باديةً في أمْرِ طَرَقَهُمْ ،
وكان مسيِّرُنا ثلثاً ، فنزلنا في الليلة الأولى على حِيٍّ من بني مازن ، فقصدنا يتنا
رَحْبَاً فإذا بيابه رجلٌ وأمرأةٌ ، وما صاحبا البيت ، فسلمنا فردت المرأةُ السلام ،
وحيت ، وأظهرت بشرًا وبشاشة ، وأعرض الرجل وأظهر تبرّماً وتضجّراً .

قالت لنا المرأة : انزلوا بالرُّحْب والسَّعَة ، فقال الرجل : ما عندنا موضع لنزولكم
 فقالت المرأة : سبحان الله ! تقول هذا اِضيافان^(١) قد حلوا بنا ، ووجب حُقُّهم
 علينا ؟ ! انزلوا بارك الله فيكم ؛ فظهر مِنَ الْفَقَاضِينَ وغفور لما سمعنا من بَعْلَهَا ، فقالت :
 لا يُحَشِّمُكُم^(٢) ما سمعتم منه ! فإن له فيما أبداه من ذلك عذراً !

وأمرت أتباعها فأخذوا بنا وأزلونا ، وانطلق بعثُلها كالحَّارِّ^(٣) وجهه كالمغضب؛
فكثير منه تعجبنا ، إذ لا نعرف ذلك من أخلاق العرب !

وَبَتَنَا لِيَلْتَنَا خَيْرٌ مُبِيتٌ ، مَا تَرَكَتِ الْمَرْأَةُ كَرَامَةً إِلَّا أَكْرَمَتَنَا بِهَا .
وَأَصْبَحَنَا فَأَخْذَنَا الطَّرِيقَ حَتَّى أَمْسِيَنَا فِي حَيٍّ آخَرَ ، فَقَصَدْنَا بَيْتًا ضَخْماً ، فَإِذَا
بِبَابِهِ رَجُلٌ وَامْرَأَ ؛ وَهَا صَاحِبَا الْبَيْتِ ، فَسَلَّمَنَا فَرِدٌ الرَّجُلُ السَّلامُ ، وَحِيَا وَأَظْهَرَ
بِشَاشَةً وَبَشَراً . وَأَعْرَضَتِ الْمَرْأَةُ ، وَأَظْهَرَتْ تَبَرُّهَا بِنَاءً كَرَاهَةً لِمَكَانِنَا .

قالَ لِنَا الرَّجُلُ: انْزِلُوا بِالرُّبْخِ وَالسَّعْدَةِ. فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ: وَكَيْفَ تُنْزِلُنِي

*) المنشق من أخبار الأصماعي :

(١) جم ضيف . (٢) أحشمه : أخجله وأغضبه . (٣) كالح : عابس .

وَمَا عَنْدَنَا مَا يُصْلِحُهُمْ؟ فَقَالَ الرَّجُلُ: سَبَحَانَ اللَّهِ! تَقُولُنِي هَذَا لِضِيقَانِ قَدْ حَلَّوْنَا بِنَا؟
وَوَجْبُ حَقِّهِمْ عَلَيْنَا! انْزَلُوا بَارِكَ اللَّهُ فِيهِمْ، فَإِنَّ عَنْدَنَا الَّذِي يُصْلِحُهُمْ!

فَظَهَرَ مِنَّا اتِّهَامٌ شَدِيدٌ لِمَا سَمِعْنَا مِنْ زَوْجِهِ، فَقَالَ: لَا يُخْسِنُنَّكُمْ مَا سَمِعْتُمْ
مِنْ هَذِهِ الْمَرْأَةِ؛ إِنَّ لَهَا فِيهَا أَبْدَهَةً مِنْ ذَلِكَ عَذْرًا! وَأَمْرُ أَتَبَاعِهِ فَاحْدُقُوا بِنَا وَأَنْزَلُونَا،
وَدَخَلَتِ الْمَرْأَةُ الْبَيْتَ مُفْضِبَةً، فَأَطَلَّنَا الْمُنَاجَاهَةَ فِيهَا يَنْتَنَا، نَعْجَبٌ مِنَ الْأُولَى وَزَوْجِهِ،
وَمِنْ هَذَا وَزَوْجِهِ وَنَفْوُلُ: مَا فِي جَمِيعِ الْعَرَبِ كَذَلِكَ الْبَيْتُ، وَلَا كَذَا الْبَيْتُ!
وَلَوْلَمْ يُفْدِي وَجْهَنَا هَذَا إِلَّا مَا شَاهَدْنَا مِنْ هَذَا الْأُمْرِ لَكَانَ ذَلِكَ فَائِدَةً تُؤْثِرُ
وَتُذَكِّرُ. وَصَاحِبُ الْبَيْتِ يَتَأْمَلُنَا وَيُصْفِي إِلَيْنَا.

ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا، فَقَالَ: مَنْ أَنِّي خَرَجْتُمْ؟ قَلْنَا: مِنَ الْبَصْرَةِ. قَالَ: وَمَتِي
فَارْقَمْتُوهَا؟ قَلْنَا: غَدَاءَ أَمْسِ. قَالَ: فَيَمَنَّ بِتُّ الْبَارَخَةِ؟ قَلْنَا: بَيْنَ فَلَانَ. قَالَ:
وَفِي مَنْزِلِ مَنْ؟ قَلْنَا: فِي مَنْزِلِ رَجُلٍ يَقَالُ لَهُ فَلَانُ. قَالَ: إِنِّي رَأَيْتُكُمْ تَتَعَدَّثُونَ
بِيَنْكُمْ حَدِيثَنَا تَكْثِرُونَ مِنْهُ التَّعْجِبُ، فَمَا ذَلِكُ.

قَلْنَا: إِذَنْ وَاللَّهُ نُخْبِرُكَ: إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْأُمْرِ كَذَا وَكَانَ كَذَا، فَقَالَ:
قَدْ ظَنَنْتُ ذَلِكَ، أَفَلَا أَخْبَرُكُمْ بِمَا هُوَ أَعْجَبُ مَا تَتَعَجَّبُونَ مِنْهُ؟ قَلْنَا: بَلِي! قَالَ:
أَعْلَمُوا - حَيَّا كَمِ اللَّهِ - أَنَّ تَلِكَ الْمَرْأَةَ الَّتِي بَتَّ بِبَيْتِهَا أَخْتَي لَأَبِي وَأَمِي، وَأَنَّ ذَلِكَ
الرَّجُلَ أَخْوَ زَوْجِي هَذِهِ لَأَبِيهَا وَأَمِهَا، وَالَّذِي رَأَيْتُمْ مِنْ جَمَاعَتِنَا خُلُقُ جُبِلَنَا عَلَيْهِ،
لَا تَكْلَفَ فِيهِ!

قَلْنَا: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَبَلَكَ عَلَى أَخْلَاقِ الْكُرَمَاءِ مِنِ الرِّجَالِ!

١١٧ - إِنَّ بَعْدَ الْعُسْرِ يَسِّرًا *

قال إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْمُوَصَّلِي :

لَمَّا دَخَلَ الرَّشِيدَ^(١) الْبَصَرَةَ حَاجَّاً كَنْتُ مَعَهُ ، فَقَالَ لِي جَعْفَرُ^(٢) بْنُ يَحْيَى
يُومًا : يَا أَبا مُحَمَّدَ ، وَصِفْتُ لِي جَارِيَةً مَغْنِيَةً حَسَنَاءَ تَبَاعَ ، وَذَكَرُوا أَنَّ مُولَاهَا
مُمْتَنَعٌ عَنْ عَرْضِهَا إِلَّا فِي دَارَهُ ، وَقَدْ عَزَّمْتُ أَنْ أَرْكِبَ مَتَخْفِيًّا فَأَرْاهَا ، أَفْتَسَاعِدُنِي ؟
فَقُلْتُ : السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ .

فَلَمَّا كَانَ فِي نَصْفِ النَّهَارِ حَضَرَ النَّخَاسُ^(٣) فَأَعْلَمَ بِحُضُورِهِ ، فَجَرَجَ جَعْفَرُ بِعَامَةَ
وَطِيلَسَانَ وَنَعْلَ عَرْبَيَةَ ، وَأَمْرَنَى فَلَبِسَتْ مُثْلَهُ ، وَرَكِبَنَا حَمَارَيْنِ قَدْ أَسْرَ جَانِبَنَا بِسَرِوجٍ
التَّجَارَ ، وَرَكِبَ النَّخَاسَ مَعَنَا ، وَتَخَلَّلَنَا الظَّرِيقَ ، حَتَّى أَتَيْنَا دَارَأً ذَاتَ بَابٍ يَدْلُّ عَلَى
نَعْمَةِ قَدِيمَةٍ .

فَقَرَعَ النَّخَاسُ الْبَابَ ، وَإِذَا شَابَ حَسَنُ الْوَجْهِ عَلَيْهِ آثارٌ ضَرِّ بَادٍ ، وَعَلَيْهِ
قِيسُ ، فَفَتَحَ وَقَالَ : اِنْزُلُوا يَا سَادَةً . فَدَخَلْنَا ، وَإِذَا بِدَهْلِيزَ^(٤) ، وَدَارَ قَوَاءَ^(٥) خَرِبَةً ،
فَأَخْرَجَ لَنَا الرَّجُلُ قَطْعَةً مِنْ حَصِيرٍ كَبِيرٍ خَلَقَ ، فَفَرَشَهَا لَنَا ، فَجَلَسْنَا عَلَيْهَا ، وَقَالَ لَهُ
النَّخَاسُ : أَخْضِرْ لَنَا الْجَارِيَةَ ؟ فَقَدْ حَضَرَ الْمُشْتَرِي .

(*) الفرج بعد الشدة : ١٧٣-٢.

(١) انظر صفحة ١١٠ (٢) كان جعفر من علو القدر ، ونفذ الأمر وبعد المهمة وعظم المخل
ووجلة المزيلة عند هارون الرشيد بحال انفرد بها ، وكان سمع الأخلاق طلق الوجه ظاهر البشر ،
جواداً سخيناً معطاء ، فصيحاً لستا بلينا ، قتلها الرشيد في خبر مشهور سنة ١٨٧ هـ (٣) النخاس :
بياع الرقيق والدواجن . (٤) الدهليز : ما بين الباب والمدار (٥) القواء : الواسعة .

دخل البيت ، وإذا بجارية قد خرجت في القميص الغليظ الذي كان على الفتى بيته ؛ وهي فيه مع خشونته كأنها في الحلى والحلل لحسن وجهها ؛ وفي يدها عود ، فأمرها جعفر بالفناء فجسته ، وضررت ضر بأسنا ، واندفعت تغنى غناء جيلا . ثم غلبها البكاء حتى منعها الغناء ؛ وسمينا من البيت نحيب الفتى ؛ وقامت الجارية تتعرّض في قيصها حتى دخلت البيت ، فارتقت لهما ضجة بالبكاء والشهيق ؛ ثم خفتا حتى ظتنا أنهما قد ماتا ؛ وهمنا بالانصراف ، فإذا بالفتى قد خرج ، وعليه ذلك القميص بيته ؛ فقال : أيها القوم ، اعدروني فيما أفعله وأقوله . فقال له جعفر : قل ؟ فقال : أشهد الله وأشهدكم أن هذه الجارية حرة لوجه الله تعالى ، وأسألكم أن تزوجوني بها !

فتغير جعفر أسفًا على الجارية ، ثم خاطبها ، فقال : أترغبن أن أزوجك من مولاك ؟ قالت : نعم . فزوّجها به .

وأقبل جعفر على الفتى فقال : يا هذا ، ما حملت على ما فعلت ؟ فقال : أنا فلان ابن فلان ، وكان أبي من وجوه هذا البلد وميسيره ، وهذا يعرف ذلك - وأشار إلى النحاس - وأنه أسلمني إلى المكتب^(١) . وكانت لأمي صبية وسنه قريب من سني - وهي جاريتي هذه - وكانت معى في المكتب تتعلم ما أعلم ، وتنصرف معى ، فكبرت ؛ ثم علمت الغناء ؛ فكنت أتعلمه منها .

ثم خطبني وجوه أهل البصرة لبنيتهم ؛ فخيرني أبي ، فأظهرت له الرُّهْد في التزويج ، ونشأت متوفراً على الأدب ، متقلباً في نعمة أبي ، غير متعرض لما يتعرض له الأحداث ، ورغبة أهل البلد تزداد في ، وعندم أن عفتي لصلاح . وما كانت

(١) المكتب : موضع التعليم .

إلا لأنى بالجارية ؟ وأن رغبتي لا تتعدّها . وبلقت الجارية في الفناء ما قد سمعته ، فزرت أمي على بيتها ، وهي لا تعلم ما في نفسي منها ، فأحسست بالموت ، واضطررت إلى أن صدقت أمي بما نفسي ، فحدّثت أبي ؛ فأجمع رأيهما على أن وهما الجارية لي ، وجهزها كما يجهز أهل البيوتات^(١) بناتهن ، وجُلِيت على وعمل لى العرس الحسن . فنعت معها دهراً ، ثم مات أبي فلم أحسن أن أرب^(٢) نعمته ، فأسأت تدبيرها ، وأسرعت في الأكل والشرب وغيرها من المتع ، إلى أن تلفت النعمة ، وأفضت الحال إلى ما تردون ، فأنا على هذا منذ سنين !

فلا كان هذا الوقت بلغني دخول الخليفة ووزيره وأكثر أهل مملكته بالبصرة ، فقلت لها : يا أختي ، إن شبابك يبلى ، وعمرك في الدنيا ينقضي ، ووالله ما في نفسي رغبة في بيعك ؛ فإني أعلم أنى تالف متى فارقتك ، ولكنني أوثر تلقي مع وصولك إلى نعمة ورفاهية ، فدعيني أعرضك ، فعلمه يشتريك بعض هؤلاء الميسير^(٣) ، فتسكوني معه في رغد من العيش ، فإن مت بعدك فقلبك أمنيتي ؛ ويكون كل واحد منا تخلص من الشقاء ، وإن حكم الله عز وجل على بالبقاء صبرت لفضل الله ، واضطربت في معاشى بمنك .

فبكى من ذلك وقلقت ثم قالت : أفعل ، ففرجت إلى هذا النخاس وأطلعته على أمري ، وقد كان يسمع غناءها في أيام نعمتي ، وعرف حالمها وحالها ، وأذ أني لا أعرضها أبداً إلا عندى ، فإنها والله ما تسلقت عتبة هذه الدار قط ،

(١) البيوتات : جم بيت ، وهو جم بيت . (٢) أزيدوها وأصلحها (٣) ميسير : جم مسرور وهو الغنى .

وأردت بذلك أن يراها المشترى وحده ، ولا تتهنَّ بسوق ولا دخولٍ إلى بيت الناس ؛ وإنه لم يكنْ لها ماتلبسُه إلا قميصي هذا ، وهو مشترك بيننا ، ألبسُه إذا خرجتُ لابتياعِ القوت وتنشح هى بازارها ، فإذا جئتُ إلى البيت ألبستُها إياه وانشختُ أنا بالإزار .

فلا جنتا خرجتْ ففتحتْ ، فلتحقني من البكاء والقلقِ أمرٌ عظيم ، ودخلتْ إلى وقالتْ لى : يا هذا ، ما أعجب أمرك ! أنت مللتَنِي وأثرتَ فراقى ، وتبكي هذا البكاء علىِ ! قلتْ : يا هذه ، والله لغلاقُ نفسى أسهلُ علىِ من فراقك ، وإنما أردتُ أن تخلصى من هذا الشقاء . قالتْ : والله يامولاى ، لو تملَّكتُ منك ما تملَّكتَه مني مابعدك أبداً ، وأموتُ جوعاً ، فيكونُ الموت هو الذى يفرق بيننا .

قالتْ : لا عليك ! أتريدين أن تعلمى صدق قولى ؟ قالتْ : نعم ، قلتْ : هل لك أن أخرج الساعةَ إلى المشترى ، فأعتيقك بين يديه وأتزوجك ، ثم أصيرَ معكِ على ما نحنُ عليه إلى أن يأتيَ الله بفرجٍ أو موت وراحة ؟ قالتْ : إن كنتَ صادقاً فافعل هذا ، فما أريدُ غيرك . خرجمتُ إليكم ، وكان مني ماعلمتمْ ، قاعذرونى .

قال إسحاق : فقال جعفر : أنت معدور ونهض ، فتهضتْ معه والذخاس ، فلما قدَّمتَ المثير لنزركَ دنوتُ منه قلتْ : يا سبحان الله ! مثلتُ فى جودك ترى هذه الفاقة ، ولا تتهزَّ الفرصةَ فيها ! والله لقد تقطعتْ قابى على الفتى . فقال : ويحلك ! وقلبي والله ! ولكنَّ غيظى من فوتِ الجارية منعنى من التكريم عليه . قلتْ : فأين الرغبة في الثواب ! فقال : صدقتَ والله !

ثم التفت إلى النخاس فقال له : كم كان الخادم سَلَّمَ إليك عند ركوبنا لتنها ؟
قال : ثلاثة آلاف دينار ، قال : فأين هي ؟ قال : مع غلامي ، فقال لي وللنخاس :
خذها وادفعها إلى الفتى ، وقولا له : يكتسى ويركب ويحيى لأحسن إليه
وأستخدمه .

فرجعت إلى الفتى وأنا أبكي ، قلت له : قد عجل الله عزّ وجّل لك بالفرج ؛
إن الذي خرج من عندك هو الأمير جعفر بن يحيى البرمكي ، وقد أمر لك بهذا ،
وهو يقول لك : كذا وكذا ... فصُعق حتى قلت : قد تلقت ! ثم أفاق فاقبل يدعو
ويشكّرني ، فركبت فلحت بجعفر ، فأخبرته ، فحمد الله عزّ وجّل على ما وفقه له ،
وعاد إلى داره وأنا معه .

فلما كان المساء جئنا إلى الرشيد ، فأخذ يسأل جعفرًا عن حاله في يومه ، وهو
يخبره بالأمور السلطانية ، ثم قص عليه حديث الفتى والجارية ، فقال له الرشيد :
فأعملت ؟ فأخبره ، فاستصاب^(١) رأيه وقال : وقع له برقٍ سلطاني في رسم
أرباب النعم ، في كل شهر كذا وكذا ، واعمل بعد ذلك ما شئت .

فلما كان من الغد جاءنى الفتى راكبًا بثيابٍ حسنة ، وهيئة جميلة ، فإذا هو
أحلى الناس كلامًا ، وأنهى أدبًا ؛ فحملته معى إلى جعفر ، وأوصلته إلى مجلسه ، فأمر
بنسبيل وصوله إليه وخلطه بخاشيته ، ووقع له عن الخليفة بما كان رسمه له ، وعن
نفسه بشيء آخر .

وشاع حديثه بالبصرة وفي أهل العسكر ، فلم يبق فيما متظرف إلا أهدى
إليه شيئاً جلماً ، فما خرجنَا من البصرة إلا وهو رب نعمةٍ صالحة !

(١) استصابه : استتصو به .

١١٨ - لا أسائل سواك ولو سفقتُ التراب *

ركب محمد بن إبراهيم الإمام دين ، فركب إلى الفضل^(١) بن يحيى ، ومعه حقة^(٢) فيها جوهر ؛ فقال له : قصرت بنا غالتنا ، وأغفل أمرنا خليفتنا ، وتزايدت مثونتنا ، ولزمنا دين احتجنا لأدائه إلى ألف درهم ؛ فكرهت بذلك وجهي للتجار وإذالة^(٣) عرضي بينهم ، ولكل من يعطيك منهم ، وعمي رهن ثقة بذلك ، فإن رأيت أن تأمر بعضهم بقبضه ، وتحمل المال إلينا !

فدع الفضل بالحقيقة ، فرأى ما فيها ، وختمتها بخاتم محمد بن إبراهيم ، ثم قال له : نجح الحاجة أن تقيم عندنا اليوم . فقال له : إن في المقام على مشقة ؟ فقال : ما يشق عليك من ذلك ؟ إن رأيت أن تلبس شيئاً من ثيابنا دعوت به ، وإن أمرت بإحضار ثياب من متلك . فقام ، ونهض الفضل ، ودعا بوكيله ، وأمره أن يحمل المال ويسلمه إلى خادم محمد بن إبراهيم ، ويسلمه الحقة بما فيها من الجوهر بخاتمه ، ويأخذ خطته بذلك . ففعل الوكيل ؛ وأقام محمد عنده إلى المغرب ، وليس عنده شيء من الخبر .

ثم انصرف إلى منزله فرأى المال ، وأحضر له الخادم الحقة ؛ فلما على الفضل ليشكره ؛ فوجده قد سبقه بالركوب إلى دار الرشيد ؛ فوقف منتظرًا ، فقيل له : قد خرج من الباب الآخر قاصداً منزله . فانصرف عنه .

* الوزارة والكتاب : ١٩٦ .

(١) هو الفضل بن يحيى بن خالد بن برمك ، وكان من أكثر البرامة كرماً وجوداً ، وله في ذلك الأخبار السائرة ، ولاه الرشيد الوزارة قبل أخيه حضر ، ثم نقلها منه إلى جعفر وقلده بعمل فخرسان . ومات بعد نكبة البرامة في السجن سنة ١٩٢ . (٢) الحقة : وعاء من خشب .

(٣) ذال الشيء : هان .

ولما وصل إلى منزله وجد أن الفضل قد وجَّه إليه ألف ألف درهم آخر ،
فقدا عليه وشکره وأطال ؛ فأعلمه أنه بات ليته وقد طالت عليه غمَّا باشكة ،
إلى أن لقى الرشيد ، فأعلمه حاله ؛ فأمره بالتقدير له ، ولم يزل يُمَاكِسُه^(١) إلى أن تقرر
الأمر له على ألف ألف درهم ، وأنه ذكر أنه لم يصلك بمنتها قط ، ولا زادك
على عشرين ألف درهم ؛ فشكَرْتَه وسائله أن يكتب بها صَكَّا^(٢) بخطه ، ويحملني
الرسول .

قال له محمد : صدق أمير المؤمنين ، إنه لم يصلني قط بأكثري من عشرين
ألف ، وهذا إنما تهيا بك ، ولنك ، وعلى يديك ، وما أقدر على شيء أقضى به
حقك ، ولا على شُكْرٍ أجازى به معروفك ، غير أنه « على وعلى » ؛ وحلف أيامنا
موكدة - إن وقفت على باب أحد سواك ، ولا سائله حاجة أبداً ، ولو سقطت
التراب !

فكان لا يركب إلى غير الفضل إلى أن حدث من أمر البرامـكـةـ ما حـدـثـ ،
فكان لا يركب إلى غير دار الخليفة ، ويمود إلى منزله ، فعوتب بعد تقضي
أيامهم في ترك إتيان الفضل بن الريبع ، فقال : والله لو عمرت ألف عام ، ثم
مَصَّصْتُ الشَّمَاد^(٣) ، ما وقفت بباب أحدٍ بعد الفضل بن يحيى ، ولا سائله حاجة
حتى لقى الله عز وجل !
ولم يزل على ذلك حتى مات .

(١) تماكسا في اليم : تشاها (٢) الصك : الكتاب (٣) الشَّمَاد : الماء القليل .

* ١١٩ - تِيهُ وَكْرَمٌ

قيل للفضل بن يحيى البرمكي : ما أحسنَ كرمك لولاتِهِ فيك ! فقال : تعلمتُ الكرمَ والتّيةَ من عمارَةٍ^(١) بن حمزة ! فقيل له : وكيف ذلك ؟ فقال : كان أبي عاملاً على بعض كور^(٢) بلاد فارس ، فانكسرتْ عليه جملةٌ مستكثرة ، فتحمل إلى بغداد ، وطوبَ بالمال ؛ فدفعَ جميعَ مالهُ ، وبقيتْ عليه ثلاثةُ ألف درهم لا يعرفُ لها وجهاً ، والاعلبُ عليه حديث ، فبقيَ حازماً في أمره .

وكان بينه وبين عمارَة بن حمزة منافرةٌ ومواحشة ؛ لكنه علم أنه ما يقدر على مساعدته إلا هو ، فقال لي يوماً وأنا صبيٌّ : امض إلى عمارَة وسلمْ عليه عنِي ، وعرّفه الضرورةَ التي قد صرَّنا إلَيْها ، واطلب منه هذا المبلغَ على سبيل القرْض ، إلى أن يستهل الله تعالى باليسير . قلت له : أنت تعلم ما بينكما ، فكيف أمضى إلى عدوِك بهذه الرسالة وأنا أعلم أنه لو قدَر على إتلافك لأنْتفك ؟ فقال : لا بدَ أن تمضي إلَيْه ، لعلَ الله يسخرُه ويقع في قلبه الرحمة !

قال الفضل : فلم تكنى معاودته ، وخرجتُ وأنا أقدم رجلاً وأخر أخرى ، حتى أتيت دارَه ، واستأذنتُ في الدخول عليه ؛ فأذنَ لي ، فلما دخلتُ وجدته في صدرِ إيوانِه^(٣) ، متكتئاً على مفارش وثيرة ، وقد غلَّف شعر رأسه ولحيته بالمسك ، ووجهه إلى الحائط - وكان من شدة تيمه لا يقدر إلا كذلك - فوقفتَ أسفل

(*) وفيات الأعيان : ٤١٠ - ٢ .

(١) انظر صفحة ١٤٤ (٢) السكورة : المدينة ، جمعها

(٣) الإيوان : الصفة .

الإيوان ، وسلمت عليه ، فلم يرد السلام ، فسللت عليه عن أبي ، وقصصت عليه
القصة ، فسكت ساعة ثم قال : حتى تنظر !

فرجت من عنده نادماً على نقل خطاي إليه ، وموقناً بالحرمان ، عاتباً
على أبي أن كلنـي إذلالـ نفسي بـمـالـ فـائـدةـ فـيهـ ، وـعـزـمـتـ عـلـىـ آـلـأـعـوـدـ إـلـيـهـ
غـيـظـاـ مـنـهـ .

فـبـعـدـ سـاعـةـ ، ثـمـ جـثـتهـ وـقـدـ سـكـنـ مـاـعـنـدـيـ . فـلـمـ وـصـلـتـ إـلـىـ الـبـابـ
وـجـدـتـ بـغـالـاـ حـمـلـةـ ؟ فـقـلـتـ : مـاـهـذـ ؟ فـقـيلـ : إـنـ عـمـارـةـ قـدـ سـيـرـ الـمـالـ ؟ فـدـخـلـتـ
عـلـىـ أـبـيـ ، وـلـمـ أـخـبـرـهـ بـشـيـءـ مـاـ جـرـىـ لـيـ مـعـهـ كـيـ لـاـ كـدـرـ إـحـسـانـهـ عـلـيـهـ .

فـكـثـنـاـ قـلـيـلاـ ، وـعـادـ أـبـيـ إـلـىـ الـوـالـيـةـ ، وـحـصـلـتـ لـهـ أـمـوـالـ كـثـيرـةـ ؟ فـدـفـعـ إـلـىـ
ذـلـكـ الـبـلـغـ وـقـالـ : اـحـمـلـ إـلـيـهـ . جـبـتـ بـهـ ؟ وـدـخـلـتـ عـلـيـهـ فـوـجـدـتـهـ عـلـىـ الـهـيـثـةـ الـأـوـلـىـ ؟
فـسـلـمـتـ عـلـيـهـ فـلـمـ يـرـدـ ، فـسـلـمـتـ عـلـيـهـ عـنـ أـبـيـ وـشـكـرـتـ إـحـسـانـهـ ، وـعـرـفـتـهـ بـوـصـولـ
الـمـالـ ؟ فـقـالـ لـيـ بـحـرـدـ ^(١) : وـيـحـكـ ! أـقـسـطـارـاـ ^(٢) كـنـتـ لـأـيـكـ ؟ اـخـرـجـ عـنـيـ ،
لـاـ بـارـكـ اللـهـ فـيـكـ ؟ وـهـوـلـكـ ! فـرـجـتـ وـرـدـدـتـ الـمـالـ إـلـىـ أـبـيـ ، وـعـجـبـنـاـ مـنـ
حـالـهـ !!

(١) الحـرـدـ : الفـضـبـ . (٢) الـقـسـطـارـ : الصـيـرـفـ .

* ١٢٠ - لَكُلْ جَدِيدُ لَذَّةٍ

قال خارق :

غدوت يوماً على إبراهيم بن ميمون الموصلى ، وكان يوم دجن^(١) طيب ،
فأصابت بين يديه قدوراً تُفرَغُ^(٢) ، وأباريق تزَّهر^(٣) وهو كالبهوم ، فسألته
عن حاله ؟ فقال : لى ضيـعـة ، وإلى جانبها ضيـعـة يبلغ ثمنـهـا مائـةـ ألف درـمـ ، وإن
دخلـتـهاـ يـدـ غيرـىـ أفسـدتـ عـلـىـ ضـيـعـتـىـ ؟ وما أقول إنـثـمـنـهـاـ ليسـ يـمـكـنـىـ ،ـ ولـكـنـ
لـسـتـ أـسـحـ بـاخـرـاجـ كـلـ مـافـ يـدـىـ .

قال : فأمسكت عنه واستنتمت يومي عنده ، وغدوت على يحيى بن خالد
فلقيـتـهـ ،ـ فـسـالـنـىـ عـنـ خـبـرـىـ فـيـ أـمـسـ ،ـ فـخـبـرـتـهـ الـخـبـرـ فـأـضـحـكـهـ .

فانصرفت إلى إبراهيم لأعرفه الخبر ، فوجدت المال قد سبق إليه ، فقلت له :
اشتر الآن الضيـعـةـ ؟ـ فقالـ :ـ لـكـلـ جـدـيدـ لـذـّةـ ،ـ وـهـذـاـ مـالـ جـدـيدـ ،ـ وـلـسـتـ أـحـبـ
إـخـرـاجـهـ !!

قالـ :ـ خـدـثـتـ جـعـفـرـاـ بـالـخـبـرـ كـلـهـ فـأـضـحـكـهـ ،ـ وـبـعـثـ بـالـمـالـ إـلـيـهـ .ـ فـصـرـتـ إـلـيـهـ .ـ
خـلـتـ لـهـ :ـ اـشـتـرـ الضـيـعـةـ آـنـ ،ـ فـقـالـ :ـ الـعـجـلـةـ مـنـ عـمـلـ الشـيـطـانـ ،ـ دـعـنـي أـسـتـمـقـعـ
بـهـذـاـ مـالـ مـدـّـةـ .ـ

وـصـرـتـ إـلـىـ الـفـضـلـ بـنـ يـحـيـىـ ،ـ خـدـثـتـهـ ،ـ فـابـتـاعـ الضـيـعـةـ ،ـ وـوـزـنـهـنـاـ ،ـ وـوـجـهـ إـلـيـهـ
بـمـثـلـ الثـنـ ،ـ وـوـجـهـ إـلـيـهـ بـالـصـكـ !!

(*) الوزراء والكتاب : ٢١٤ .

(١) الدجن : إلباس النغم الأرض ، وإمطار السماء ، والمطر الكبير (٢) الغرغرة : صوت
القدر إذا غلت . (٣) زهر السراج والقمر والوجه : تلاملاً .

١٢١ — جُودُ البرامكة*

قال خارق :

أَذِنْ لَنَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الرَّشِيدُ أَنْ نُقْيِمَ فِي مَنَازِلِنَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، وَأَعْلَمْنَا أَنَّهُ مُشْتَفِلٌ
فِيهَا ؛ فَضَى الْجَلْسَاءُ أَجْمَعُونَ إِلَى مَنَازِلِهِمْ ، وَأَصْبَحَتِ السَّهَاءُ مُتَغَيِّمَةً تَطِيشُ^(١) طَشًا
خَفِيفًا ، فَقَلَتْ : وَاللهِ لَأُذْهَبَنَّ إِلَى أَسْتَاذِي إِبْرَاهِيمَ^(٢) فَأَعْرَفُ بِخَبَرِهِ ثُمَّ أَعُودُ .

فَأَمْرَتْ مَنْ عَنْدَهُ أَنْ يَسُوئُوا بَحْلَاسًا لَنَا إِلَى وَقْتِ رَجُوعِي ؛ فَجَئْتُ إِلَى إِبْرَاهِيمَ
الْمَوْصِلِيَّ ، فَإِذَا الْبَابُ مُفْتَوْحٌ ، وَالدَّهْلِيزُ قَدْ كُنِّيْسَ ، وَالْبَوَابُ قَاعِدٌ ؛ فَقَلَتْ : مَا خَبْرُ
أَسْتَاذِي ؟ فَقَالَ : ادْخُلْ ، فَدَخَلْتُ فَإِذَا هُوَ جَالِسٌ فِي رِوَاقِهِ ، وَبَيْنِ يَدِيهِ قُدُورٌ
تُغَرِّغِرَ^(٣) ، وَأَبَارِيقٌ تَزَهَّرُ ، وَالسَّتَّارَةُ مَنْصُوبَةٌ وَالْجَوَارِيُّ خَلْفَهَا .

فَدَخَلْتُ أَتْرَنِّمُ بِيَعْضِ الْأَصْوَاتِ ، وَقَلَتْ لِهِ : مَا بِالْسَّتَّارَةِ لَسْتُ أَسْعَ من
وَرَاهَا صَوْتًا ؟ فَقَالَ : أَقْعُدْ ، وَيُنْكِثُ ! إِنِّي أَصْبَحْتُ عَلَى الدِّنِيْنَتَ ، فَأَنْتَانِي خَبْرُ
ضَيْعَةٌ تَجَاوِرُنِيَّ ، قَدْ وَاللهِ طَلَبْتُهَا زَمَانًا وَتَمَنَّيْتُهَا فَلَمْ أُمْلِكْهَا ؛ وَقَدْ أُعْطِيَّ بِهَا
صَاحِبُهَا مائَةَ أَلْفِ درَهمٍ . فَقَلَتْ : وَمَا يَنْعُكُ مِنْهَا ؟ فَوَاللهِ لَقَدْ أَعْطَاكَ اللهُ أَضْعافَ
هَذَا الْمَالِ وَأَكْثَرَ ! قَالَ : صَدِقْ ، وَلَكِنْ لَسْتُ أَطِيبُ نَفْسًا أَنْ أُخْرِجُ هَذَا الْمَالَ ؛
فَقَلَتْ : فَنِّيْعِطُكَ السَّاعَةَ مائَةَ أَلْفِ درَهمٍ ؟ وَاللهِ مَا أَطْمَعُ فِي ذَلِكَ مِنَ الرَّشِيدِ ،
فَكَيْفَ بَنِ دُونِهِ ! فَقَالَ ، اجْلِسْ ، خَذْ هَذَا الصَّوْتَ ، وَنَقْرَ بِقَضِيبٍ مَعِهِ عَلَى
الْدَوَاهِ وَأَلْقِ عَلَيْهِ :

(*) الأغانى : ٥ - ١٧٨ .

(١) الطش : المطر الصيفي ، وهو فوق الرذاذ . (٢) إبراهيم بن مسحاف الموصلي .

(٣) نغرغر : تصوت للليل .

نَامُ الْخَلِيلُونَ مِنْ هُمْ وَمِنْ سَقَمْ وَبَتْ مِنْ كَثْرَةِ الْأَحْزَانِ لَمْ أَنْمِ
يَا طَالِبَ الْجُودِ وَالْمَعْرُوفِ مجْهَدًا أَعِدْ لِي حَيْيِ حَلِيفَ الْجُودِ وَالْكَرَامِ
قال خارق : فَأَخْذَتُهُ فَأَحْكَمْتُهُ ؟ ثُمَّ قَالَ لِي : أَمْضِ السَّاعَةَ إِلَى بَابِ الْوَزِيرِ
يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ ، فَإِنَّكَ تَجِدُ النَّاسَ عَلَيْهِ ، وَتَجِدُ الْبَابَ قَدْ فُتِحَ ، وَمَا يَجِدُ بَعْدُ
فَاسْتَأْذِنْ عَلَيْهِ قَبْلَ أَنْ يَصْلَ إِلَيْهِ أَحَدٌ ، فَإِنَّهُ سَيِّنَكِيرُ عَلَيْكَ تَجْهِيْثَكَ وَيَقُولُ :
مَنْ أَنْبَلَتْ فِي هَذَا الْوَقْتِ ؟ فَخَبَدَهُ بِقَصْدِكِ إِيَّاَيِّ ، وَمَا أَقْيَتْ إِلَيْكَ مِنْ
خَبَرِ الْضَّيْعَةِ ، وَأَعْلَمُهُ أَنِّي صَنَعْتُ هَذَا الصَّوْتَ وَأَعْجَبْتُهُ ، وَلَمْ أَرَ أَحَدًا يَسْتَحْقِهِ
إِلَّا فَلَانَةً جَارِيَتَهُ ، وَأَنِّي أَقْيَتْهُ عَلَيْكَ حَتَّى أَحْكَمَتْهُ لَتَطْرَحَهُ عَلَيْهَا ؛ فَسَيِّدُونَ بَهَا
وَيَأْمُرُ بِالسَّتَّارَةِ أَنْ تُنْصَبَ ، وَيُؤْسَعُ هَا كَرْسِيًّا ، وَيَقُولُ لَكَ : اطْرَحْهُ عَلَيْهَا
بِمُخْضِرِي ؛ فَافْعُلْ ، وَأَتِنِي بِالْخَبَرِ بَعْدَ ذَلِكَ .

فَفَعَلَ كُلَّ شَيْءٍ قَالَهُ لِي إِبْرَاهِيمٌ ؛ وَأَخْضَرَ الْجَارِيَةَ فَأَقْيَتْهُ عَلَيْهَا ، ثُمَّ قَالَ لِي : تَقْيِيمُ
عَنْدَنَا يَا أَبَا الْمَهْنَاءِ أَوْ تَنْصُرُ ؟ قَلْتُ : أَنْصُرْ أَنْصُرْ أَنْصُرْ اللَّهَ بِقَاءَكَ ، فَقَدْ عَلِمْتُ
مَا أَذِنَ لَنَا فِيهِ ! قَالَ : يَا غَلَامُ ؛ احْمَلْ مَعَ أَبِي الْمَهْنَاءِ عَشْرَةَ آلَافَ دَرْهَمًا ، وَاحْمَلْ إِلَى
أَبِي إِسْحَاقَ مَائَةَ أَلْفَ دَرْهَمًا نَمْنَنَ هَذِهِ الْضَّيْعَةِ ؛ فَحُمِّلَتِ الْعَشْرَةُ الْآلَافُ إِلَيْهِ ،
وَأَتَيْتُ مُنْزَلِي ، فَقَاتَ : أَسْمَرَ يَوْمِي هَذَا ، وَأَسْمَرَ مَنْ عَنْدِي ؛ وَمَضِي الرَّسُولُ
إِلَيْهِ بِالْمَالِ .

فَدَخَلَتُ مُنْزَلِي ، وَنَثَرْتُ عَلَى مَنْ عَنْدِي مِنْ الْجَوَارِي دَرَاهِمَ مِنْ تِلْكَ الْبَدْرَةِ ،
وَتَوَسَّدْتُهَا وَأَكَاتُ وَشَرِبَتْ وَطَرَبَتْ وَسُرِّيَتْ يَوْمِي كَلِهِ .

فَلَمَّا أَصْبَحَتُ قَلْتُ : وَاللَّهِ لَا تَنِينَ أَسْتَاذِي وَلَا غَرِفَنَ خَبْرِهِ ، فَأَتَيْتُهُ فَوُجِدَتُ
الْبَابَ كَهِيْثَتِهِ بِالْأَمْسِ ، وَدَخَلَتُ فَوُجِدَتُهُ عَلَى مَثْلِ مَا كَانَ عَلَيْهِ ، فَتَرَنَتُ
وَطَرَبَتْ فَلَمْ يَتَلَقَّ ذَلِكَ بِمَا يَحْبُبْ ! فَقَالَتْ لَهُ : مَا الْخَبَرُ ؟ أَلَمْ يَأْتِكَ الْمَالُ ؟ قَالَ : بَلِي ؟

فَاكَانَ خِبْرُكَ أَنْتَ بِالْأَمْسِ؟ فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا وُهِبَ لِي، وَقَلْتَ: مَا يُنْتَظِرُ مِنْ خَلْفِ السِّتَّارَةِ؟ قَالَ: ارْفِعِ السَّجْفَ^(١)، فَرَفَعَتْهُ فَإِذَا عَشَرْ بِدَرَ، قَلْتَ: وَأَى شَيْءٍ بَقِيَ عَلَيْكَ فِي أَمْرِ الضَّيْعَةِ؟ قَالَ: وَيَحْكُمُكَ! مَا هُوَ إِلَّا أَنْ دَخَلْتُ مِنْزِلِي حَتَّى شَحِّحْتُ عَلَيْهَا، فَصَارَتْ مِثْلَ مَاحْوِيَتْ قَدِيمًا؛ قَلْتَ: سَبَحَانَ اللَّهِ الْفَظِيمِ! فَتَصْنَعُ مَاذَا؟ قَالَ: قَمْ حَتَّى أُلْقِيَ عَلَيْكَ صَوْتًا صَنْعَتْهُ، يَفْوَقُ ذَلِكَ الصَّوْتَ. فَقَمْتُ وَجَلَسْتُ بَيْنَ يَدِيهِ، فَأَلْقَى عَلَيْهِ:

وَيَفْرَحُ بِالْمَوْلُودِ مِنْ آلِ بَرْمَكٍ بُغَّةُ النَّدَى وَالسِيفُ وَالرَّمْحُ ذُو النَّصْلِ
وَتَبَسْطُ الْآمَالُ فِيهِ لِفَضْلِهِ لَا سِيَّما إِنْ كَانَ مِنْ وَلَدِ الْفَضْلِ
قال مخارق: فَلَمَّا أُلْقِيَ عَلَيَّ الصَّوْتَ سَمِعْتُ مَالَمْ أُسْمِعْ مِثْلَهُ قَطْ، وَصَغَّرْتُ عَنْدِي
الْأُولَى فَأَحْكَمْتُهُ؛ ثُمَّ قَالَ: انْهَضْ السَّاعَةَ إِلَى الْفَضْلِ بْنَ يَحْيَى، فَإِنَّكَ تَجْدُهُ
لَمْ يَأْذِنْ لَأَحَدْ بَعْدِهِ؛ فَاسْتَأْذَنْتُهُ عَلَيْهِ، وَحَدَّثَنِي بِحَدِيثِنَا أَمْسِ، وَمَا كَانَ مِنْ
أَيْهِ إِلَيْنَا وَإِلَيْكَ، وَأَعْلَمُهُ أَنِّي قَدْ صَنَعْتُ هَذَا الصَّوْتَ وَكَانَ عَنْدِي أَرْفَعُ مِنْ
الصَّوْتِ الَّذِي صَنَعْتُهُ بِالْأَمْسِ، وَأَنِّي أَقْيَطْتُهُ عَلَيْكَ حَتَّى أَحْكَمْتَهُ، وَوَجَهْتُ بِكَ
فَاصْدَأْتُ نُتْقَيِّهَ عَلَى فَلَانَةِ جَارِيَتِهِ.

فَصَرَّتُ إِلَى بَابِ الْفَضْلِ، فَوُجِدْتُ الْأَمْرَ عَلَى مَاذَا كَرَ، فَاسْتَأْذَنْتُ فَوَصَّلْتُهُ،
وَسَأَلْتُهُ: مَا الْخِبْرُ؟ فَأَخْبَرْتُهُ بِخَبْرِي فِي الْيَوْمِ الْمَاضِي، وَمَا وَصَلَ إِلَيْهِ وَإِلَيْهِ مِنِ الْمَالِ؟
قَالَ: أَخْرَزَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ فَمَا أَبْخَلَهُ عَلَى نَفْسِهِ! ثُمَّ دَعَا خَادِمًا، قَالَ: اضْرِبِ السِّتَّارَةَ
فَضَرَّبَهَا، قَالَ لِي: أَلْقِهِ . فَلَمَّا غَنَّيْتُهُ لَمْ أَتَهُ حَتَّى أَقْبَلَ يَجْرُّ مِطْرَفَهُ^(٢)، ثُمَّ قَدَّ
عَلَى وِسَادَةِ دُونِ السِّتَّارَةِ؛ وَقَالَ: أَحْسَنَ وَاللهُ أَسْتَاذُكَ، وَأَحْسَنْتَ أَنْتَ يَا مُخَارِقَ.

(١) السَّجْفُ . اسْتَرَ .

(٢) المَطْرَفُ : الشُّوبُ فِي عَدَانَ .

فلم أخرج حتى أخذته الجارية وأحكمته؛ فسرر بذلك سروراً شديداً ؟ وقال : أقِمْ عندى اليوم ، فقلتُ : ياسيدى ، إنما بقي لنا يوم واحد ، ولو لا أنى أحِبُّ سرورك لم أخرج من منزلى . فقال : ياغلام ، احمل مع أبي المهنَّا عشرين ألف درهم ، واحمل إلى إبراهيم مائتى ألف درهم .

فانصرفتُ إلى منزلى بالليل ، ففتحت بدرة ، فنثرت منها على الجواري وشربت وسُررت أنا ومنْ عندى يومنا .

فلا أصبحت بكرت إلى إبراهيم أتعرف خبره وأعرفه خبرى ، فوجدهُ على الحال التي كان عليها أوّلاً وآخرأ ، فدخلتُ أترَّسَمْ وأصْفَقْ ، فقال لي : ادْنْ ؟ قلتُ : ما بقي ؟ فقال : اجلس وارفع سجف هذا الباب ، فإذا عشرون بدرة مع تلك العشر ؟ قلت : ما تنتظر الآن ؟ فقال : ويحك ! ما هو والله إلا أن حصلت حتى جرت مجرى ماتقدم . قلت : والله ما أظن أحداً نال في هذه الرتبة ما نلتَه !

فَلَمْ تبخُلْ عَلَى نفْسِكَ بِشَيْءٍ تَمْتَنَّهُ دَهْرًا ، وَقَدْ مَلَّكَتِ اللَّهُ أَضْعافَهُ !

ثم قال : اجلس فخذ هذا الصوت ، وألق على صوتاً أنساني والله صوتي الأوَّلَيْنَ :

أَفِي كُلِّ يَوْمٍ أَنْتَ صَبَّ وَلِمَلَةٍ
إِلَى أَمْ بَكْرٍ لَا تَفْيِقُ فَتَقْصِرُ
أَحِبُّ عَلَى الْمِجْرَانِ أَكْنَافَ يَتَهَا
فِي الْمَلَكَ مِنْ بَيْتٍ يَحْبُّ وَيُهْجَرُ
إِلَى جَعْفَرَ سَارَتْ بَنَا كُلُّ جَسْرَةٍ
طَوَاهَا سُرَاهَا نَحْوَهُ وَالْمِجْرَهُ^(١)
إِلَى وَاسِعٍ لِلْمُجْتَدِينَ فِنَاؤهُ
تَرُوحَ عَطَّابِيَاهُ عَلَيْهِمْ وَتَبَكُّرُ
قال مخارق : ثم قال لي إبراهيم : هل سمعتَ مثلَ هذا ؟ قلت : ما سمعت

(١) الجسرة : الناقة المظيمة . السرى : السير بالليل ، والهجر : السير في الماجرة ، أى في نصف النهار عند اشتداد الحر .

قطّ منه ، فلم يزل يرددُه علىَّ حتى أخذته ؛ ثم قال لي : امض إلى جعفر ، فافعل به كما فعلت بأخيه وأبيه .

قال : فضيئتُ ففعلت مثلَ ذلك ، وخبرته ما كان منها ؛ وعرضتُ عليه الصوت ، فسرّ به ؛ ودعا خادمًا ، فأمره بضرب الستارة وأحضر الجارية ؛ وقد على كرسي ، ثم قال : هات يا مخارق . فاندفعَتْ فأقيمت الصوت عليها حتى أخذته ؛ فقال : أحسنت والله يا مخارق ، وأحسن أستاذك ، فهل لك في المقام عندنا اليوم ؟ فقلتُ : ياسيدى ، هذا آخر أيامنا ، وإنما جئتُ لموقع الصوت مني حتى أقيمه على الجارية ، فقال ياغلام : احمل معه ثلاثين ألف درهم وإلى الموصل ثلثمائة ألف درهم .

فصرتُ إلى منزلي بالمال ، فآمنتُ ومن معى مسرورين نشرب بقية يومنا ونطربُ ، ثم بكرتُ إلى إبراهيم فتلقاني قائمًا ، وقال لي : أحسنت يا مخارق ، قلتُ : ما الخبر ؟ فقال : اجلس فلستُ ، فقال لمن خلف الستارة : خذوا فيما أتم فيه ؛ ثم رفع السجف فإذا المال ، قلتُ : ما خبر الضياعة ؟ فأدخل يده تحت مسورة ^(١) ، وهو متكمٌ عليها ، فقال : هذا صكُ الضياعة ! سُئل عن صاحبها فوجد ببغداد ، فاشتراها منه يحيى بن خالد ، وكتب إلى : قد علمت أنك لا تسوخ نفساً بشراء الضياعة من مالٍ يحصل لك ؛ ولو حيزت لك الدنيا كلها ، وقد ابتغتها لك من مالي ، ووجهت لك بصكها ؛ وهذا المال كاترى .

ثم بكى ، وقال لي : يا مخارق ؟ إذا عاشرت فعاشر مثل هؤلاء ، وإذا غنيمت فلن مثل هؤلاء ، هذه ستمائة ألف وضياعة بمائة ألف ، وستون ألف درهم لك حصلنا ذلك أجمع ، وأنا جالس في مجلسى لم أربح منه ، فتى يدركك مثل

هؤلاء !

(١) المسورة : الوсадة من الجلد .

* ١٢٢ — حسن العَفْو

قال محدث :

مدح شاعر أبا حاتم كاتب الديوان فلم يصله بشيء؛ فأنشأ شعراً يقول فيه :
لتنصفني يا أبا حاتم أو لأصيرن إلى حاكم
فاحتفظها صاحب الخبر، ورفها إلى الرشيد^(١)؛ فقال : صدق ! لولا أنني
خاتم ما كانت أموري تجري على هذه السبيل ! وأمر بإخراج الجرائد من الدار
إليه ، فأول ما وجد على منصور بن زيادة عشرة آلاف ألف درهم !

حدث صالح صاحب المصلى ، قال : دعاني الرشيد ، وهو على كرسى ، فقال :
اذهب الساعة فخذ منصور بن زياد بالخروج من عشرة آلاف ألف درهم ، فإن
لم يؤدها إلى المغرب فاضرب عنقه ، وجيئي برأسه ؛ وأنا نقي^(٢) من المهدى لئن
أنت دافعت عنه لأضر بن عنقك ! قلت : ياسيدى ، فإن أعطانى بعضها ، روقتَ
لى في بعضها وقتاً ؟ قال : لا !

فرجت فاعملته بالخبر ، فأسقط في يده ؛ وقال : ما أراد إلا قتلي ، لأنّه يعلم
أنّ مقدار مالي لا يبلغ ما به طالبى ؛ ولكن تاذن لي أن أدخل بيتي فأودع أهلى !
فاذنت له فدخل ودخلت معه ، وبقيت واقفاً ، فبعثت إلى أمهات أولاده وبناته
ونسائه أن اخرجن إلى كائن تخرجن عند موتي ، فإن هذا آخر أياتي ؛ ولا
ستركن بعدى !

* الحسان والساوى : ٤٥٣ ، طبع ليزج .

(١) انظر صفحة ١١٠ (٢) فلان نقى : دعى ، قد نقى .

فَخَرَجَ إِلَيْهِ مُشَقَّقَاتُ الْجَيْوَبِ ، مُخْمَسَاتُ الْوِجْهِ ، بِصُرَاطٍ شَدِيدٍ ؛ فَبَكَى
إِلَيْهِنَّ ، وَبَكَيْنَ إِلَيْهِ ، وَبَكِيتُ مَعْنَانَّ ، ثُمَّ وَدَعَهُنَّ وَخَرَجَ ، وَهُنَّ فِي أُثْرِهِ وَاضْعَافَتِ
الْتَّرَابُ عَلَى رِءُوسِهِنَّ .

ثُمَّ قَالَ : يَا أبا مُقَاتَلٍ ؛ لَوْ أَذِنْتَ لِي فِي الْمَصِيرِ إِلَى أُبَيِّ عَلَىٰ يَحِيَّ بْنِ خَالِدٍ
الْبَرْمَكِيِّ ، فَكَنْتُ أُوصِيهِ بِولَدِيْ وَأَهْلِيْ ! فَقَلَتْ : امْضِ !

وَصَرَّنَا إِلَيْهِ ، وَقَدْ نَزَلَ فِي سَاعَتِهِ ، وَهُوَ عَلَىٰ كَرْسِيٍّ يَغْسِلُ يَدِيهِ ، فَلَمَّا تَوَسَّطَنَا
الْدَّارَ جَعَلَ مَنْصُورَ يَبْكِي وَيَمْشِي إِلَيْهِ حَتَّىٰ دَنَاهُنَّ ، وَهُوَ يَسْأَلُهُ عَنِ الْحَالِ ، فَيَمْنَعُهُ
الْبَكَاءُ مِنْ إِخْبَارِهِ ؛ فَقَصَصَتُ عَلَيْهِ قَصَّتَهُ ، فَقَالَ : ارْجِعْ إِلَىٰ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَسَلِّهِ
أَنْ يَهْبِهِ لِي ! قَلَتْ : مَا إِلَى ذَلِكَ سَبِيلٌ ، وَلَا يَرَانِي إِلَّا وَالْمَالُ مَعِيْ أَوْ رَأْسُ الْمَنْصُورِ ،
كَمَا أَصْرَنِي !

فَقَالَ خَادِمُهُ : أَئْتَ فَلَانَةَ فَسَلَهَا : كَمْ أَنْدَهَا مِنِ الْمَالِ ؟ فَانْصَرَفَ وَرَجَعَ
فَذَكَرَ أَنّْ عَنْهَا خَمْسَةَ آلَافَ أَلْفَ درَمٍ ! فَقَالَ لِي : احْمِلْهَا . وَأَبْلَغَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
رَسَابَتِي فِي بَاقِيَهَا . فَأَعْلَمْتُهُ أَنْ لَا سَبِيلَ إِلَىٰ تَحْمِيلِ بَعْضِهَا دُونَ بَعْضٍ ، فَأَطْرَقَ ، ثُمَّ رَفَعَ
رَأْسَهُ ، ثُمَّ قَالَ يَا غَلَامُ : أَئْتَ دَنَانِيرَ قَلْهَا : تَبَعَثُ إِلَىٰ بِالْجَوَهْرِ الَّذِي وَهَبَهُ لَهَا
أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، فَبَعْثَتْهُ إِلَيْهِ بِحُكْمِهِ^(١) ، فَقَالَ : هَذَا جَوَهْرٌ أَبْتَعَنَاهُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
بِمَائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ ، وَهُوَ عَارِفٌ بِهِ ، وَقَدْ جَعَلْتُهُ لَهُ بِمَائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ ، فَاحْمِلْهُ إِلَيْهِ
وَالرَّسَالَةُ ، فَأَبِيَتُ !

فَوَجَهَ إِلَىٰ الْفَضْلِ أَبْنَهُ : إِنَّكَ كَنْتَ أَعْلَمَنِي أَنَّكَ عَلَىٰ ابْتِياعِ ضَيْعَةِ نَفِيسَةِ
وَقَدْ أَصْبَحْتُهَا ، وَلَا يَوْجِدُ مَثَلُهَا فِي كُلِّ وَقْتٍ ، وَابْتِياعُهَا فَرْصَةٌ ، فَاحْمِلْهُ إِلَىٰ مَا لَهَا
فَعَادَ الرَّسُولُ وَمَعَهُ أَلْفَ أَلْفَ درَمٍ !

(١) وَعَاءٌ مِنْ الْخَشْبِ أَوِ الْمَاجِ أَوِ الْغَيْرِ ذَلِكَ مَا يَصْلِحُ أَنْ يَنْجُحَ مِنْهُ .

ووجه إلى جعفر ابنته أنّ. يوجّه إليه بآلف ألف درهم ، فأنفقه إلّيّه صَكَا إلى
الْجَهِيدِ^(١) بها .

فقبضتُ المال ، ووافيتُ الرشيد قبل المغرب ، وهو على حالته ينتظرُ رجوعي
إليّه ، فأخبرتهُ الخبر ، فلما اتيتُ إلى خبر الحقيقة ، قال : صدق ! وقد ظننتُ أنه
لا ينجيهُ غيرهم ، أحمل هذا المال أجمعَ إلى أبي على ، وارددُه عليه ، وأعلمُه أنّي قد
قبلتُ ذلك عن منصور ، ورددتهُ عليه ! ففعلتُ ذلك .

ولقيني بعد ذلك يحيى منصرفاً من الدار ، ومنصور معه يسأيره ويضاهركه ،
والناسُ خلفه ، قلت : والله لأنصحنَّ هذا الشيّخَ الْكَرِيمَ ، فدخلتُ معه ، ودخل
المنصور ودعا بعده : فلما نهض المنصور قلت : يا أبا على ؟ إني والله مارجعتُ إلا
لنُصْحِّيكَ ! وقد رأيت مكان هذا الرجل منك ؟ وكنا حين حملت المال أناهضتهُ معى ،
فواله ماقطعَ نصفَ الصحن من الدار حتى تمثّلَ بهذا البيت :

فَابْقِيَا عَلَى تَرْكَمَانِي وَلَكِنْ خَفْتَمَا صَرَدَ^(٢) النَّبَالِ

فعارض أَكْرَمَ فعلكِ بأَلْأَمِ خصلتِ فيه ؛ فدعاني الامْتِعَاضُ من ذلك إلى
إخباركَ ، فإني من تعلّمُ في موادِّتكَ وطاعتُكَ !

فأَكَبَّ على الأرض ساعة ، ثم رفع رأسه ، فقال : اعذرْه ؟ فقد كان عقله
عزَّبَ^(٣) عنه في ذلك الوقت !

قال : فكان عذرُه له أحسنَ من إحياءه إياه .

(١) الجهد : النقاد الخير . (٢) صرد الرمح صرداً : لفظ حده ، أى خفتاً أن تصيب نبالي .

(٣) عزب : بعد .

* ١٢٣ - واعظ الرشيد

قال الفضل بن الريبع^(١).

حجّ هارون الرشيد أمير المؤمنين ، فأتاني فخرجت مسرعاً ، فقلت : يا أمير المؤمنين ؛ لو أرسلت إلى لآتنيك ! فقال : ويحك ! قد حَكَ في نفسِي شيء ، فانظر لي رجلاً ! قلت : هاهنا سفيان بن عيينة^(٢) ، فقال : امض بنا إليه ، فأتيناه فقرعت الباب ، فقال : من ذا ؟ قلت : أَجَبْ أمير المؤمنين ! فخرج مسرعاً ، فقال : يا أمير المؤمنين ، لو أرسلت إلى لآتنيك ! فقال له : خذ لما جئناك له رحْك الله . خادمه ساعة ، ثم قال له عليك دين ؟ فقال : نعم ! فقال : ياعباسي^٣ ، اقض دينه .

فَلَمَّا خرجنَا قَالَ لِي : مَا أَغْنَى صاحبُك عَنِ شَيْئًا . انظُرْ لِي رجلاً أَسْأَلُه ! قَالَ : هاهنا عبد الرزاق^(٤) بن همام ! قَالَ : امض بنا إليه ، فأتيناه فقرعت الباب فقال : مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : أَجَبْ أمير المؤمنين ! فخرج مُسْرِعاً ، فقال : يا أمير المؤمنين ؛ لو أرسلت إلى لآتنيك ! فقال : خُذْ لِمَا جئناك له ؛ خادمه ساعة ، ثم قال له : عليك دين ؟ قال : نعم ! قال : ياعباسي^٣ ، اقض دينه .

فَلَمَّا خرجنَا قَالَ : مَا أَغْنَى صاحبُك عَنِ شَيْئًا ، انظُرْ لِي رجلاً أَسْأَلُه ! قَالَ : هاهنا الفضيل بن عياض^(٤) ؛ قَالَ : امض بنا إليه ، فأتيناه ؛ فإذا هو قائم يصلّى ،

(*) المختارات للمطالعة العربية طبع أوربا .

(١) انظر صفحة ٥٤ . (٢) سفيان بن عيينة : حافظ ثقة ، واسع العلم كبير القدر ، قال الشافعى عنه : لو لا مالك وسفيان لنذهب علم الحجاز ، توفي سنة ١٩٨ هـ .

(٣) عبد الرزاق بن همام : من حفاظ الحديث الثقات ، توفي سنة ٣١١ هـ .

(٤) الفضيل بن عياض : من أكابر العباد الصالحة ، كان ثقة في الحديث ، وتوفي سنة ١٨٧ هـ .

ويتلو آية من القرآن يرددُها ، قال : اقرع الباب فقرعت الباب ، فقال : مَنْ هذَا ؟
قلت : أجب أمير المؤمنين ! فقال : مالي ولأمير المؤمنين ! قلت : سبحان الله !
أما عليك طاعته ؟ فنزل وفتح الباب ، ثم ارتقى إلى الغرفة ، فأطاف السراج ، ثم التجأ
إلى زواية من زوايا البيت ، فدخلنا ، بخلنا نجول عليه بأيدينا ، فسبقت كف
هارون قبل إليه .

قال : يالها من كَفَ ! ما أَلَيْهَا ! إِنْ نَجَّتْ غَدَّاً من عذاب الله عز وجل !
قلت في نفسي : ليكلمنه الليلة بكلام من قلب نقي ، فقال له : خُذْ لما جئناك
له - رحمة الله ! فقال له : إن عمر بن عبد العزيز لما ولى الخلافة دعا سالم بن عبد الله
ومحمد بن كعب القرظى ورجاء بن حيوة ، فقال لهم : إنني قد ابتليت بهذا البلاء ،
فأشروا على - فقد الخلافة بلاء . وعدتها أنت وأصحابك نعمة .

قال له سالم بن عبد الله : إن أردت النجاة من عذاب الله فصم الدنيما .
وليكن إفطارك منها الموت . وقال محمد بن كعب : إن أردت النجاة من عذاب الله
فليكن كبير المؤمنين عندك أبا ، وأوسطهم عندك أخا ، وأصغرهم عندك ولدا ؛
فوقر أباك ، وأكرم أخاك ، وتحنن على ولدك .

وقال له رجاء بن حيوة : إن أردت النجاة غداً من عذاب الله عز وجل
فاحب المسلمين ماتحب لنفسك ، وأكره لهم ماتسکره لنفسك ، ثم مُتْ إذا شئت .
وإني أقول لك : إنني أَخَافُ عليك أَشَدَّ الخوف يوم تَرِيل الأقدام ، فهل معك -
رحمة الله - مثل هؤلاء ، أو من يشير عليك بمثل هذا ؟ فبكى هارون بكاء
شدیداً ، حتى غُشِيَ عليه . قلت له : ارفق بأمير المؤمنين - رحمة الله !

قال : يا أمير المؤمنين ؟ بلغنى أن عاملاً لعمر بن عبد العزيز شکى إليه ،

فكتب إليه عمر : يا أخي ؟ اذْكُر طولَ سِهْرِ أَهْلِ النَّارِ فِي النَّارِ مَعَ خَلْوَدِ
الْأَبَدِ ، وَإِيَّاكَ أَنْ يُنْصَرِّفَ بِكَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَيَكُونُ آخِرُ الْعَهْدِ بِكَ ، وَانْقِطَاعُ
الرجاءِ مِنْكَ .

قال : فلما قرأ الكتاب طَوَى الْبَلَادَ حَتَّى قَدِمَ عَلَى عَمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ؛ فَقَالَ
لَهُ : مَا أَقْدَمْتَ ؟ قَالَ : خَلَعْتَ قَلْبِي بِكِتابِكَ ؛ لَا أَعُودُ إِلَى وَلَايَةِ حَتَّى أُلْقِيَ اللَّهُ عَزَّ
وَجَلَ . فَبَكَى هَارُونَ بَكَاءً شَدِيداً ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : زِدْنِي - رَحْمَكَ اللَّهُ !

فَقَالَ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ إِنَّ عَبَّاسَ عَمَّ النَّبِيِّ جَاءَ إِلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ : يَا رَسُولَ
اللهِ ؛ أُمِرْتَ عَلَى إِمَارَةِ . فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ : إِنَّ الْإِمَارَةَ حُسْنَةٌ وَنَدَامَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؛
فَإِنْ أَسْتَطَعْتَ أَلَا تَكُونَ أَمِيراً فَافْعُلْ . فَبَكَى هَارُونَ بَكَاءً شَدِيداً ، ثُمَّ قَالَ :
زِدْنِي - رَحْمَكَ اللَّهُ !

فَقَالَ : يَا حَسَنَ الْوَجْهِ ، أَنْتَ الَّذِي يَسْأَلُكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَ عَنْ هَذَا الْخَلْقِ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ ؛ فَإِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَقِيَّ هَذَا الْوَجْهَ مِنَ النَّارِ ، فَإِيَّاكَ أَنْ تُصْبِحَ وَتُمْسِيَ وَفِي
قَلْبِكَ غِشٌّ عَلَى أَحَدٍ مِنْ رَعِيَّتِكَ ، إِنَّ النَّبِيَّ قَالَ : مَنْ أَصْبَحَ لَهُمْ غَاشِئاً لَمْ يَرِحْ^(١)
رَاحِلَةَ الْجَنَّةِ . فَبَكَى هَارُونَ ، وَقَالَ لَهُ : عَلَيْكَ دِينٌ ؟ قَالَ : دِينُ رَبِّي لَمْ يَحَاسِبْنِي
عَلَيْهِ ؟ فَالوَيْلُ لِي إِنْ سَأَلْتَنِي ؛ وَالوَيْلُ لِي إِنْ لَمْ أُلْهَمْ حُجَّتَيِّ ، قَالَ : إِنَّمَا أَعْنِي مِنْ
دِينِ الْعِبَادِ ! قَالَ : إِنَّ رَبِّي عَزَّ وَجَلَ لَمْ يَأْمُرْنِي بِهَذَا ، إِنَّمَا أُمِرْتَ أَنْ أَصَدِّقَ وَعْدَهُ
وَأَطِيعَ أَمْرَهُ ، فَقَالَ : وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّةَ وَالْإِنْسَانَ إِلَّا لِيَعْبُدُونَ ، مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ
رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْمِعُونَ ، إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمُتَّيْنِ .
فَقَالَ لَهُ : هَذِهِ أَلْفُ دِينَارٍ ، خُذْهَا فَأَنْفَقْهَا عَلَى عِيَالِكَ ، وَتَقُوَّ بِهَا عَلَى عِبَادَةِ

(١) بِرَحْ رَاحِلَةِ الْجَنَّةِ : أَيْ لَمْ يَشْرِمْ رِيحَهَا .

ربك ! فقال : سبحان الله أنا أدلّك على طريق النّجاة ، وأنت تكافئني بمثل
هذا ؟ سلمك الله ووفقك ! ثم صمت فلم يكلمنا .

فخرجنا من عنده ، فلما صرنا على الباب ، قال هارون : يا عباس ؟ إذا دللتني
على رجل فدلي على مثل هذا ! هذا سيد المسلمين .

فدخلت عليه امرأة من نسائه ، فقالت : يا هذا ؛ قد ترى ما نحن فيه من
ضيق الحال ، فلو قبلت هذا المال فتفقر جتنا به ، فقال لها : مثلي ومثلكم كمثل قوم
كان لهم بغيركم يأكلون من كسبه ، فلما كبر نحروه فأكلوا لحمه .

فلما سمع هارون هذا الكلام قال : ندخل فعسى أن يقبل المال ، فلما علم
الفضيل خرج فجلس في السطح على باب الغرفة ، فجاء هارون فجلس إلى جنبه ،
فجعل يكلمه فلا يحييه .

قال الفضل : فيينا نحن كذلك إذ خرجت جاري سوداء ؟ فقالت : يا هذا ،
قد آذيت الشيخَ منذ الليلة ؟ فانصرِفْ رحمك الله ! فانصرفنا !

* ١٢٤ — أموي عند الرشيد

رُفع إلى هارون الرشيد أن رجلاً بدمشق من بقلايا بنى أمية عظيم المال ، كبير الجاه ، مطاع في البلد ، له جماعة وأولاد ومال يركبون الخيل ، ويحملون السلاح ، ويغزون الروم ، وأنه سمح جواد ، وأنه لا يؤمن منه ، فعظم ذلك على الرشيد .

فقال خادمه منارة : اخرج الساعة وابداً بالرجل فقيده وجئني به ، واجعله في تحمل تقدد أنت في شقه وهو في الآخر ، وتقدد داره ، واحفظ ما يقوله الرجل حرفاً بحرف .

قال منارة : فأتيت بيت الرجل ، ودخلت بغير إذنه ، فلما رأى القوم ذلك سألاه بعضَ مَنْ معِي عنِّي ، فلما صرَتْ فِي صَحْنِ الدَّارِ نَزَلَتْ ، ودخلت مجلساً رأيت فيه قوماً جلوساً ، فظننت أَنَّ الرَّجُلَ فِيهِمْ ، فقاموا ورَحَبُوا بِي ، فقلت : أَفَيْكُمْ فلان ؟ قالوا : نحن أَوْلَادُهُ وَهُوَ فِي الْجَسَامِ ، فقلت : استعجلوه ، فمضى بعضاً منهم يستعجله ، وأنا أتفقد الدار والأحوال والخاشية؛ فوجدتَها ماحتَ موجاً كبيراً . فلم أزل كذلك حتى خرج الرجل بعد أن طال مكثه ، واستربتْ به ، واشتدَّ خوفه وقلق من أن يتوارى ، إلى أن رأيت شخصاً بزى الحمام يمشى في صحن الدار ، وحواليه جماعة كهول وأحداث وصبيان ، وهم أولاده وعلماته ، فعلمته أنه الرجل . فجاء وسلم وسألني عن أمير المؤمنين ، واستقامة أمر حضرته ، فأخبرته بما وجب

وما قضى كلامه حتى جاءوا بأطباق فاكهة ، فقال : تقدّم يامنارة وكلّ
معنا . قلت : مالى إلى ذلك من سبيل ، فلم يعاودني وأكل هو ومنه ، ثم
جاءوا بعائد حسنة ، فقال : يامنارة ؟ ساعيْنا على الأكل ، فامتنعت عنه ،
فأعاودني .

لما فرغ من أكله قام إلى الصلاة فصلّى وأكثّرَ من الدعاء والابتهال ، ثم
قال لي : ما أقدّمك يامنارة ؟ فأخرحت كتابَ أمير المؤمنين فدفعته إليه فقضمه
وقرأه ، ثم أمر أولاده بالانصراف ، وقال : هذا كتاب أمير المؤمنين ، ولست أقيم
بعد نظري فيه ساعة واحدة ، هاتِ قيودك يامنارة ، فدعوتُ بها وقيدته وحلته .
وسرت بالرجل ، وليس معه أحد ، حتى صرنا بظاهر دمشق ، فابتدا
يمدّثني بانبساط حتى انتهينا إلى بستان حسن في الغوطة ، فقال لي : أترى هذا ؟
قلتُ : نعم ، قال : إنه لي ، وفيه من غرائب الأشجار كيت وكيت ، ثم انتهى
إلى آخر ، فقال مثل ذلك ، ثم انتهى إلى مزارع حسان وقرى ، فقال
مثل ذلك .

فاشتدَّ غيظي منه وقلتُ : أنتَ تعلم أنَّ أمير المؤمنين أهمَّ أمرُك حتى أرسلَ
إليكَ من انتزاعك من بين أهلك ومالكِ ولدك ، وأخر جَك فريداً مقيداً لا تدرى
إلى ما يصيرُ إليه أمرُك ؟ ولا كيف يكون ! وأنتَ فارغُ القلب من هذا حتى
تصفَ ضياعك وبساتينك بعد أن جئتُك ؟

قال لي مجبياً : إنَّ الله وإنَّا إليه راجعون ! أخطأتُ فراستي فيك . لقد ظلنتُ
أنكَ رجُلٌ كامل العقل ، وأنك ما حللتَ من الخلفاء هذا الحال إلا لما عرفوك
بذلك ، فإذا بكلامك يشبه كلام العوام ، والله المستعان !
أما قولك في أمير المؤمنين وإزعاجه وإخراجه : إلى بابه على صورتي هذه ،

فِإِنِّي عَلَى شُفَقَةٍ مِّنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ الَّذِي يَبْدِئُ نَاصِيَةً أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا يَمْلِكُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ لِنَفْسِهِ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا يَأْذِنُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ؛ وَلَا ذَنْبٌ لِي عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَخَافُهُ .
وَبَعْدَ، إِذَا عَرَفَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَمْرِي، وَعَرَفَ سَلَامِي، وَصَلَاحَ نَاحِيَتِي سَرَّحْنِي
مَكْرَمًا؛ فَإِنَّ الْحَسَادَ وَالْأَعْدَاءَ رَمَوْنِي عِنْدَهُ بِمَا لَيْسَ فِيهِ، وَتَقُولُوا عَلَيَّ الْأَقَاوِيلَ،
فَلَا يَسْتَحْلِلُ دَمِي؛ وَسِيرَدِي مَكْرَمًا، وَيَقِيمِنِي بِبِلَادِهِ مَعْظَمًا مُبِحَّلًا؛ وَإِنْ كَانَ قَدْ
سَبَقَ فِي عِلْمِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّهُ يَبْدُرُ إِلَيَّ مِنْهُ بَادْرَةً سَوِّيَّ، وَقَدْ حَضَرَ أَجْلِي، وَكَانَ
سَفَكُ دَمِي عَلَى يَدِهِ، فَإِنِّي أَحْسَنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ الَّذِي خَلَقَ وَرَزَقَ، وَأَحْيَا وَأَمَاتَ،
وَإِنَّ الصَّابَرَ وَالرَّاضِي وَالتَّسْلِيمَ إِلَى مَنْ يَمْلِكُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ! وَقَدْ كَنْتُ أَحْسَبَ أَنَّكَ
تَعْرِفُ هَذَا فَإِذْ عَرَفْتُ مَبْلَغَ فَهْمِكَ فَإِنِّي لَا أَكَلُمُكَ بِكَلْمَةٍ وَاحِدَةٍ حَتَّى يَفْرَقَ
بَيْنَنَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى!

قَالَ مَنَارَةُ: ثُمَّ أَعْرَضْتُ عَنِّي فَمَا سَمِعْتُ مِنْهُ لِفَظَةً غَيْرَ التَّسْبِيحِ أَوْ طَلْبِ مَاءِ أَوْ
حَاجَةٍ حَتَّى شَارَفْنَا السَّكُوفَةَ.

وَدَخَلْتُ عَلَى الرَّشِيدِ وَقَبْلَتُ الْأَرْضَ بَيْنَ يَدِيهِ، وَوَقَفْتُ، فَقَالَ: هَاتِ مَا عَنْدَكَ
يَا مَنَارَةً، فَسُقْتُ الْحَدِيثَ مِنْ أَوْلَاهُ إِلَى آخِرِهِ، فَلَمَّا جَئْتُ عَلَى آخِرِهِ قَالَ: صَدَقَ
وَاللَّهُ! مَا هَذَا الرَّجُلُ إِلَّا مَحْسُودُ النَّعْمَةِ مَكْذُوبٌ عَلَيْهِ، وَلِعَمْرِي لَقَدْ أَرْعَجْنَاهُ وَآذَنَاهُ
وَرَوَّعَنَا أَهْلَهُ، فَبَادِرْتُ بِنَزْعٍ قَيْوَدَهُ وَاثْنَتَنِي بِهِ؛ فَفَعَلْتُ وَأَدْخَلْتُهُ عَلَى الرَّشِيدِ.

فَمَا هُوَ إِلَّا إِنْ رَأَاهُ حَتَّى رَأَيْتُ مَاءَ الْحَيَاءَ يَجْمُولُ فِي وَجْهِ الرَّشِيدِ، فَدَنَّا الْأَمْوَى
وَسَلَمَ بِالْخِلَافَةِ وَوَقَفَ؛ فَرَدَ عَلَيْهِ الرَّشِيدَ رَدًّا جَيِّلًا، وَأَمْرَهُ بِالجلوسِ فِي جَلْسٍ، فَأَقْبَلَ
عَلَيْهِ الرَّشِيدُ وَسَأَلَهُ عَنْ حَانَةٍ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: بِلَغْنَا عَنْكَ فَضْلُ هَيَّةٍ وَأَمْوَالٍ أَحْبَبْنَا
مَعْهَا أَنْ نَرَاكَ، وَنَسْمَعَ كَلَامَكَ وَنُحْسِنَ إِلَيْكَ؛ فَأَذْكَرْتُ حَاجَتَكَ؛ فَأَجَابَ الْأَمْوَى

جواباً جيلاً، وشكراً ودعا. ثم قال: يا أمير المؤمنين؛ أن تردن إلى بلدي وأهلي
وولدي، قال: نفعل ذلك، ولكن سل ما تحتاج إليه في صالح جاهك ومعاشك،
فإن مثلك لا يخلو أن يحتاج شيئاً من هذا، فقال: يا أمير المؤمنين؛ عمالك مُنصفون،
وقد استغنت بعذلم عن مسالتي، فأمورى مستقيمة، وكذلك أهل بلدى بالعدل
الشامل فى ظلّ أمير المؤمنين.

فقال الرشيد: انصرف محفوظاً إلى بلدك، واكتب إلينا بأمرِ إن عرض لك:
فودعه الأموي وانصرف.

قال منارة: فلما ولى خارجاً قال الرشيد: يا منارة؛ احمله من وقتك وسرّ به راجحاً
كما جئت به، حتى إذا وصلت إلى مجلسه الذى أخذته منه فدعه وانصرف!

* ١٢٥ — يُؤَاسِي بعْضُهُمْ بعْضًا *

قال الواقدي^(١) :

كان لي صديقان: أحدهما هاشمي، وكُنّا كنفسٍ واحدة؛ ثالثني ضيقَةً شديدةً
وحضر العيد، فقابلت امرأتي : أمّا نحن في أنفسنا فنصبر على البُؤس والشدة ،
وأما صَبِيَانَا هؤلاء فقد قطعوا قلبي رحمةً لهم؛ لأنهم يرون صبيانَ الجيران وقد
تزينوا في عيدهم ، وأصلحوا ثيابهم ، وهم على هذه الحال من الشباب الرثة ! فلو
احتلت بشيء تصرفه في كسوتهم !

فكتبت إلى صديق الماشي أسلأه التَّوَسِّعةَ عَلَىَّ ، فوجَّهَ إِلَيَّ كيساً مختوماً ،
ذكر أنَّ فيه ألف درهم ، فما استقرَّ قرارِي حتى كتب إلى الصديق الآخر يشكُّو
مثل ما شكوتُ إلى صاحبِي ، فوجَّهَتُ إِلَيْهِ السَّكِيسَ بمحاله ، وخرجتُ إلى المسجد ،
فأقامتُ فيه ليلي مُسْتَحْيِيًّا من امرأتي .

فلا دخلتُ عليها استحسنَتْ ما كان مني ، ولم تعنِّفني عليه .

فيَنِي أنا كذلك إذ وافِي صديق الماشي ومعه السَّكِيسُ كهيته ، فقال لي :
اصدُقني بما فعلته فيما وجهتُ إليك ؟ فعرَفْتُه الخبر على وجهه ، فقال : إنك
وجهتَ إلىَّ وما أملك على الأرض إلا ما بعثتُ به إليك ، وكتبتُ إلى صديقنا
أسأله المواساة فوجَّهَ إِلَيَّ بكيسِي ! فتواسينا الألف أثلاثاً !

ثم نَمَيَ الخبر إلى المأمون فدعاني ، فشرحتُ له الخبر ، فأمر لنا بسبعةَ آلاف
دينار؛ لـ كل واحد ألفاً دينار ، وللمرأة ألف دينار !

* المسعودي : ٢ - ٣٣٦ .

(١) الواقدي : هو محمد بن عمر بن واقد من أقدم المؤرخين في الإسلام ومن أشهرهم ، ولد بالمدينة
وانتقل إلى العراق قولاً للأمويين القضاة بالرصافة ، ثم ول قضاء بغداد ، ومن كتبه « المازى
النبوية » توفي سنة ٢٠٧ هـ .

* ١٢٦ — وَقِيُّ للبرامكة

قال عمرو بن مساعدة :

رُفِعْت قصَّةٌ إِلَى الْمَأْمُون مَنْسُوبَةً إِلَى مُحَمَّد بْن عَبْدِ اللَّهِ يَمُوتُ فِيهَا بِحُرْمَةٍ ،
وَيَزْعُمُ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ النِّعْمَةِ وَالْقَدْرِ ، وَأَنَّهُ مَوْلَى لِيَحْيَى بْنِ خَالِدٍ ، وَأَنَّهُ كَانَ ذَا ضَيْقَةٍ
وَاسِعَةٍ ، نِعْمَةٌ جَلِيلَةٌ ، وَأَنَّ ضِيَاعَهُ قَبِضَتْ فِيهَا قُبْضَةً لِلْبَرَامِكَةَ ، وَزَالَتْ نِعْمَةُ بَحْلُولِ
النِّقْمَةِ عَلَيْهِمْ .

فَدَفَعَهَا الْمَأْمُون إِلَى ابْنِ خَالِدٍ ^(١) ، وَأَمْرَهُ أَنْ يَضْمُمَ الرَّجُلَ إِلَى نَفْسِهِ ، وَأَنْ
يُجْرِي عَلَيْهِ ، وَيُخْسِنَ إِلَيْهِ . فَفَعَلَ بِذَلِكَ ، وَصَلَحَتْ حَالَهُ ، وَصَارَ نَذِيَّاً لِابْنِ أَبِي
خَالِدٍ لَا يَفَارِقُهُ .

فَأَنَّا خَرَّ عَنْهُ ذَاتِ يَوْمٍ مَلَوِّدٍ وَلِدَاهُ ، فَبَعْثَ إِلَيْهِ فَاحْتَجَبَ عَنْهُ ، فَفَضَّبَ
عَلَيْهِ ابْنُ أَبِي خَالِدٍ ، وَأَمْرَ بِجَبْسِهِ وَتَقْيِيدهِ ، وَإِلَيْهِ جُبَّةَ صَوْفٍ ، فَكَثُرَ كَذَلِكَ
أَيَّامًا . فَسَأَلَ الْمَأْمُونَ عَنْهُ ، فَقَصَّ عَلَيْهِ قَصَّتَهُ ، وَعَظَمَ جُرمَهُ ، وَشَكَا مَا يَرَاهُ عَلَيْهِ
مِنَ التَّيِّهِ وَالصَّلَفِ ^(٢) وَالْافْتَخَارِ بِالْبَرَامِكَةِ ؛ وَالسُّمُومَ بِآبَائِهِمْ .

فَأَمْرَهُ يَإِحْضَارَهُ ؛ فَأَحْضَرَ فِي صُوفِهِ ؛ فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ الْمَأْمُونُ بِالْتَّوْبِينَ مُصْفَرًّا

* المحسن والساوى : ٢٢٢ ، طبعة ليزج .

(١) هو أَحْمَد بْنُ أَبِي خَالِدٍ ، اسْتُوْزِرَهُ الْمَأْمُونُ بَعْدَ وَفَاتَةِ الْفَضْلِ بْنِ سَهْلٍ وَقَالَ لَهُ : إِنِّي كُنْتُ
عَزِمتُ أَنْ أَسْتُوْزِرَ أَحَدًا بَعْدَ ذِي الرِّيَاضَتَيْنِ ، وَقَدْ رَأَيْتُ أَنَّ أَسْتُوْزِرَكَ . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ،
اجْعَلْ بَيْنِي وَبَيْنِ الْغَایِيَةِ مِنْزَلَةٍ يَتَأْمِلُهَا صَدِيقِي فِي رَجُوهِهِ ، وَلَا يَقُولُ عَدُوِّي قَدْ بَلَغَ الْغَایِيَةَ وَلَيْسَ إِلَّا
الْأَنْهَاطَ . فَاسْتَحْسَنَ الْمَأْمُونُ كَلامَهُ وَاسْتُوْزِرَهُ . وَظَلَّ أَنْدِرًا عَنْهُ حَتَّى ماتَ سَنَةُ ٢١١ هـ وَصَلَى
عَلَيْهِ الْمَأْمُونُ .

(٢) الصَّلَفُ : تَدْحِيَ الرُّءُوسَ بِمَا لَيْسَ فِيهِ .

لِقَدْرِهِ ، مُسْفِهًّا لِرَأْيِهِ ، وَعَظِيمٌ فِي عَيْنِهِ إِحْسَانٌ ابْنُ أَبِي خَالدٍ إِلَيْهِ ، مَعْ طَعْنٍ عَلَى
الْبَرَامِكَةِ ، وَوَضْعٌ مِنْهُمْ ، فَأَطْنَبَ فِي ذَلِكَ .

فَقَالَ مُحَمَّدٌ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَقَدْ صَفَرْتَ مِنَ الْبَرَامِكَةِ غَيْرَ مُصْفَرٌ ؛ وَذَمَّتَ
مِنْهُمْ غَيْرَ مَذْمُومٍ ، وَلَقَدْ كَانُوا شَفَاعَاءَ أَسْقَامَ دَهْرِهِمْ ، وَغِيَاثَ أَجَادِبٍ ^(١) عَصْرِهِمْ ،
وَكَانُوا مَفْزَعًا لِلْمَهْوِفِينَ ، وَمَلْجَأً لِلْمَظْلُومِينَ ، وَإِنْ أَذْنَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ حَدَّثَتْهُ
بَعْضُ أَخْبَارِهِمْ لِيَسْتَدِلَّ بِذَلِكَ عَلَى صِدْقِ قَوْلِهِمْ ؛ وَيَقْفَ عَلَى جَمِيلِ أَخْلَاقِهِمْ ،
وَمُحْمُودٌ مَذَاهِبِهِمْ فِي عَصْرِهِمْ ، وَالْأَفْعَالِ الشَّرِيفَةِ وَالْأَيْدِيَ النَّفِيسَةِ !

قَالَ : هَاتِ ، قَالَ : لَيْسَ بِإِنْصَافٍ ، مُحَدَّثٌ مَقِيدٌ فِي جَبَةِ صَوْفٍ ! فَأَمْرَ
فَأَخْذَ قِيَدَهُ . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ أَلَمْ الجَبَةَ يَحُولْ بَيْنِي وَبَيْنِ الْحَدِيثِ ؟ فَأَمْرَ
فَخَلَعَ عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : هَاتِ حَدِيثَكَ !

قَالَ : نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، كَانَ وَلَائِي وَانْقَطَاعِي إِلَى الْفَضْلِ ، فَقَالَ لِي الْفَضْلِ
يُومًا بِخَضْرِ مِنْ أَبِيهِ وَأَخِيهِ جَعْفَرٍ : وَيَحْكُ يَا مُحَمَّدٌ ! إِنِّي أَحَبُّ أَنْ تَدْعُونِي دُعَوَةً
كَمَا يَدْعُونَ الصَّدِيقَ صَدِيقَهُ ، وَالْخَلِيلَ خَلِيلَهُ !

فَقَلَتْ : جَعَلْتُ فَدَاكَ ! شَأْنِي أَصْفَرُ مِنْ ذَلِكَ ؛ وَمَا لِي يَمْجُزُ عَنْهُ ، وَبَاعِي
يَقْصُرُ عَنْ ذَلِكَ ، وَدَارِي تَضِيقٌ عَنْهُ ، وَمُنْتَيٌ ^(٢) لَا تَقْوُمُ لَهُ ! قَالَ : دَعْ عَنْكَ ذَلِكَ ،
فَلَا بَدَّ مِنْهُ . فَأَعْدَتُ عَلَيْهِ الْاسْتِعْنَاءَ ، فَرَأَيْتُهُ جَادِدًا فِي ذَلِكَ مَقْيَا عَلَيْهِ ، وَسَأَلَهُ أَبُوهُ
وَأَخْوَهُ الْإِعْفَاءَ ، وَأَعْلَمَهُ قَصْوَرَ يَدِي عَنْ بَلوْغِ مَا يَجْبَ لَهُ وَيُشْبِهُ مَثْلَهُ ، فَقَالَ لَهُمَا :
لَسْتُ بِقَانِعٍ مِنْهُ دُونَ أَنْ يَدْعُونِي وَإِيَّاتِي كَمَا لَا رَابِعَ مَعْنَا !
فَأَقْبَلَ عَلَيَّ يَحْيَى، وَقَالَ : قَدْ أَبِي أَنْ يُعْفِيَكَ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ غَيْرُنَا فَأَقْعِدْ نَاعِلَ أَنَاثِ

(١) الأَجَادِبُ : الْأَرَاضِي الَّتِي لَا نِبَاتَ بِهَا . (٢) الْمُنْتَيُ : الْفُوْرُ .

يٰتٰكَ فِلَاحٌ شَمَةٌ^(١) مِنَا وَأَطْعِمُنَا مِنْ طَعَامِ أَهْلَكَ فَخَنَّ بِهِ رَاضُونَ؛ وَعَلٰيْهِ شَاكِرُونَ.
فَقَلَّتْ : جَعِلْتُ فِدَاكَ ! إِنْ كُنْتَ قَدْ عَرَضْتَ عَلٰيْهِ ذَلِكَ، وَأَبْيَتَ إِلَّا هَتَّكِيَ
وَفَضِيحَتِي فَأَرْجُو أَنْ تُؤْجِلَنِي حَتّٰي أَتَاهُبَ . فَقَالَ : اسْتَأْجِلْ^(٢) لِنَفْسِكَ . فَقَلَّتْ :
سَنَةٌ ، فَقَالَ : وَيَحْكُ ، أَمَّعَنَا أَمَانٌ مِنَ الْمَوْتِ إِلَى سَنَةٍ !

فُرِجَتْ مِنْ عِنْدِهِمْ ، وَبَدَأَتْ بِرَمَادٍ^(٣) دَارِي ، وَإِصْلَاحَ آتَى ، وَشَرَاء
مَا أَتَيْجَمَّلُ^٤ بِهِ مِنْ فِرْشٍ وَأَثاثٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ ، وَهُوَ فِي ذَلِكَ لَا يَزَالُ يَذْكُرُنِي ؛ وَيَعْدَ
الْأَيَّامَ عَلَىٰ ، حَتَّىٰ إِذَا كَانَتِ الْجَمْعَةُ الَّتِي تَحِبُّ فِيهَا الدُّعْوَةَ قَالَ لِي : يَا مُحَمَّدٌ ؛ قَدْ قَرُبَ
الْوَقْتُ ، وَلَا أَحْسَبُ أَنَّهُ قَدْ بَقَى عَلَيْكَ إِلَّا الطَّعَامُ ؟ فَقَلَّتْ : أَجْلٌ يَاسِيدِي !

فأمرت باتخاذ الطعام على غاية ما ابسطت به يدي و مقدرتى ؟ وجاءنى
رسوله عشية اليوم الذى صبيحته الدعوه ؛ فقال لي : إلى أين بلغت ؟ وهل تأذن
بالركوب ؟ قلت : نعم ، بكر . فبكراً هو ويحيى وجعفر ، ومعهم أولادهم
و فتياهم .

فَلَمَا دَخَلُوا أَقْبَلَ عَلَى الْفَضْلِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدًا؟ إِنَّ أَوْلَى مَا أَبْدَأْتَ بِهِ النَّظَرَ إِلَيْكُمْ كُلَّهَا صَغِيرٍ هُنَّا وَكَبِيرٍ هُنَّا، فَقَمَّ بِنَا إِلَى الدَّارِ حَتَّى أَدْوَرَ فِيهَا، وَأَقْفَ عَلَيْهَا! فَقَمَتْ مَعَهُ، وَطَافَ فِي الْجَلْسِ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الْخِزَائِنِ، وَصَارَ إِلَى الْإِصْطَبَلَاتِ، وَنَظَرَ إِلَى صَغِيرٍ نَعْمَتِي وَكَبِيرِهَا، ثُمَّ عَدَلَ إِلَى الْمَطْبِخِ، فَأَمَرَ بِكَشْفِ الْقَدْوَرِ كُلَّهَا،

(٢) استأحله : طلب منه أن يضرب له في ذلك أجلا .

(١) الحشمة : الاستحياء .

(٣) رمزاً : إصلاحها.

وأبصر قِدْرًا منها ، فأقبل على أبيه ، وقال : هذه قِدْرُك التي تُعْجِبُك ، ولست أُبرح دون أن تَأْكُلَ منها ؟ فدعا برغيف فغمسه في القدر ، وناول أباه ؛ ثم فعل ذلك بأخيه ، ودعا بخلالٍ ، وخرج إلى الدار ، ووقف في صحنها مُسْرِّحًا طرفة في فنائهما وبنائهما وسقوفها وأرْوَاقِتها . ثم أقبل على وقال : منْ جِيرانِك ؟ قلت : جِيلتُ فذاك ! عن يميني فلان ابن فلان ، وعن شمالي فلان ابن فلان ، وفي ظهر داري رجلٌ كبير ، لا يفتر في بنائه ولا يُقصَر . فقال لي : أو تعرفه ؟ قلت : لا ، قال : ما كان ينبغي لك في قِدْرِك ومحلكَ من هذه الدولة أن يجترئ أحدٌ أن يشتري شيئاً في جوارك إلا بأمرك ، وأن ترضي لنفسك إلا بمحارِّ تعرفه !

فقلت : لم ينعني من ذلك إلا ما كنتُ فيه من الشغل بهذه الدعوة المباركة . فقال لي : فَإِنَّ الْحَاطِطَ الَّذِي يَتَّصَلُ بِدارِهِ ؟ فَأَوْمَأْتُ إِلَيْهِ ، فقال : علىَّ بِنَاءَ فَأَتَى بِهِ ، فقال : افتحْ هاهنا باباً ! فأقبلَ عليه أبوه ، وقال : نشتك اللَّهُ يابني . أَلَا تَهْجِمَ عَلَى قَوْمٍ لَا تَعْرِفُهُمْ ! وأقبل عليه أخوه بمثِلِ ذلك ، فَأَبَى إِلَّا أَنْ يفتحَ الباب .

فلمَّا رأيته قد ردَّ أباه وأخاه أمسكتُ عن مَسَأِلِته ، ففتح الباب ودخل ، وأدخلتني معه ؛ فدخلت داراً حار بصرى فيها من حُسْنِها ، واتهينا إلى رواق فيه مائةٌ مملوك في زَيْ واحِد ، عليهم الأقْبِيَّة^(١) من الديباج ؛ وإذا شيخ قد خرج قبل يده ، فقال له : مُرَّ بنا نظر في مرافق هذه الدار ؟ فما دخلنا مجلساً إلا رأينا قد فُوشَ بها لَا يُحيط به الوصف .

ثم قال للشيخ : مُرَّ بنا إلى مكانِ الدواب ، فدخلنا إِصْطَبْلا فيه أربعمائةٌ من البغال وغيرها ، فوجدت ذلك الإِصْطَبْلَ أَحْسَنَ بناءً من داري .

(١) جم قباء .

ثُمَّ خَرَجَ نَحْوَ دُورِ النِّسَاءِ ، وَالشِّيخُ بَيْنَ يَدِيهِ ، فَلَمَّا اتَّهَى إِلَى الْبَابِ وَقَفَ الشِّيخُ ، وَدَخَلَ الْفَضْلُ ، وَأَنَا مَعْهُ ، حَتَّى دَخَلْتُ بَعْضَ تِلْكَ الدُّورِ ، فَإِذَا فِيهِ مائَةً وَصِيفَةً^(١) ، قَدْ أَقْبَلْنَا فِي حُلَيْهِنَ وَحُلَّهُنَّ ، فَوَقَفْنَا بَيْنَ يَدِيهِ ، فَقَالَ : يَامِنُهُ ، هَذِهِ الدَّارُ أَجَلٌ أَمْ دَارِكَ ! فَقَلَّتْ : يَاسِيدِي ، وَمَا أَنَا ؟ وَمَا دَارِي ؟ هَذِهِ تَصْلِحُ لِلْأَمِيرِ لَا غَيْرِهِ ! فَقَالَ يَامِنُهُ ، هَذِهِ الدَّارُ بِمَا فِيهَا مِنَ الدَّوَابِ وَالرَّقِيقِ وَالْفُرْشِ وَالْأَوَانِ لَكَ ، وَلَكَ عِنْدِي زِيَادَةً .

فَقَلَّتْ فِي نَفْسِي : يَهْبِطُ لَكَ مَلِكٌ غَيْرِهِ ! فَعَلِمَ مَا فِي نَفْسِي ، فَقَالَ : يَامِنُهُ ؟ إِنِّي لَمَّا سَأَلْتُكَ هَذِهِ الدُّعَوَةَ تَقْدَمْتُ إِلَيْكَ الْقَهْرَمَانَ بِشَرَاءِ هَذَا الْبَرَاحَ^(٢) ، وَأَنْ يَعْجِلَ الْفَرَاغِ مِنْهُ وَمِنْ بَنَائِهِ ، وَحَوَّلْتُ إِلَى الدَّارِ مَاتَرِي ، فَبَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيهَا . وَانْصَرَفَ بِي إِلَى أَبِيهِ وَأَخِيهِ ، وَهَذُهُمَا بِمَا جَرَى ، فَرَأَيْتُ أَخَاهُ جَعْفَرًا قَدْ مَعِضَ^(٣) مِنْ ذَلِكَ ، وَتَغْيِيرُ وَجْهِهِ تَغْيِيرًا عَرَفْتُهُ ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى أَبِيهِ يَشْكُوُ الْفَضْلَ ، وَيَقُولُ : يَتَفَرَّدُ بِمِثْلِ هَذِهِ الْمَكْرَمَةِ مِنْ دُونِي ، فَلَوْ شَارَكَنِي فِيهَا لَكَانَتْ يَدًا أَشْكَرُهَا مِنِّي !

فَقَالَ : يَا أَخِي ؟ بَقِيَ لَكَ مِنْهَا قُطْبُهَا^(٤) ! قَالَ : وَمَا هُوَ ؟ قَالَ : إِنَّ مَوْلَانَا هَذَا لَا يَتَهَيَّأُ لَهُ ضَبْطُ هَذِهِ الدَّارِ بِمَا فِيهَا إِلَّا بِدَخْلٍ جَلِيلٍ ، فَأَعْطَهُ ذَلِكَ !

فَقَالَ : فَرَجَتَ عَنِي يَا أَخَ ! فَرَجَ اللَّهُ عَنِكَ ! فَدَعَا مِنْ وَقْتِهِ بِصِكَاكٍ^(٥) لِتَمْسُقِيَّاتِ ، وَاحْتَمَلَ عَنِي خَرَاجَهَا . فَخَرَجُوا عَنِي ، وَأَنَا أَيْسَرُ أَهْلَ زَمَانٍ .

فَهَلْ تَلَوْمَنِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى ذِكْرِهِ ، وَالإِشَادَةِ بِفَضْلِهِمْ ؟

فَقَالَ الْمَأْمُونُ : ذَهَبَ الْقَوْمُ وَاللهُ بِالْمَكَارِمِ ! ثُمَّ أَمْرَ مُحَمَّدَ بِمائَةِ أَلْفِ درَهمٍ ، وَتَقدَّمَ إِلَى ابْنِ أَبِي خَالِدٍ بَرِّ مَرْتَبَتِهِ ، وَتَصْمِيمِهِ فِي جَمْلَةِ خَوَاصِهِ !

(١) الْوَصِيفَةُ : الْخَادِمُ . (٢) الْبَرَاحُ : الْمَنْسُعُ مِنَ الْأَرْضِ لَا زَرْعَ بِهَا وَلَا شَجَرٌ .

(٣) مَعْضُ مِنَ الْأَمْرِ - كَفْرُ حُكْمٍ : غَضْبٌ . (٤) قَطْبُ الشَّيْءِ : مَلَكٌ وَمَدَارٌ . (٥) جَمْعُ صَكَّ .

* ١٢٧ أَفْضَلُ الْأَصْحَابِ *

كَانَ مُحَمَّدُ بْنُ حَمْيَدَ (١) الطُّوْسِيُّ عَلَى غَدَائِهِ يَوْمًا مَعَ جُلْسَائِهِ ، وَإِذَا بَصَرَهُ
عَظِيمَةً عَلَى بَابِ دَارِهِ ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ ، وَقَالَ لِبَعْضِ غَلَامَهُ : مَا هَذِهِ الضَّجَّةُ ؟ مَنْ كَانَ
عَلَى الْبَابِ فَلَيُدْخِلْ !

خَرَجَ الْغَلامُ ، ثُمَّ عَادَ إِلَيْهِ ، وَقَالَ : إِنَّ فَلَاتَنَا أَخِذَ وَقَدْ أُوتِقَ بِالْحَدِيدِ ، وَالْعَلَمَانُ
يَنْتَظِرُونَ أَمْرَكَ فِيهِ ؟ فَرَفَعَ يَدَهُ عَنِ الطَّعَامِ ؛ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ جُلْسَائِهِ . الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
أَمْكَنَكَ مِنْ عَدُوكَ ، فَسَبِيلُهُ أَنْ تَسْقِيَ الْأَرْضَ مِنْ دَمَهُ ؛ وَأَشَارَ كُلُّ مِنْ جُلْسَائِهِ
عَلَيْهِ بِعْتَلَهُ عَلَى صِفَةِ اخْتَارَهَا ، وَهُوَ سَاكِنٌ !

ثُمَّ قَالَ : يَا غَلامُ ؟ فَلَكَ عَنِهِ وَثَاقَهُ ، وَيُدْخَلُ إِلَيْنَا مُكَرَّمًا .

فَأَدْخِلْ عَلَيْهِ رَجُلٌ لَا دَمَ فِيهِ ؛ فَلَمَّا رَأَاهُ هُشَّ إِلَيْهِ ، وَرَفَعَ مَجْلِسَهُ ، وَأَمْرَ بِتَجْدِيدِ
الطَّعَامِ . وَبَسَطَهُ بِالْكَلَامِ ، وَلَقَمَهُ (٢) حَتَّى اتَّهَى الطَّعَامَ ، ثُمَّ أَمْرَ لَهُ بِكُشْوَةٍ حَسَنَةٍ
وَصِلَةٍ ، وَأَمْرَ بِرَدَّهِ إِلَى أَهْلِهِ مُكَرَّمًا ، وَلَمْ يَعَايِهِ عَلَى جُزُّهِ لَا جَنَاحَةَ .

ثُمَّ التَّفَتَ إِلَى جُلْسَائِهِ ، وَقَالَ لَهُمْ : إِنَّ أَفْضَلَ الْأَصْحَابِ مِنْ حَضَرَ الصَّاحِبِ
عَلَى الْمَكَارِمِ ، وَنِهاَهُ عَنِ ارْتِكَابِ الْمَآثِمِ ؛ وَحَسَنَ لِصَاحِبِهِ أَنْ يَجَازِيَ الْإِحْسَانَ
بِضَعْفِهِ ، وَالْإِسَاءَةَ بِصَفْحِهِ ؛ إِنَّا إِذَا جَازَيْنَا مِنْ أَسَاءَ إِلَيْنَا بِمَشْلِ مَا أَسَاءَ فَأَنَّ مَوْقِعَ
الشَّكْرِ عَلَى النِّعَمَةِ فِيهَا أُتَيْحَ منَ الظُّفَرِ ! إِنَّهُ يَنْبَغِي لِمَنْ حَضَرَ بِجَالِسِ الْمَلُوكِ أَنْ

* نَهَايَةُ الْأَرْبَ : ٦٣ ، غَرَرُ الْحَصَائِصُ : ٢٣٩ .

(١) مُحَمَّدُ بْنُ حَمْيَدَ الطُّوْسِيُّ : وَالَّذِي مِنْ قَوَادِ جَيْشِ الْمُؤْمِنُونَ الْعَبَاسِيِّ ، اسْتَعْمَلَهُ عَلَى الْمُوْسَلِ ، وَكَانَ
شَجَاعًا مَمْدُودًا جَوَادًا وَقُتِلَ سَنَةُ ٢١٢ هـ .. (٢) لَقَمَهُ ، يَرِيدُ أَطْعَمَهُ .

يُمْسِكَ إِلَّا عَنْ قَوْلِ سَدِيدٍ وَأَمْرٍ رَشِيدٍ؛ فَإِنْ ذَلِكَ أَدْوَمُ لِلنَّعْمَةِ، وَأَجْمَعُ لِلْأَنْفَةِ .
إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا . يُصْلِحُ
لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ، وَيَغْفِرُ لَكُمْ ذَنْبَكُمْ ، وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا
عَظِيمًا » ^(١) .

* ١٢٨ - مَا وَلَدْتِ الْأَرْبُعَ كَرْمَ مِنْكَ *

قال الأصمى ^(٢) :

قصدتُ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ رَجُلًا كَنْتُ أَغْشَاهُ لِكَرْمِهِ؛ فَوُجِدْتُ عَلَى بَابِهِ
بُوَّابًا؛ فَنَعْنَى مِنَ الدُّخُولِ إِلَيْهِ؛ ثُمَّ قَالَ : وَاللَّهِ يَا أَصْمَعِي مَا أَوْقَفْتِي عَلَى بَابِهِ لِأَمْنِعِ
مِثْلِكَ إِلَّا لِرَقَّةَ حَالَهُ، وَقَصْوَرِ يَدِهِ؛ فَكَتَبْتُ رُقْعَةً فِيهَا :

إِذَا كَانَ الْكَرِيمُ لِهِ حِجَابٌ فَإِنَّ فَضْلَ الْكَرِيمِ عَلَى اللَّئِيمِ ^(٣) !
ثُمَّ قَلْتُ لَهُ : أَوْصِلْ رُقْعَتِي إِلَيْهِ؛ فَفَعَلَ وَعَادَ بِالرُّقْعَةِ، وَقَدْ وَقَعَ عَلَى ظَهِيرَهَا :
إِذَا كَانَ الْكَرِيمُ قَلِيلًا مَالِ تَحْيَّبَ بِالْحِجَابِ عَلَى الْغَرِيمِ
وَمَعَ الرُّقْعَةِ صُرَّةٌ فِيهَا خَمْسَائَةِ دِينَارٍ .

فَقَلَتْ : وَاللَّهِ لَا تُحْفَنْ ^(٤) الْمُؤْمِنُونَ بِهَذَا الْخَبَرِ؛ فَلَمَّا رَأَنِي قَالَ : مَنْ أَيْنَ يَا أَصْمَعِي؟
قَلَتْ : مَنْ عِنْدَ رَجُلٍ مِنْ أَكْرَمِ الْأَحْيَاءِ حَاشَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ .

قَالَ : وَمَنْ هُوَ؟ فَدَفَعَتْ إِلَيْهِ الْوَرْقَةَ وَالصَّرَّةَ، وَأَعْدَتْ عَلَيْهِ الْخَبَرِ . فَلَمَّا رَأَى

(١) سورة الأحزاب - آية : ٧٠ ، ٧١ .

* غُرَاثُ الْأَوْرَاقِ لِلْحَمْوَى : ١ - ٢٣٢ .

(٢) هُوَ أَبُو سعيد عبد الملك بن قريب ، نشأ بالبصرة ، وأخذ العربية والحديث والقراءة عن أمتهما ، وقد اشتهر باثقة في الرواية والتخلص من اللغة ونقد الشعر ، توفي سنة ٢١٦ هـ .

(٣) الْلَّئِيمُ هُنَا : الْبَخِيلُ . (٤) التَّحْفَةُ : الْطَّرْفَةُ .

الصُّرَّةَ قَالَ : هَذَا مِنْ بَيْتِ مَالِيِّ ، وَلَا بَدْلٍ مِنَ الرَّجُلِ ! قَلْتُ : وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي أَسْتَحْيِي أَنْ تُرَوِّعَهُ^(١) بِرُسْلَكَ ، فَقَالَ لِبَعْضِ خَاصَّتِهِ : امْضِ مَعَ الْأَصْمَعِيِّ ؛ فَإِذَا أَرَاكَ الرَّجُلَ ، فَقُلْ لَهُ : أَحِبْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ غَيْرِ إِزْعَاجٍ !

فَلَمَّا حَضَرَ الرَّجُلُ بَيْنَ يَدِيِ الْمُؤْمِنِ قالَ لَهُ : أَنْتَ الَّذِي وَقَعْتَ لَنَا بِالْأَمْسِ ؟ وَشَكَوْتَ رِقَّةً الْحَالَ ، وَأَنَّ الزَّمَانَ قَدْ أَنْاخَ عَلَيْكَ بِكَلْكَلِهِ^(٢) فَدَفَعْنَا إِلَيْكَ هَذِهِ الصُّرَّةَ لِتُصْلِحَ بِهَا حَالَكَ ، فَقَصَدْتُ الْأَصْمَعِيَّ بَيْتَ وَاحِدٍ ؛ فَدَفَعْتُهَا إِلَيْهِ ! فَقَالَ : نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ وَاللَّهِ مَا كَذَبْتُ فِيمَا شَكَوْتُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ رِقَّةِ الْحَالِ ؛ لَكُنِي أَسْتَحْيِيْتُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ أُعِيدَّ قَاصِدِي إِلَّا كَمَا أَعَادَنِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ .

فَقَالَ لِهِ الْمُؤْمِنُونَ : اللَّهُ أَنْتَ ! فَمَا وَلَدْتَ الْعَربُ أَكْرَمَ مِنْكَ .

(١) رَوْعَهُ : أَفْزَعَهُ (٢) الْكَلْكَلُ : الصدر ، وَالْمَعْنَى : أَنْكَ فِي ضَيْقٍ وَشَدَّةٍ .

* ١٢٩ - الأصمى يطلب القرى

قال الأصمى :

سرتُ في تطوافِي في العرب بمحبلي طيءٌ ؛ فدفعتُ إلى قومٍ منهم يحتلّيون
البن ، ثم يَصيرون : الضيفَ الضيفَ ! فإن جاءَ مَنْ يضيّفُهم ، وإلا أراقوه ،
فلا يذوقون منه شيئاً دون الضيفِ إلا أن يجدهم الجوع .

ثم دَفَعْتُ إلى رجل من ولد حاتم بن عبد الله ، فسألته القرى ، فقال : القرى
والله كثير ، ولكن لا سبيلَ إليه ، فقلت : ما أَحَسْبَ عَنْدَكَ شَيْئاً ؟ فَأَمَرَ بالجفانِ
فأُخْرِجَتْ مُكَرَّماً بالثرید ، عليهَا وَذَرُ^(١) اللَّحم ، وإذا هو جادٌ في المَنْعِ
فقلت : واللهِ ما أشْبَهْتَ أباكَ حيْثُ يقول :

وأَبِرْزُ قِدْرِي بالفناء ، قليلها يُرَى غيرَ مضمونٍ به وكثيرُها
فقال : إلا أَشْبَهْتَ في هذا ؟ فقد أَشْبَهْتَهُ في قوله :

أمَاوَيْ إِمَا مانع فَمُبَيِّنٌ وَإِمَا عطاء لَا يُبَهِّمُهُ^(٢) الزَّجْرُ
فأنا والله مانع مبيّن . فرحتُ عنه .

ودفعت إلى امرأةٍ من ولد ابن هرمة فسألتها القرى ، فقالت : إنِّي والله
مُرِملةٌ مُسْنَتَة^(٣) ، ما عندِي شيءٌ ، فقلت : أما عندك جَزُورٌ ؟ فقالت : والله
ولا شَاءَ ، ولا دُجاجة ، ولا بَيْضَة ! فقلت : أمَا ابنُ هرمة أبوكِ ؟ فقالت : بلى

* ذيل الأمالى : ١٠٩

(١) الوذرة من اللحم : القطعة الصغيرة لا عظم فيها . (٢) يُبَهِّمُهُ : يكتمه .

(٣) أَسْنَتْ : أصابتها السنّة ، وهي الجريب .

والله ! إني لمن صديهم . قلت : قاتل الله أباك ما كان أكذبه حيث يقول :
 لا أُمْتَعُ الْمَوْذَ (١) بالفصال ولا أُبْتَاعُ إِلَى قرِيَةَ الْأَجَلِ
 إِنِّي إِذَا مَا الْبَخِيلُ آمَنَهَا بَاتَتْ ضَمَوْزًا مَنْيَ على وَجَلِ (٢)
 وَوَلَيْتُ ، فَنَادَتْ : ارْبَعَ أَيْهَا الرَاكِبُ ؛ فَعَلَهُ اللَّهُ ذَلِكَ أَقْلَهُ عَنْدَنَا ؛ فَقَلَتْ :
 إِلَّا تَكُونَ أَوْسَعْتَنَا قِرَارِي ، فَقَدْ أَوْسَعْتَنَا جَوَابًا !

* ١٣٠ — لقد أَمْكَنَكَ اللَّهُ مِنَ الوفاء *

قال صاحب شرطة المأمون :

دخلت يوماً مجلسَ أمير المؤمنين ببغداد؛ وبين يديه رجل مُكَبَّلٌ بالحديد:
 فلما رأني ؛ قال لي : يا عباس ! قلت : لبيك يا أمير المؤمنين !
 قال : خذ هذا إليك ، واحتفظ به ، وبكُرْ به إلى في غد !
 فدعوت جماعة فحملوه ولم يقدر أن يتحرّك ! فقلت في نفسي : مع هذه
 الوصية التي أوصاني بها أمير المؤمنين من الاحتفاظ به يجب أن يكون معى في
 بيتي ، فأمرتهم فتركوه في مجلس لي في داري .
 ثم أخذت أسأله عن قضيته وعن حاله ، ومن أين ؟
 فقال : أنا من دمشق ؛ فقلت : جزى الله دمشق وأهلها خيرا ! فلن أنتَ

(١) العوذ : الحديثات النتاج . (٢) ضمز البعير : أمسك جرته في فيه ولم يجر .

* المستطرف : ١ - ٢٤٠ ؛ العقد الفريد للملك السعيد : ٨١

من أهلها؟ قال : وعَنْتَ تَسْأَلُ؟ قلت : أَتَعْرِفُ فَلَا تَأْتَ؟ قال : وَمَنْ أَيْنَ تَعْرِفُ ذَلِكَ الرَّجُلَ ! قلت : وَقَعْتَ لِي مَعَهُ قَضِيَّةً . فقال : مَا كَفَتُ بِالَّذِي أَعْرَفُكَ خَبَرَهُ حَتَّى تَعْرِفَنِي قَضِيَّتِكَ مَعَهُ !

قال : كَنْتُ مَعَ بَعْضِ الْوَلَاتِ بِدَمْشِقَ ؟ فَبَنِي أَهْلُهَا ، وَخَرَجُوا عَلَيْنَا حَتَّى إِنَّ الْوَالِي تَدَلَّى فِي زَنْبِيلِ^(١) مِنْ قَصْرِ الْحَجَاجِ ، وَهَرَبَ هُوَ وَأَهْلَهُ ، وَهَرَبَتُ فِي جَمْلَةِ الْقَوْمِ .

فِيهِنَا أَنَا هَارِبٌ فِي بَعْضِ الدُّرُوبِ إِذَا بِجَمَاعَةٍ يَعْدُونَ خَلْنِي ؛ فَمَا زَلْتُ أَعْدُو أَمَامَهُمْ ، حَتَّى قُتِّلُهُمْ ؛ فَرَرْتُ بِهَذَا الرَّجُلِ الَّذِي ذَكَرْتُ لَكَ ، وَهُوَ جَالِسٌ عَلَى بَابِ دَارِهِ ؛ فَقَلَتْ : أَغْنَنِي أَغَاثَكَ اللَّهُ ! قال : لَا بَأْسَ عَلَيْكَ ! ادْخُلِ الدَّارَ ؛ فَدَخَلْتُ ، فَقَالَتْ زَوْجُهُ : ادْخُلْ تَلْكَ الْمَقْصُورَةِ^(٢) ؛ فَدَخَلْتُهَا ، وَوَقَفَ الرَّجُلُ عَلَى بَابِ الدَّارِ فَقَالَتْ إِلَّا وَقَدْ دَخَلَ ، وَالرَّجُلُ مَعَهُ يَقُولُونَ : هُوَ اللَّهُ عَنْدَكَ !

قال : دُونُكُمُ الدَّارَ ، فَتَشَوَّهَا ؛ فَقَنَّبُوهَا حَتَّى لَمْ يَبْقَ سَوْيَ تَلْكَ الْمَقْصُورَةِ ، وَأَمْرَأَتُهُ فِيهَا ؛ فَقَالُوا : هُوَ هُنَا ! فَصَاحَتْ بِهِمُ الْمَرْأَةُ وَهَرَّتْهُمْ ؛ فَانْصَرَفُوا .

وَخَرَجَ الرَّجُلُ وَجَلَسَ عَلَى بَابِ دَارِهِ سَاعَةً ، وَأَنَا قَائِمٌ أَرْجُفُ ، مَا تَحْمِلُنِي رِجْلَايِ منْ شَدَّةِ الْخُوفِ ؛ فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ : اجْلِسْ لَا بَأْسَ عَلَيْكَ ! فَبَجَلَسْتُ فَلَمْ أَلْبِثْ حَتَّى دَخَلَ الرَّجُلُ فَقَالَ : لَا تَخَفْ ، قَدْ صَرَفَ اللَّهُ عَنْكَ سَرَّهُمْ ، وَصَرَرْتَ إِلَى الْأَمْنِ وَالدَّعَةِ .

فَقَلَتْ لَهُ : جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا ! ثُمَّ مَا زَالَ يَعَاشِرُنِي أَحْسَنَ مَعَاشَةً وَأَجْلَهَا ، وَأَفْرَدَ لِي مَكَانًا فِي دَارِهِ ، وَلَمْ يَقْتُلْنِي تَفْقُدَ أَحْوَالِي .

(١) الزَّنْبِيلُ : الْقَفَةُ . (٢) الْمَقْصُورَةُ : الدَّارُ الْوَاسِعَةُ الْحَصْنَةُ أَوْ هِيَ أَصْغَرُ مِنَ الدَّارِ ، وَلَا يَدْخُلُهَا إِلَّا صَاحِبُهَا .

فأقْتَتُ عِنْدَهُ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ فِي أَرْغَدٍ عِيشَ وَاهْتَمَ إِلَى أَنْ سَكَنَتِ الْفَتْنَةُ
وَهَدَأَتْ وَزَالَ أَثْرُهَا ؛ فَقُلْتُ : أَنَذَنُ لِي فِي الْخُرُوجِ حَتَّى أَتَفَقَدَ حَالَ غَلَانِي ؟
فَلَعْلَى أَقْفُ مِنْهُمْ عَلَى خَبْرٍ ! فَأَخْذُ عَلَىَّ الْمَوَاثِيقَ بِالرَّجُوعِ إِلَيْهِ .

خَرَجْتُ فَطَلَبْتُ غَلَانِي ؛ فَلَمْ أَرَهُمْ أَثْرًا ؛ فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ وَأَعْلَمْتُهُ الْخَبْرَ . وَهُوَ
مَعَ هَذَا كَلَهُ لَا يَعْرُفُنِي وَلَا يَسْأَلُنِي ، وَلَا يَعْرُفُ اسْمِي ، وَلَا يَخَاطِبُنِي إِلَّا بِالْكُنْتِيَّةِ .
ثُمَّ قَالَ : عَلَامَ تَعْزُّمْ ؟ فَقُلْتُ : عَزَّمْتُ عَلَى التَّوْجِهِ إِلَى بَغْدَادَ ؛ فَقَالَ : الْقَافِلَةُ
بَعْدَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ؛ وَهَذَا قَدْ أَعْلَمْتُكَ !

فَقُلْتُ لَهُ : إِنَّكَ تَفَضَّلُ عَلَىَّ هَذِهِ الْمَدَّةِ ، وَلَكَ عَلَىَّ عَهْدٌ أَلَا أَنْسِي لَكَ هَذَا
الْفَضْلُ وَلَا كَافِنَّكَ مَا اسْتَطَعْتَ .

ثُمَّ دَعَا غَلَامًا لِهِ أَسْوَدَ ، وَقَالَ لَهُ : أَسْرِجْ الْفَرَسَ ، ثُمَّ جَهَزْ آلَهَ السَّفَرِ ؛
فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : مَا أَظَنُّ إِلَّا أَنَّهُ يَرِيدُ أَنْ يَخْرُجَ إِلَى ضَيْعَةٍ أَوْ نَاحِيَةٍ مِنَ النَّوَاحِي ؛
فَأَقَامُوا يَوْمَهُمْ ذَلِكَ فِي كَدَّ وَتَعْبٍ .

وَلَا حَانَ يَوْمُ خَرُوجِ الْقَافِلَةِ جَاءَنِي السَّحَرَ^(١) ، وَقَالَ لِي : قَمْ ، فَإِنَّ الْقَافِلَةَ
تَخْرُجُ السَّاعَةِ ، وَأَكْرَهُ أَنْ تَنْفَرِدَ عَنْهَا ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : كَيْفَ أَصْنَعُ ، وَلَيْسَ
مَعِي مَا أَتَرْوَدَ بِهِ ، وَلَا مَا أَكْتَرِي بِهِ مَرْكُوبًا^(٢) ! ثُمَّ قَتَ ، فَإِذَا هُوَ وَامْرَأَتُهُ
يَحْمَلَانِ أَفْخَرَ الْمَلَابِسِ ، وَخَفِينَ جَدِيدَيْنِ ، وَآلَهَ السَّفَرِ . ثُمَّ جَاءَنِي بِسَيفٍ وَمِنْطَقَةٍ
فَشَدَّهَا فِي وَسْطِيَّ ، ثُمَّ قَدَّمَ بَغْلًا فَحَمَلَ عَلَيْهِ صَنْدوقَيْنِ وَفَوْقَهُمَا فَرْشًا ، وَقَدَّمَ إِلَيَّ
فَرْسًا ، وَقَالَ : ارْكِبْ ، وَهَذَا الْفَلامِ الْأَسْوَدُ يَخْدِمُكَ ، وَيَسُوسُ مَرْكُوبَكَ .

وَأَقْبَلَ هُوَ وَامْرَأَتُهُ يَعْتَذِرُانِ إِلَيَّ مِنَ التَّقْصِيرِ فِي أَمْرِي ، وَرَكِبَ مَعِي يَشَيْعَنِي ،
وَانْصَرَفَ إِلَى بَغْدَادَ وَأَنَا أَتَوَقَّعُ خَبَرَهُ ، لَأَفِيَ بِعَهْدِي لَهُ فِي مَجَازَاتِهِ وَمَكَافَاتِهِ ،

(١) السحر : قبيل الصبح . (٢) المركوب : ما يركب .

واشتغلتُ مع أمير المؤمنين ، فلم أتفرّغ أن أرسِل إلَيْهِ من يكشفُ خبره ، فلهذا
أسأَلُ عنه !

فَلَمَا سَمِعَ الرَّجُلُ الْمَحِدِثَ قَالَ : لَقَدْ أَمْكَنَنَا اللَّهُ مِنَ الوفاءِ لَهُ ، وَمَكَافَاتِهِ عَلَى
عَهْلِهِ وَمَجازِاهِ عَلَى صَنْيِعِهِ بِلَا كُلْفَةٍ عَلَيْكَ ، وَلَا مَثُونَةٍ تَلْرُمُكَ .

فَقَلَتْ : وَكَيْفَ ذَلِكَ ؟ قَالَ : أَنَا ذَلِكَ الرَّجُلُ ، وَإِنَّمَا الضَّرُّ الَّذِي أَنَا فِيهِ غَيْرَ
عَلَيْكَ حَالِي ، وَمَا كَنْتَ تَعْرِفُهُ مِنْ .

فَهَا تَمَالَكْتُ أَنْ قَتَّ وَقَبَّلْتُ رَأْسَهُ ، ثُمَّ قَلَتْ لَهُ : فَمَا الَّذِي أَصَارَكَ ^(١) إِلَى
مَا أَرَى ؟ فَقَالَ : هَاجَتْ بِدِمْشَقَ فِتْنَةٌ مُمِاثِلَةُ الْفِتْنَةِ الَّتِي كَانَتْ فِي أَيَامِكَ ؛ فَنُسِبْتَ
إِلَيَّ وَبَعْثَتْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِجِيُوشِهِ ، فَأَصْلَحُوا الْبَلَدَ ، وَأَخْدِنْتُ أَنَا وَضْرِبْتُ إِلَى أَنْ
أَشْرَفْتُ عَلَى الْمَوْتِ ! وَقُيُّدْتُ وَبُعْثِبْتُ بِي إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَأُمْرِيَّ عَنْهُ عَظِيمٌ ،
وَخَطَبَ لِدِيهِ جَسِيمٌ ، وَهُوَ قَاتِلِي لَا حَمَالَةَ !

وَقَدْ أَخْرِجْتُ مِنْ عَنْدِ أَهْلِي بِلَا وَصِيَّةٍ ، وَقَدْ تَبَعَّنَى مِنْ غَلَمَانِي مِنْ يَنْصَرِفُ
إِلَى أَهْلِ بَخَرَبَى ، وَهُوَ نَازِلٌ عَنْدَ فَلَانَ ، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَجْعَلَ مِنْ مَكَافَاتِكَ لِي
أَنْ تَرْسَلَ مِنْ يُخْضِرُهُ حَتَّى أُوصِيَّهُ بِمَا أَرِيدُ ! فَإِنْ أَنْتَ فَعَلْتَ ذَلِكَ فَقَدْ جَاوزْتَ
حَدَّ الْمَكَافَةَ ، وَقَتَّ لِي بِوَفَاءِ عَهْدِكَ ! قَلَتْ : يَصْنَعُ اللَّهُ خَيْرًا .

ثُمَّ أَخْضَرَ الْعَبَاسَ حَدَّادًا فِي الْلَّيلِ فَلَكَ قِيَودُهُ ، وَأَزَالَ مَا كَانَ فِيهِ مِنْ
الْأَنْكَالَ ^(٢) ، وَأَدْخَلَهُ حَمَامَ دَارِهِ ، وَأَلْبَسَهُ مِنَ الثِّيَابِ مَا احْتَاجَ إِلَيْهِ ، ثُمَّ سَيَّرَ مَنْ
أَخْضَرَ إِلَيْهِ غَلَامَهَ .

فَلَمَّا رَأَاهُ جَعَلَ يَبْكِي وَيُوصِيَهُ ؛ فَاسْتَدْعَى الْعَبَاسَ نَائِبَهُ ، وَقَالَ : عَلَىَّ بِالْأَفْرَاسِ
وَالْمَدَائِيَا ، ثُمَّ أَمْرَهُ أَنْ يَشْيَعَهُ إِلَى حَدَّ الْأَنْبَارِ !

(١) أَصَارَكَ : صِيرَكَ . (٢) الْأَنْكَالَ : جَمْ نَكْلَ . قِيدُ الثَّدِيدِ .

قال له: إن ذنبي عند أمير المؤمنين عظيم، وخطبتي جسم، وإن أنت احتججت
باتني هربت بعث في طلي كل من على باه، فأردد وأقتل.

قال العباس: إن بني نفسك ودعني أدبر أمري! قال: والله لا أربح بغداد
حتى أعلم ما يكون من خبرك! فإن احتججت إلى حضوري حضرت.

قال العباس: إن كان الأمر على ما تقول، فلتكن في موضع كذا، فإن أنا
سلمت في غداة غد أعلمك، وإن أنا قتلت فقد وقيتك بنفسك كما وقينا!

ثم تفرّغ العباس لنفسه، وتحنّط وجهه له كفناً.

قال العباس: فلم أفرغ من صلاة الصبح إلا ورسّل المأمون في طلي، وهم
يقولون: هات الرجل معك وقم!

فتوجهت إلى دار أمير المؤمنين؛ فإذا هو جالس ينتظر. قال: أين الرجل؟
فسكت! قال: ويحيك! أين الرجل؟ قلت: يا أمير المؤمنين؛ اسمع مني.
قال: الله على عهد لئن ذكرت أنه هرب لأضر بن عنقك! قلت: لا والله
يا أمير المؤمنين ما هرب، ولكن اسمع حديثي وحديثه، ثم شأنك وما تريد أن
تفعله في أمري! قال: قل.

قلت: يا أمير المؤمنين؛ كان من حديثي معه كيت وكيت، وقصصت عليه
القصة جميعها، وعرفته أني أريد أن أفق له، وأكافئه على فعله معى، وقلت:
أنا وسيدي ومولاي أمير المؤمنين بين أمرين: إما أن يصحح عنى؛ فاكون قد
وفيت وكافأت، وإما أن يقتلني فأقيمه نفسى، وقد تحنّطت، وهذا هو ذاكفني
يا أمير المؤمنين!

فلما سمع المأمون الحديث قال: ويلك، لا جراك الله عن نفسك خيراً؛ إنه فعل

بك ما فعل من غير معرفة ، و تكافئه بعد المعرفة بهذا ؟ هلا عرفتني خبره ، فـكنا
نـكافئه عنك ، ولا نـضرـفـيـ وـفـائـكـ لهـ !

فـقلـتـ : ياـمـيرـ الـمـؤـمـنـينـ ، إـنـهـ هـاهـنـاـ وـقـدـ حـلـفـ أـلـاـ يـرـحـ حـتـىـ يـعـرـفـ سـلـامـتـىـ ،
إـنـ اـحـبـجـتـ إـلـىـ حـضـورـهـ حـضـرـ .

فـقالـ الـمـأـمـونـ : وـهـذـهـ مـيـتـهـ أـعـظـمـ مـنـ الـأـولـىـ ، اـذـهـبـ إـلـيـهـ الـآنـ ، فـطـيـبـ نـفـسـهـ
وـسـكـنـ رـوـعـهـ ، وـائـنـىـ بـهـ حـتـىـ أـتـوـىـ مـكـافـأـتـهـ .

فـأـتـيـتـ إـلـيـهـ وـقـلـتـ لـهـ : لـيـزـلـ خـوـفـكـ ، إـنـ أـمـيرـ الـمـؤـمـنـينـ قـالـ كـذـاـ وـكـذـاـ !
فـقالـ : الـحـمـدـ لـلـهـ الـذـىـ لـاـ يـحـمـدـ عـلـىـ السـرـاءـ وـالـضـرـاءـ سـوـاـهـ ؟ شـمـ قـامـ وـرـكـ ، فـلـماـ
مـثـلـ بـيـنـ يـدـيـ أـمـيرـ الـمـؤـمـنـينـ أـقـبـلـ عـلـيـهـ ، وـأـدـنـاهـ مـنـ مـجـلـسـهـ وـحدـّهـ ، حـتـىـ حـضـرـ الـغـدـاءـ
فـأـكـلـ مـعـهـ ، وـخـلـعـ عـلـيـهـ ، وـعـرـضـ عـلـيـهـ أـعـمـالـ دـمـشـقـ ، فـاسـتـعـفـ ، فـأـمـرـ لـهـ بـصـلـةـ
وـكـتـبـ إـلـىـ عـاـمـلـهـ بـدـمـشـقـ بـالـوـصـيـةـ بـهـ .

١٣١ إبراهيم بن المهدى والأمومون*

قال الواقدى :

كان إبراهيم^(١) بن المهدى قد ادعى الخلافة لنفسه بالرَّى ، وأقام مالكاها سنةً وأحد عشر شهراً واثنى عشر يوماً ، وله أخبار كثيرة أحسنها عندي ماحكاها لى ، قال : لما دخل الأمون الرَّى في طلبى ، وجعل لمن أتاه بي مائة ألف درهم ، خفتُ على نسبي وتحيرت في أمرى ، فخرجت من دارى وقت الظهر ، وكان يوماً صافياً ، وما أدرى أين أتوَّجَه ، فوقفت في شارع غيرِ نافذ ، وقلت : « إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُون » ! إنَّ عدْتُ على أثرِي يُرْتَابُ في أمرى .

ثم رأيتُ في صدر الشارع عبداً أسود قائماً على باب دار ، فتقدمت إليه وقلت : هل عندك موضع أقيم فيه ساعة من نهار ؟ فقال : نعم ، وفتح الباب ، فدخلت إلى بيت نظيف فيه بسط ووسائد جلود إلا أنها نظيفة ، ثم أغلق الباب على ومضى ؛ فتوهمته قد سمع الجمالة^(٢) في ، وأنه خرج ليدل على ، فبقيت على مثل النار .

و بينما أنا كذلك إذ أقبلَ و معه حمال عليه كل ما يحتاج إلى من خبز و لم ، وقدر جديدة ، و جررة نظيفة ، وكيسان جدد . بخط عن الحمال ، ثم التفت إلى وقال :

* مجانى الأدب : ٤ - ٢٣٦ .

(١) إبراهيم بن المهدى بن المنصور العباسي ، أخو هارون الرشيد ، كان وافر الفضل غزير الأدب ، سخى الكف ولم ير في أولاد الخلفاء قبله أفضح منه إنساناً ، ولا أحسن منه شعرأ ، مع بيد طولى في العناي ، والضرب بالملاهى وحسن النادمة ، بويح بالخلافة سنة ٢٠١ هـ وتوفى بسر من رأى سنة ٢٤٤ هـ . (٢) الجمالة : الأجر يعطى على عمل خاص .

جَعَلَنِي اللَّهُ إِنْدَكَ ! أَنَا رَجُلٌ حَبَّاجٌ ، وَأَنَا أَعْلَمُ أَنْكُ تَتَقْدِرُنِي ^(١) ، لَمَّا أَتَوْلَاهُ مِنْ
مَعِيشَتِي ، فَشَانَكَ بِمَا لَمْ تَقْعُ عَلَيْهِ يَدٌ .

وَكَانَ بِي حَاجَةٌ إِلَى الطَّعَامِ فَطَبَخْتُ لِنفْسِي قِدْرًا مَا أَذْكَرُ أَنِّي أَكَلْتُ مُثْلَهَا .
وَلَمَا قَضَيْتُ أَرْبَيْ ^(٢) مِنَ الطَّعَامِ قَالَ : هَلْ لَكَ فِي الشَّرَابِ فَإِنَّهُ يُسْلِلُ الْهَمَّ ^(٣) ؟ فَقَالَتْ :
مَا أَكَرَهُ ذَلِكَ - رَغْبَةً مِنِّي فِي مُؤَانِسَتِهِ - فَأَتَى بِقَطْرِمِيرْ ^(٣) جَدِيدٍ لَمْ تَمْسِهِ يَدٌ ،
وَجَاءَنِي بِشَرَابٍ وَقَالَ : رُوقٌ لِنفْسِكَ . فَرَوَقْتُ شَرَابًا فِي غَايَةِ الْجُودَةِ ، وَأَحْضَرَ لِي
قَدَحًا جَدِيدًا وَفَاكِهَةًا وَأَبْقَالًا مُخْتَلِفَةً فِي طُسُوتِ خَارِجِ جُددٍ .

ثُمَّ قَالَ بَعْدَ ذَلِكَ : أَتَأْذَنُ لِي - جَعَاتُ فَدَاءَكَ - أَنْ أَقْعُدَ نَاحِيَةً وَآتَى بِشَرَابٍ
خَافِشَ بِهِ سَرُورًا بِكَ ؟ فَقَالَتْ لَهُ : افْعُلْ . ثُمَّ شَرَبَتُ وَشَرَبْ ، ثُمَّ دَخَلَ إِلَى خَزانَةِ لَهِ
فَأَخْرَجَ عُودًا مَصْفَحًا ، ثُمَّ قَالَ لِي : يَا سَيِّدِي ! لَيْسَ مِنْ قَدْرِي أَنْ أَسْأَلَكَ الْفَنَاءَ ،
وَلَكِنْ قَدْ وَجِبَتْ عَلَى مَرْوِهِتِكَ حُرْمَتِي ، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُشَرِّفَ عَبْدًا لَكَ فَلَكَ
عُلُوُّ الرَّأْيِ ! فَقَاتَ : مَنْ أَيْنَ لَكَ أَنِّي أَحْسَنُ الْفَنَاءِ ؟ فَقَالَ : يَا سَبِّحَانَ اللَّهِ ! مَوْلَانَا
أَشْهَرُ مِنْ ذَلِكَ ، أَنْتَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَهْدِيِّ خَلِيفَتُنَا بِالْأَمْسِ ، الَّذِي جَعَلَ الْمُؤْمِنَ
لِمَنْ دَلَّ عَلَيْهِ مَائِهَةً أَلْفَ دَرَهْمٍ .

فَلَمَّا قَالَ ذَلِكَ عَظِيمُ فِي عَيْنِي وَثَبَقَتْ مَرْوِهَتُهُ عِنْدِي ، فَتَنَاهَتُ الْمُودَّةُ وَأَصْلَحَتُهُ
وَغَنَّيَتْ - وَقَدْ مَرَّ بِخَاطِرِي فِرَاقٌ أَهْلِي وَوَلَدِي :

وَعَسَى الَّذِي أَهْدَى لِيْوُسْفَ أَهْلَهُ وَأَعْزَهُ فِي السَّجْنِ وَهُوَ أَسْيَرُ
أَنْ يَسْتَجِيبَ لَنَا فِي جَمِيعِ شَمْلَنَا وَاللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ قَدِيرٌ
فَاسْتَوَى عَلَيْهِ الطَّرَبُ الْمَفْرِطُ ، وَطَابَ عِيشَهُ كَثِيرًا ، وَمِنْ شَدَّةِ سَرُورِهِ وَطَرَ بِهِ

(١) تَسْتَقْدِرُنِي . (٢) حاجَتِي . (٣) القَطْرِمِيرُ : قَلَةٌ كَبِيرَةٌ مِنْ الزَّجاجِ .

قال ياسيدى ؟ أتاذنُ لى أن أغنى ما سَنَح بخاطرى ، وإن كُنتُ من غير أهل هذه الصناعة ؟ فقلت : هذا زِيادة في أَدَبِك ومرودتك ، فأخذ العُودَ وغنى :

شكونا إلى أحبابنا طولَ ليلنا
فقالوا لنا : ما أقصـر الليل عندنا !
وذاك لأن النوم يغشى عِيُونـهم
سريراً ولا يغشى لنا النومُ أعيـنا
إذا مادنا الليلُ المضر بذى الهوى
جزعنـا وهم يستبشرـون إذا دـنا
فـلو أنـهم كانوا يـلاقـون مثلـ ما
فـوالله لقد أحـسـست بالـبيـت قد سـارـ بيـ ، وذهبـ عنـ ما كانـ منـ الـهـلـعـ ، وـسـأـلـتـهـ
أن يـغـنـي مـرـةـ ثـانـيـةـ فـغـنـيـ :

تعـيرـنا أـنـا قـليلـ عـديـدـنا
فـقلـتـ لهاـ : إـنـ الـكـرـامـ قـليلـ
وـما ضـرـنا أـنـا قـليلـ وجـارـنا
عـزـيزـ وجـارـ الأـكـثـرـينـ ذـليلـ
إـذا ما رـأـتهـ عـامـرـ وـسـلـولـ
وـإـنـا لـقـومـ لـازـمـ القـتـلـ سـبـبـةـ
يـقـرـبـ حـبـ المـوتـ آـجـالـنـا لـنـا
فـداـخلـنـى مـنـ الـطـربـ مـلاـ مـزـيدـ عـلـيـهـ ، ثـمـ عـاجـلـنـى النـوـمـ فـلـمـ اـسـتـيقـظـ إـلـاـ
بعدـ المـغـرـبـ .

فعـاـونـى فـكـرـى فـي نـفـاسـةـ هـذـا الـحـجـامـ وـحـسـنـ أـدـبـهـ وـظـرـفـهـ ، فـقـمـتـ وـغـسلـتـ
وـجـهـيـ وـأـيـقـظـتـهـ ، وـأـخـذـتـ خـرـيـطةـ^(١) كـانـتـ صـحـبـتـىـ ، فـيـهـ دـانـيـرـهـاـ قـيمـةـ ،
فـرـمـيـتـ بـهـاـ إـلـيـهـ ، وـقـلـتـ لـهـ : أـسـتـوـدـعـكـ اللهـ ، فـإـنـتـيـ مـاضـ منـ عـنـدـكـ ، وـأـسـأـلـكـ أـنـ تـنـفـقـ
مـاـ فـيـ هـذـهـ خـرـيـطةـ فـيـ بـعـضـ مـهـمـاتـكـ ، وـلـكـ عـنـدـيـ الـمـزـيدـ إـنـ أـمـنـتـ مـنـ خـوفـ .
فـأـعـادـهـاـ عـلـىـ مـنـكـرـاـ ، وـقـالـ : يـاسـيـدـىـ ! إـنـ الصـعـالـيـكـ مـنـاـ لـاـ قـدـرـ لـهـمـ عـنـدـكـ ،
أـخـذـ عـلـىـ مـاـ وـهـبـنـيـهـ الزـمـانـ مـنـ قـرـبـكـ وـحـلـوكـ عـنـدـيـ ثـمـنـاـ ؟ وـالـلـهـ لـئـنـ رـاجـعـتـنـىـ

(١) الخـريـطةـ : وـعـاءـ مـنـ جـلدـ وـغـيرـهـ .

في ذلك لآتقلنَّ نفسي ، فأعادت الخريطة إلى كُمّي وقد أتقلنَّ حملها .

ولما همتُ بالخروج قال لي : ياسيدى ؟ إن هذا المكان أخفى لك من غيره ، وليس في مَنْوَتك على ثقل ، فأقم عندي إلى أن يُفرج الله عنك . فرجعت وسألته أن ينفق من تلك الخريطة فلم يفعل . فأفقت عنده أياً ما على تلك الحالة في الدّعْيَةِ ، ثم تذمّمتُ^(١) من الإقامة عنده ، واحتسمت من التقى عليه ، فتركته - وقدمضى يُحدّد لنا حالاً - وقت قُبْرِيَّتُ بزى^(٢) النساء وخرجت ، فلما صرتُ في الطريق داخلني من الخوف أمر شديد ، وجئت لأعبر الجسر ، فإذا أنا بموضع مرشوش بباء ، فابصرَّني جندى من كان يخدمُنى ، فعرفني وقال : حاجةُ المأمون !

ثم تعلق بي ؛ فدفعته هو وفرسه ، فرميَّهما في ذلك الزَّلق ، فصار عَبْرَة ، وتبادر الناس إليه ، فاجتهدتُ في المشي حتى قطعتُ الجسر ، ودخلتُ شارعاً فوجدتُ باب دار ، وامرأةً واقفة في دهليز ، فقلت : يا سيدة النساء ؟ أحقني دمى ، فإنِّي رجل خائف . فقالت : على الرَّحْب والسَّعة ، وأطْلَعْتَنِي إلى غرفةٍ مفروشة ، وقدمتْ لي طعاماً ، وقالت : ليهداً روعك ، فما علَمْ بك مخلوق . وإذا الباب يُدقَّ دقًّا عنيناً ، فرجت وفتحت الباب ، وإذا بصاحبِي الذي دفعته على الجسر ، وهو مشدوخُ الرأس ، ودمه على ثيابه وليس معه فرس ! فقالت : يا هذا ! مادهاك ؟ فقال : ظفرتُ بالمعنى^(٣) وانفلَّتَ عَنِّي . ثم أخبرها بما وقع له مني فآخرت خرقاً ، وعصبتَه بها ، وفرشت له فنام علياً ، ثم طلت إلى وقالت : أظنك صاحبَ القصة ، فقلت : نعم !

قالت : لا بأس عليك ! ثم جددت لى الـكرامة ، وأفقت عندها ثلاثة ، ثم قالت لي : إنِّي خائفةٌ عليك من هذا الرجل ، وأخشى أن ينمَّ بك ، فانجحْ بنفسك .

(١) تذمّم : خشي اللوم والنِّم . (٢) الذى : الهيئة . (٣) يقصد بالمعنى إبراهيم بن المهدى لشهرته بالفناء ، وكان يغير بذلك .

فَسَأَلْتُهَا الْمَهْلَةِ إِلَى اللَّيْلِ فَفَعَلَتْ، فَلَمَّا دَخَلَ اللَّيْلَ لَبِسَتْ زِيَّ النِّسَاءِ، وَخَرَجَتْ مِنْ عِنْدِهَا، فَأَتَيْتُ إِلَى بَيْتِ مَوْلَاتِهِ كَانَتْ لَنَا، فَلَمَّا رَأَتِنِي بَكَتْ وَتَوَجَّهَتْ وَحَمَدَتِ اللَّهَ عَلَى سَلَامِتِي، وَخَرَجَتْ كَانَهَا تَرِيدُ السُّوقَ لِلَاهْتَامَ بِالضِيَافَةِ، فَظَنَنَتْ خَيْرًا، فَمَا شَعَرْتُ إِلَّا بِأَحَدٍ رَجُالَ الْمُؤْمِنِينَ فِي خِيلَهِ وَرَجْلَهِ، وَالْمَوْلَاتِ مَعَهُ حَتَّى سَلَّمَتْنِي إِلَيْهِ، فَرَأَيْتُ الْمَوْتَ عِيَانًا، وَحَمَلْتُ بِالزَّى الَّذِي أَنَا فِيهِ إِلَى الْمُؤْمِنِينَ.

فِلَسِ مُجْلِسًا عَامًا، وَأَدْخَلْنِي إِلَيْهِ، فَلَمَّا مَثَلْتُ بَيْنَ يَدِيهِ سَلَّمَتْ عَلَيْهِ بِالخِلَافَةِ، قَالَ : لَا سَلَّمَ اللَّهُ عَلَيْكَ، وَلَا حَيَّاكَ وَلَا رَعَاكَ ! قَلَتْ لَهُ : عَلَى رِسْلِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! إِنَّ وَلَى الثَّأْرِ حُكْمَ فِي الْقَصَاصِ، وَالْعَفْوُ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىِ، وَقَدْ جَعَلَكَ اللَّهُ فَوْقَ كُلِّ عَفْوٍ، كَاجْعَلْ ذَنْبِي فَوْقَ كُلِّ ذَنْبٍ ؟ إِنَّ تَأْخُذْ فِيْ بِحَقِّكَ، وَإِنْ تَغْفِلْ فِيْ بِفَضْلِكَ، ثُمَّ أَنْشَدَ :

ذَنْبِي إِلَيْكَ عَظِيمٌ وَأَنْتَ أَعْظَمُ مِنْهُ
فَخَذْ بِحَقِّكَ أَوْلَى فَاصْفَحْ بِحَلْمِكَ عَنْهُ
إِنْ لَمْ أَكُنْ فِيْ فَعَالٍ مِنَ الْكَرَامِ فَكُنْهُ
فَرَفِعْ إِلَى رَأْسِهِ فَبَدَرْتُهُ وَقَلَتْ :

أَتَيْتُ ذَنْبِيَا عَظِيمًا وَأَنْتَ لِلْعَفْوِ أَهْلُ
إِنْ عَفَوتَ فَمَنْ وَإِنْ جَزِيتَ فَعَدْلُ

فَرَقَ الْمُؤْمِنِ وَاسْتَرْوَحَتْ رُوَايَحُ الرَّحْمَةِ مِنْ شَمَائِلِهِ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى ابْنِهِ الْعَبَّاسِ، وَأَخِيهِ أَبِي إِسْحَاقِ، وَجَمِيعِ مَنْ حَضَرَ مِنْ خَاصَتِهِ؛ قَالَ : مَا تَرَوْنَ فِيْ أَمْرِهِ ؟ فَكَلَّ^٢ أَشَارَ بِقُتْلِيِّ، إِلَّا أَنَّهُمْ اخْتَلَفُوا فِي الْقِتْلَةِ كَيْفَ تَكُونُ ؟ ثُمَّ قَالَ الْمُؤْمِنُ لِأَحْمَدَ بْنَ أَبِي خَالِدٍ : مَا تَقُولُ يَا أَحْمَدَ ؟ قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! إِنْ تَقْتَلَهُ وَجَدْنَا مَثْلَكَ مَنْ قُتِلَ مِثْلُهِ،

وإن عفوت عنه لم يجد مثلك من عفا عن مثله . فنكس المأمون رأسه وجعل ينكح
في الأرض ، وأنشد متمثلاً :

قومِي هُمْ قَلَّوا أَمِيمَ أَخِي إِذَا رَمِيتُ يُصِيبِنِي سَهْمِي
فَكَشَفْتُ الْمِقْنَعَةَ عَنْ رَأْسِي ، وَكَبَرَتُ تَكِبِيرَةَ عَظِيمَةَ ، وَقَلَتْ : عَفَا - وَاللهُ
عَنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ! فَقَالَ الْمَأْمُونَ : لَا بَأْسَ عَلَيْكَ يَا عَامَ ! فَقَلَتْ : ذَنْبِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
أَعْظَمُ مِنْ أَنْ أَتَنَوَّهَ مَعَهُ بَعْدِرَ ، وَعَفْوُكَ أَعْظَمُ مِنْ أَنْ أَنْطِقَ مَعَهُ بِشَكْرَ ، وَلَكِنِي
أَقُولَ :

في صُلْبِ آدَمِ للإِمامِ السَّابِعِ وَتَظَلَّ تَكَاوُهُمْ بِقَلْبٍ خَاشِعٍ أَسْبَابُهُمْ إِلَّا بِنِيَّةٍ طَائِعٍ عَفْوٌ وَلَمْ يَشْفَعْ إِلَيْكَ بِشَافِعٍ وَحَنِينٌ وَالدَّةُ بِلُبْتٍ جَازِعٍ	إِنَّ الَّذِي خَلَقَ الْمَكَارِمَ حَازَهَا مُلْئِتُ قُلُوبَ النَّاسِ مِنْكَ مَهَابَةً مَا إِنْ عَصَيْتُكَ وَالْغُواْةُ تَمَدَّنَى فَعَفْوَتَ عَنَّا لَمْ يَكُنْ عَنْ مِثْلِهِ وَرَحْمَتَ أَطْفَالًا كَفَرَانَ الْقَطَّا
--	---

فَقَالَ الْمَأْمُونَ : لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ ، قَدْ عَفَوتُ عَنْكَ ، وَرَدَدْتُ عَلَيْكَ
مَالِكَ وَضِيَاعِكَ . فَقَلَتْ :

وَبَلْ رَدْكَ مَالِي قَدْ حَقَفَتَ دَمِي وَالْمَالَ ، حَتَّى أَسْلَلَ النَّعْلَ مِنْ قَدْمِي إِلَيْكَ ، لَوْلَمْ تَعْرَهَا كَنْتَ لَمْ تُلْمَ - إِنِّي إِلَى اللَّوْمِ أَوَّلِيَتَ مِنْكَ بِالْكَرَمِ	رَدَدْتَ مَالِي وَلَمْ تَبْخَلْ عَلَيَّ بِهِ فَلَوْ بَذَلْتُ دَمِي - أَبْغَى رِضَاكَ بِهِ - مَا كَانَ ذَاكَ سَوَى عَارِيَّةَ رَجَعَتْ فَإِنْ جَحَدْتُكَ مَا أَوْلَيْتَ مِنْ كَرَمِ
--	---

فَقَالَ الْمَأْمُونَ : إِنَّمَا الْكَلَامَ لِدُرَّا ، وَهَذَا مِنْهُ ، وَخَلَعَ عَلَيَّ وَقَالَ : يَا عَامَ ! إِنَّ
أَبَا إِسْحَاقَ وَالْعَبَاسَ أَشَارَا بِقَتْلِكَ ؟ فَقَلَتْ : إِنَّهُمَا نَصْحَاكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! وَلَكِنْ

أَتَيْتَ بِمَا أَنْتَ أَهْلُهُ ، وَدَفَعْتَ مَا خِفْتُ بِمَا رَجُوتُ . فَقَالَ الْمُؤْمِنُ : أَمَّتَ حِقْدِي بِحَيَاةِ
عُذْرَكَ ، وَقَدْ عَفَوْتُ عَنْكَ وَلَمْ أَجْرِعَكَ مَرَارَةَ امْتِنَانِ الشَّافِعِينَ . ثُمَّ سَجَدَ طَوِيلًا ،
وَرَفَعَ رَأْسَهُ وَقَالَ : يَا عَمَّ ؟ أَتَدْرِي لَمْ سَجَدْتَ ؟ قَالَتْ : شَكْرًا لِلَّهِ الَّذِي أَظْفَرَكَ بَعْدَ
دُولَتِكَ . فَقَالَ : مَا أَرْدَتُ هَذَا ، وَلَكِنْ شَكْرًا لِلَّهِ الَّذِي أَهْمَنِي عَفْوَكَ ، فَخَدَّشَني
الآنْ حَدِيثَكَ . فَشَرَحَتْ لَهُ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِي ، فَأَمْرَرَ بِإِحْضَارِ امْرَأَةِ الْجَنْدِيِّ وَأَدْخَلَهَا
إِلَى الْقَصْرِ ، وَقَالَ : هَذِهِ امْرَأَةٌ عَاقِلَةٌ تَصْلِحُ لِلْمُهْمَاتِ ، وَأَحْضَرَ الْحِجَّامَ فَقَالَ لَهُ : لَقَدْ
ظَهَرَ مِنْ مَرْوِيَّتِكَ مَا يُوجِبُ^{الْمِبَالَغَةَ فِي إِكْرَامِكَ} . ثُمَّ خَلَعَ عَلَيْهِ ، وَأَجْرَى لَهُ أَلْفَ
دِينَارٍ فِي كُلِّ عَامٍ ، وَلَمْ يَزُلْ فِي تِلْكَ النِّعَمَةِ إِلَى أَنْ مَاتَ .

١٣٢ - مِنْ جُودِ أَبِي دُلَفَ *

لما مرض أبو دلف ^(١) بالعلة التي مات بها أقام شهراً ملازماً الوسادة، فأفاق يوماً، فقال خادمه بشر: كم لي على هذه الحال؟ قال: شهر. فلما سمع ذلك من بشر بكى كثيراً، وقال: أمير على من عمرى هذه المدة لا يبر فيها أحداً من الناس! يا بشر؟ اخرج إلى الباب فإن قلبي يشهد أن بالباب قوماً لهم إلينا حوانج؛ فلا تمنع أحداً من الدخول إلينا.

فخرج بشر، فإذا عشرة من أولاد أبي طالب، فأمرهم بالدخول، فدخلوا؛ فابتدر رجل منهم، وقال: أصلحك الله! نحن قوم من بنى أبي طالب من أهل بيته رسول الله، وقد أحاطت بنا المصائب، وأجحثت بنا التواب، فإن رأيت أن تخبر كسرنا، وتفنى فقراًنا، فعجل!

فقال خادمه: خذ بيدي، فأجلسني على ذاك الفراش، ففعل، ثم قال: ليأخذ كل واحد منكم ورقة، وليسكتب فيها بخطه: إنه قبض مني مائة ألف درهم. فتحيزروا عند قوله، فلما كتبوا الرقاع وضعوها بين يديه، فقال خادمه: ائتف بالمال، فأحضره، فأعطي كل واحد منهم مائة ألف درهم.

ف لما سلموا المال قال رجل منهم: بالأباء نديك، وبالآميات نقيك! والله مالنا مال ولا عقار، وخطوطننا عندك ماذا تصنع بها! فبسكي، وقال لهم: أنظنون أنها وثائق عليكم؟ لا والله، لا والله! ثم قال خادمه: يا بشر، إذا أنامت فاجعل الرقاع في كفناني ألت بها محمدأ صلي الله عليه وسلم يوم القيمة؟ ثم قال له: أعط كل منهم ألف درهم لنفقة طريقه. انصرفوا بارك الله فيكم!

* اختصار من نوادر الأخبار - مخطوط.

(١) هو القاسم بن عيسى، أحد قواد المؤمنين، ثم المقصم من بعده، كان كريعاً سرياً جواباً ممدحاً مقدماً ذا وقائع مشهورة وصنائع مأثورة، كما كانت له صنعة في الفناء، توفى سنة ٢٢٥.

١٣٣ — عبد الله بن طاهر^(١) والمحصني*

قال محمد^(٢) بن الفضل الخراساني :

لما قال عبد الله بن طاهر قسيدَتَه التي يفخرُ فيها بما أثَرَ أبيه وأهله ويفخرُ
بقتلهم المخلوع^(٣) ، عارضهُ محمد بن يزيد الأموي الحصني ، فأفرط في السبّ ،
وتجاوزَ الحدَّ في قُبْح الردِّ .

فَلَمَّا وَلَى عَبْدُ اللَّهِ مَصْرُورَدَّ إِلَيْهِ تَدِيزُ أَمْرِ الشَّامِ عَلَمِ الْحَصْنِي^(٤) أَنَّهُ لَا يُفْلِتُ مِنْهُ
إِنْ هَرَبَ ، وَلَا يَنْجُو مِنْ يَدِهِ حِيثُ حَلَّ ، فَثَبَتَ فِي مَوْضِعِهِ ، وَتَرَكَ أَمْوَالَهُ وَدَوَابَّهُ ،
وَكُلَّا مَا كَانَ يَمْلِكُهُ فِي مَوْضِعِهِ ، وَفَتَحَ بَابَ حِصْنِهِ وَجَلَسَ عَلَيْهِ ، وَنَحْنُ تَوَقَّعُ
مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ أَنْ يَوْقِعَ بِهِ .

فَلَمَّا شَارَفْنَا بَلْدَهُ ، وَكَنَا عَلَى أَنْ نَصْبِحَهُ ، دَعَانِي عَبْدُ اللَّهِ فِي اللَّيلِ ، فَقَالَ لِي :
بَتْ عَنْدِي الْمَيْلَةَ ، وَلِيَكُنْ فَرْسُكَ مَعْدَّاً عَنْدَكَ . فَفَعَلَتْ .

فَلَمَّا كَانَ السَّحَرُ أَمْرَ غَلَمانَهُ وَأَحْسَابَهُ أَلَا يَرْحُلُوا حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ ؛ وَرَكَبَ
وَرَكَبَتْ مَعَهُ أَنَا وَخَمْسَةٌ مِنْ خَوَاصِ غَلَمانَهُ .

فَسَارَ حَتَّى صَبَّحَ الْحَصْنِي ؛ فَرَأَى بَابَهُ مَفْتُوحًا ، وَرَآهُ جَالِسًا ، فَقَصَدَهُ . وَسَلَّمَ
عَلَيْهِ وَنَزَّلَ عَنْهُ ؛ وَقَالَ لَهُ : مَا أَجْلَسْتَ هَاهُنَا وَحْمَلْتَ عَلَى أَنْ فَتَحَتَ بَابَكَ ، وَلَمْ
تَتَحَصَّنْ مِنْ هَذَا جَيْشِ الْمُقْبَلِ ، وَلَمْ تَنْجُ عنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ مَعَ مَا فِي نَفْسِهِ عَلَيْكَ

* الأغاني : ١١ - ١٢ .

(١) عبد الله بن طاهر : من أشهر الولاة في العصر العباسي ، ولاه الأمون خراسان ، وكان
سيداً نبيلاً على الهمة شهماً ، وتوفي سنة ٢٣٠ هـ . (٢) محمد بن الفضل الخراساني كان من
وجوه قواد طاهر وابنه عبد الله وكان أديباً عاقلاً فاضلاً . (٣) المخلوع : الأمين .

(٤) كان من ولد سلمة بن عبد الملك .

وَمَا بَلَغَهُ عَنْكَ؟ فَقَالَ : إِنَّ مَا قَلْتَ لَمْ يَذْهَبْ عَنِي وَلَكِنِي تَأْمَلْتُ أُمْرِي ، وَعَلِمْتُ
أَنِّي أَخْطَأَتُ خَطِيئَةً حَمَلْنِي عَلَيْهَا نَزَقُ الشَّابِ وَغِرَّةُ الْحَدَائِثِ ، وَأَنِّي إِنْ هَرَبْتُ مِنْهُ
لَمْ أَفْتَهُ ؛ فَبَاعْدَتُ الْبَنَاتِ وَالْحَرَمَ ، وَاسْتَسْلَمْتُ بِنَفْسِي وَكُلُّ مَا أُمْلِكَ ؛ وَإِنِّي أَنْقَ
بَأْنَ الرَّجُلَ إِذَا قَتَلْنِي ، وَأَخْذَ مَالِي شَفِي غَيْظَهُ ، وَلَمْ يَتَجَاهُ ذَلِكَ إِلَى الْحَرَمِ ، وَلَا
يَوْجِبْ جُرْمِي أَ كَثُرَ مَا بَذَلْتُهُ .

قَالَ : فَوَاللَّهِ مَا اتَّقَاهُ عَبْدُ اللَّهِ إِلَّا بِدَمْوِهِ تَجْرِي عَلَى لَحِيَتِهِ . ثُمَّ قَالَ لَهُ
أَتَعْرِفُنِي؟ قَالَ : لَا وَاللَّهُ ! قَالَ : أَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ طَاهِرٍ ، وَقَدْ أَمَنَ اللَّهُ تَعَالَى رَوْعَتَكَ
وَحَقَنَ دَمْكَ ؛ وَصَانَ حَرْمَكَ ، وَحَرَسَ نَعْمَكَ ، وَعَفَا عَنْ ذَنْبَكَ ، وَمَا تَعَجلَ
إِلَيْكَ وَحْدَهُ إِلَّا لِتَأْمَنَ هُجُومَ الْجَيْشِ ، وَلَئِلَا يُخَالِطُ عَفْوِي عَنْكَ رَوْعَةً^(١) تَلْحَقُكَ ،
فَبَكَى الْحَصْنِيُّ وَقَامَ فَقِبْلَهُ رَأْسَهُ وَضَمَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَأَدَنَاهُ ؛ ثُمَّ قَالَ لَهُ : أَمَا الآنَ فَلَا بَدْ
مِنْ عَتَابٍ : يَا أَخِي - جَعَلَنِي اللَّهُ فَدَاكَ - قَلْتُ شَعْرًا فِي قَوْمٍ أَغْرَبَهُمْ لَمْ أَطْعِنْ فِيهِ
عَلَيْهِ حُسْبَيْكَ ، وَلَا دَعَيْتُ فَضْلًا عَلَيْكَ ، وَفَخَرَتُ بِقَتْلِ رَجُلٍ - وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمِكَ -
فَهُمُ الْقَوْمُ الَّذِينَ نَأْرَكَ عِنْدَهُمْ ، فَكَانَ يَسْعُكَ السُّكُوتُ !

قَالَ : أَيْهَا الْأَمِيرُ ، قَدْ عَفَوْتَ فَاجْعَلْ الْعَفْوَ الَّذِي لَا يُخَالِطُهُ تَثْرِيبَ^(٢) ،
وَلَا يَكْدُرُ صَفْوَهَ تَأْنِيبَ . قَالَ : قَدْ فَعَلْتَ ، فَقَمْ بِنَا نَنْخُلُ إِلَى مَنْزِلَكَ حَتَّى نَوْجَبَ
عَلَيْكَ حَقًا بِالضِيَافَةِ . فَقَامَ مَسْرُورًا .

فَادْخَلَنَا . فَأَتَى بِطَعَامٍ كَانَ قَدْ أَعْدَهُ ، فَأَكَلْنَا وَجَلَسْنَا نَشَرِبُ فِي مَسْتَشْرِفِهِ .
وَأَقْبَلَ الْجَيْشُ ؛ فَأَمْرَنِي عَبْدُ اللَّهِ أَنْ أَتَلْقَاهُمْ فَأُرْحَلُهُمْ وَلَا يَنْزَلُ أَحَدٌ مِنْهُمْ
إِلَّا فِي الْمَنْزِلِ ، وَهُوَ عَلَى ثَلَاثَةِ فَرَاسِخٍ ، ثُمَّ دَعَا بِدُوَافَةٍ فَكَتَبَ لَهُ بِتَسْوِيْغِهِ خَرَاجَهِ
ثَلَاثَ سَنِينَ ، وَقَالَ لَهُ : إِنْ نَشَطْتَ لَنَا فَالْحَقُّ بِنَا ، وَإِلَّا فَأَقِمْ بِمَكَانِكَ . قَالَ : فَأَنَا
أَنْجِهُنَّ وَأَلْحُنَّ بِالْأَمِيرِ . فَقَعَلَ فَلَحَقَ بِنَا بِمَصْرَ ؛ وَلَمْ يَنْزَلْ مَعَ عَبْدِ اللَّهِ لَا يَفَارِقُهُ حَتَّى
رَجُلٌ إِلَى الْعَرَاقِ فَوَدَّعَهُ ، وَأَقَامَ بِيَلَدِهِ !

(٢) التَّثْرِيبُ : الْاسْتِقْصَاءُ فِي الْلَّوْمِ .

(١) الرَّوْعَةُ : الْفَرْعَةُ .

* ١٣٤ - حُسْنُ الْمَكَافَةُ

حُسْنُ الْمَكَافَةُ^(١) بْنُ سَهْلٍ، قَالَ :

كَنْتُ يَوْمًا عِنْدَ يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ الْبَرْمَكِيِّ، وَقَدْ خَلَّ فِي مَجْلِسِهِ لِإِحْكَامِ أُمُورِي
مِنْ أُمُورِ الرَّشِيدِ، فَبَيْنَمَا نَحْنُ جَلْوَسٌ إِذْ دَخَلَ عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنْ أَحْصَابِ الْحَوَاجِ، فَقَضَاهَا
لَهُمْ؛ ثُمَّ تَوَجَّهُوا إِلَيْهِمْ، فَكَانَ آخَرَهُمْ قِيَاماً أَحْمَدُ بْنُ أَبِي خَالِدٍ، فَنَظَرَ يَحْيَى إِلَيْهِ،
وَالْتَّفَتَ إِلَى الْفَضْلِ ابْنِهِ؛ وَقَالَ: يَا بْنَ أَبِي! إِنَّ لِأَبِيكَ مَعَ أَبِي هَذَا الْفَتِي حَدِيثًا، فَإِذَا
فَرَغْتُ مِنْ شَغْلِي هَذَا فَذَكَرْتُكَ مَنِي أَحْدَثْتُكَ بِهِ.

فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ شَغْلِهِ وَطَعَمَ^(٢) قَالَ لِهِ ابْنُهُ الْفَضْلَ: أَعْزَّكَ اللَّهُ يَا أَبِي؛ أَمْرَتُنِي أَنْ
أَذْكُرَ حَدِيثَ أَبِي خَالِدٍ، قَالَ: نَعَمْ، يَا بْنَ أَبِي:

لَمَّا قَدِمَ أَبُوكَ مِنَ الْعَرَاقِ أَيَّامَ الْمَهْدِيِّ كَانَ فَقِيرًا لَا يَمْلِكُ شَيْئًا، فَاشْتَدَّ بِي
الْأُمُرُ، إِلَى أَنْ قَالَ لِي مَنْ فِي مَنْزِلِي: إِنَا كَتَمْنَا حَالَنَا؛ وَزَادَ ضَرْرُنَا، وَلَنَا الْيَوْمَ
ثَلَاثَةُ أَيَّامٌ مَا عَنَدَنَا شَيْءٌ؛ نَقْتَاتٌ بِهِ! فَبَكَيْتُ يَا بْنَ أَبِي لِذَلِكَ بَكَاءً شَدِيدًا، وَبَقِيَتْ
وَلَهَانَ حِيرَانَ مُطْرِقًا مَفَكَّرًا.

ثُمَّ تَذَكَّرْتُ مِنْ دِيَلًا كَانَ عِنْدِي، فَقَلَتْ لَهُمْ: مَا جَاهَ الْمَنْدِيلُ! قَالُوا: هُوَ
بَاقٌ عِنْدَنَا. فَقَلَتْ: ادْفَعُوهُ لِي، فَأَخْذَتُهُ وَدَفَعْتُهُ إِلَى بَعْضِ أَحْصَابِي، وَقَلَتْ لَهُ:
بِعْهُ بِمَا تَيَسَّرَ، فَبَاعَهُ بِسَبْعَةِ عَشَرَ دِرْهَمًا، فَدَفَعْتُهُ إِلَى أَهْلِي، وَقَلَتْ: أَنْفِقُوهُ إِلَى
أَنْ يَرْزُقَ اللَّهُ غَيْرَهَا!

* المستطرف : ١ - ٢٣٩ .

(١) الْمَسْنُ بْنُ سَهْلٍ: هُوَ وزِيرُ الْمُؤْمِنِ بَعْدَ أَخِيهِ الْفَضْلَ، كَانَ عَالِيَ الْمَهْمَةِ، كَثِيرُ الْعَطَاءِ
لِلشَّعْرَاءِ وَغَيْرِهِمْ، تَوَفَّ سَنَةُ ٢٣٦ هـ . (٢) طَمْ: أَكْلٌ .

ثُمَّ بَكَرْتُ مِنَ الْغَدِ إِلَى بَابِ أَبِي خَالِدٍ، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ وَزِيرُ الْمُهَدِّى، فَإِذَا النَّاسُ^١
وَقَوْفٌ عَلَى دَارِهِ يَنْتَظِرُونَ خَرْوَجَهُ؛ فَخَرْجٌ عَلَيْهِمْ رَاكِبًا، فَلَمَّا رَأَى سَلَمٌ عَلَىَّ، قَالَ:
كَيْفَ حَالَكَ؟ فَقَلَتْ: يَا أَبَا خَالِدٍ؛ مَا حَالَ رَجُلٌ يَبْعِيْعُ مِنْ مَنْزِلَهُ بِالْأَمْسِ مُنْدِيًّا بِسَبْعَةِ
عَشَرَ دَرَهَمًا! فَنَظَرَ إِلَيَّ نَظَرًا شَدِيدًا؛ وَمَا أَجَابَنِي.

فَرَجَعَتْ إِلَى أَهْلِ كَسِيرَ الْقَلْبِ، وَأَخْبَرَتْهُمْ بِمَا اتَّفَقَ لِي مَعَ أَبِي خَالِدٍ، فَقَالُوا:
بَئْسَ وَاللهِ مَا فَعَلْتَ! تَوَجَّهْتَ إِلَى رَجُلٍ كَانَ يَرْتَجِيمُكَ لِأَمْرٍ جَلِيلٍ؛ فَكَشَفْتَ لَهُ
سِرَّكَ وَأَطْلَعْتَهُ عَلَى مَكْنُونَ أَمْرَكَ، فَأَزَرَيْتَ^(١) عَنْدَهُ بِنَفْسِكَ، وَصَفَرْتَ عَنْهُ
مَنْزِلَتَكَ، بَعْدَ أَنْ كَفَتَ عَنْدَهُ جَلِيلًا، فَمَا يَرَاكَ بَعْدَ الْيَوْمِ إِلَّا بِهَذِهِ الْعَيْنِ! فَقَلَتْ:
قَدْ قَضَى الْأَمْرُ بِمَا لَا يَمْكُنُ اسْتِدْرَاكَهُ.

فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ بَكَرْتُ إِلَى بَابِ الْخَلِيفَةِ، فَلَمَّا بَلَغْتُ الْبَابَ اسْتَقْبَلَنِي رَجُلٌ^٢،
فَقَالَ لِي: قَدْ ذُكِرْتَ السَّاعَةَ بِبَابِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ؛ فَنَمَّأْتُ لِقَوْلِهِ، فَاسْتَقْبَلَنِي
آخَرُ، فَقَالَ لِي كَفَالَةُ الْأُولَى، ثُمَّ اسْتَقْبَلَنِي حَاجِبُ أَبِي خَالِدٍ، فَقَالَ لِي: أَيْنَ تَكُونُ؟
قَدْ أُمْرَنِي أَبُو خَالِدٍ بِإِجْلَاسِكَ إِلَى أَنْ يَخْرُجَ مِنْ عَنْدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ.

فَخَلَسْتُ حَتَّى خَرَجَ . فَلَمَّا نَزَلَ قَالَ: عَلَى^(٣) بَفْلَانِ وَفَلَانِ الْحَنَاطَيْنِ^(٤). فَأَخْضَرَ، فَقَالَ لَهُمَا:
أَلَمْ تَشْتِرِي مِنِي غَلَاتِ السَّوَادِ^(٥) بِهَمَانِيَّةٍ عَشَرَ أَلْفَ دَرَهَمٍ؟ قَالَا: بَلِي،
قَالَ: أَلَمْ أَشْتَرِطْ عَلَيْكَمَا شَرْكَةً رَجُلٍ مَعَكُمَا؟ قَالَا: بَلِي . قَالَ: هَذَا هُوَ الرَّجُلُ الَّذِي
اشْتَرَتْ شَرِّكَةً لَكُمَا، ثُمَّ قَالَ لِي: قَمْ مَعْهُمَا .

فَلَمَّا خَرَجْنَا، قَالَ لِي: ادْخُلْ مَعَنَا بَعْضَ الْمَسَاجِدِ حَتَّى نَكَلِّمَكَ فِي أَمْرٍ يَكُونُ
لَكَ فِيهِ الرُّبُحُ الْمُنْتَهَى؛ فَدَخَلْنَا مَسْجِدًا، فَقَالَ لِي: إِنَّكَ تَحْتَاجُ فِي هَذَا الْأَمْرِ إِلَى

(١) أَوْرَى بِهِ: حَقَرَهُ وَهُوَ مِنْ شَائِئِهِ . (٢) الْحَنَاطُ: بَائِعُ الْخَنَطةِ، وَهِيَ الْبَرُّ .

(٣) السَّوَادُ: مَا حَوَالَ الْكَوْفَةَ مِنَ الْقَرَى .

وكلاه وأئمه وأعوان ومؤمن ، لا تقدر منها على شيء ، فهل لك أن تبيغنا شركتك
بمال نعجله لك ، فتنفع به ، ويسقط عنك التعب والنصب ؟ قلت لها : وكم
تبذلان لي ؟ فقالا : مائة ألف درهم . قلت : لا أفعل .

فما زال يزداني ، وأنا لا أرضي إلى أن قال لي : ثلاثة ألف درهم ، ولا زيادة
نندنا على هذا . قلت : حتى أشاور أبا خالد . قالا : ذلك لك !

فرجعت إليه وأخبرته ، فدعاه بهما ، وقال لها : هل وافقتما على ما ذكر ؟
قالا : نعم . قال : اذهبا ، فانقدأوا المال الساعة ، ثم قال لي : اصلاح أمرك ، وتهيأ ،
فقد قدرتك العمل .

فأصلحت شأني ، وقدّرني ما وعدني به ؛ فما زلت زباده ، حتى صار أمري
إلى مصادر .

ثم قال لولده الفضل : يابني ؟ فما تقول في ابن من فعل بأبيك هذا الفعل ؟
وما جزاوه ؟ قال : حق لعمري وجب عليك له ، فقال : والله يا ولدي ما أجد له
مكافأة ؟ غير أني أعزل نفسي وأولييه .

١٣٥ - رَجَوْتُكَ دُونَ النَّاسِ *

قال أبو العيناء ^(١) :

حصلت لي ضيقه ^(٢) شديدة ، فكتمتها عن أصدقائي ، فدخلت يوماً على
يحيى ^(٣) بن أكثم : فقال : إن أمير المؤمنين المؤمن جلس للمظالم ؛ فهل لك في
الحضور ؟ قلت : نعم ! فضيتك معه إلى دار أمير المؤمنين ؟ فلما دخلنا عليه أجلسه
وأجلسني ، ثم قال : يا أبو العيناء ؟ ما الذي جاء بك في هذه الساعة ؟ فأنشدته :

لقد رجوتك دون الناس كلهم والمرجاء حقوق كلها تجتب
إن لم تكن لي أسباب أعيش بها ففي العلا لك أخلاق هي السبب

فقال : ياسلامة ؟ انظر أى شيء في بيت مالنا دون مال المسلمين ؟ فقال : بقية
من مال ! قال : فادفع إليه مائة ألف درهم ، وابعث له بيتها في كل شهر !
فلما كان بعد أحد عشر شهراً مات المؤمنون ؛ فبكى عليه أبو العيناء حتى تفرّحت
أ Gingan ؛ فدخل عليه بعض أولاده ، فقال : يا باته ! بعد ذهاب العين ماذا ينفع
البكاء ؟ فأنشأ أبو العيناء يقول :

شیئان لو بکت الدماء علیهمما عینای حتی یؤذنا بذهاب
فقد الشباب وفرقه الأحباب لم یبلغوا المعشار ^(٤) من حقیهمما

* غرات الأوراق للجموي : ٢ - ٢٤٥ .

(١) هو محمد بن القاسم ، أديب فصيح من طرقاء العالم ومن أسرع الناس جواباً نشاً وتوف بالبصرة سنة ٢٨٣ هـ . (٢) الضيقه : الفقر وسوء الحال (٣) يحيى بن أكثم : قاض رفيع القدر ، على الشهرة ، من نبلاء الفقهاء ، يتصل نسبه بأكثم بن صيفي حكيم العرب ، ولاه المؤمنون قضاء البصرة . ثم لاه قضاة بغداد ، ثم أضاف إليه تدبير مملكته ، فكان وزراء الدولة لا يغدون ولا يؤخرون في شيء إلا بعد عرضه عليه ، ثم عزله المعتصم فلزم بيته ورده التوكيل إلى عمله . توفي بالربدة سنة ٢٤٢ هـ . (٤) مختار الشيء : عشره .

* ١٣٦ — المؤمن يَعْفُو عن الحسين بن الصبحاك

قال محمد بن أبي الأزهر :

كفتُ بين يدي المؤمن واقفاً ، فادخلَ عليه ابنُ البوّاب الحاجبُ رقعةً فيها
أبيات ، وقال : إن رأى أميرُ المؤمنين أن يأذنَ لِي في إنشادِها ! فظنَّها له فقالَه
هاتِ ، فأنسده :

أَجْرَنِيْ فَإِنِيْ قَدْ ضَمَّنْتُ إِلَى الْوَعْدِ
مَتَى تُنْجِزُ الْوَعْدَ الْمُؤْكَدَ بِالْعَهْدِ
أُعِيدُكَ مِنْ خُلُفِ الْمُلُوكِ وَقَدْ بَدَا
تَقْطُّعُ أَنفَاسِي عَلَيْكَ مِنَ الْوَجْدِ
أَبْيَخْلُ فَرْدًا الْحَسْنِ عَنِ النَّائِلِ
قَلِيلٌ ، وَقَدْ أَفْرَدْتُهُ بِهُوَيِ فِرْدٍ
إِلَى أَنْ يُلْغَى إِلَى قَوْلِهِ :

رَأَى اللَّهُ عَبْدَ اللَّهِ خَيْرَ عَبْدَهُ
فَلَدَكَهُ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالْعِبَادِ
أَلَا إِنَّمَا الْمُؤْمِنُ لِلنَّاسِ عِصْمَةٌ
مُمِيَّزَةٌ بَيْنَ الصِّنْفَيْنِ الْمُرْشَدِ
فَقَالَ الْمُؤْمِنُ : أَحْسَنْتَ يَا عَبْدَ اللَّهِ . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ بَلْ أَحْسَنَ قَاتَلُهَا !
قَالَ : وَمَنْ هُوَ ! قَالَ : عَبْدُكَ الْحَسِينَ بْنَ الصِّبَاحِ^(١) ! فَفَضَّبَ ، ثُمَّ قَالَ : لَا حِيَا
اللَّهُ مِنْ ذَكْرِكَتَ وَلَا بَيَاهَ وَلَا قَرْبَهُ ، وَلَا أَنْتَ بِهِ عَيْنَا ! أَلِيسْ هُوَ الْقَاتِلُ :
أَعْيَنِي جُودًا وَابْكِيَاهُ مُحَمَّدًا وَلَا تَذْخِرَأْ دَمَعًا عَلَيْهِ وَأَسْعِدَا
فَلَا تَمَتَّ الأَشْيَاء بَعْدَ مُحَمَّدٍ وَلَا زَالَ شَمْلُ الْمَلَكِ فِيهِ مُبَدَّدا

* الأغانى : ٧ - ١٦٥ ، الفرج بعد الشدة : ١ - ٦٢ .

(١) هو مولى باهاته ، ولد بالبصرة ونشأ فيها ونادم الحلفاء من بي العباس وكان خليعاً فاسداً ،
ولكنه كان حسن التصرف في النظم ، ولشعره قبول ورونق . مات سنة ٢٥١ هـ

وَلَا فَرَحٌ لِّلْمُؤْمِنِ بِالْمُلْكِ بَعْدَهُ وَلَا زَالٌ فِي الدُّنْيَا طَرِيدًا مُشَرَّدًا
هَذَا بِذَاكِرَةِ ، وَلَا شَيْءٌ لَهُ عِنْدَنَا ! فَقَالَ لَهُ ابْنُ الْبَوَّابِ . فَأَيْنَ فَضْلُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
وَسَعَةُ حَمَدَهُ ، وَعَادَتُهُ فِي الْعَفْوِ !

فَأَمْرَهُ يَأْخُذُهُ ، فَلَمَّا حَضَرَ سَلَّمَ فَرَدَ عَلَيْهِ رَدًّا جَافِيًّا ؛ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ :
أَخْبَرْنِي عَنْكَ ؟ هَلْ عَرَفْتَ يَوْمَ قُتْلِ أَخِي مُحَمَّدٍ - رَحْمَةُ اللَّهِ - هَاشِمِيَّةَ قُتْلَتَهُ ؟ أَوْ
هُتِّكَتْ ! قَالَ : لَا ، قَالَ : فَمَا مَعْنَى قَوْلِكَ ؟

وَسِرْبُ طَبَاءِ مِنْ ذُؤَابِيَّةِ هَاشِمٍ هَتَّافَنَ بِدُعَوَى خَيْرِيَّ وَمَيْتِ
أَرْدُ يَدًا مَنْيَّ إِذَا مَذَكُورَتُهُ عَلَى كَبْدِ حَرَّيَ وَقَلْبِ مُعْتَدَلِ
فَلَا بَاتَ لَيلًا الشَّامِتِينَ بِغَبْطَةٍ وَلَا بَلَغَتْ آمَالُهُمْ مَا تَمَنَّتِ
فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَوْعَةُ غَلَبْتِنِي ، وَرُوعَةُ فَاجَأْتِنِي ، وَنَعْمَةُ قَدْتُهُ أَبْعَدَ أَنْ
غَمَرَنِي ، وَإِحْسَانُ شَكْرَتُهُ فَأَنْطَقَنِي ، وَسَيِّدُ فَقْدَتُهُ فَأَقْلَقَنِي ، فَإِنْ عَاقِبَتْ فِي حَقِّكَ ،
وَإِنْ عَفَوَتْ فَبِفَضْلِكَ .

فَدَمَعَتْ عَيْنَا الْمُؤْمِنِ : وَقَالَ : قَدْ عَفَوْتُ عَنْكَ ، وَأَمْرَتُ بِرَدْ أَرْزَاقَكَ ، وَإِعْطَاكَ
مَافَاتِهَا ، وَجَعَلْتُ عَقْوَبَةَ ذَنْبِكَ امْتِنَاعِي مِنْ اسْتِخْدَامِكَ !

* ١٣٧ - وفَاءُ كَافُورَ

قال أبو الفتح المنطيق : كتا جلوسًا عند كافور الإخشيدى ^(١) وهو يومئذ صاحب مصر والشام ، وله من البسطة ونفاذ الأمر وعلو الملة والقدر وشهرة الذكر ما يتجاوز الوصف والحصر ، فحضرت المائدة والطعام ، فلما أكلنا نام وانصرفنا .

فلما انتبه من نومه طلب جماعةً منا ، وقال : امضوا إلى عقبة النجارين ، وسألوا عن شيخ منجم أبوركان يقعد هناك ، فإن كان حيًا فأحضاروه ، وإن كان قد توفي فاسألا عن أولاده واكتشفوا أمره .

فضيئنا هناك ، وسألنا عنه ، فوجدناه قد مات وترك بنتين : إحداهما متزوجة والأخرى عاتق ^(٢) ، فعُذنا إلى كافور وأخبرناه بذلك . فسيرفي الحال واشتري لكل واحدة منها داراً ، وأعطي كل واحدة منها ثياباً وكسوةً وذهبًا كثيراً ، وزوج العاتق وأجرى على كل واحدة منها رزقاً ؛ وأشار أنهما من المتعلقةين به ؛ لرعاية أمورهما .

فلما فعل ذلك وبالغ فيه ضحك ، وقال : أتعلمون سبب هذا ؟ قلنا : لأنتم ! فقال : أعلموا أنى مررت يوماً بوالدِها المنجم ، وأنا في ملك ابن عباس الساكت بحالة رثة ، فوقفت عليه فنظر إلى واستجلستني ، وقال : أنت تصير إلى رجل جليل

* العقد العريدي للملك السعيد : ٨٥ .

(١) كافور الإخشيدى ، كان عبداً اشتراه الإخشيد ملك مصر سنة ٣١٢ هـ فنسب إليه وأعتقه . وما زالت همة تصعد به حتى ملك مصر سنة ٣٥٥ ، وتوفى بالقاهرة سنة ٣٥٧ هـ .

(٢) العاتق : الجارية التي لم تتزوج .

القدرِ ، وتبليغُ معه مبلغاً كبيراً ، وتناولُ خيراً كثيراً ، وطلبَ مني شيئاً فأعطيته
درهرين كانا معى ، ولم يكن معى غيرهما ، فرمى بهما ، وقال : أبشرك بهذه البشارة
وتعطيني درهرين ! ثم قال : وأزيدك ، أنت والله تملكُ هذا البلد وأكثر منه ،
فاذكرني إذا ما صررتَ إلى موعدتك به ولا تنسني . فيذلتُ له ذلك ، وقلت :
نعم ! فقال : عاهدْتني أنك تَنْفِي لى ، ولا يشغلك الملكُ عن افتقادى ؟ فعاهدْتُه ؛ ولم
يأخذ الدرهرين .

ثم إن شغلت عنه بما تجده لى من الأمور والأحوال ، وصرتُ إلى هذه
المسألة ، ونسيتُ ذلك ؟ فلما أكلنا اليوم ونمْتُ رأپته في المنام قد دخل علىَ وقال :
أين الوفاء بعهدك وتمام وعديك ؟ لا تَنْدِرْ فُيغَدَّرْ بك ! فاستيقظتُ وفعلتُ
مارأيتُ .

ثم اشتهر إحسانه إلى بنى النجم لوفائهم لوالدهما ، فتضاعف الدعاء له
والثناء عليه ।

* ١٣٨ - درس يلقى على حاسد

قال المنصور بن أبي عامر يوماً لأبي يوسف الرمادي : كييف ترى حالك معى ؟ فقال : فوقَ قَدْرِي ودونَ قَدْرِك . فأطرقَ المنصورُ كالغَضْبان ، فانسلَ الرمادي ، وخرج وقد نَدِمَ على ما بَدَرَ منه ، وجعل يقول : أخطأتُ ، لا والله ما يُفْلِحُ معَ الْمَلَوِكِ مَنْ يَعْمَلُهُمْ بِالْحَقِّ ! ما كَانَ ضرني لِوَقْتٍ لَهُ : إِنِّي بَلَغْتُ السَّيَاءَ وَتَنَطَّقْتُ بِالْجُوزَاءِ ! وأنشد :

مَتَّ يَأْتِ هَذَا الْمَوْتُ لَا يُلْفِي حَاجَةً لِنَفْسِي إِلَّا قَدْ قَضَيْتُ قَضَاءَهَا
ولما خرج كان في المجلس من يحسُدُه على مكانه من المنصور ، فوجد فُرْصَةً
فقال : وصل الله مولانا الظَّفَرُ والسعَدَ ! إن هذا الصنفَ صِنْفُ زُورٍ وهذَا يَانَ ،
لا يشَكُّرون نَعْمَة ، ولا يرْعَون إِلَّا^(١) لا ذِمَّة ؛ كَلَابٌ مَنْ غَلَبَ ، وأصحابُ من
أَخْصَبَ ، وأعداءُ مَنْ أَجْدَبَ ؛ وحسبُكَ مِنْهُمْ أَنَّ اللَّهَ جَلَّ جَلَالَهُ يَقُولُ فِيهِمْ :
﴿وَالشَّعْرَاءُ يَتَبَعِّهِمُ الْفَلَاؤُونَ . أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهْمِونَ . وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ
مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ . والابتعادُ مِنْهُمْ أَوْلَى مِنِ الاقْتَرَابِ ؛ وقد قيل فِيهِمْ : ما ظُنِّكَ بِقَوْمٍ
الصَّدَقُ يُسْتَحْسِنُ إِلَّا مِنْهُمْ !

رفع المنصور رأسه - وكان مُحَمَّداً أهْلَ الأدب والشعر - وقد اسود وجهه ،
وظهر فيه القبْضُ المفترط ؛ ثم قال : ما بال أقوام يُشِيرُونَ في شيءٍ لم يُسْتَشَأْروا فيه ؟
ويسيئُونَ الأدبَ بالحكمِ فيما لا يدرُونَ ، أَيْرُضِيَ أمْ يُسْخِطَ ؟ وأنتَ - أَيْهَا

المنبعث للشر دون أن يُبعث - قد علمنا غرضك في أهل الأدب والشعر عامة،
وحسدك لهم ، لأن الناس كما قال القائل :

من رأى الناس له فض لَا عليهم حسدوم
وعرفاً غرضك في هذا الرجل خاصة ، ولسنا - إن شاء الله - نبلغ أحداً
غرضه في أحد ؛ وإنك ضربت في حديد بارد ، وأخطأت وجه الصواب ؛ فزدتَّ
بذلك احتقاراً وصفاراً ، وإنى ما أطرقتُ من كلام الرمادي إِنْكَاراً عليه ؛ بل
رأيتُ كلاماً يجلُّ عن الأقدار الجليلة ، وتعجبتُ من تهديه له بسرعة ؛ والله لو
حَكَمْتُه في بيوت الأموال رأيتُ أنها لا ترجح ما تكلم به قدرَ ذرَّة ، وإنماكم أن
يعودَ أحدُ منكم إلى الكلام في شخصٍ قبل أن يُؤخذَ معه فيه ؛ ولا تحكموا
 علينا في أوليائنا ولو أبصرتم منا التغيير عليهم ؛ فإننا لا نتغير عليهم ؛ بغضًا لهم ؛
وانحرافاً عنهم ، بل تأدبياً وإنكاراً ؛ فإننا من نريد إبعاده لم نُظْهِرْ له التغيير ، بل
نبذه مرة واحدة ؛ والتغيير إنما يكون ملـنـ يـرـادـ اـسـبـاقـاؤـهـ .

ولو كنتُ مائلاً السمع لـكـلـ أحـدـ منـكـمـ فيـ صـاحـبـهـ لـتـفـرـقـتـمـ أـيـدـيـ سـيـاـ ،
وـجـوـبـتـ أـنـاـ مـجـانـبـةـ الـأـجـرـبـ ، وإنـيـ قدـ أـطـعـتـكـمـ عـلـىـ مـاـ فـيـ ضـمـيرـيـ ، فلاـ تـعـدـلـواـ
عنـ مـرـضـاتـيـ .

نم أمر أن يُرد الرمادي ، وقال له : أَعْدْ على كلامك ، فارتاع . فقال: الأمرُ
على خلاف ما قدرت ، الثوابُ أولى بكلامك من العقاب ، فسكن لتأنيسه ^(١) ،
وأعاد ما تكلم به ، فقال النصوص : بلغنا أن النعمان بن المنذر خشاف النابغة بالدُّرُّ
لكلام استملحه منه ، وقد أمرنا لك بما لا يَقْصُرُ عن ذلك وبما هو أَنْوَهُ
وأحسن عائدة .

(١) التأنيس : خلاف الإيمان .

وكتب له بمال وخلع وموضع يعيش منه ؛ ثم رد رأسه إلى التكلم في شأن الرمادى - وقد كاد يغوص في الأرض لشدة ماحل به مما رأى وسمع - وقال : والعجب من قوم يقولون : الابتعاد من الشعراء أولى من الاقتراب ! نعم ، ذلك لمن ليس له مفاخر يريد تخليلها ، ولا أياض يرغب في نشرها ؟ فاين الذين قيل فيهم :

على مُكثريهم رزقٌ من يعتريهم^(١) وعند القلين السماحة والبذل^(١)
وأين الذي قيل فيه :

إنما الدنيا أبو دلف^(٢) بين مبداه^(٢) ومحضره
فإذا ولّ أبو دلف^(٣) ولّت الدنيا على آثره^(٣)

أما كان في الجاهلية والإسلام أكرم من قيل فيه هذا القول ؟ بلى ! ولكن صحبة الشعراء والإحسان إليهم أحيايت غابر ذكرهم ، وخصتهم مفاخر عصرهم ، وغيرهم لم تخلد المدائح ما ثرهم ، فذر ذكرهم ، ودرس فرهم !

(١) البيت لزهير بن أبي سلى في مدح آل هرم بن سنان . (٢) المبدى : كل منتبغ .

(٣) البيتان لعلي بن جبلة في مدح أبي داف .

١٣٩ — عَفَّةُ الشَّرِيفِ الرَّضِيِّ *

حَكِيَ أَبُو حَامِدٍ بْنُ مُحَمَّدٍ الْإِسْفَراِينِيِّ الْفَقِيهِ الشَّافِعِيُّ ، قَالَ :
 كُنْتُ يَوْمًا عِنْدَ فَخْرِ الْمَلْكِ أَبْنِي غَالِبٍ مُحَمَّدِ بْنِ خَلْفٍ وَزِيرِ بَهَاءِ الدُّولَةِ وَابْنِهِ
 سُلْطَانِ الدُّولَةِ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ الرَّضِيُّ أَبُو الْحَسْنِ (١) فَأَعْظَمَهُ وَأَجْلَهُ ، وَرُفِعَ مِنْ
 مَنْزِلَتِهِ ، وَخَلَى مَا كَانَ بِيَدِهِ مِنْ الْقِصَصِ وَالرَّقَاعِ ، وَأَقْبَلَ عَلَيْهِ يَحَادِثُ إِلَى أَنْ
 انْصَرَفَ .

ثُمَّ دَخَلَ بَعْدَ ذَلِكَ الْمَرْتَضِيُّ أَبُو الْقَاسِمِ ، فَلَمْ يُعْظِمْهُ ذَلِكَ التَّعْظِيمُ ، وَلَا أَكْرَمَهُ
 ذَلِكَ الْإِكْرَامُ ، وَتَشَاغَلَ عَنْهُ بِرَقَاعِ يَقْرُؤُهَا وَتَوْقِيعَاتِ يُوقَعُ بِهَا ، فَجَلَسَ قَلِيلًا ، وَسَأَلَهُ
 أَمْرًا فَقَضَاهُ ، ثُمَّ انْصَرَفَ .

قَالَ أَبُو حَامِدٍ : فَنَقَدَّمْتُ إِلَيْهِ وَقَلَّتْ لَهُ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْوَزِيرَ ! هَذَا الْمَرْتَضِيُّ هُوَ
 الْفَقِيهُ الْمُتَكَلِّمُ صَاحِبُ الْفَنُونِ ، وَهُوَ الْأَمْثَلُ (٢) الْأَفْضَلُ مِنْهُمَا ، وَإِنَّمَا أَبُو الْحَسْنِ
 شَاعِرٌ . فَقَالَ لَيْ : إِذَا انْصَرَفَ النَّاسُ ، وَخَلَّا الْمَجْلِسُ أَجْبَتُكَ عَنْ هَذِهِ الْمَسَأَلَةِ . قَالَ :
 وَكُنْتُ مُجْمِعًا عَلَى الْانْصَرَافِ ، بِخَاءْنِي أَمْرٌ لَمْ يَكُنْ فِي الْحُسْبَانِ ، فَدَعَتِ الْفَرْوَرَةُ
 لِلْمَلَازِمَةِ الْمَجْلِسِ إِلَى أَنْ تَقْوَضَ النَّاسَ وَاحِدًا فَوْاحِدًا .

فَلَمَّا لَمْ يَبْقَ إِلَّا غَلَامَانِهِ وَحْجَابَهِ دَعَا بِالطَّعَامِ ، فَلَمَّا كُلَّا كُلُّنَا وَغَسَلَ يَدِهِ وَانْصَرَفَ
 عَنْهُ أَكْثَرُ غَلَامَانِهِ ، وَلَمْ يَبْقَ عَنْهُ غَيْرِي ، قَالَ خَلَادِمُ لَهُ :

* ابن أبي الحديد : ١ - ١٣ .

(١) هُوَ أَبُو الْحَسْنِ مُحَمَّدُ بْنُ الطَّاهِرِ ، كَانَ أَبُوهُ قَيْبَ الطَّالِبِينَ ، وَصَارَتْ إِلَيْهِ التَّقَابَةُ وَأَبُوهُ حَسِيْ،
 أَجَمَ النَّقَادَ عَلَى أَنَّهُ أَشْعَرُ قَرِيشَ ، وَكَانَ عَالِمًا بِلُولَمِ الْقُرْآنِ وَالْفُلَّةِ وَالنَّعْوِ ، وَلَهُ فِيهَا الْمُؤْلَفَاتُ
 الْأَنْاهِ . تَوَفَّ سَنَةُ ٤٠٦ هـ (٢) فَلَانُ أَمْثَلُ بْنُ فَلَانٍ : أَيُّ أَدْنَاهُ لِلْغَرْبِ .

هات الكتابين اللذين دفعتها إليك منذ أيام ، وأمرتك أن تجعلهما في السفط^(١) الفلاني . فأحضرها فقال : هذا كتاب الرضي ، اتصل بي أنه قد ولد له ولد ، فأنذرتُ إليه ألف دينار ، وقلت : هذه للقابلة – فقد جرت العادة أن يحمل الأصدقاء إلى أخلاقهم ، وذوى مودتهم مثل هذا في مثل هذه الحال – فردها ، وكتب إلى هذا الكتاب ، فقرأه .

قال : فقرأته ، وهو اعتذار عن الرد ، وفي جملته : إنا – أهل بيت – لا يطلع على أحوالنا قابلة غريبة ، وإنما مجائزنا يتولىَن هذا الأمر من نسائنا ، ولسن من يأخذن أجرة ، ولا يقبلن صلة .

قال : فهذا ، هذا . وأما المرتضى فإننا كنا قد وزّعنا وقسّطنا^(٢) على الأماكن تقسيطاً نصّر فيه في حفر فوهة النهر المعروف ببئر عيسى ، فأصاب ملوكاً للشريف المرتضى عشرون درهماً ، وقد كتب إلى منذ أيام في هذا المعنى هذا الكتاب فاقرأه ؛ فقرأته ، وهو أكثر من مائة سطر يتضمن من الخصوص والخشوع والاسئلة والطلب والسؤال في إسقاط هذه الدرام عن أملاكه المشار إليها ما يطول شرحه .

قال فخر الملك : فأيهما ترى أولى بالتعظيم والتجليل ؟ هذا العالم المتكلم الفقيهُ الواحد ، ونفسه هذه النفس ، أم ذلك الذي لم يشهر إلا بالشعر خاصة ؟ ونفسه تلك النفس ؟ قلت : وفق الله الوزير ، فما زال موقتاً ، وما وضع الأمر إلا موضعه ، ولا أحله إلا في محله .

(١) السفط : الجوالق ، أو كالقفنة . (٢) قسط الشيء : فرقه .

* ١٤٠ - أَمِين*

قال أحد التجار :

قصدتُ الحجَّ في بعض الأعوام ، وكانت تجاري عظيمةً ، وأموالى كثيرة ،
وكانت في وسطي هَمْيَان^(١) ، فيه دنانير وجوائز قيمة ، وكان المهميَان من
ديباج أسود .

فَلَمَّا كُنْتَ بِيَعْصِمِ الْطَّرِيقِ نَزَّلْتُ لِأَقْضِيَ بَعْضَ شَأْنِي ، فَانْحَلَّ الْمَهْمِيَانُ مِنْ
وَسْطِي ، وَسَقَطَ وَلَمْ أَعْلَمْ بِذَلِكَ إِلَّا بَعْدَ أَنْ سَرَّتْ عَنِ الْمَوْضِعِ فَرَاسِخَ ، وَلَكِنَّ ذَلِكَ
لَمْ يَكُنْ يُؤْثِرُ فِي قَلْبِي لَمَا كُنْتُ أَحْتَوِيهِ مِنْ غَنَّى ، وَاسْتَخْلَفْتُ ذَلِكَ الْمَالَ عِنْدَ اللَّهِ
إِذْ كُنْتُ فِي طَرِيقِ إِلَيْهِ تَعَالَى .

وَلَا قَضَيْتُ حِجَّتَيْ^(٢) وَعُدْتُ ، تَابَعْتُ الْمَحْنَ عَلَى حَتَّى لَمْ أَمْلَكْ شَيْئًا !
فَهَرَبَتُ عَلَى وَجْهِي مِنْ بَلْدِي . وَلَمَا كَانَ بَعْدَ سَنِينَ مِنْ فَقْرِي أَفْضَيْتُ إِلَى مَكَانٍ
وَزَوْجِي مَعِي ، وَمَا أَمْلَكَ فِي تَلْكَ اللَّيْلَةِ إِلَّا دَائِقًا^(٣) وَنَصْفًا ، وَكَانَتِ اللَّيْلَةَ مَطِيرَةً ،
فَأَوَيْتُ فِي بَعْضِ الْقَرَى إِلَى خَانِ خَرَابٍ ، جَاءَ زَوْجِي الْمَخَاصِ فَتَحَيَّرَتْ ، ثُمَّ وَلَدَتْ
فَهَالَتْ : يَا هَذَا ؟ السَّاعَةُ تَخْرُجُ رُوحِي ، فَاتَّخَذَتِ شَيْئًا أَتَقْوَى بِهِ ، فَخَرَجَتْ أَخْبِطَ
فِي الظُّلْمَةِ وَالْمَطَرِ حَتَّى جَئَتْ إِلَى بَدَال^(٤) فَوُقْتَ عَلَيْهِ ، فَكَلَمْنَى بَعْدَ جَهَدٍ ،
فَشَرَحَتْ لَهُ حَالٌ ، فَرَحَنِي وَأَعْطَانِي بِتَلْكَ الْقَطْعِ حَلْبَةً وَزَيْتَانًا وَأَغْلَاهَا ،

* الفرج بعد الشدة : ٢ - ١٤ .

(١) الْمَهْمِيَانُ : النَّطْقَة . (٢) الْحِجَّةُ (بِالْكَسْرِ) الْمَرْأَةُ الْوَاحِدَةُ ، وَهِيَ مِنَ الشَّوَّادِ .

(٣) الدَّائِقُ : سُدْسُ الدِّرْهَمِ . (٤) الْبَدَالُ : بَيْاعُ الْأَطْعَمَةِ .

وأغارني إناه جعلت ذلك فيه ، وجئت أريد الموضع ، فلما مشيت بعيداً وقربت من الخان زلتْ رجلي ، وانكسر الإناء وذهب جميع مافيه ؛ فوراً على قلبي أمر عظيم ماورد على مثله قط ! فأقبلتُ أبكي وأصيح ؛ وإذا ب الرجل قد أخرج رأسه من شبابك في داره ، وقال : ويلك ! مالك تبكي ! ماتدعا ننام !

فشرحت له القصة ، فقال : ياهذا ؟ البكاء كله بسبب دائق ونصف ! قال : فداخلى من الغم أعظم من الغم الأول ، فقلت : ياهذا ؟ والله ما عندى شيء لما ذهب متى ، ولكن بكل رحمة لزوجي ولنفسى ؛ فإن امرأة تموت الآن جوعاً ، ووالله لقد حججت في سنة كذا وكذا وأنا أمِلَّ من المال شيئاً كثيراً ، فذهب متى هميان فيه دنانير وجواهر تساوى ثلاثة آلاف دينار ، فما فكرت فيه ، وأنت تراني الساعة أبكي بسبب دائق ونصف ، فسأل الله السلامه ؛ ولا تغایرْنى فتُبلي بمثل بلوائِ .

فقال لي : بالله يارجل ، ما كانت صفة هميانك ، فأقبلت أبكي ، وقلت : ما ينفعنى ماخاطبتنى به أو ماتراه من جهدى ^(١) وقياحى في المطر حتى تسهرى بي أيضاً ! وما ينفعنى وينفعك من صفة هميانى الذى ضاع منذ كذا وكذا !

ومشيت ؛ فإذا الرجل قد خرج وهو يصبح بي : خذ ياهذا ، فظننته يتصدق على ، فجئت وقلت له : أى شيء تريده ؟ فقال لي : صف هميانك وقبض على ، فلم أجد للخلاص سبيلاً غير وصفه له ، فوصفتة فقال لي : ادخلن ، فدخلت ، فقال : أين امرأتك ؟ قلت : في الخان ، فأنفذ غلامنه خماموا بها ، وأدخلت إلى حرمه ^(٢) ، فأصلحوا شأنها وأطعموها كل ما تحتاج إليه وجاءونى بمحبة وقيص

(١) الجهد : المشقة .

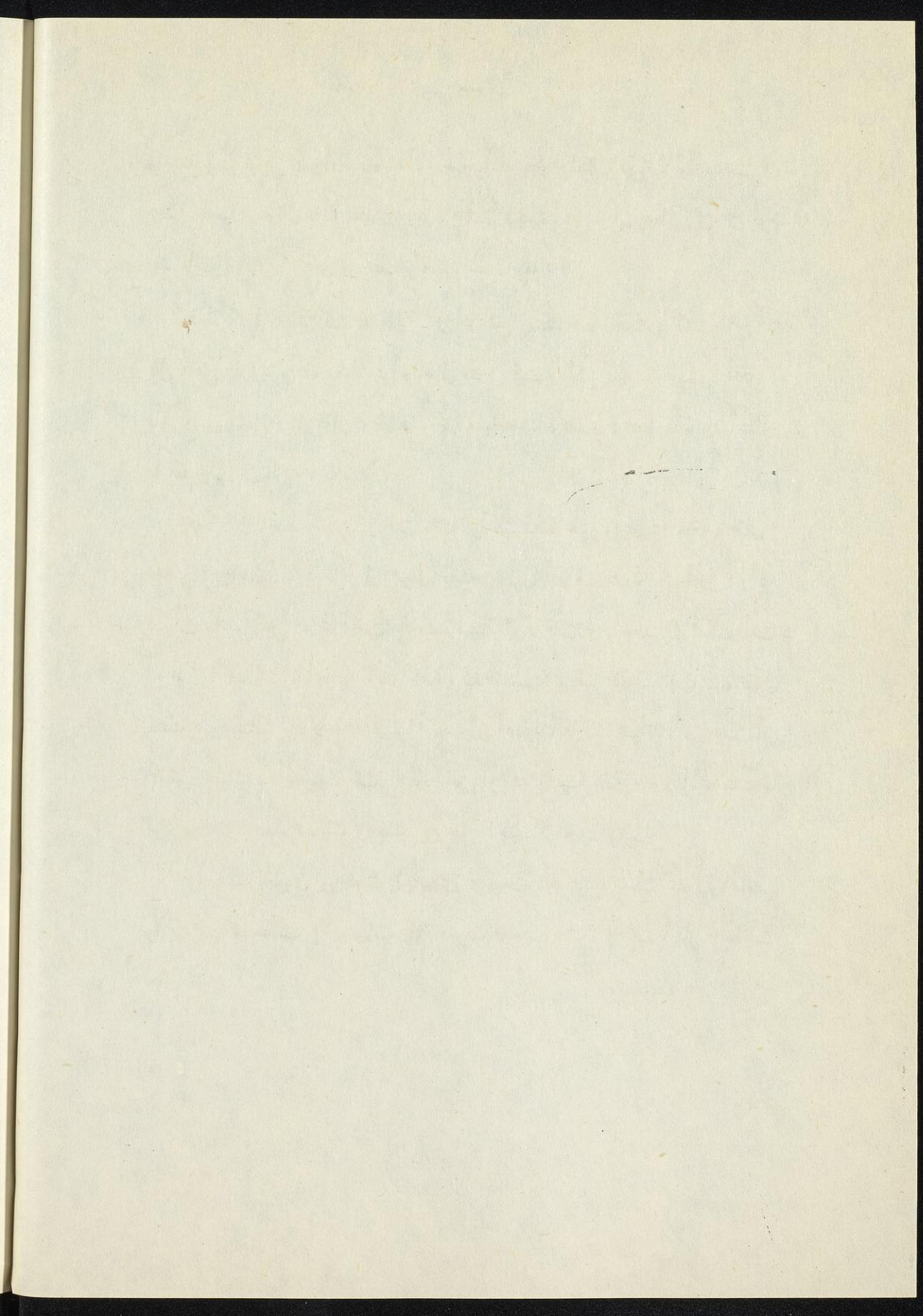
(٢) حرم الرجل : أهله .

وَعِمَامَةٍ وَسَرَّاً وَيْلٌ ، وَأَدْخَلَتُ الْحَامَ سَحَراً ، وَطَرَحَ ذَلِكَ عَلَىٰ ، وَأَصْبَحَتُ فِي
عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ . وَقَالَ : أَقْمَعْنِي أَيَّامًا ، فَأَفْتَ عَشْرَةً أَيَّامًا ، كَانَ يَعْطِينِي فِي كُلِّ يَوْمٍ
عَشْرَةً دَنَارِيْرٍ ، وَأَنَا مُتَحَيِّرٌ فِي عِظَمِ بِرِّهِ بَعْدَ شَدَّةِ جَفَانِهِ !

فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ قَالَ لِي : فِي أَىِّ شَيْءٍ تَتَصَرَّفُ ؟ قَلَتْ : كَفَتْ تَاجِرَاً ،
قَالَ : فَلِي غَلَّاتٍ وَأَنَا أَعْطِيكَ رَأْسَ مَالٍ تَجَرِ فِيهِ وَتَشْرِكَنِي . قَلَتْ : أَفْلَ ،
فَأَخْرَجَ لِي مَائِتَى دِينَارٍ فَقَالَ : خَذْهَا وَاتَّجَرْ فِيهَا هَاهُنَا ، قَلَتْ : هَذَا مَعَاشٌ قَدْ أَغْنَانِي
بِهِ اللَّهُ يَعْلَمُ أَنْ أَزْمِهِ ، فَلَزَمْتُهُ .

فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ شَهْوَرٍ رَبَحْتُ فِيْنَهُ وَأَخْذَتُ حَقَّهُ وَأَعْطَيْتُهُ حَقَّهُ ، فَقَالَ :
أَجْلِسْ ; خَلِسْتُ ، فَأَخْرَجَ لِي هَمِيَانِي بَيْنِهِ وَقَالَ : أَتَعْرُفُ هَذَا ؟ خَيْفَ رَأْيِتُهُ
شَهَقَتْ وَأَغْمَى عَلَىٰ ، فَمَا أَفْقَتْ إِلَّا بَعْدَ سَاعَةٍ ! ثُمَّ قَلَتْ لَهُ : يَا هَذَا ؛ أَمْلَكْ أَنْتَ
أَمْ نَبِيٌّ ! فَقَالَ : أَنَا أَحْفَظُهُ مِنْذَ كَذَا وَكَذَا سَنَةً ، فَلَمَّا سَمِعْتُكَ تَلِكَ اللَّيْلَةَ تَقُولُ
مَا قَلْتَهُ ، وَطَالَبْتُكَ بِالْمَالَمَةِ فَأَعْطَيْتُهَا أَرْدَتُ أَنْ أَعْطِيكَ لَلْوَقْتِ هَمِيَانِكَ ، فَخَفَتْ أَنْ
يُفْشِي عَلَيْكَ ، فَأَعْطَيْتُكَ تَلِكَ الدَّنَارِيَّةِ الَّتِي أَوْهَمْتُكَ أَنَّهَا هِبَةً ، وَإِنَّمَا أَعْطَيْتُكَهَا
مِنْ هَمِيَانِكَ ؛ فَخَذْهِ هَمِيَانِكَ وَاجْعَلْنِي فِي حَلٍّ ! فَشَكَرْتُهُ وَدَعَوْتُ لَهُ .

وَأَخْذَتُ الْهَمِيَانَ وَرَجَعْتُ إِلَى بَلْدِي ، فَبَعْتُ الْجَوَهْرَ وَضَمَّتْ ثُمَّنِي إِلَى مَامِعِي
وَاتَّجَرْتُ ، فَمَا مَضَتْ إِلَّا سَنِيَّاتٍ حَتَّى صَرَتْ صَاحِبَ عَشْرَةَ آلَافِ دِينَارٍ وَصَلَحْتَ
حَالِي !



البَابُ الْخَامِسُ

فِي القصصِ الَّتِي تَعْدُ دُرَأْزَهُ وَخَصَّا لَهُمْ، فَتَكَشِّفُ
مَا طَبَعُوا عَلَيْهِ مِنْ وَفَرَةِ الْعُقْلِ، وَحَدَّةِ النَّكَاءِ، وَصَدَقَ
الْفَرَاسَةَ وَقُوَّةَ النَّفْسِ، وَمَا أَهْلَتْهُمْ لِهِ طَبِيعَةُ بِلَادِهِمْ، وَأَسْلُوبُ
حَيَاةِهِمْ مِنْ شَرِيفِ السُّجَابِيَا، وَمَدْوَحِ الْخَصَالِ .

* ١٤١ - غَنِمَ مَنْ نَجَا مِنَ الْمَوْتَ

كان عامر^(١) بن الظَّرِيب العَدُوَانِي يُدْفَعُ بِالنَّاسِ فِي الْحَجَّ؛ فَرَآهُ مَلِكُ مِنْ مُلُوكِ غَسَان، فَقَالَ: لَا تُرْكِي هَذَا الْعَدُوَانِي أَوْ أَذِلُّهُ!

فَلَمَّا رَجَعَ لِلْمَلِكِ إِلَى مَنْزِلِهِ أُرْسِلَ إِلَيْهِ: أَحِبُّ أَنْ تَزُورَنِي فَأَحْجُبُوكَ وَأَكْرِمُكَ وَأَتَخْذَكَ خِلَّاً؟ فَأَتَاهُ قَوْمُهُ؛ فَقَالُوا لَهُ: تَقْدِيرُ وَيَغْدِيرُ مَعَكَ قَوْمُكَ إِلَيْهِ، فَيُصِيبُونَ فِي جَبَبِكَ، وَيُوْجَهُونَ^(٢) بِجَاهِكَ!

فَخَرَجَ وَأَخْرَجَ مَعَهُ نَفَرًا مِنْ قَوْمِهِ؛ فَلَمَّا قَدِمَ بِلَادَ الْمَلِكِ أَكْرَمَهُ وَأَكْرَمَ قَوْمَهُ، ثُمَّ انْكَشَفَ لَهُ عَنْ رَأْيِ الْمَلِكِ؛ فَجَمِعَ أَصْحَابَهُ، وَقَالَ: الرَّأْيُ نَائِمٌ، وَالْهُوَى يَقْطَانُ، وَمَنْ أَجْلَ ذَلِكَ يَغْلِبُ الْهُوَى الرَّأْيَ! عَجِلْتُ حِينَ عَجَلْتُمْ، وَلَنْ أَعُودَ بَعْدَهَا!

فَقَالَ قَوْمُهُ: لَقَدْ أَكْرَمْنَا الْمَلِكَ كَمَا تَرَى! وَبَعْدَ هَذَا مَا هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ!

قَالَ: لَا تَعْجِلُوا؛ فَإِنَّ لِكُلِّ عَامٍ طَعَامًا، وَرَبٌّ أَكْلَهُ تَنْعُمُ أَكْلَاتٍ^(٣) فَسَكَثُوا أَيَّامًا.

* الأمثال : - ٢٧١ .

(١) حَكِيمٌ خَطِيبٌ رَئِيسٌ، مِنَ الْجَاهِلِيِّينَ، كَانَ الْعَرَبُ لَا تَعْدِلُ بِفَهْمِهِ فَهُمْ أَ ، وَلَا يَعْكِهِ حَكْمًا، وَهُوَ أَوْلُ مَنْ قَرَعَتْ لَهُ الْعَصَا، وَكَانَ يَقَالُ لَهُ ذُو الْحَلْمِ . (٢) أَوْجَهُهُ: جَعَلَهُ وَجِيهًا .

(٣) سَارَتْ مَثَلاً .

ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَيْهِ الْمَلِكُ ، فَتَحَدَّثَ عِنْدَهُ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : قَدْ رَأَيْتُ أَنْ أَجْعَلَكَ النَّاظِرَ
فِي أُمُورِي ، فَقَالَ لَهُ : إِنِّي لَكَنْزَ عِلْمٍ لَسْتُ أَعْلَمُ بِإِلَّا بِهِ ؛ تَرَكْتُهُ فِي الْحَيٍّ مَدْفُونًا ، وَإِنِّي
قَوْمٌ أَضْنَانَهُ بِي ، فَاكْتَبْ لِي بِجَبَابِيَّةِ الطَّرِيقِ ، فَيُرِيَ قَوْمِي طَمَعًا تَطِيبُ بِهِ أَنفُسُهُمْ
فَأَسْتَخْرُجَ كَنْزِي ، وَأَرْجِعَ إِلَيْكَ وَافِرًا .

فَكَتَبَ لَهُ بِمَا سُأْلَ ، وَجَاءَ إِلَى أَصْحَابِهِ ، فَقَالَ : ارْتَحِلُوا ؛ حَتَّى إِذَا أَدْبَرُوا
قَالُوا : لَمْ يُرِيْ كَالِيُومْ وَافْدَأْقُلْ وَلَا أَبْعَدْ مِنْ نُوَالِيْ مِنْكَ ! فَقَالَ : مَهْلاً ! فَلِيُسْ عَلَى
الرِّزْقِ فَوْتُ ، وَغَمْ مَنْ بَجَانِيَّ الْمَوْتَ !
فَلَمَّا قَدِمَ عَلَى قَوْمِهِ أَقْامَ فَلَمْ يَعُدْ !

* ١٤٢ - وَاقِفَ شَنْ طَبَقَةُ *

كان شَنْ رجلاً من دُهَّاهِ العرب وعَقْلَاهُمْ . وقال يوماً : والله لا أطوفَنَ حتى أجد امرأةً مثلَ أَزْوَاجِهَا . فيبَيَّنا هو في بَعْضِ مسِيرِهِ إذ وَاقَفَهُ رَجُلٌ فِي الطَّرِيقِ فَسَأَلَهُ شَنْ : أين تَرِيدُ ؟ فَقَالَ : مَوْضِعَ كَذَا - يَرِيدُ الْقَرِيَّةَ الَّتِي يَقْصُدُهَا شَنْ - فَوَافَقَهُ ، حتَّى إِذَا أَخْذَا فِي مسِيرِهَا قَالَ لَهُ شَنْ : أَتَحْلَمُنِي أَمْ أَحْمَلُكُ ؟ فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ : يَا جَاهِلُ ، أَنَا رَاكِبٌ وَأَنْتَ رَاكِبٌ ، فَكَيْفَ أَحْمَلُكُ أَوْ تَحْمَلُنِي ؟ ! فَسَكَتَ عَنْهُ شَنْ .

وَسَارَ حَتَّى إِذَا قَرُبَ مِنَ الْقَرِيَّةِ إِذَا بَزْرَعٌ قَدْ اسْتَحْصَدَ^(١) ؛ فَقَالَ شَنْ : أَتَرِى هَذَا الزَّرْعُ أَكَلَ أَمْ لَا ؟ فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ : يَا جَاهِلُ ؟ تَرِى نَبْتَانِي مُسْتَحْصَداً فَتَقُولُ : أَكَلَ أَمْ لَا ؟ فَسَكَتَ عَنْهُ شَنْ .

حَتَّى إِذَا دَخَلَ الْقَرِيَّةَ لِقِيمَتِهَا جِنَازَةُ^(٢) ، فَقَالَ شَنْ : أَتَرِى صَاحِبُ هَذَا النَّعْشِ حَيّاً أَمْ مَيِّتاً ؟ فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ : مَا رَأَيْتُ أَجْهَلَ مِنْكَ ! تَرِى جِنَازَةَ تَسْأَلُ عَنْهَا ، أَمْ يَعْيَّتْ صَاحِبُهَا أَمْ حَيّاً ؟

فَسَكَتَ شَنْ وَأَرَادَ مُفارِقةَهُ ؛ فَأَبَى الرَّجُلُ أَنْ يَتَرَكَهُ حَتَّى يَصِيرَ بِهِ إِلَى مَنْزِلِهِ ؛ فَضَى مَعْهُ : وَكَانَ لِلرَّجُلِ بَنْتٌ يُقالُ لَهَا طَبَقَةٌ ؛ فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهَا أَبُوهَا سَأَلَتْهُ عَنْ ضَيْفِهِ ، فَأَخْبَرَهَا . بِمَرْأَقَتِهِ إِيَّاهُ ، وَشَكَّا إِلَيْهَا جَهَلَهُ ، وَحَدَّهَا بِحَدِيثِهِ . فَقَالَتْ : يَا أَبَتْ ، مَا هَذَا بِجَاهِلٍ ! أَمَا قُولُهُ : أَتَحْمَلُنِي أَمْ أَحْمَلُكُ ، فَأَرَادَ أَتَحْمَلُنِي

* سِيجُونِ الأَمْثَالِ : ٢ - ٢١١ .

(١) استَحْصَدَ : آنَّ أَنْ يَحْصُدَ .

(٢) جِنَازَةُ : الْمَيْتُ عَلَى السَّرِيرِ .

أم أحد ذلك حتى نقطع طريقنا ! وأما قوله : أترى هذا الزرع كل أم لا ؟ فأراد :
هل باعه أهله فأكلوا منه أم لا ؟ وأما قوله في الجنازة ، فأراد : هل ترك عقباً يحيى
بهم ذكره أم لا !

خرج الرجل فجلس إلى شن ؟ فحادثه ساعة ، ثم قال : أنتب أن أفسر لك
مأسأتك عنه ؟ قال : نعم . ففسر . فقال شن : ماهذا من كلامك ، فأخبرني
من صاحبه ؟ قال : ابنته لى .

فخطبها إليه ، فزوجه إليها ، وحملها إلى أهله . فلما رأوها قالوا : وافق شن
طبقة ^(١) .

(١) فذهبت مثلاً لكل اثنين متوففين . هذا ، وقيل في أصل المثل : لئنما حيان انفقا على أمر
فقيل لها ذلك ؟ لأن كل واحد منها قيل ذلك له لما وافق شكله ونظيره . وقيل : شن حي من
عبد القيس ، وطبق : حي من إباد ، وكانت شن لا يقام لها ، فوافقتها طبق فانصفت منها . وقيل :
شن قبيلة كانت تكثر الغارات ، فوافعهم طبق من الناس فأبادوهم .

١٤٣ - لَنْ يَبْرَحَ الْعَبْدَانَ حَتَّى يُقْتَلَ *

صاحب رجلٍ كثيرونِ المالَ عبدَينَ فِي سُفَرٍ ، فَلَمَّا تَوَسَّطَا الطَّرِيقَ هُنَّا بِقُتْلِهِ ،
فَلَمَّا صَحَّ ذَلِكَ عَنْهُ قَالَ : أَقْسَمْ عَلَيْكُمَا - إِذَا كَانَ لَا بدَ لِكُمَا مِنْ قُتْلِي - أَنْ
تَمْضِيَا إِلَى دَارِي ، وَتَبْشِدَا ابْنَتِيَّ هَذَا الْبَيْتَ ! قَالَا : وَمَا هُوَ ؟ قَالَ :
مِنْ مِيلْنٌ بَنْتِيَّ أَنْ أَبَاها ^{لِلَّهِ درُّ} كَوَدَرُ أَيْكَا^(١)
فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِلآخَرَ : مَا نَرَى فِيهِ بَأْسًا !

فَلَمَّا قَتَلَاهُ جَاءَ إِلَى دَارِهِ ، وَقَالَا لِابْنَتِهِ الْكَبْرِيَّ : إِنَّ أَبَاكِ قدْ لَحَقَهُ مَا يَلْحَقُ
النَّاسَ ، وَآتَى عَلَيْنَا أَنْ نَخْبِرَكَ بِهَذَا الْبَيْتِ . فَقَالَتِ الْكَبْرِيَّ : مَا أَرَى فِيهِ شَيْئًا
نَخْبَرَنِيَّ بِهِ ، وَلَكِنْ أَصْبِرَا حَتَّى أَسْتَدِعَيَّ أَخْتِي الصَّغْرِيَّ .

فَاسْتَدِعْتُهَا فَأَنْشَدَتْهَا الْبَيْتَ ، فَخَرَجَتْ حَاسِرَةً^(٢) ، وَقَالَتْ : هَذَا قَتْلَاهُ أَبِي
يَا مُعْشَرَ الْعَرَبِ ، مَا أَتَنَا فَصَحَّاءَ ! قَالُوا : وَمَا الدَّلِيلُ عَلَيْهِ ؟ قَالَتْ : الْمَرْصَاعُ الْأَوَّلُ
يَحْتَاجُ إِلَى ثَانٍ ، وَالثَّانِي يَحْتَاجُ إِلَى مَا يُكَمِّلُهُ ، وَلَا يَلِيقُ أَحَدُهُمَا بِالآخَرِ . قَالُوا : فَمَا
يَلِيقُ أَنْ يَكُونَ ؟ قَالَتْ : يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ :

مَنْ خَبَرُ بَنْتِيَّ أَنْ أَبَاها أَمْسَى قَتِيلًا بِالْفَلَّا^{مُجَنَّدَلًا}^(٣)
^{لِلَّهِ درُّ} كَوَدَرُ أَيْكَا لَنْ يَبْرَحَ الْعَبْدَانَ حَتَّى يُقْتَلَ
فَاسْتَخْبِرُوهَا فَوْجَدُوا الْأَمْرَ عَلَى مَا ذُكِرَتْ .

* بِلَوْغِ الْأَرْبَعِ : ١ - ٣٢ .

(١) لَهُ دَرَهُ : أَيْ عَمَلَهُ ، وَلَا درَهُ : لَا زَكَّا عَمَلَهُ (٢) حَاسِرَةُ : أَيْ كَاشَفَةُ . يَقَالُ : حَسَرَتِ
الْمَرْأَةُ ذَرَاعَهَا وَخَازَهَا ، أَيْ كَشَفَتَهُ (٢) مُجَنَّدَلًا : مَصْرُوعًا عَلَى الْجَدَالَةِ ، وَهِيَ الْأَرْضُ . وَلِنِسْ
فِي كِتَابِ الْلِّغَةِ جِنْدَلُ ، وَلَنَعْ بِهَا جِنْدَلُ .

* ١٤٤ - النَّذِيرُ *

كان رجُلٌ من بني العَنْبَرِ أَسِيرًا في بَكْرٍ بْنَ وَائِلٍ، وَعُرِفَ أَهْمُمُ عَزِيزِهَا عَلَى غَزْوِ
قَوْمِهِ، فَسَأَلُوكَمْ رَسُولًا إِلَى قَوْمِهِ، فَقَالُوكَمْ: لَا ارْسِلْ إِلَّا بِحُضْرَتِنَا لِثَلَاثَةِ نَذِيرٍ؛ وَجَنِي
بَعْدَ أَسْوَدَ، فَقَالَ لَهُ: أَتَعْقِلُ؟ قَالَ: نَعَمْ، إِنِّي لِعَاقِلٍ! مَا أَرَاكَ عَاقِلًا.

نَمَّ مَلَأْ كَفَيْهِ مِنِ الرَّمْلِ فَقَالَ: كَمْ هَذَا؟ قَالَ: لَا أَدْرِي، وَإِنَّهُ لِكَثِيرٍ،
قَالَ: أَتَيَاكَ كَثِيرًا؟ النَّجُومُ أَمِ النَّيْرَانُ؟ قَالَ: كُلُّهُ كَثِيرٌ.

فَقَالَ: أَبْلَغْ قَوْمِي التَّحْمِيَّةَ، وَقَلَّ لَهُمْ: لِيَكْرِمُوكُمْ فَلَانَا - يَعْنِي أَسِيرًا كَانَ فِي
أَيْدِيهِمْ مِنْ بَكْرٍ - فَإِنَّ قَوْمَهُ لَمْ يَكْرِمُوكُمْ، وَقَلَّ لَهُمْ: إِنِّي لِرَفِيقٍ^(١) قَدْ أَدْبَرَ^(٢)،
وَشَكَّتِ النِّسَاءُ، وَأَمْرَهُمْ أَنْ يُعْرِوْنَ نَاقَتِ الْحَرَاءَ؛ فَقَدْ أَطَالُوكَمْ رَكْبَهَا، وَأَنْ يُرْكِبُوكُمْ
جَمْلَ الْأَصْهَابِ^(٣)، بَآيَةً مَا أَكَلْتُ مَعْهُمْ حَيْسًا^(٤)؛ وَاسْتَأْوَعْنَ خَبْرَى أُخْرَى الْحَارَثِ.
فَلَمَّا أَدْبَرَ الْعَبْدَ الرَّسُولَ إِلَيْهِمْ قَالُوكَمْ: قَدْ جَنَّ الْأَعْوَرُ! وَاللَّهُ مَانْرَفُ^٥ لَهُ نَاقَةَ
الْحَرَاءِ، وَلَا جَمْلًا أَصْهَابَ! ثُمَّ سَرَّحُوكَمْ الْعَبْدُ، وَدَعَوكُمْ الْحَارَثَ فَقَصُّوكُمْ عَلَيْهِ الْقَصَّةَ.
فَقَالَ: قَدْ أَنْذَرْتُكُمْ! أَمَا قَوْلُهُ: قَدْ أَدْبَرَ الرَّفِيقَ، فَيُرِيدُ أَنَّ الرَّجُلَ قَدْ اسْتَلَأْمَوْا
وَلَبِسُوكُمْ السَّلَاحَ . وَقَوْلُهُ: وَشَكَّتِ النِّسَاءُ؛ أَى اتَّخَذْنَ الشَّكَاءَ لِلسَّفَرِ^(٦)، وَقَوْلُهُ: النَّاقَةُ
الْحَرَاءُ، أَى ارْتَحَلُوكُمْ عَنِ الدَّاهِنَاءِ وَرَكَبُوكُمْ الصَّمَانَ . وَهُوَ الْجَلُّ الْأَصْهَابِ . وَقَوْلُهُ:
بَآيَةً مَا أَكَلْتُ مَعْكُمْ حَيْسًا، يُرِيدُ أَخْلَاطًا مِنَ النَّاسِ قَدْ غَزَوكُمْ؛ لَأَنَّ الْحَيْسَ يَجْمِعُ
الْتَّمْرَ وَالسَّمْنَ وَالْأَقْطَافَ؛ فَامْتَثِلُوكُمْ مَا قَالُوكَمْ، وَعَرَفُوكُمْ لَهُنَّ كَلَامَهُ

* نَهَايَةُ الْأَرْبَعَةِ: ٣ - ١٥٤ ، بَلُوغُ الْأَرْبَعَةِ: ٣١ ، الْأَمْالِي: ١ - ٨

(١) الرَّفِيقُ: نَبِيٌّ (٢) أَدْبَرَ الرَّفِيقَ: خَرَجَ مِنْهُ مُثْلُ الدِّينِ، وَالدِّينُ: أَصْفَرُ الْجَرَادُ وَالنَّمَلُ .

(٣) الْأَصْهَابُ: بَعِيرٌ لَيْسَ بِشَدِيدِ الْبَيْاضِ (٤) الْحَيْسُ: تَمْرٌ يَخْطَطُ بَسْمَنَ وَأَقْطَافَ فَيُعْجِنُ شَدِيدًا

(٥) الشَّكَاءُ: وَعَاءٌ مِنْ أَدْمَرٍ يَرْدِدُ فِيهِ الْمَاءَ وَيَبْحَسُ فِيهِ، جَمِيعُ شَكَوَاتِ وَشَكَاءِ، شَكَّتِ النِّسَاءُ:
اتَّخَذْنَ الشَّكَاءَ .

١٤٥ - حديث عن أمرىء القيس*

قال عبد الملك بن عمير :

قدم علينا عمر بن هنيرة الكوفة ، فأرسل إلى عشرة أنا أحدهم من وجوه الكوفة فسمروا عنده ، ثم قال : ليحدّثني كلُّ رجلٍ منكم أخذ وثة ، وإنْدأ أنت أبو عمرو^(١) . قلت : أصلح الله الأمير ! أحاديث الحق أم حديث الباطل ؟ قال : بل حديث الحق^(٢) .

قلت : إنَّ امرأً^(٣) القيس آتى باليه^(٤) لا يتزوج امرأة حتى يسألها عن ثمانية وأربعة وثلاثين ، فجعل يخطب النساء فإذا سألهن عن هذا قلن : أربعة عشر . فيينا هو يسير في جوف الليل إذا هو برج يحمل ابنة له صغيرة ، كأنها البدر ليلة عاشر ، فأعجبته : فقال لها : ياجارية ؟ مائانية وأربعة وثلاثان ؟ قالت : أما مائانية فأطباء^(٥) الكلبة ، وأما أربعة فأخلاف^(٦) الناقة ، وأما اثنتان فندي يا المرأة . خطبها إلى أبيها ، فزوجه إياها ، وشرطت عليه أن تسأله ليلة بناها عن ثلاثة خصال ، فجعل لها ذلك ، وأن يسوق إليها مائة من الإبل وعشرة أبُد وعشرون صاف وثلاثة أفراس ، ففعل ذلك .

* الأغاني : ٩ - ١٠١ ، نهاية الأرب : ٣ - ١٥٥ ، بلوغ الأربع : ١ : ٢٧ .

(١) كنية عبد الملك بن عمير (٢) امرأ القيس : هو الملك الصليل أبو الحارث حندج بن حجر الكندي ، شاعر اليانية ، ورأس شعراء الجاهلية ، وقادهم إلى التقى في أبواب الشعر وضروبها ، وقد نشأ بأرض نجد ، وسلك مسلك المترفين من أبناء الملوك يلهو ويلعب ويماقر الخمر ويغازل الحسان ، وأنفق وقته في التشبيب بالنساء والخروج في ذلك إلى حد الصراحة في الفحش ، فقتله أبوه ، ثم طرد و توفى سنة ٨٠ ق هـ . (٣) آتى : أقسم (٤) الأطباء : حملات الضرع لدى خف وظلفه وسافر وسبع (٥) الأخلاف : حملات ضرع الناقة .

ثُمَّ إِنَّهُ بَعْثَ عَبْدًا لَهُ إِلَى الْمَرْأَةِ ، وَأَهْدَى إِلَيْهَا نِحْنَيَا^(١) مِنْ سَمَنٍ ، وَنِحْنَيَا مِنْ عَسْلٍ ، وَحُلْلَةً مِنْ عَصْبٍ^(٢) ، فَنَزَلَ الْعَبْدُ بِعِصْمِ الْمَيَاهِ فَنَشَرَ الْحَلَّةَ وَلَبَسَهَا ، فَتَعْلَقَتْ بِعُشْرَةٍ^(٣) ، فَانْشَقَّتْ ؛ وَفَتَحَ النَّحْيَيْنِ ، فَطَعَمَ أَهْلَ الْمَاءِ مِنْهُمَا فَنَفَصَا .

ثُمَّ قَدِيمٌ عَلَى حَيَّ الْمَرْأَةِ وَهُمْ خَلُوفٌ^(٤) ، فَسَأَلَاهَا عَنْ أَيْمَاهَا وَأَمَاهَا وَأَخْيَاهَا وَدَفْعَهَا إِلَيْهَا هَدِيَّتَهَا . فَقَالَتْ لَهُ : أَعْلَمُ مَوْلَاكَ أَنْ أَبْنَى ذَهَبَ يَقْرَبُ بَعِيدًا وَيُبَعْدُ قَرِيبًا ، وَأَنْ أَمَّى ذَهَبَتْ تَشَقَّقَ النَّفْسَيْنِ ، وَأَنْ أَخِي يَرَاعِي الشَّمْسَ ، وَأَنْ سَمَاءَكَ انشَقَّتْ ، وَأَنْ وَعَادِيكَ نَضَبَّا^(٥) .

فَقَدِيمُ الْفَلَامِ عَلَى مَوْلَاهُ فَأَخْبَرَهُ . فَقَالَ : أَمَا قَوْلَهَا : إِنْ أَبْنَى ذَهَبَ يَقْرَبُ بَعِيدًا وَيُبَعْدُ قَرِيبًا ، فَإِنْ أَبْنَاهَا ذَهَبَ يَخْالِفُ قَوْمًا عَلَى قَوْمِهِ . وَأَمَا قَوْلَهَا : ذَهَبَتْ أُمِّي تَشَقَّقَ النَّفْسَيْنِ ، فَإِنْ أَمَاهَا ذَهَبَتْ تَقْبَلَ^(٦) امْرَأَةَ نُفَسَاءَ . وَأَمَا قَوْلَهَا : إِنْ أَخِي يَرَاعِي الشَّمْسَ ، فَإِنْ أَخَاهَا فِي سَرَحٍ^(٧) لَهُ يَرْعَاهُ فَهُوَ يَنْتَظِرُ وُجُوبَ^(٨) الشَّمْسِ لِيَرْوَحَ^(٩) بِهِ . وَأَمَا قَوْلَهَا : إِنْ سَمَاءَكَ انشَقَّتْ ، فَإِنَّ الْبُرْدَ الَّذِي بَعَثْتُ بِهِ أَنْشَقَّ . وَأَمَا قَوْلَهَا : إِنْ وَعَادِيكَ نَضَبَّا ، فَإِنَّ النَّحْيَيْنِ الَّذِينَ بَعَثْتُ بِهِمَا نَفَصَا ، فَاصْدُقْنِي ! فَقَالَ : يَا مَوْلَايُ ، إِنِّي نَزَلْتُ بِنَاءً مِنْ مَيَاهِ الْعَرَبِ ، فَسَأْلُونِي عَنْ نَسْبِي ؟ فَأَخْبَرْتُهُمْ أَنِّي ابْنُ عَمِّكَ ، وَنَشَرْتُ الْحَلَّةَ فَانْشَقَّتْ ؛ وَفَتَحَ النَّحْيَيْنِ ، فَأَطْعَمْتُ مِنْهُمَا أَهْلَ الْمَاءِ . فَقَالَ : أَوْلَى لَكَ^(١٠) !

ثُمَّ سَاقَ مَائَةً مِنَ الإِبْلِ وَخَرَجَ نَحْوَهَا وَمَعَهُ الْفَلَامِ ؛ فَنَزَلَ مِنْزَلًا ، فَرَجَ الْفَلَامِ بِسَقِيِّ الإِبْلِ فَعَجَزَ ؛ فَأَعْانَهُ اسْرَؤُ الْقَيْسِ ؛ فَرَمَى بِهِ الْفَلَامِ فِي الْبَئْرِ ؛ وَخَرَجَ حَتَّى أَتَى

(١) النَّحْيُ : السَّقَاءُ ، أَوْ مَا كَانَ لِالسَّمَنِ خَاصَّةً (٢) الْعَصْبُ : نَوْعٌ مِنَ الْبَرْوَدِ (٣) الْعُشْرَةُ : وَاحِدَةُ الْعُشْرِ وَهُوَ مِنْ كَبَارِ الشَّجَرِ ، وَلَهُ صَنْعٌ حَلْوٌ (٤) خَلُوفٌ : غَيْبٌ (٥) الْمَرَادُ تَقْصَاءُ .

(٦) يَقَالُ : تَبَلَّتِ الْقَابِلَةُ الْمَرْأَةُ إِذَا تَلَقَّتْ وَلِدَهَا عَنْدَ ولَادَتِهِ (٧) السَّرَحُ : الْإِبْلُ السَّائِعُ

(٨) وَجْوَبُ الشَّمْسِ : غَرْوَبَهَا (٩) لِيَرْجِعُ .

(١٠) أَوْلَى لَكَ : كَلْمَةٌ يَقْصُدُ بِهَا التَّوْعِيدَ وَالتَّهْدِيدَ ، أَيْ الشَّرُّ أَقْرَبُ إِلَيْكَ .

أهـلـ الـمـرأـةـ بـالـإـبـلـ ، وـأـخـبـرـهـمـ أـنـهـ زـوـجـهـ ، فـقـيـلـ لـهـ : قـدـ جـاءـ زـوـجـكـ . فـقـالـتـ : وـالـلـهـ
ماـ أـدـرـىـ أـزـوـجـيـ هـوـ أـمـ لـاـ ! وـلـكـنـ انـحـرـواـ لـهـ جـَزـورـاـ^(١) وـأـطـعـمـوـهـ مـنـ كـَرـشـهـاـ
وـذـنـبـهـاـ ، فـقـعـلـواـ ، فـأـكـلـ مـاـ أـطـعـمـوـهـ ، فـقـالـتـ : اـسـقـوـهـ لـبـنـاـ حـازـرـاـ^(٢) ، فـسـقـوـهـ فـشـرـبـ .
فـقـالـتـ : اـفـرـشـوـهـ عـنـدـ الـفـرـثـ^(٣) وـالـدـمـ ، فـقـرـشـوـهـ لـهـ فـنـامـ .

فـلـمـ أـصـبـحـتـ أـرـسـلـتـ إـلـيـهـ : إـنـيـ أـرـيدـ أـنـ أـسـأـلـكـ ، فـقـالـ : سـلـيـ عـمـاـ شـتـتـ ،
فـسـأـلـتـهـ فـلـمـ يـعـجـبـهـ جـوابـهـ ؟ فـقـالـتـ : عـلـيـكـمـ الـعـبـدـ فـشـدـوـاـ يـدـيـكـمـ بـهـ فـقـعـلـواـ .

قـالـ : وـمـرـّ قـوـمـ فـاسـتـخـرـجـوـاـ اـمـرـّ الـقـيـسـ مـنـ الـبـئـرـ ؟ فـرـجـعـ إـلـىـ حـيـهـ ، فـاسـتـاقـ
مـائـةـ مـنـ الـإـبـلـ وـأـقـبـلـ إـلـىـ اـمـرـأـهـ ، فـقـيـلـ لـهـ : قـدـ جـاءـ زـوـجـكـ ! فـقـالـتـ : وـالـلـهـ
ماـ أـدـرـىـ أـهـوـ زـوـجـيـ أـمـ لـاـ ! وـلـكـنـ انـحـرـواـ لـهـ جـَزـورـاـ فـأـطـعـمـوـهـ مـنـ كـَرـشـهـاـ وـذـنـبـهـاـ ،
فـقـعـلـواـ ؛ فـلـمـ أـتـوـهـ بـذـلـكـ قـالـ : وـأـيـنـ الـكـبـدـ وـالـسـنـامـ وـالـلـحـاءـ^(٤) ؟ وـأـبـيـ أـنـ يـأـكـلـ .
فـقـالـتـ اـسـقـوـهـ لـبـنـاـ حـازـرـاـ ، فـأـبـيـ أـنـ يـشـرـ بـهـ وـقـالـ : فـأـيـنـ الـصـرـيفـ^(٥) وـالـرـئـيـثـةـ^(٦) ؟
فـقـالـتـ : اـفـرـشـوـهـ عـنـدـ الـفـرـثـ وـالـدـمـ ، فـأـبـيـ أـنـ يـنـامـ وـقـالـ : اـفـرـشـوـاـلـىـ فـوـقـ التـلـعـةـ^(٧)
الـحـمـاءـ وـاضـرـبـواـ عـلـيـهـاـ خـبـاءـ .

ثـمـ أـرـسـلـتـ إـلـيـهـ : هـلـمـ شـرـيـطـيـ عـلـيـكـ فـيـ الـمـسـائـلـ الـثـلـاثـ ، فـأـرـسـلـ إـلـيـهـ أـنـ سـلـيـ
عـمـاـ شـتـتـ . فـسـأـلـتـهـ ؟ فـأـعـجـبـهـ جـوابـهـ ؛ فـقـالـتـ : هـذـاـ زـوـجـيـ لـعـمـرـىـ ! فـعـلـيـكـمـ بـهـ ،
وـاقـتـلـواـ الـعـبـدـ ؛ فـقـتـلـوهـ ، وـدـخـلـ اـمـرـّ الـقـيـسـ بـالـجـارـيـةـ .

فـقـالـ اـبـنـ هـبـيـرـةـ : حـسـبـكـمـ ! فـلـاـ خـيـرـ فـيـ الـحـدـيـثـ فـيـ سـأـرـ الـلـيـلـةـ بـعـدـ حـدـيـثـكـ
يـأـبـاـ عـمـروـ ! وـلـنـ تـأـتـيـنـاـ بـأـعـجـبـ مـنـهـ ؛ فـقـمـنـاـ وـانـصـرـفـنـاـ ، وـأـمـرـ لـيـ بـحـاـزـةـ !

(١) المـزـوـرـ : الـبـعـيـرـ يـقـمـ عـلـيـ الـذـكـرـ وـالـأـنـتـيـ (٢) وـهـوـ الـحـامـنـ (٣) السـرـجـينـ

(٤) لـمـ فـيـ الـصـلـبـ مـنـ الـكـاـهـلـ إـلـىـ الـعـيـزـ فـيـ الـبـعـيـرـ (٥) الـصـرـيـفـ : الـلـحـيـبـ الـحـارـ سـاعـةـ يـحـلـبـ

(٦) الرـئـيـثـةـ : الـلـبـنـ الـلـحـيـبـ يـصـبـ عـلـيـهـ الـلـبـنـ الـحـامـضـ فـيـرـوبـ مـنـ سـاعـتـهـ (٧) التـلـعـةـ : أـرـضـ
مـرـتـفـعـةـ غـلـيـظـةـ يـتـرـدـدـ فـيـهـ السـيلـ ، ثـمـ يـنـدـفـعـ إـلـىـ تـلـعـةـ أـسـفـلـ مـنـهـ .

١٤٦ - صَحِيفَةُ الْمُتَلَمِّسُ *

وَفَدُ الْمُتَلَمِّسُ^(١) هُوَ وَابْنُ أَخْتِهِ طَرَفَةُ بْنُ الْعَبْدِ^(٢) عَلَى عَمْرُوبْنِ هِنْدٍ^(٣)، فَزَلَّ
عَنْهُ فِي خَاصَّتِهِ، وَكَانَ يَرْكَبُ بَانَ مَعَهُ لِلصَّيْدِ، فَيَرْكَضُ طَوْلَ النَّهَارِ، فَيَمْعَانُ، وَكَانَ
يَشْرَبُ فِي قِفَانٍ عَلَى بَابِهِ النَّهَارَ كَمَا لَا يَصْلَانُ إِلَيْهِ؛ فَضَجَّ طَرَفَةُ فَقَالَ فِيهِ:
فَلَيْتَ لَنَا مَكَانٌ لِلْمَلِكِ عَمْرُو رَغْوُثًا^(٤) حَوْلَ قَبْنَا تَخُورُ
وَكَانَ طَرَفَةُ عَدُوًّا لِابْنِ عَمِّهِ عَبْدِ عَمْرُو - وَكَانَ كَرِيمًا عَلَى عَمْرُوبْنِ هِنْدٍ - فَهُجَاهَ
طَرَفَةُ فَقَالَ :

وَلَا خَيْرَ فِيهِ غَيْرَ أَنَّ لَهُ غَنَّى وَأَنْ لَهُ كَشْحَانًا إِذَا قَامَ أَهْضَمَا^(٥)
تَظَلَّلُ نِسَاءُ الْحَيٍّ يَعْكُفُنَ حَوْلَهُ يَقْلُنَ عَسِيبًا مِنْ سَرَارَةِ مَلَهْمَاهَا^(٦)
فَهُمَّ عَمْرُو بَقْتُلُ طَرَفَةَ، وَخَافَ مِنْ هُجَاهِ التَّلَمِّسِ لَهُ؛ لِأَهْمَاهَا كَانَا خَلِيلَيْنِ،
فَقَالَ لَهُمَا: لَعَلَّكُمَا قَدْ اشْتَقَتُمَا لِأَهْلِكُمَا، وَسَرَّ كَمَا أَنْ تَنْصُرَا ! فَقَالَا: نَعَمْ ! فَكَتَبَ
لَهُمَا بِصَحِيفَتَيْنِ وَخَتَمَهُمَا، وَقَالَ لَهُمَا: اذْهَبَا إِلَى عَامِلِي بِالْبَحْرَيْنِ، فَقَدْ أَمْرَتُهُ أَنْ
يَصِلَّكُمَا بِجَوَازِهِ !

* بلوغ الأربع : ٣ - ٣٧٤ ، بجمع الأمثال : ١ - ٣٦٤ .

(١) التَّلَمِّسُ : لَقْبُ غَلَبٍ عَلَيْهِ، وَاسْمُهُ جَرِيرٌ، وَهُوَ خَالٌ لِطَرَفَةَ بْنِ الْعَبْدِ، مِنْ شُعُرَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ
الْقَلِينَ وَضَعُهُ، ابْنُ سَلَامَ فِي الطَّبَقَةِ السَّابِعَةِ مِنْ شُعُرَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ . (٢) طَرَفَةُ : هُوَ أَبُو عَمْرُو ،
طَرَفَةُ بْنُ الْعَبْدِ الْبَكْرِيُّ، أَحَدُ خُولُ شُعُرَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ . ماتَ أَبُوهُ وَهُوَ صَغِيرٌ . وَرِبَاهُ أَعْمَامُهُ، وَمَالَ
إِلَى الْبَطَالَةِ وَقُولِ الشِّعْرِ، وَماتَ وَلَمْ تَزُدْ سَنَتُهُ عَلَى سَتَّ وَعَشْرَيْنَ سَنَةً . (٣) عَمْرُوبْنِ هِنْدٍ :
آلُ إِلَيْهِ الْمَلِكُ بَعْدَ قَتْلِ أَيْهِ، وَقَدْ وَلَى إِمَارَةِ الْمَهِيرَةِ مِنْ سَنَةِ ٥٦٣ - ٥٧٨ م. (٤) الرَّغْوُثُ :
كُلُّ مَرْضَعَةٍ . وَتَخُورُ : تَصْبِحُ . (٥) الْكَشْحَاجُ : الْكَشْحَاجُ، وَالْأَهْضَمُ : الدَّقِيقُ . (٦) الْعَسِيبُ :
جَرِيدَةُ مِنَ النَّخْلِ مُسْتَقِيمَةُ دُقِيقَةٍ يَكْشِطُ خُوصَهَا، وَسَرَارَةُ الرَّوْضَةِ : خَيْرُ مَنْابِتها . وَمَلَهْمُ : مَوْضِعُ
كَثِيرِ النَّخْلِ، شَبَهَ كَشْحَاجَ الْأَهْضَمِ بِجَرِيدَةِ نَخْلٍ مِنْ خَيْرِ نَخْلِ هَذَا الْمَكَانِ .

فذهبوا فرّا في طريقهما بشيخ لم يرّقهما أمرُه ؛ فقال المتسّم : مارأيت شيخاً كالبيوم
أحقَّ من هذا ! فقال الشيخ : مارأيت من حقي ؟ وإنَّ أحقَّ مني مَنْ يحمل حَقَّه
بيده ، وهو لا يدرى !

فاستَرَاب^(١) المتسّم بقوله ، وطلع عليهما غلامٌ من أهل الحيرة ، فقال المتسّم :
أقرأ يا غلام ؟ قال : نعم ! فقضى الصحيفة ، وقرأها فإذا فيها :
« إذا أتاك كتابي مع المتسّم فاقطع يديه ورجليه وادفعه حيّا » !

قال لطفة : ادفع إلَيْه صحيفتك ، فإنَّ فيها مثلَ هذا ! فقال : كلا ! لم يكن
ليجترى على قذف المتسّم بصحيفته في نهر الحيرة ، وقال :
وأنقيتها بالتنقٍ من جنب كافر^(٢) كذلك أقنُو^(٣) كلَّ قطَّ مُضلِّلٍ
رضيت لها بالماء لما رأيتها يحولُ بها التيار في كلِّ جَدَوْلٍ
ثم مضى المتسّم حتى لحق بملوك بني جفنة بالشام ؛ وذهب طرفة إلى عامل
البَحْرين ، فأعطاه صحيفته ، فقصده من أكْحَلَيه ؟ فنزَفَ^(٤) حتى مات !

(١) استراب : شك :

(٢) كافر : نهر بالجزرية . (٣) أقنُو : أجارى وأـ. كافـ. ، والقط : الصك (لسان العرب
ـ مادة فنا .) (٤) نزف دمه : سال حتى أفرط . والأـ. كعلـ. : عرق في اليد بقصد .

١٤٧ - إِنَّ الْمَصَا قُرِعْتُ لَذِي الْحِلْمِ *

لقي النعمان بن النذر سعدَ بن مالك ، ومعه خيل بعضها يقاد ، وبعضها
أَغْرَاءَ مُهْمَلة ، فلما انتهى إلى النعمان سأله عنها ، فقال سعد : إِنِّي لَمْ أُقْدِدْ هَذِهِ لِأَمْنِعَهَا ،
وَلَمْ أَعْرِهِ هَذِهِ لِأَضِيقَهَا ^(١) .

فَسَأَلَ النَّعْمَانَ عَنْ أَرْضِهِ : هَلْ أَصَابَهَا غَيْثٌ يَحْمِدُ أَثْرَهُ ، وَيَرْوِي شَجْرَهُ ؟ فَقَالَ
سَعْدٌ : أَمَا الْمَطَرُ فَغَزِيرٌ ، وَأَمَا الْوَرْقُ فَشَكِيرٌ ^(٢) ، وَأَمَا النَّافِذَةُ فَسَاهِرَةٌ ^(٣) ، وَأَمَا
الْحَازِرَةُ ^(٤) فَشَبَّعِي نَائِمَةٌ .

فَقَالَ النَّعْمَانُ - وَحَسِدَهُ عَلَى مَا رَأَى مِنْ ذَرَبِ لِسَانِهِ : وَأَيْكَ إِنْكَ لَفَوَّةٌ ، فَإِنْ
شَتَّتَ أَتِيَّتُكَ بِمَا تَعْيَا عَنْ جَوَابِهِ . فَقَالَ : شَتَّتٌ ، إِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْكَ إِفْرَاطٌ .

فَأَسَرَ النَّعْمَانَ وَصَيْفًا فَلَطَمَهُ - وَإِنَّا أَرَادَ أَنْ يَتَعَدَّى فِي الْقَوْلِ فِي قِتْلِهِ - فَقَالَ :
مَا جَوَابُ هَذِهِ ؟ فَقَالَ سَعْدٌ : سَفِيهٌ مَأْمُورٌ ^(٥) ؛ قَالَ النَّعْمَانُ لِلصَّيْفِ : لَطَمَهُ أُخْرَى .
فَلَطَمَهُ ؛ وَقَالَ : مَا جَوَابُ هَذِهِ ! قَالَ : لَوْنَهْيَ عنِ الْأُولَى لَمْ يَمْدُدْ لِلْآخِرَى .

فَقَالَ النَّعْمَانُ : الْأَطْمَهُ أُخْرَى فَفَعَلَ . فَقَالَ : مَا جَوَابُ هَذِهِ ؟ فَقَالَ : رَبٌّ يَؤْدِبُ
عَبْدَهُ . فَقَالَ : الْأَطْمَهُ أُخْرَى ، فَفَعَلَ . فَقَالَ : مَا جَوَابُ هَذِهِ ؟ فَقَالَ : مَلِكَتْ فَأَسْبَحَ ^(٦) .
فَقَالَ النَّعْمَانُ : أَصْبَتَ فَاقْعِدْ ؛ فَمَكَثَ عِنْدَهُ مَا مَكَثَ .

ثُمَّ بَدَا لِلنَّعْمَانَ أَنْ يَبْعَثَ رَائِدًا يَرْتَادُ لِهِ السَّكَلَ ^(٧) ؛ فَبَعَثَ عُمَرَ بْنَ مَالِكَ أَخَا

* الأمثال : ١ - ٤٣ ، بلوغ الأربع ١ - ٤٣ .

(١) لأهمها (٢) شكير: صغير لم يكبر (٣) النافذة: التي نفذت من الم Hazel

(٤) الحازرة: حزرة المال: خياره (٥) سارت أمثالا (٦) الإسباح: حسن العفو.

سعد بن مالك ، فأبطأ عليه فاغضبه ذلك . فأقسم لمن جاء حامداً لـ **كلا** أو ذاماً
لـ **قتله** .

فَلَمَا قَدِمْ عُمَرُ وَدَخَلَ عَلَى النَّبِيِّنَعْمَانَ؛ وَعِنْدَهُ النَّاسُ وَسَعَدٌ قَاعِدٌ لَدِيهِ مَعَ النَّاسِ،
وَكَانَ قَدْ عَرَفَ مَا أَقْسَمَ بِهِ النَّعْمَانُ مِنْ يَمِينِهِ؛ فَقَالَ سَعْدٌ: أَتَأْذُنُ لِي فَأُكَلِّمَهُ؟ قَالَ:
إِنَّ كَلْمَتَهُ قَطَعَتْ لِسَانَكَ. قَالَ: فَأُشَيرُ إِلَيْهِ؟ قَالَ: إِنَّ أَشْرَتَ إِلَيْهِ قَطَعَتْ يَدَكَ.
قَالَ: فَأُؤْمِنُ إِلَيْهِ؟ قَالَ: إِذْنُ أَنْزَعُ حَدْقَتِيَّكَ. قَالَ: فَأَفْرَعُ لَهُ الْعَصَابَ؟ قَالَ:
أَفْرَعَ.

فتناول عصا من بعض جلسائه فوضعها بين يديه ؛ وأخذ عصاه التي كانت معه وأخوه قابم ؛ فقرع بعصاه العصا الأخرى قرعة واحدة ، فنظر إليه أخوه ، ثم أومأ بالعصا نحوه ، فعرف أنه يقول له : مكانك ، ثم قرع العصا قرعة واحدة ؛ ثم رفعها إلى السماء ، ثم مسح عصاه بالأخرى ؛ فعرف أنه يقول : قل له : لم أجد جدباً . ثم قرع العصا مراراً بطرف عصاه ثم رفعها شيئاً ؛ فعرف أنه يقول : ولا نباتاً . ثم قرع العصا قرعة ، وأقبل بها نحو النعمان ، فعرف أنه يقول : كله .

فأقبل عمرو بن مالك حتى وقف بين يدي النعمان . فقال له النعمان : هل
حدثت خصيناً ، أو ذمت جدباً ؟ فقال عمرو : لم أذم جدباً ، ولم أح مد بقلة ، الأرض
مشكلة لا يُعرف بها ، ولا حدتها يوصف ، رائدها واقف ، ومنكرها عارف ؛
وآمنها خائف .

فقال النعمان : أَوْلَى لَكَ ! بِذَلِكَ نَجُوتَ ، فَنَجَا !

* ١٤٨ - فِطْرَةُ

اجتمع المهاجرون والأنصار عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال أبو بكر :
وعيشك يا رسول الله ما سجدت لضمّن قطّ ، فغضب عمر بن الخطاب ، وقال :
تقول : وعيشك يا رسول الله ما سجدت لضمّن قطّ ، وقد كنت في الجاهلية كذا
وكذا سنة ؟ فقال أبو بكر : ذلك أني لما ناهزت الحلم أخذني أبو قحافة ^(١) بيدي ،
فانطلق بي إلى مخدع فيه الأصنام ، فقال لي : هذه آهاتك الشم العوالى ، فاسجد
لها ، وخلاني وذهب .

فدنوت من الضمّ ، وقلت له : إني جائع فأطعمنى ، فلم يجبنى . قلت : إني
عطشان فاسقنى ، فلم يجبنى . قلت له : إني عارٍ فاكسننى . فلم يجبنى . فأخذت
صخرة ، وقلت : إني ملقي هذه الصخرة عليك ، فإن كنت إماماً فامنعني نفسك ، فلم
يجبني . فألقيت عليه الصخرة ، فرّأى وجهه ، فأقبل والدى ، وقال : ما هذا يا بني ؟
قلت : هو الذى ترى !

فانطلق بي إلى أمي ؛ فأخبرها ؛ فقالت : دعه فهذا الذى ناجاني به الله !
قلت : يا أماه ، ما الذى ناجاك به الله ؟ فقالت : ليلة جاءنى المخاض لم يكن عندي
أحد ؛ فسمعت هاتقا يهتف ، فأسمع الصوت ولا أرى الشخص ؛ وهو يقول : يا أمّة
الله ، أبشرى بالولد العقيق ، اسمه فى السماء صديق !

* أبناء نجاء الأبناء : ٤٢ .

(١) أبوه .

* ١٤٩ - حَدِيبٌ عَلَى إِخْوَتِهِ

لما ولد سعيد بن العاص ^(١) عمرو ، وترعرع ^(٢) ، تفرّس فيه النجابة ، وكان يفضله على ولده ، فجمعه بنيه - وكان يومئذ أكثر من خمسة عشر رجلا - ولم يدع عمراً معهم ؛ وقال : يا بني ، قد عرفتم خبرة الوالد بولده ، وإن أخاك عمرaldo همة واحدة ^(٣) ، يسمو جدّه ؛ ويعبد صيته ، وتشتد شكيمته ، وإلى أمركم إن نزل بي من الموت مala محيص عنه أن تظاهروه وتوازروه وتعزّزوه ، فإنكم إن فلتم ذلك يتّالّف بكم الكرام ، وينسأ ^(٤) عنكم اللثام ، ويلبسكم عزّا لا تنهجه ^(٥) الآيات .

قالوا جميعاً : إنك توثره علينا ، وتحابيه دوننا . فقال : سأريك ماستره البغي عنكم ؛ وصرفهم ثم أمهلهم ، حتى ظنّ أن قد ذهلا عما كان .

واهق عمرو البلوغ ، واستند عام دونه ، فلما حضروا قال : يا بني ؟ ألم تروا إلى أخيكم عمرو ، فإنه لا يزال يلحف في مسألتي مالي ، فأحسن عليه لصغره ، إلى أن ستبّت أن أمي باعنته على ذلك ، فجزرتها فلم تكشف ، وقد جاء يسألني المصحّحة ^(٦) لأنّ لا ولد لي غيره ، وقد عزمت على أن أقسم مالي فيكم دونه !

* أنباء نجاء الأبناء : ٩٩ .

(١) سعيد بن العاص : صحابي من الأمراء الولاة الفاتحين ، ولاد عمّان الكوفة وهو شاب ، وكان قويًا في تعبير وشدة ، توفي سنة ٥٩ هـ (٢) ترعرع : شب (٣) رجي خيرها ، ويقال شجرة واحدة : إذا ظهر لرائيها أن قد حان إغارها (٤) ينسأ : يبعد ويطرد (٥) لا تخلقه (٦) المصحّحة : يربد سيف عمرو بن معد يكرب الزبيدي الذي يضرب به المثل ، وكان فيما يقال قد صار إلى سعد بن العاص .

قالوا كلّهم : يا أبانا ، هذا عملك يا شارك له علينا ، واحتصاصك إياته دوننا .
قال : يا بني ؟ والله ما آثرته دونكم بشيء من مالي قطّ ، وما كان ما قوله
لكم إلا اختلافاً ، تساهلت فيه لما أملته من صلاح أمركم .

ثم قال : ادخلوا المخدع . فدخلوا ، ثم أرسل إلى عمرو فأحضره ، فلما حضر
قال : يا بني ؟ عليك حِبْ مُشْفِق لصفر سنك ، ونفاسة إخوتك على مكانك إني
مني ، وإنني لا آمن بفتة الأجل ، ولـ كنز آخر ته لك دون إخوتك ، وهـ إنـذا
مُطْلِعـك عليه ؟ فـ أـ كـمـ أمرـهـ .

قال : يا أبت ؟ طال عمرك ، وعلا أمرك ، وإنـ لأـ رـ جـوـ أـ نـ يـ طـيلـ بـكـ الإـ مـ تـاعـ
فـ أـ مـاـ ذـ كـرـتـهـ مـنـ شـأنـ الـ كـنـزـ ؟ـ فـ مـاـ يـعـجـبـنـيـ أـنـ أـ قـطـعـ دـونـ إـخـوـتـكـ ،ـ وـأـ زـدـرـعـ
فـ صـدـرـهـ غـمـراـ (١)ـ .

قال : انصرف يا بني ، فـ دـاكـ أـ بـوكـ !ـ فـوـ اللهـ مـالـيـ مـنـ كـنـزـ ،ـ وـلـ كـنـىـ أـردـتـ
أـنـ أـبـلـوـ رـأـيـكـ فـ إـخـوـتـكـ ؟ـ وـبـنـيـ أـيـكـ .

فـ انـطـلـقـ عـمـرـ ،ـ وـخـرـجـ إـخـوـتـهـ مـنـ الـ مـخـدـعـ ،ـ فـاعـتـذـرـوـاـ إـلـىـ أـبـيهـمـ وـأـعـطـوـهـ مـوـثـقاـ
عـلـىـ أـتـيـاعـ مـشـورـتـهـ !

(١) الغمر : الضفن والحدق .

١٥٠ - ناِفْرَنِي إِلَى فَتَّاكَ فَانَهُ نَجِيبُ *

كان العباس[ُ] بن عبد المطلب نديماً لأبي سفيان بن حزب في الجاهلية على شراب ، ومعاوية يسقيهما وهو إذ ذاك غلام[ُ] ، فلما أخذت التمر[ُ] منها لفني بشرع ابن كعب الخزاعي - وكان قد جاور بني سهم في سنة شديدة ، وله بنات ، فبرموا به ، وأظهروا له ذلك ، فخرج عنهم وتحول هو وبناته يحملن الأثاث على ظهورهن :

فقال :

يَا إِيَّاهَا الرَّجُلُ الْمَحْوَلُ رَحْلَةً
هَلَا نَزَلتَ بَالْ عَبْدِ مَنَافَ !
هَبِيلَتَكَ أَمْكَ (١) لَوْ نَزَلتَ إِلَيْهِمْ
ضَمْنُوكَ مِنْ جَوْعٍ وَمِنْ إِقْرَافٍ (٢)
الْأَخْذُونَ الْمَهْدُونَ مِنْ آفَاقَهَا (٣)
وَالْمَلْحِقُونَ قَرَرَهُمْ بِغَيْرِهِمْ
وَالظَّاعِنُونَ لِرَحْلَةِ الْإِيَّالِفِ (٤)
حَتَّى يَعُودَ فَقَرَيرُهُمْ كَالْكَافِ
وَالْقَائِلُونَ : هَلْمٌ لِلْأَسْيَافِ (٥)
وَالرَّائِشُونَ وَلَيْسَ يَوْجَدُ رَائِشٌ (٦)
وَالضَّارِبُونَ الْجَيْشُ يَبْرُقُ بِيَضِّهِ (٧)
وَالْمَانِعُونَ الْبَيْضُ بِالْأَسْيَافِ (٨)
عُمَرُ الْعَلَا هَشْمُ التَّرِيدَ لِقَوْمِهِ (٩)

* أَنْبَاءِ نَجِيبِ الْأَبْنَاءِ . ٦٢ .

(١) الْهَبْلُ : التلف والهلاك ، والعرب تطلق هذه الكلمة ونظائرها ، ولا تزيد بها شرداً ، وقد تجريها مجرى المدح عند استظام الأمر ، أو تجريها مجرى الحض على الفعل والقول

(٢) الإِقْرَافُ هنا : تغير اللحم ، وضُؤولة الجسم (٣) أَخْذُونَ الْمَهْدُونَ من ملوك الشام ،

والحبشة ، والین والعرق ، فتوجهت قريش لتجارتها في هذه الوجوه (٤) الرَّائِشُونَ : الجاعلون

لذوى الفاقة ريشا ، والريش والرياش : أصله اللباس ، ثم استعمل للعطية الطلاقة (٥) الأَيْضُونَ

السيف وجعه يرض (٦) بِضَة كل شيء : حوزته (٧) كانت قريش قد أصابتها سنة فنالت

منهم فارتحل هاشم بن عبد مناف - واسمه عمر - إلى الشام ، فأوقريراً من الكشك وقدم بها

مكة ، ونحر الإبل وطبع لحومها ، ثم هشم ذلك الكشك فسمى هاشماً وغلب على اسمه .

(٨) مَسْتَنُونَ : أَصْابُهُمْ السَّنَةُ ، وَهِيَ الشَّدَّةُ وَالْجَمَاعَةُ .

وإذا مَعَدْ حَصَّلتُ أَنْسَابَهَا فَهُمُ لِعْرَكِ جَوَهْرُ الْأَصْدَافِ
 فَحُمَيْدُ أَبُو سَفِيَانَ لَمَا سَمِعْ هَذَا الشِّعْرَ ، وَجَعَلَ يَعْدَدُ مَا آتَرَ حَرْبَ بْنَ أُمِيَّةَ ؛
 وَمَا آتَرَ نَفْسَهُ ، وَتَنَاقْلَ (١) فِي الْمَفَالِخِ إِلَى أَنْ قَالَ لِهِ الْعَبَاسُ : نَافَرْنِي إِلَى فَتَاكَ
 هَذَا ، فَإِنَّهُ نَحِيبٌ – يَعْنِي مَعَاوِيَةً . قَالَ أَبُو سَفِيَانَ : قَدْ فَعَلْتَ – هَذَا وَهَذَا تَسْمِعْ –
 فَاهْتَبِلَتْ (٢) الْفَرْصَةُ ؛ وَأَنْشَأَتْ تَقُولُ مُخَاطَبَةً لِأَبَهَا مَعَاوِيَةَ :

أَقْضِ – فَدَتَكَ نَفْسِي – لَآلِ عَبَدَ شَمْسَ –
 فَهُمْ سَرَّاً أَلْحَمْسَ (٤) عَلَى قَدِيمِ الْحَرْسِ (٥)
 قَطْعَ مَعَاوِيَةَ قَوْلَهَا ، وَقَالَ :

صَهْ يَا بَنَةَ (٦) الْأَكَارِمِ فَعَبْدُ شَمْسَ (٧) هَاشِمَ –
 هَمَا بِرْغُمِ الرَّاغِمِ كَانَا كَغْرَبِيَّ (٨) صَارِمَ –
 فَلَمَّا سَمِعَ الْعَبَاسُ وَأَبُو سَفِيَانَ مَقَالَةَ مَعَاوِيَةَ ابْتَداَرَهُ أَيْمَانُهُمَا يَتَنَازُلُهُ قَبْلَ صَاحِبِهِ ،
 فَتَعَاوَرَاهُمَا وَتَقْبِيلَا ، وَافْتَرَقا رَاضِيَيْنَ .

(١) المُنَاقَّةُ فِي الْكَلَامِ : أَنْ يَقُولُ هَذَا مَرَّةً وَهَذَا مَرَّةً فَيَتَدَوَّلُ الْكَلَامُ بَيْنَهُمَا (٢) الْمَأْفَرَةُ :
 الْمَحَاكِمَةُ (٣) اهْتَبِلَتْ الْفَرْصَةُ : اتَّهَمَهَا فَبَادَرَتْ إِلَيْهَا (٤) السَّرَّا : جُمْعُ سَرَّى ، وَسَرَّا
 الْقَوْمُ : خِيَارُهُمْ . وَالْحَسُّ : قَرِيشٌ وَخَزَاعَةٌ ، وَكُلُّ مَنْ قَارِبَ مَكَةَ مِنْ قَبَائِلِ الْعَرَبِ (٥) الْحَرْسُ
 الْدَّهْرُ (٦) صَهْ : أَمْرٌ بِالسَّكُوتِ (٧) يَرِيدُ أَنْهُمَا كَالثَّنَيِّعَ . أَحَدٌ (٨) الْفَرْبَانُ : الْحَدَانُ ،
 وَالصَّارِمُ : السَّيْفُ الْقَطْعِيُّ .

* ١٥١ — أنا أعلم بقريش من قريش *

لما قدِم معاوية^(١) المدينة من مكة ، بعث إلى الحسن وأحسين وعبد الله ابن جعفر ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن الزبير ، وعبد الله بن صفوان بن أمية بهدايا من كُسَّاً وطِيبٍ وصلاتٍ من المال ؛ ثم قال لرسُلِه : ليحفظ كل رجلي منكم ما يرى ويسمع من الرَّدِّ .

فَلَمَّا خَرَجَ الرَّسُلُ مِنْ عَنْهُ ، قَالَ مَنْ حَضَرَ ؟ إِنْ شَتَّمْ أَنْبَانَا كُمْ بِمَا يَكُونُ مِنَ الْقَوْمِ ، قَالُوا : أَخْبَرْنَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : أَمَّا الْحَسَنُ فَلَعْلَهُ يَنْيِلُ نِسَاءَهُ شَيْئًا مِنَ الطَّيِّبِ ، وَيُنْهَبُ مَا بَقَى مِنْ حَضَرَةِ ، وَلَا يَنْتَظِرُ غَائِبًا .

وَأَمَّا الْحَسَنُ فَيَدِأُ بِأَيْتَامِ مِنْ قُتِلُوا مَعَ أَبِيهِ بِصَفَّيْنِ ، فَإِنْ بَقَ شَيْءٌ نَحْرَبُهُ الْجُزُرُ ، وَسَقَى بِهِ الْلَّبَنَ .

وَأَمَّا عَبْدُ اللهِ بْنُ جَعْفَرَ فَيَقُولُ : يَا بَدَّيْحَ^(٢) ، اقْضِ بِهِ دَيْنِي ؛ فَإِنْ بَقَ شَيْءٌ فَأَنْذِدْ بِهِ عِدَاتِي^(٣) .

وَأَمَّا عَبْدُ اللهِ بْنُ عَرْفِيَدًا بْنَ قَرَاءِ عَدِيَّ بْنَ كَعْبٍ ، فَإِنْ بَقَ شَيْءٌ ادْخُرْهُ لِنَفْسِهِ ، وَمَنْ^(٤) بِهِ عِيَالَهُ .

وَأَمَّا عَبْدُ اللهِ بْنُ الزَّبِيرِ ؛ فَيَأْتِيهِ رَسُولُهُ وَهُوَ يُسَبِّحُ ، فَلَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ ، ثُمَّ

* غيبة الأخبار : ٣ - ٤٠ .

(١) أسلم معاوية عام الفتح ، وكتب للنبي صلى الله عليه وسلم وولي الشام لعمر وعثمان عشرين سنة وولي الخلافة سنة ٤١ هـ وتوفي سنة ٦٠ هـ (٢) بدبيع : اسم مولى كان لعبد الله ابن جعفر (٣) جمع عدة (٤) مائه : قام بكتابته :

يَمَاوِدُهُ الرَّسُولُ ، فَيَقُولُ بَعْضُ كُنَّاتِهِ : خَذُوا مِنْ رَسُولٍ مَعاوِيَةً مَا بَعْثَتْ بِهِ ، وَصَلَهُ
اللَّهُ وَجْزَاهُ خَيْرًا ، لَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهَا ، وَهِيَ أَعْظَمُ فِي عَيْنِهِ مِنْ أَحَدٍ ، ثُمَّ يَنْصَرِفُ إِلَى
أَهْلِهِ ، فَيُعِرِضُهَا عَلَى عَيْنِهِ ، وَيَقُولُ : ارْفَعُوهَا ؛ لَعَلَى أَعْوَدُ بَهَا عَلَى ابْنِ هَنْدِ يَوْمًا مَا .
وَأَمَّا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَفْوَانَ فَيَقُولُ : قَلِيلٌ مِنْ كَثِيرٍ ، وَمَا كُلُّ رَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ
وَصَلَ إِلَيْهِ كَهْذَا ، رُدُّوا عَلَيْهِ ؟ فَإِنْ رَدُّوا قَبِيلُنَا هَا .
فَرَجَعَ رَسُلُهُ مِنْ عِنْدِهِمْ بِنَحْوِ مَا قَالَهُ مَعاوِيَةُ . فَقَالَ مَعاوِيَةُ : أَنَا ابْنُ هَنْدٍ !
أَعْلَمُ بِقُرَيْشٍ مِنْ قُرَيْشٍ .

١٥٢ - أَوْقَدْ جِئْتَنِي سَالِمًا*

لَا أَسَنَ معاوية^(١) اعتراه أرق^٢ ؛ فكان إذا هوم^(٢) أيقظته نوافيس الروم، فلما أصبح يوماً، ودخل عليه الناس، قال: يامعشر العرب! هل فيكم فتي يفعل ما آمره، وأعطيه ثلاث دياتٍ أعتجلاها له، وديثنين إذا رجع؟ فقام فتى من غسان فقال: أنا يا أمير المؤمنين.

قال: تذهب بكتابي إلى ملك الروم، فإذا صرت على بساطه أذنت! قال: ثم ماذا؟ قال: فقط. فقال: لقد كلفت صغيراً وأتيت كبيراً!

فكتب له وخرج؛ فلما صار على بساط قيصر أذن؛ فتناوله^(٣) البطارقة، واخترطوا^(٤) سيفهم؛ فسبق ملك الروم، فجنا عليه، وجعل يسامهم بحق عيسى وبمحنة عليهم أن يكثروا.

ثم ذهب به حتى صعدَ على سريره، ثم جعله بين يديه؛ ثم قال: يامعشر البطارقة؛ إن معاوية رجل قد أسن، وقد أرق، وقد آذنه النوافيس؛ فأراد أن يقتل هذا على الأذان، فيقتل من قبله منا ببلاده على النوافيس؛ والله ليرجعن إلينه بخلاف ماظنَ. فكساه وحمله؛ فلما رجع إلى معاوية قال: أَوْقَدْ جِئْتَنِي سَالِمًا؟ قال: نعم.

* عيون الأخبار: ١ - ١٩٨.

(١) أَسَنْ: كبرت سنها. (٢) التهويم: هز الرأس من النعاس. (٣) الماجزة: المقابلة.

(٤) اختلط السيف: استله.

١٥٣ - الأحنف يُفحِّم معاوِيَة*

جلس معاوِيَة يوماً، وعنه وجوهُ الناس، وفيهم الأحنف^(١)؛ فدخل رجلٌ من أهل الشام، فقام خطيباً، فكان آخرَ كلامه أن لعنَ علیَّاً رضي الله عنه، خاطرَقَ الناس، وتكلَّمَ الأحنف، فقال: يا أمير المؤمنين! إن هذا القاتل لو علمَ أن رضائِك في لعنِ المسلمين للغَنَمِ، فاتقِ الله، ودعْ علیَّاً؛ فقد لقى الله، وأفردَ في حُفرَتِه، وخلا بعمله، وكان والله - ماعلمنا - الطاهرُ في خلقِه، اليمونَ النقيبة، العظيمُ المصيبة .

قال معاوِيَة: يا أحنف! لقد أغضبْتَ العينَ عَلَى القذى، وقلتَ بغيرِ ماترى، حايمَ الله لتصعدَنَّ المنبر فلتلعنَه طائعاً أو كارهاً!

قال الأحنف: إن تُعْنِي فهو خيرٌ، وإن تجربَتْ على ذلك فواهلاً لا تجربَ جه شفتاي!

قال معاوِيَة: قم فاصعد! قال: أما والله لا نصفنك في القولِ والفعلِ .
قال معاوِيَة، وما أنت قائل إن أنصفتني؟ قال: أصعد فأحمدُ الله وأثني عليه، وأصلِّ على نبيه، ثم أقول: أيها الناس؛ إن معاوِيَة أمرني أن ألعنَ علیَّاً، إلا وإن علِيَّاً وَمَاوِيَة اختلفا واقتلا ، وادعَى كل واحدٍ منهم أنه مبغِّي عَلَيْهِ وعلى فتنته؟ فإذا دعوتُ فأمِّنوا رحْمَم الله، ثم أقول:

* نهاية الأرب ٧ : ٢٣٧ .

(١) الأحنف بن قيس: هو الصحاحُ بن قيس سيد تقيم ، وأحد العظام الدهاء الفصحاء الشجعان الأذانحين ، بضربه به المثل في الحلم ، ولد بالبصرة ، وتوفي سنة ٦٧ هـ .

اللهم العن أنت وملائكتك وأنبياؤك ورسلك وجميع خلقك الباغي منه ماعلي
صاحبها والفتنة الباغية على المبغى عليها ، أمين يارب العالمين !
قال معاوية : إذن نسفيك يا بابا بحر^(١) !

* ١٥٤ - نُوطى عليه يامزَين التماع *

كان معاوية ولد ضعيف^(٢) اسمه عبد الله ، فبينما معاوية جالس مع أم عبدالله
صوت بهما أم يزيد - وهي ميسون بنت بحدل الكلبية - فهزت بها أم عبدالله ،
قال معاوية : أما والله إن ولدها خير من ولدك . فقالت : لا والله ، ولكنك تحب
ولدتها وتحاييه ، فقال : سأريك ذلك عيانا . ثم أرسل إلى ابنها فجاء ، فقال له :
يا عبد الله ، إني قاض لك كل حاجة فاذكر حوانجك كائنة ما كانت ، فقال : يا أمير
المؤمنين ، اشتري حمارا ، فقال له : يابني ، أنت حمار ، وأشتري لك حرارا ؟
ثم استحضر يزيد ، فلما حضر قال : يابني ، إن أمير المؤمنين قد بسط لك أمله ،
فاذكر حاجتك إن كانت لك حاجة . فاستقبل القبلة ، ثم رفع رأسه ، وقال :
الحمد لله على جميل رأى أمير المؤمنين في ، ثم قال : يا أمير المؤمنين ، اجعل إلى العهد !
قال معاوية : نعم ونعم^(٣) عين ، وليتك عهدي .

فسجد وحمد الله سبحانه ، فقال معاوية : هل غير هذا ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين .
تزيد كل رجل من أهل الشام عشرة دنانير في عطائه ، وتعلمهم أن ذلك بشفاعتي .
قال : قد فعلت . فهل غير هذا ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، يفرض أمير المؤمنين

* أبناء نجاء الأبناء : ١٠٥ .

(١) كنية الأحنف . (٢) الضعيف : ما أضعف من شيء . (٣) العرب يقولون : نعم ونعم عين : أي أقل ذلك كرامة لك .

لأولاد من قُتل معه بصفتين وغيرها : قال : قد فعلت . فهل غير هذا ؟ فحمد يزيد الله تعالى ، ثم قال : نعم ، ويجعل أمير المؤمنين غزوة هذا العام إلى ، لأفتتح أمرى بتجهيز الجيوش في سبيل الله تعالى . قال : قد فعلت .

فلا رأت أم عبد الله أن يزيد قد حصل على الخلافة قالت : إن أمير المؤمنين أعلم وأهدى لولده ، فأوصيه بي و بولدي يا أمير المؤمنين ، ثم قام يزيد يدعوه لوالده وهو مولٌ ، فتمثل معاوية بقول القائل :

إذا مات لم تُفلح مزينة بعده فنوطى^(١) عليه يامزبن التامما

(١) ناط الشيء بنوطه : علاقه .

* ١٥٥ - ذكاء ابن عباس *

يَعْنَا بْنُ عَبَّاسَ^(١) فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَعِنْدَهُ نَافعُ بْنُ الْأَزْرَقُ وَنَاسٌ مِّنَ الْخَوَارِجِ يَسْأَلُونَهُ، إِذَا أَقْبَلَ عُمَرُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ فِي ثُوَبَيْنِ مَصْبُوغَيْنِ مُوَرَّدَيْنِ حَتَّى دَخَلَ وَجَلَسَ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ بْنُ عَبَّاسُ، فَقَالَ: أَنْشَدْنَا، فَأَنْشَدَهُ:

أَمِنْ آلْ نَمْ أَنْتَ غَادِ فَمُبَكِّرُ^(٢) غَدَةَ غَدِيْمَ رَاحِ فَهَبْجَرُ^(٣)
حَتَّى أَتَى عَلَى آخِرِ الْقَصِيدَةِ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ نَافعُ بْنُ الْأَزْرَقَ فَقَالَ: اللَّهُ يَا بْنَ عَبَّاسَ! إِنَا نَضَرْبُ إِلَيْكَ أَكْبَادَ الْإِبْلِ مِنْ أَقَاصِ الْبَلَادِ نَسْأَلُكَ عَنِ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ
فَتَشَاقَّلُ عَنَا، وَيَأْتِيكَ غَلَامٌ مُتَرَفٌ مِنْ مُتَرَفِّ قَرِيشٍ فَيَنْشِدُكَ:
رَأَيْتَ رَجُلًا أَمَا إِذَا الشَّمْسُ عَارَضَتْ فَيَخْرُزَ وَأَمَا بِالْعَشَى فَيَخْسِرُ
فَقَالَ: لَيْسَ هَذَا قَالَ . قَالَ: فَكَيْفَ قَالَ؟ فَقَالَ قَالَ:

رَأَتْ رَجُلًا أَمَا إِذَا الشَّمْسُ عَارَضَتْ فَيَضْحَى وَأَمَا بِالْعَشَى فَيَخْسِرُ^(٤)
قَالَ: مَا أَرَاكَ إِلَّا وَقَدْ حَفَظْتَ الْبَيْتَ! قَالَ: أَجَلْ! وَإِنْ شَتَّتَ أَنْ أَنْشَدَكَ
الْقَصِيدَةَ أَنْشَدْتَكَ إِلَيْهَا، قَالَ: فَإِنِّي أَشَاءَ، فَأَنْشَدَهُ الْقَصِيدَةَ حَتَّى أَتَى عَلَى آخِرِهِ أَمَا
سَمِعْهَا قَطْ إِلَّا تَلَكَ الْمَرَةَ صَفْحًا^(٥).

* الأغاني : ١ - ٧٢ .

(١) هو نافع بن عبد العباس بن عبد الطلب ، توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنن نهات
عشرة سنة ، وكان عليه السلام يحبه ودعاه فقال : اللهم علمه التأويل ، فكان أعلم الناس
بآيات القرآن وتأويلها وفقه في الدين على ما أوتيه من لسان طلق ذلق ، توفي سنة ٦٨ هـ.

(٢) هجر : سار في المهاجرة ، والمهاجرة : شدة الحر . (٣) يضحي : يظهر للشمس
وعارضت : قابلت ، وخنصر : يبرد . (٤) كان ابن عباس يقول : ماسمعت شيئاً قط إلا رويته
وإن لأسم صوت النائحة فأسد أذني كراهة أن أحفظ ما تقول . (٥) صفحاً : مروراً .

١٥٦ — عمران بن حطآن يتنقل في القبائل*

لما أطربَ^(١) الحجاجُ عمرانَ^(٢) بن حطآنَ كان يتنقلُ في القبائل ، فكان إذا
نزلَ في حيٍ اندسَبَ نسَباً يقربُ منه .

ثم خرج حتى نزلَ عند روح بن زنباع^(٣) الجذاميّ ، فاتسعت له من الأزدُ ؛
وكان روح يقرِّي الأضيافَ ، وكان مسامراً لعبد الملك بن مروان ، أثيراً^(٤) عنده ؛
وكان روح لا يسمعُ شعراً نادراً ، ولا حديثاً غريباً عندَ عبدِ الملك ثم يسألُ عنه
عمرانَ بن حطآنَ إلا عرفه وزاد فيه . فذكر ذلك لعبد الملك ، فقال : إن لي جاراً
من الأزد ما أسمعُ من أمير المؤمنين خبراً ولا شعراً إلا عرفه وزاد فيه ! فقال :
خبرني بعضُ أخبارِه ؛ فخبره وأنشده ؛ فقال : إن اللغةَ عدنانية ، وإنى لأحسِبُه
عمرانَ بن حطآنَ !

ثم تذاكرروا ليلة قول^(٥) عمرانَ بن حطآن يمدح ابن ملجم^(٦) :
يا ضربة من تقىٰ ما أراد بها إلا ليبلغ من ذى العرشِ رضوانا
إنى لأذكره حيناً فأحسبه أوى البرية عند الله ميزاناً

* رغبة الآمل : ٧ - ٨٤ ، السكامل : ٢ - ١٠٨

(١) أطربه أمر بطرده ، وإخراجه عن البلد . (٢) كان عمران بن حطآن رجل علم وحديث أدرك صدرأ من الصحابة وروي عنهم ، ولما قام الخلاف بين أصحاب علي تزعم فرقة من الموارج اسمها التعد ، وأصبح خطيبها وشاعرها ، ومات سنة ٨٤ ه بالكوفة . (٣) أمير فلسطين قال عبد الملك بن مروان عنه : إنه جم طاعة أهل الشام ودهاء أهل العراق وفقه أهل الحجاز ، توفي سنة ٨٤ ه . (٤) أثيراً : مكرماً عنده . (٥) قلب الفقيه الطبرى فقال :

يا ضربة من شق مأرادة بها إلا ليهم من ذى العرش بنينا
إنى لأذكره يوماً فألمنه ليها وأعن عمران بن حطآن

(٦) ابن ملجم : قاتل على بن أبي طالب .

فلم يدر عبد الملك من هو فرجع روح إلى عمران فسأله عنه فقال : هذا يقوله عمران بن حطان يمدح به عبد الرحمن بن ملجم قاتل على بن أبي طالب .

فرجع روح إلى عبد الملك ، فأخبره ، فقال له : عبد الملك : ضيفك عمران ابن حطان ! اذهب فجئني به ؛ فرجع إليه ، فقال له إن أمير المؤمنين قد أحب أن يرآك . قال عمران : قد أردت أن أسألك ذلك ، فاستحييت منه فامض ، فإن بالآخر ، فرجع روح إلى عبد الملك فأخبره ، فقال عبد الملك : أما إنك سترجع فلا تجده ؛ فرجع وقد ارتاح عمران ؛ وخلف رقعة فيها :

يارَوْحَ كَمْ مِنْ أَخِي مُنْوَىٰ^(١) نَزَّلَكَ مِنْ نَحْمٍ وَغَسَانٍ
حَتَّىٰ إِذَا خَفْتُهُ فَارْقَتُ مَنْزِلَهُ
مِنْ بَعْدِ مَا قَيْلَ عِمَرَانُ^(٢) بْنَ حِطَانَ !
فِيهِ رَوَاعٌ^(٣) مِنْ إِنْسٍ وَمِنْ جَانِ
مَا أَدْرَكَ النَّاسَ مِنْ خُوفِ ابْنِ مَرْوَانِ
فِي النَّابِسَاتِ خُطُوبًا^(٤) ذَاتُ الْوَانِ
وَمَانُ لَقِيتُ^(٥) مَعْدِيًّا فَعَدْنَانِي
كَنْتَ الْمَدَمَ فِي سَرِّي وَإِعْلَانِي
عَنْ دُولَةِ الْوِلَايَةِ فِي طَهَ وَعِمَرَانَ
لَكَ أَبَتْ^(٦) لَ آيَاتٍ مُطَهَّرَةَ

(١) المثوى : منزل الصيافة ، وأخي : صاحب ، وظن ظنك : رأى رأيك من أني رجل هين . ولهم وغسان : من اليمن من كهlan . (٢) الروع : الخوف ، والواحدة رائعة .

(٣) العظمى : لقاء عبد الملك ، إذ كان حرباً على الحوارج . (٤) الخطوب : الأمور الضئيمة

(٥) يقول : أنا يوماً يعاني الرفع ، يريد أنه منتقل . (٦) أى لنفس طاغية : أو يريد بالطاغية المذكر وزاد الناء للتوكيد والبالغة كراوية وعلامة ونسبة . والطاغية : الجبار . (٧) أبلى : منعني الاستغفار لك . وطه وعمران : سورتان في القرآن ، وكانت الحوارج يعتقدون أن غيرهم على ضلال .

نم ارتحل حتى نزل بزُفر بن الحارث الكلابي أحد بنى عمرو بن كلاب ،
فانسَبَ له أوزاعياً^(١) ، وكان عمران يطيل الصلاة ؟ وكان غلاماً من بنى عامر
يضحكون منه . فأتاه رجل يوماً من رأه عند روح بن زنباع ، فسلم عليه ، فدعاه
زُفر ، فقال : من هذا ؟ قال : رجل من الأزد رأيته ضيفاً لروح بن زنباع . فقال له
زُفر : يا هذا ، أزدياً مرة وأوزاعياً مرة ! إن كنتَ خائفاً أمتك ، وإن كنتَ
فقيراً جبرناك .

فَلَمَّا أَمْسَى هَرَبَ ، وَخَلَفَ فِي مَنْزِلِهِ رُقْعَةً فِيهَا :

أَعْيَتْ عَيَاءَ^(٢) عَلَى رَوْحَ بْنِ زِنْبَاعِ
وَالنَّاسُ مِنْ بَيْنِ مَخْدُوعٍ^(٣) وَخَدَاعٍ
كَفَ السُّؤَالَ وَلَمْ يُولَمْ بِإِهْلَاعٍ^(٤)
إِمَامَ صَمِيمٍ^(٥) ، وَإِمَامَ فَقْعَةَ الْقَاعِ
مَاذَا تَرِيدُ إِلَى شَيْخٍ لِأَوْزَاعٍ^(٦) ؟
كُلَّ اْمْرِيٍّ لِلَّذِي يُعْنِي بِهِ سَاعَ
قَوْمٌ دَعَا أُولَئِمَّ^(٧) لِلْمُعْلَلَ دَاعَ
عِرْضِيٍّ صَحِيقٍ وَنَوْمِيٍّ غَيْرَ تَهْجَاجٍ^(٨)
حَسْبَ الْلَّيْلِ بِهَذَا الشَّيْبِ مِنْ نَاعَ

إِنَّ الَّتِي أَصْبَحَتْ بِعِيَا بِهَا زُفرَ
مَا زَالَ يَسْأَلُنِي حَوْلًا لَا يَخْبِرُهُ
حَتَّى إِذَا انْقَطَعَتْ^(٩) عَنِ وَسَائِلِهِ
فَأَكْفُفُ كَاكْفَ عَنِي ، إِنِّي رَجُلٌ
وَأَكْفُفُ لِسَانَكَ عَنِ لَوْمِي وَمَسَائِلِي
أَمَا الصَّلَاةُ فَإِنِّي غَيْرُ تَارِكِهَا
أَكْرِيمٌ بِرَوْحَ بْنِ زِنْبَاعِ وَأَسْرَتِهِ
جَاوِدَتِهِمْ سَنَنَّهُ فِيهَا أَسْرَهُ بِهِ
فَاعْلَمْ ، فَإِنَّكَ مَنْعِي^(١٠) بِواحدَةٍ

(١) أوزاعي : نسبة إلى أوزاع بطن من همدان (٢) بعيا بها : يعجز عنها . وأعية عليه :
أعجزته ، والمراد معرفة ذاته . (٣) مخدوع : مصدق لما أقول ، وخداع : محتال .
(٤) انقطعت عنى وسائله : الوسائل جم وسائل وهي التربعة والسبب (٥) باهلاعي : بازاعي
وترويعي (٦) الصميم : الحالين من كل شيء ، أي من خالص قومه . ويقال لمن لا أصل له :
هو فقمة بقاع ، وذلك لأن الفقمة لا عروق لها ولا أغصان . والفقمة : الكمة البيضاء ، والقاع :
أرض سهلة (٧) الأوزاع : الجماعات وبطن من همدان (٨) أولئيم : جم أول أي آباء
أجداد . (٩) تهجاع : نوم خفيف . (١٠) مغير بوفاته .

ثُمَّ ارْتَحَلَ حَتَّى أَتَى عُمَانَ؛ فَوَجَدُهُمْ يَعْظِمُونَ أَمْرًا بِلَالَ وَيَظْهُرُونَهُ، فَأَظْهَرَ
أَمْرَهُ فِيهِمْ؛ فَبَلَغَ ذَلِكَ الْحَجَاجُ، فَكَتَبَ إِلَى أَهْلِ عُمَانَ، فَارْتَحَلَ عِمْرَانُ هَارِبًا حَتَّى
أَتَى قَوْمًا مِنَ الْأَزْدِ فِيمَا يَزَلُّ فِيهِمْ حَتَّى ماتَ، وَفِي نَزْوَلِهِ بِهِمْ يَقُولُ :

نَزَلَنَا بِحَمْدِ اللَّهِ فِي خَيْرِ مَرْزِيلٍ نُسْرَةً بِمَا فِيهِ مِنَ الْأَنْسِ^(١) وَالْخَفْرُ
نَزَلَنَا بِقَوْمٍ يَجْمِعُ اللَّهُ شَمِلَهُمْ وَلَيْسَ لَهُمْ عُودٌ سُوَى الْمَجْدِ يَعْتَصِرُ
مِنَ الْأَرْدِ إِنَّ الْأَزْدَ أَكْرَمُ مَعْشَرِ
فَأَصْبَحَتُ فِيهِمْ آمِنًا لَا كَعْشَرٌ
أَمَّا الْحَيُّ قَحْطَانٌ فَتَلَكُمْ سَفَاهَةٌ
وَمَا مِنْهُمَا^(٢) إِلَّا يُسْرَهُ بِنِسْبَةٍ^(٤)
فَفَحْنُ^(٥) بَنُو الإِسْلَامِ وَاللَّهُ وَاحِدٌ
وَأَوْتَى عِبَادَ اللَّهِ بِاللَّهِ مِنْ شَكْرٍ!

(١) أصل الخفر شدة الحباء . يقال امرأة خفرة : إذا كانت مستترة لاستحياءها

(٢) يزيد : أمن ربيعة أم من مصر ؟ (٣) ومامنها واحد ، خذف لعلم الخطاب (٤) النسبة : بالضم والكسر : النسب (٥) يقول : انقطعت الولاية لا ولاية الإسلام لأن ولاية الإسلام قد قارت بين الغرباء . والله يقول : «إِنَّا لِلّٰهِ مُؤْمِنُونَ إِخْوَةً» .

١٥٧ - دهاء عمارة بن عميم اللخمي*

كان الحجاج حسوداً لا تتم له صناعة حتى يفسدَها ، فوجَّهَ عمارةَ بن عميم
اللخمي إلى عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ؛ فظفر به ، وصنع به ما صنع ، ورجع
إلى الحجاج بالفتح ، فلم ير منه ما أحب ، وكره مُنازعته ، وكان عاقلاً رفِيقاً ، فجعل
يترفق به ويداريَّه ، ويقول : أنت - أيها الأمير - أشرفُ العرب ، فمن شرفتَه
شرف ، ومن وضعتَه اتضَّع ، ومنْ ينكِرُ ذلك ، مع رفقك وينْتَك ومشورتك
ورأيك ؟ وما كان هذا كله إلا بصنع الله عز وجل وتدبرك ، وليس أحد أحق
بشكِّر صنيعك مني ، ومن ابن الأشعث ؟ وما خطره ؟

ثم عزم الحجاج على المضي إلى عبد الملك فأخرج عمارة معه ، فلم يزل ياطف
بالحجاج في مسيرة ، ويعظمه ، حتى قدموا على عبد الملك

فلما قامت الخطباء بين يديه ، وأثبتت على الحجاج ، قام عمارة ، فقال : يا أميرَ
المؤمنين ، سَلْ الحجاج عن طاعتي ومناصحتي وبلاي ! فقال الحجاج : يا أمير المؤمنين ،
صنع وصنع ، ومن بأسه وبحدته وعقله ومكيدته كذا وكذا ، هو أيمان الناس نقيبة ،
وأعلمهم بتدبير وسياسة ، ولم يُبُقِّ غاية في الثناء عليه .

قال عمارة : أرضيت يا أمير المؤمنين ؟ قال : نعم ! فرضى الله عنك ، حتى
قالها ثلاثة ، في كلها يقول : قد رضيت !

فقال عمارة : فلا رضى الله عن الحجاج يا أمير المؤمنين ، ولا حفظه ولا عافاه ،
 فهو - والله - السّيّد التدبیر ، الذى قد أفسد عليك أهل العراق ، وألّب عليك
الناس ، وما أُوتيت إلا من قلة عقله ، وضعف رأيه ، وقلة بصره بالسياسة . ولك والله
أمثالها ، إن لم تَعزِّله .

قال الحجاج : مَه يا عمارة ! ف قال : لَامَه ولا كراهة يا أمير المؤمنين !
كل ملوك له حرث إن سار تحت راية الحجاج أبداً ! ف قال عبد الملك : ما عندنا
أوسع لك !

ف لما انصرف عمارة إلى منزله بعث إليه الحجاج وقال له : أنا أعلم أنه ماخرج
هذا عنك إلا عن مقتبة ^(١) ، ولك عندى العتبى ^(٢) ، ولك ولك ! فأرسل إليه :
ما كنت أظن أن عقلك على هذا ! أرجح إليك بعد الذي كان من طعنى وقولى
عند أمير المؤمنين ! لا ، ولا كرامة لك .

(٢) العتبى : الرضا .

(١) المقتبة : العتاب .

١٥٨ - كيف رأيتم فراستى فى الاعرابى *

قدم على الحجاج ابن عم له من البادية ، فنظر إليه يولي الناس ؛ فقال له :
أيها الأمير ؟ لم لا توليني بعض هذا الحضر ؟ فقال الحجاج : هؤلاء يكتبون ويحسبون
وأنت لا نحسب ولا تكتب !

ففضب الاعرابى ، وقال : بلى ، إننى لا نحسب منهم حساباً^(١) ، وأنا كتب منهم
كتباً ! فقال الحجاج : فإن كان كاتزعم فاقسم ثلاثة دراهم بين أربعة أنس ، فما
زال يقول : ثلاثة دراهم بين أربعة ؟ ثلاثة بين أربعة ، لكل واحد منهم درهم يبقى
الرابع بلا شيء ! كم هم أهلاً للأمير ؟ قال : هم أربعة ، قال : نعم ! أيها الأمير ، قد
وقفت على الحساب ، لكل واحد منهم درهم ، وأنا أعطى الرابع منهم درهماً من
عندى ! وضرب بيده إلى تكّته^(٢) ، فاستخرج منها درها ، وقال : أىكم الرابع ؟
فو الله ما رأيت كالىوم زوراً مثل حساب هؤلاء الحضريين !

فضحك الحجاج ومن معه ، وذهب بهم الضحك ، كل مذهب ، ثم قال
الحجاج : إن أهل أصبهان أخرروا خراجهم ثلاثة سنين ، كلما أتاهم والي أعيزووه ،
فلا ريب فيهم بهذا ، فاخلق به أن ينجب !

فكتب له عهدة على أصبهان !

ف لما خرج استقبله أهل أصبهان واستبشروا به وأقبلوا عليه يقبلون بيده ورجله
وقالوا : أعرابى بدوى ! ما يكون منه !

* المسعودى : ٢ - ١٦٠

(١) حساباً . (٢) التكّة : رباط السراويل .

فَلَمَا أَكْثَرُو عَلَيْهِ، قَالَ: أَمَا يَشْغَلُكُمْ مَا أَخْرَجَنِي لِهِ الْأَمِيرُ؟

فَلَمَّا اسْتَقَرَّ فِي دَارِهِ بِأَصْبَاهَانَ جَمَعَ أَهْلَهَا، فَقَالَ: مَا لَكُمْ تَعْصُونَ رَبَّكُمْ وَتُغْضِبُونَ أَمِيرَكُمْ، وَتُنْقِصُونَ خَرَاجَكُمْ؟ فَقَالَ قَائِلُهُمْ: جَوَرُّ مِنْ كَاتِ قَبْلَكَ، وَظُلْمٌ مِنْ ظُلْمٍ! قَالَ: فَإِنَّ الْأَمْرَ الَّذِي فِيهِ صَلَاحُكُمْ؟ فَقَالُوا تُؤْخِرُنَا بِالْخِرَاجِ ثَمَانِيَةً أَشْهُرًا، وَنَجْمِعُهُ لَكَ! قَالَ: لَكُمْ عَشْرَةُ وَتَأْنِي بِعَشْرَةِ ضَمَنَاءٍ.

فَأَتَوْهُ بِهِمْ، فَلَمَّا تَوْقَنُوا مِنْهُمْ أَمْهَالَهُمْ؛ وَكَلَّا قَرْبُ الْوَقْتِ رَآهُمْ غَيْرَ مَكْتَرِيْنَ لِمَا نَدِبُوا^(١) إِلَيْهِ مِنَ الْأَجْلِ! وَطَالَ بِهِ ذَلِكُ، فَجَمَعُ الضَّمَنَاءَ؛ وَقَالَ لَهُمْ: الْمَالُ! فَقَالُوا: أَصَابَنَا مِنَ الْآفَةِ مَا نَقْضُ ذَلِكَ!

فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ مِنْهُمْ آتَى أَلَا يَنْفَطِرُ - وَكَانَ فِي شَهْرِ زَمْضَانَ - حَتَّى يُجْمَعَ مَا لَهُ أَوْ يَضْرِبَ أَعْنَاقَهُمْ!

ثُمَّ قَدَّمَ أَحَدُهُمْ وَضَرَبَ عَنْقَهُ، وَكَتَبَ عَلَيْهِ . فَلَانَ ابْنُ فَلَانَ أَدَى مَا عَلَيْهِ! وَجَعَلَ رَأْسَهُ فِي بَدْرَة^(٢)، وَخَتَمَ عَلَيْهَا! ثُمَّ قَدَّمَ الثَّانِي فَعَمِلَ بِهِ مِثْلَ ذَلِكَ! فَلَمَّا رَأَى الْقَوْمَ الرُّوسَ تَجَزَّ، وَتَجَعَلُ فِي الْأَكْيَاسِ بِدَلَّا مِنَ الْبِدَرِ، قَالُوا: أَيْهَا الْأَمِيرُ؟ تَوْقَفَ عَلَيْنَا حَتَّى نَخْضُرَ لَكَ الْمَالُ؟ فَفَعَلَ، فَأَحْضَرُوهُ فِي أَسْرَعِ وَقْتٍ! فَبَلَغَ ذَلِكَ الْحِجَاجُ فَقَالَ . إِنَا مَعَاشُ آلِ مُحَمَّدٍ - يَعْنِي جَدَّهُ - وَلَدُنَا نَجِيبٌ، فَكَيْفَ رَأَيْتُمْ فَرَاسَتِي^(٣) فِي الْأَعْرَابِ؟! وَلَمْ يَرِلْ وَالِيَا عَلَيْهَا حَتَّى مَاتَ الْحِجَاجُ!

(١) نَدِبَ الْقَوْمَ إِلَى الْأَمْرِ نَدِبًا: دَعَاهُمْ وَحَشِّهُمْ . (٢) الْبَدْرَةُ: كَيْسٌ يُوضَعُ فِي عَشْرَةِ آلَافِ دُوْمٍ . (٣) الْفَرَاسَةُ: الْبَصَرُ بِالشَّيْءِ وَالْعِلْمُ بِهِ ..

* ١٩٥ — من بدأه الشعرا *

أُتِي سليمانُ بن عبد الملك^(١) بأسارى ، وكان الفرزدق حاضرًا ، فأمره سليمانُ
بضرب واحدٍ منهم فاستغفاه فأبى ، وقد أشير إلى سيفٍ غير صالح للضرب ليستعمله
 فقال الفرزدق : بل أضرب بسيف أبي رغوان^(٢) سيف مجاشع - يعني نفسه -
وكانه قال : لا يَسْتَعْمِل ذلك السيف إلا ظالم أو ابن ظالم ، ثم ضرب بسيفه الأسير ،
وانتفق أن نبا السيف ، فضحك سليمان ومن حوله ؛ فقال الفرزدق :

أيعجب الناس أن أضحك سيدهم خليفة الله يستسقى به المطر
لم ينب^(٣) سيف من رغب ولا دهش عن الأسير ، ولكن آخر القدر
ولن يقدم نفسا قبل ميتتها جمع اليدين ولا الصمصامة^(٤) الذكر
ثم أغمد سيفه وهو يقول :

ما إن يُعَاب سيد إذا صبأ ولا يُعَاب صارم إذا نبأ
ولا يُعَاب شاعر إذا كبا

ثم جلس يقول : كأني بابن المراقة^(٥) قد هجانى ، فقال :

بسيف أبي رغوان سيف مجاشع ضربت ولم تضرب بسيف ابن ظالم

* أدب الدنيا والدين : ٧ ، بلوغ الأربع : ٦ - ٢٠ .

(١) بويح سليمان بن عبد الملك بالخلافة سنة ٩٦ هـ ، وكان فصيحاً لبقاً ، كما كان غوراً شديداً
الغيرة ، اتسعت الفتوح في أيامه وتوفي سنة ٩٩ هـ . (٢) رغوان : لقب مجاشم بن دارم بن
مالك بن حبيطة ، لقب به لفصاحته وجمارة صوته . ويقال : قاتل امرأة سمعته : ما هذا إلا يرغون ،
فلقب رغوان . (٣) لم ينب : لم يكل عن الضربة . (٤) الصمصامة : السيف لا ينثنى ،
والذكر أليس الحديد وأجوده وأأشده . (٥) يزيد جريراً

وَقَامَ وَانْصَرَفَ .

وَحَضَرَ جَرِيرٌ ، فَخَبَرَ الْخَبَرَ ، وَلَمْ يُنْشَدِ الشِّعْرَ ، فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

بَسِيفٌ أَبِي رَغْوَانَ سَيفٌ مُجَاشِعٌ
ضَرَبَتَ وَلَمْ تَضْرِبْ بَسِيفٍ ابْنَ ظَالِمٍ
فَأَعْجَبَ سَلِيمَانَ مَا شَاهَدَ ! ثُمَّ قَالَ جَرِيرٌ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، كَأَنِّي بَابِنِ الْقَيْنِ^(١)
قَدْ أَجَابَنِي فَقَالَ :

وَلَا نَقْتُلُ الْأَسْرَى ، وَلَكِنْ نَفْكَهُمْ
إِذَا أَنْقَلَ الْأَعْنَاقَ حَمْلُ الْمَفَارِمِ
ثُمَّ أَخْبَرَ الْفَرِزَدْقَ بِالْهَجْوِيِّ دُونَ مَاعِدَاهُ ، فَقَالَ حَمِيَّاً
كَذَاكَ سَيُوفُ الْهَنْدِ تَنْبُوْ طَبَاتِهَا^(٢) وَتَقْطَعُ أَحْيَانًا مَنَاطِ الْمَاءِ
وَلَنْ نَقْتُلُ الْأَسْرَى وَلَكِنْ نَفْكَهُمْ
إِذَا أَنْقَلَ الْأَعْنَاقَ حَمْلُ الْمَفَارِمِ
وَهُنَّ ضَرَبَةُ الرَّوْيِّ جَاعِلَةً لَكُمْ
وَهُنَّ أَبَا عَنْ كُلَّ دَيْبٍ أَوْ أَخَا مَثْلَ دَارِمٍ
وَشَاعَ حَدِيثُ الْفَرِزَدْقَ بِهَذَا حَتَّى كَانَ زَمَانُ الْمَهْدِيِّ^(٣) ، فَأَتَى بَاسْرَى مِنَ
الرُّومَ ، وَأَمَرَ بِقَتْلِهِمْ - وَكَانَ عِنْدَهُ شَبِيبٌ^(٤) بْنُ شِيبةٍ - فَقَالَ لَهُ : اضْرِبْ عَنْقَ هَذَا
الْعَلْجَ^(٥) ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، قَدْ عَلِمْتَ مَا أُبْتَلَى بِهِ الْفَرِزَدْقَ فَعَيْرْ بِهِ قَوْمَهُ إِلَى
الْيَوْمِ . فَقَالَ : إِنَّمَا أَرْدَتُ تَشْرِيفَكَ وَقَدْ أَغْيَيْتُكَ . وَكَانَ شَاعِرُ حَاضِرًا فَقَالَ :
جَزَّعَتَ مِنَ الرَّوْيِّ وَهُوَ مَقْيَدٌ
فَكَيْفَ وَلَوْ لَاقَيْتَهُ وَهُوَ مُطْلَقٌ
دَعَاكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ لِقَاءً^(٦) لِي
فَنَحَ شَبِيبًا عَنِ قِرَاعِ كِتَبَيَّةٍ
وَأَذْنَ شَبِيبًا مِنْ كَلَامِ يُلْفَقُ

(١) الْقَيْنُ : الْعَبْدُ وَالْمَهْدَادُ ، وَهُوَ يَرِيدُ الْفَرِزَدْقَ (٢) الظِّبَاطَةُ : جَمْعُ ظَبَّةٍ ، وَهِيَ حَدُّ السِّيفِ .

(٣) انظُرْ صَفْحَةَ ٢٦٢ (٤) خَطِيبُ الْبَصْرَةِ فِي زَمَانِهِ ، كَانَ فِي حَاشِيَةِ الْمَهْدِيِّ حِينَما كَانَ وَلِيًّا

لِلْمَهْدِيِّ وَبَقَى كَذَلِكَ حَتَّى وَلَى الْخَلَافَةَ فَكَانَ مِنْ سَمَارَهُ الْمَقْرِبِينَ ، تَوَفَّ سَنَةُ ١٧٠ هـ

(٥) الْعَلْجُ : الْوَاحِدُ مِنْ كَفَارِ الْعِجْمَ (٦) يُفرَقُ : يُخَافُ .

* ١٦٠ — قوة حجة *

كتب عمر بن عبد العزيز إلى عدّي بن أرطاة^(١) : أن اجمع بين إِيَّاس^(٢)
ابن معاوية والقاسم بن ربيعة الجوشني ، فول القضاء أَنْفَذَهَا .

فجمع بينهما ، فقال له إِيَّاس : أَيُّهَا الرَّجُل سَلْ عَنِّي وَعَنِ الْقَاسِمِ فَقِيمِي الْبَصَرَةَ :
الْحَسَنَ الْبَصَرِيَّ ، وَابْنَ سِيرِينَ .

وكان القاسم يأتى الحسن وابن سيرين ، وكان إِيَّاس لا يأتىهما ، فعلم القاسم
أنه إن سألهما عنه أشاراً به ؛ فقال : لا تأسّل عنّي ولا عنه ؛ فوَاللهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا
هو ، إن إِيَّاس بن معاوية أَفْقَهُ مِنِّي وأَعْلَمُ بِالْقَضَاءِ . فَإِنْ كُنْتُ كاذبًا فَمَا يَنْبَغِي
أَنْ تَوَلَّنِي ، وإنْ كُنْتُ صادقاً فَيَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَقْبِلَ قَوْلِي !

قال له إِيَّاس : إنك جئتَ بِرَجُلٍ فَأَوْفَفْتَهُ عَلَى شَفَيْرِ جَهَنَّمْ ، فَتَبَرَّجَ نَفْسَهُ مِنْهَا
بِيَمِينِ كاذبَةِ ، يَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْهَا ، وَيَنْجُو مَا يَخَافُ .
قال له عدّي : أما إذ فَهِمْتَهَا فَأَنْتَ لَهَا ، فَاستَقْضَاهُ .

* العقد الفريد : ١ - ١١ .

(١) عدّي بن أرطاة : أمير من أهل دمشق، كان من العلاء الشجعان ، ولاه عمر بن عبد العزيز
البصرة ، وقتيل سنة ١٠٢ هـ (٢) هو من مزينة ، ولاه عمر بن عبد العزيز قضاة البصرة
وكان صادق الظن لطيفاً في الأمور ، ومات سنة ١٢٢ هـ .
(٤) قصص - أول)

١٦١ - إِيَّاسُ فِي مَجْلِسِ الْقَضَاءِ *

استودع رجلٌ رجلاً آخر مالاً؛ ثم طالبه به فجده^(١)، فخاصمه إلى إِيَّاسِ
ابن معاوية القاضي، وقال: دفعت إلىه مالاً في مكانٍ كذا وكذا! قال فائِي شئَ
كان في ذلك الموضع؟ قال: شجرة.

قال: فانطلق إلى ذلك الموضع، وانظر إلى تلك الشجرة، فلعل الله يُوضّحُ
لك هناك ما تُبَيِّنُ به حُقْكَ! أو لعلك دفتَ مالك عند الشجرة، فنسأَتَ،
فتقذَّرَ إذا رأيتَ الشجرة.

فضى وقال إِيَّاسُ للمطلوب منه: اجلس حتى يرجح صاحبُك؛ فجلس إِيَّاسُ
يقضي وينظرُ إليه بين كل ساعة. ثم قال: ترى صاحبُك بلغ موضع الشجرة؟ قال: لا!
 فقال: ياعدوَ الله؛ أنت الخائن! قال أَفِنْتَني، أَفَلَكَ الله! فأمر بحفظه حتى جاءَ
خَصْمُهُ، فقال له: خذ منه بحقك فقد أَفْرَ.

* المحسن والمساوي: ١ - ٤٣.

(١) المحدود: الإنكار مع الملم.

* ١٦٢ — من ذكاء إِيَّاس

استودع رجل أَمِينَ إِيَّاسَ مَالًا ، وَخَرَجَ الْوَدِيعَ إِلَى الْحِجَازَ ، فَلَمَّا رَجَعَ طَلَبَهُ فَجَحَدَهُ ؛ فَأَتَى إِيَّاسًا فَأَخْبَرَهُ . قَالَ لَهُ إِيَّاسٌ : أَعْلَمْتَهُ أَنِّكَ أَتَيْتَنِي ؟ قَالَ : لَا . قَالَ : أَفَنَازَ عَنْتَهُ عِنْدَ غَيْرِي ؟ قَالَ : لَا . قَالَ : فَانْصَرِفْ ، وَاكْتُمْ سُرُّكَ ، ثُمَّ عُذْ إِلَى بَعْدِ يَوْمَيْنَ .

فَضَى الرَّجُلُ وَدَعَا إِيَّاسَ أَمِينَهُ ، قَالَ : قَدْ حَضَرَ عِنْدَنَا مَالٌ كَثِيرٌ ، أَرِيدُ أَنْ أَسْلَمَهُ إِلَيْكَ ، أَفَتَحَصِّنُ مَنْزِلَكَ ؟ قَالَ نَعَمْ ، قَالَ : فَأُعِدُّ مَوْضِعًا لِلِّمَالِ ، وَقَوْمًا يَحْمِلُونَهُ .

وَعَادَ الرَّجُلُ إِلَى إِيَّاسَ ، قَالَ : انْطَلِقْ إِلَى صَاحِبِكَ ، فَإِنْ أَعْطَاكَ الْمَالَ فَذَاكَ ، وَإِنْ جَحَدَ فَقُلْ لَهُ : إِنِّي أَخْبُرُ الْقاضِيَ بِالْقَصَّةِ .

فَأَتَى الرَّجُلُ صَاحِبَهُ ، قَالَ : تَمْطِينِي الْوَدِيعَةَ أَوْ أَشْكُوكُهُ إِلَى الْقاضِي ، وَأَخْبَرَهُ بِالْحَالِ . فَدَفَعَ إِلَيْهِ الْمَالَ . فَرَجَعَ الرَّجُلُ ، وَأَخْبَرَ إِيَّاسًا .

ثُمَّ جَاءَ الْأَمِينُ إِلَى إِيَّاسَ لِيَأْخُذَ الْمَالَ الْمَوْعِدُ بِهِ ، فَزَجَرَهُ ، وَقَالَ لَهُ : لَا تَرَبَّنِي بَعْدَ هَذَا يَا خَائِنَ .

١٦٣ * أدبتي فتادبت

كان أبو سلمة حفص بن سليمان وسليمان بن كثير - وهو سيدا دعاء الدولة العباسية - يغدان كل عام على إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ، فيأتيانه بهذا يا أهل الدعوة ، وكتبهم ، ولم يكن أحد من آل إبراهيم يعرفهما ، ولا يعرف الأمر الذي يأتيان له ، فقد ماما سنة من السنين فرأيا العباس وأبا جعفر ، فأعجباهما ، وهو إذا ذاك غلامان ، فقال سليمان بن كثير لأبي سلمة : إنني مسرر إليك مهما من أمر الدين والدنيا ، فخالف لي على كثنه ، خلف له أبو سلمة بآيمان رضيها منه . فقال له سليمان : إنني أرى عند هذين الصبيين من أمارات الاستقلال بالخلافة ، مالا كفأ له^(١) . فقال له أبو سلمة : هما والله أولى بالأمر من صاحبنا - يعني إبراهيم الإمام - فقال سليمان : ما معنى من ذكر هذا إلا التستر .

وبيتها يتفاوضان في هذا الأمر إذ مر أبو العباس وأبو جعفر وهو يضر بانكورة ، قد عاهما أبو سلمة فأتياه ، فقال لها : إنني أنشدت صاحبى هذا شعرأ أنا مُعجب به ، فلم يرضه ، وقد رضينا بمحكمك فى . فقالا : أنشدته ، فأنشدها :

أَسْلَمْ إِنْ يَا بْنَ كُلَّ خَلِيفَةَ وَيَا فَارِسَ الْهَيْجَاءَ وَيَا جَبَلَ الْأَرْضِ^(٢)
شَكْرَتَكَ إِنَّ الشَّكْرَ حَبْلٌ مِّنَ التَّقِيِّ وَمَا كُلَّ مِنَ أُولَئِنَّ نَعْمَةً يَقْضِي^(٣)
وَشَيَّدَتَ^(٤) مِنْ ذَكْرِي وَمَا كَانَ خَامِلاً وَلَكِنْ بَعْضَ الذَّكْرِ أَبْنَتَهُ مِنْ بَعْضٍ^(٥)
فَقَالَ أَبُو جَعْفَرَ : مَنْ قَالَ هَذَا ؟ قَالَ : قَالَهُ أَبُو تُحَيَّلَةَ ، فَعَصَمَ أَبُو جَعْفَرَ

* أبناء نجباء الأبناء : ٩٥ .

(١) لا كفأ له : لا مثل له يكافئه . (٢) أسلم : يريد أسلمة . (٣) حبل من التقى : سبب منه وعهد ، والمهد : الجبل . (٤) شيدت : رفت . (٥) أبنته : أرفع .

على إصبعه ، ثم قال : أَآمِنُ هذا العبدُ أَنْ تَدُولُ^(١) لبني هاشم دولة فُيولِفُوا^(٢) الكلابَ دمه ؟ فقال له أبو العباس : مَهْ^(٣) يا أخي ، فإنه يقال : من ظَهَرَ غَضَبَهْ ضَعْفَ كَيْدُهْ .

ثم أقبل أبو العباس على أبي سلمة ، وقال له هذا شعرُ أَحْمَق في أَحْقَ ! كَيْفَ يقول لرجل هو في سلطان غيره ، وتابع له : با جَبَلَ الأرض ؟ أَلَيْس جَبَلُ الأرض هو مُرْسِيهَا ، ولا يصلح أن يخاطبَ بهذا من هو تابع لغيره ، وأَيْن تفخيمه وتعظيمه من نقص اسمه ، إذ يُنَادِيه : « أَمْسِل » وهو مسلمة ؟

ثم إن العباس ولَى ، فقال له أبو جعفر : هَلَّ يا أخي نَلْعَبْ ، فقال له أبو العباس . هل أَوْلَفْتَ^(٤) الكلابَ دم أبي نخيلا ؟ فقال : لا ، ولكنك أَدَّبْتَني فتَأَدَّبْتَ ، وذهبا !

فقال أبو سلمة لسليمان بن كثير : بِمِثْلِ هَذَا يُطْلَبُ الْمَلِكُ ، وَيُدْرِكُ النَّارُ !

(١) الدولة : الانتقال من حال إلى حال . (٢) أَوْلَفَ الكلب : إذا جعلت له شيئاً يولج فيه

(٣) مَهْ : اسم فعل ، معناه : أَكْفَفَ . (٤) معناه : هل شفيت غيفلك حتى نَلْعَبْ .

١٦٤ — لا يَقْبِلُ عَلَى اصْطَنَاعِ الْمَعْرُوفِ مَكَافَةً *

لما حجَّ المنصور عُرِضَ عليه جوهرٌ نفيسٌ له قيمةً عظيمةً للبيع ، فعرفه ،
وقال : هذا كان لهشام بن عبد الملك بن سروان ، فانتقل إلى ابنه محمد بن هشام ،
وما بقي من بني أمية غيره ، ولا بدَّلَ منه ، ثم التفت إلى حاجبه الريبع ، وقال :
إذا صلَّيتُ بالناس غداً في المسجد الحرام ، وحصل الناس كلهم فأغلق الأبواب
كلَّها ، ووكل بها جماعةً من الثقات ، وافتتح باباً واحداً وقف عليه ، ولا تُخْرِج
أحداً حتى تعرفه ، فإذا ظفرتَ بِمُحَمَّدٍ بن هشام فأنتي به .

فلا كَانَ الْغَدُّ فَعَلَ الرَّبِيعُ مَا أَمْرَهُ بِهِ الْمَنْصُورُ ، وَكَانَ مُحَمَّدُ بنَ هَشَامَ فِي الْمَسْجِدِ ،
فُرِفَ أَنَّهُ الْمَطْلُوبُ ، وَأَيْقَنَ أَنَّهُ مَأْخُوذٌ مَقْتُولٌ ، فَتَحْيَّرَ وَارْتَابَ وَاضْطَرَبَ ، فَيَبْلُو هُوَ
عَلَى تَلْكَ الْحَالِ إِذْ أَقْبَلَ مُحَمَّدٌ بْنُ زَيْدٍ بْنُ عَلَى بْنِ الْحَسِينِ فَرَأَهُ مَتْحِيرًا — وَكَانَ
لَا يَعْرِفُهُ — فَتَقْدَمَ إِلَيْهِ وَقَالَ : يَا هَذَا ، مَا بِالْكَ؟ فَقَالَ : لَا شَيْءٌ . فَقَالَ : خَبَرْنِي
وَلَكَ الْأَمَانُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَلَى نَفْسِكَ .

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ هَشَامَ : فَمَنْ أَنْتَ؟ قَالَ : أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ زَيْدٍ بْنُ عَلَى بْنِ الْحَسِينِ !
فَزَادَ خُوفُهُ ، وَطَارَ عَقْلُهُ ، وَتَحْقَقَ الْمَوْتُ ، فَقَالَ لَهُ : لَا تَبْجُزْ فَلَسْتَ قَاتِلَ أَبِي
وَلَا جَدِّي ، وَلَيْسَ لِي عَلَيْكَ ثَأْرٌ ، وَأَنَا أَجْتَهَدُ فِي خَلَاصِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ! وَلَكِنْ
تَعْذِيرِنِي فِيمَا أَنَا صَانِعٌ بِكَ مِنْ مَكْرُوهٍ وَقَبِيحٍ خَطَابٌ ! فَقَالَ لَهُ ، افْعُلْ مَا شَئْتَ .
فَطَرَحَ رَدَاهَ عَلَى وَجْهِهِ ، وَغَطَّى بِهِ رَأْسَهُ ، وَجَذَبَهُ وَسَجَبَهُ ، إِلَى أَنْ قَرَبَ
مِنَ الْرَّبِيعِ حَاجِبَ الْمَنْصُورِ ؛ وَهُوَ عَلَى الْبَابِ ، فَلَمَّا وَقَعَتْ عَيْنُ الْرَّبِيعِ عَلَيْهِمَا لَطْمَهُ

* اختصار من نوادر الأخبار - خطوط .

فَلَمَّا بَعْدُوا عَنِ الرَّبِيعِ قَالَ لِهِ مُحَمَّدٌ: أَذْهَبْ إِلَى حَالِ سَبِيلِكَ؟ فَقَبِيلُ مُحَمَّدٍ بْنُ هَشَامٍ يَدَهُ وَرَأْسِهِ وَقَالَ: اللَّهُ أَعْلَمُ حِيثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ، ثُمَّ أَخْرَجَ لَهُ جَوَاهِرَ قِيمَتُهَا عَظِيمَةً، وَقَالَ: بِاللَّهِ - يَا بْنَتَ رَسُولِ اللَّهِ - شَرْفِي بِقَبُولِ هَذَا، فَقَالَ لَهُ: أَذْهَبْ بِمَتَاعِكَ، فَتَحَنَّ أَهْلَ بَيْتِ لَا نَقْبِلُ عَلَى اصْطِنَاعِ الْمَعْرُوفِ مَكَافَةً، وَاحْتَرِزْ عَلَى نَفْسِكَ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ، إِلَى أَنْ يَخْرُجَ، فَإِنَّهُ مَجْدٌ فِي طَلْبِكَ!

(١) الكراء : الأجرة .

* ١٦٥ - حَذَرُ إِبْرَاهِيمَ بْنَ هَرْمَةَ *

وَجَهَ الْمُنْصُورُ رَسُولًا إِلَى ابْنِ هَرْمَةَ^(١) ، وَدَفَعَ إِلَيْهِ أَلْفَ دِينَارٍ وَخِلْعَةً ، وَوَصَفَهُ
اللهُ وَقَالَ : امْضِ إِلَيْهِ ، فَإِنَّكَ تَرَاهُ جَالِسًا فِي مَوْضِعٍ كَذَا مِنَ الْمَسْجِدِ ، فَانْتَسِبْ لِهِ إِلَى
بَنِي أُمِّيَّةَ أَوْ مَوَالِيهِمْ ، وَسُلْهُ أَنْ يُنْشِدَكَ قَصِيدَتَهُ الْحَائِيَّةَ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا يَمْدُحُ
عَبْدَ الْوَاحِدِ بْنَ سَلِيْمَانَ :

وَجَدْنَا غَالِبًا كَانَتْ جَنَاحًا وَكَانَ أَبُوكَ قَادِمَةَ الْجَنَاحِ
فَإِذَا أَنْشَدَكَهَا فَأَخْرَجَهُ مِنَ الْمَسْجِدِ وَاضْرَبَ عَنْقَهُ وَجَنَّى بِرَاسِهِ ، وَإِنْ أَنْشَدَكَ
قَصِيدَتَهُ الْلَّامِيَّةَ الَّتِي يَمْدُحُ فِيهَا فَادْفَعَ إِلَيْهِ الْأَلْفَ الدِّينَارِ وَالْخِلْعَةَ ؛ وَمَا أَرَاهُ يُنْشِدُكَ
غَيْرَهَا وَلَا يَعْرُفُ بِالْحَائِيَّةِ .

فَأَتَاهُ الرَّسُولُ فَوْجَدَهُ كَمَا قَالَ الْمُنْصُورُ ، فَجَعَلَهُ وَاسْتَفَشَهُ قَصِيدَتَهُ فِي
عَبْدِ الْوَاحِدِ ؟ فَقَالَ : مَا قَلْتُ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ قَطْ وَلَا أَعْرِفُهَا ، وَإِنَّمَا تَخَلَّهَا إِيَّاِيَّ منْ
يُعَادِينِي ، وَلَكِنْ إِنْ شَتَّتَ أَنْشِدَتَكَ أَحْسَنَ مِنْهَا قَالَ : قَدْ شَتَّتَ فِهَاِتِ ،
فَأَنْشَدَهُ :

* سَرِيْ ثُوبَهُ عَنْكَ الصَّبَا الْمُتَخَالِيلُ^(٢) *

حَتَّى أَنِّي عَلَى آخِرِهَا^(٣) ؛ ثُمَّ قَالَ لَهُ هَاتِ مَا أَمْرَكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِدَفْعِهِ إِلَيْهِ ؟

* الأَغْانِيَ : ٦ - ١١٢ .

(١) هو إبراهيم بن علي بن سلمة بن هرمة - شاعر غزل من سكان المدينة رحل إلى دمشق
ومدح الوليد الأموي فأجازه . (٢) سري عن الثوب : كشفه . (٣) منها :

لَهُ لَحْظَاتٌ عَنْ حَفَافِ سَرِيرِهِ إِذَا كَرِهَا فِيهَا عَقَابٌ وَنَاثِلٌ
فَأَمَّ الَّذِي أَمْنَتْ آمِنَةَ الرَّدِيِّ وَأَمَّ الَّذِي خَوْفَتْ بِالشَّكْلِ ثَاكِلٌ
وَحَفَافُ الشَّيْءِ : جانبه .

قال : أَيَّ شَيْءٍ تَقُولُ يَا هَذَا ؟ أَيَّ شَيْءٍ دَفَعَ إِلَيْكَ دَعْوَةً ذَا عَنْكَ ، فَوَاللهِ
مَا بَعْثَكَ إِلَّا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَمَعْكَ مَالٌ وَكَسْوَةٌ إِلَيْكَ ، وَأَمْرُكَ أَنْ تَسْأَلَنِي عَنْ هَذِهِ
الْقُصْيَدَةِ ، فَإِنْ أَنْشَدْتَكَ إِلَيْهَا ضَرْبَتَ عُنْقَهُ وَحَلَّتَ رَأْسِي إِلَيْكَ ، وَإِنْ أَنْشَدْتَكَ
هَذِهِ الْلَّامَيْةَ دَفَعَتَ إِلَيْكَ مَا حَمَلْتَ إِلَيْاهُ ، فَضَحَّكَ الرَّسُولُ ، ثُمَّ قَالَ : صَدَقْتَ لِعْنَرِي !
وَدَفَعَ إِلَيْهِ الْأَلْفَ الدِّينَارَ وَالخُلْمَةَ .

* ١٦٦ - النصوص ودلائله بالمدينة *

لَاحِجَّ أَبُو جَعْفَرِ النَّصُورِ قَالَ لِلرَّبِيعِ : ابْنُجْ لِي فَتَىٰ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ أَدِبَّاً
خَرِيفًا ، عَلَيْهِ بَقْدِيمٌ دِيَارُهَا ، وَرُسُومٌ آثارُهَا ؛ فَقَدْ بَعْدَ عَهْدِي بِدِيَارِ قَوِيٍّ ، وَأَرِيدُ
الوقوفَ عَلَيْهَا .

فَالْتَّمَسَ لِهِ الرَّبِيعُ فَتَىٰ مِنْ أَعْلَمِ النَّاسِ بِالْمَدِينَةِ ، وَأَعْرَفُهُمْ بِظَرِيفِ الْأَخْبَارِ ،
وَشَرِيفِ الْأَشْعَارِ ؛ فَعَجِبَ النَّصُورُ مِنْهُ ؛ وَكَانَ بِسَارِهِ أَحْسَنُ مُسَابِرَةٍ ، وَيَحْاضِرُهُ
أَزِينَ حَاضِرَةً ، وَلَا يَبْتَدِئُهُ بِخَطَابٍ إِلَّا عَلَى وَجْهِ الْجَوَابِ ، فَإِذَا سَأَلَهُ أَتَى بِأَوْضَعِ
دَلَالَةٍ ، وَأَنْصَحَ مَقَالَةً .

فَأَعْجَبَ بِهِ النَّصُورُ غَايَةَ الإِعْجَابِ ، وَقَالَ لِلرَّبِيعِ : ادْفِعْ إِلَيْهِ عَشْرَةَ آلَافَ
دِرْهَمٍ ، وَكَانَ الْفَتَىٰ مُمْلِقاً^(١) مُضْطَرًّا . فَتَشَاغَلَ الرَّبِيعُ عَنْهُ ، فَاجْتَازَ مِنْ النَّصُورِ
بَدَارَ عَاتِكَةَ . قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ هَذَا بَيْتُ عَاتِكَةَ بَنْتِ يَزِيدَ بْنِ مَعَاوِيَةَ
الَّذِي يَقُولُ فِيهِ الأَحْوَصُ بْنُ مُحَمَّدٍ :

* ذيل زهر الآداب : ٥٨ .

(١) الإملان : الانتقار .

يَابِيتَ عَاتِكَةَ الَّذِي أَنْتَزَلْتُ^(١) حَسْدَرَ الْعِدَا وَبِهِ الْفَوَادُ مُؤَكِّلُ
قَالَ الْمُنْصُورُ : مَا هَاجَ مِنْهُ مَا لِيْسَ هُوَ طَبِيعَهُ ؟ مَنْ أَنْ يُخْبِرَ بِمَا لَمْ يُسْتَخْبِرَ عَنْهُ
وَيُجِيبَ بِمَا لَمْ يُسْأَلَ عَنْهُ ؟ ثُمَّ أَقْبَلَ يَرْدَدُ أَيَّاتَ الْقُصْدِيَّةَ فِي نَفْسِهِ إِلَى أَنْ
يُلْغِيَ إِلَى :

وَأَرَاكَ تَفْعُلُ مَا تَقُولُ ، وَبَعْضُهُمْ مَذِيقُ الْلِّسَانِ يَقُولُ مَا لَا يَفْعُلُ^(٢)
فَدَعَا بِالرَّبِيعِ وَقَالَ لَهُ : هَلْ دَفَعْتَ لِلْمَدْنَى^(٣) مَا أَمْرَنَا بِهِ ؟ قَالَ : أَخْرَنَى
عِلَّةً يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : أَضْعِفْهَا لَهُ وَعِجْلَهَا .

(١) تَرْزَلُ الشَّيْءُ وَتَرْزَلُ عَنْهُ : تَنْحِي (٢) رَجُلٌ مَذِيقٌ : كَذَوْبٌ (٣) النَّسْبَةُ إِلَى مَدِينَةِ
الرَّسُولِ : مَدْنَى ، وَإِلَى مَدِينَةِ الْمُنْصُورِ مَدِينَةٌ .

* ١٦٧ — فطنة كاتب المنصور

قال أبو جعفر المنصور للمهدي يوماً : قد عزمتُ على أن أوليك الأمرَ وأرده إليك ، فقد كبرتُ وعجزت عن مباشرة الأعمال والنظر فيها ، وأحببتُ الراحة والدَّعة . فخرج المهدي إلى أبي عبيد الله^(١) مستبشرًا ، وعرفه ماعرضه عليه أبو جعفر ، فقال له أبو عبيد الله : اتق الله ولا تظاهر لأمير المؤمنين قبولاً لما ذكرك به ، وإذا عاودكَ فقل له : لا والله ، لا أتعَرضُ لهذا الأمر ما أبقى الله أمير المؤمنين؛ ولا أنهضُ له ، فإنه إنما سَبَرك^(٢) بما عَرَضَ عليك .

فلا دخل المهدي على أبي جعفر قال له : يا بابا عبد الله ، هل فكرتَ في اقتله لك ، أو شاروتَ أحداً فيه ؟ فقال : مابي من قوة على ذلك ، ويُبَقِّي الله أمير المؤمنين ، ويتعننا بحياته . فقال له : سبحان الله ! من صدَّك عنه ومن ناظرت فيه ؟ فقال له شاورتُ معاوية^(٣) . قال : فأيّ شيء قال لك ؟ فعرَفَه ما قال له ، فأطرق هنْيَةً ثم قال : على معاوية .

فلا دخل عليه قال له : ماهذا الذي ناظرَك^(٤) فيه ابن عبد الله^(٥) ؟ وكيف رأيت إلا يقبل ؟ قال : أصدقك وأنا آمن ؟ فقال له : هات : ولم لا تصدقني ؟

* الوزراء والكتاب : ١٢٨ .

(١) هو أبو عبيد معاوية بن عبيدة بن يسار من أهل فلسطين . كان كاتب أبو جعفر في الإنفاق والتصرف في بيت المال وقد ضمه إلى المهدي حين أتته هذه إلى الرى . (٢) سبَر الجرح : نظر ما غوره . (٣) هو أبو عبيد الله . (٤) المخالفة : أن تناظر أخاك في أمر إذا ظرفاً فيه معاً كيف تأتيانه . (٥) اسم المهدي محمد بن عبد الله .

فقال له : إله والله ما عرضتَ عليه ماعتْرِضَه وأنت تُريدُ أن توليه ، وإنما أردتَ
أن تخبر عقله ، وما كفتَ لتطيب نفساً بتركِ ما أنت فيه .

فقال له : وكيف توهتَ ذلك ؟ قال : لأنّي سمعتك تقول : إنّي أستيقظ
بالليل فأدعو بالكتب ، فأضعها بين يدي ، وأدعو بوصيف فاصره أن يمرّخ^(١)
ظهرى بالدهن ، فيفعل ذلك ، وأنا مقبلٌ على كتابي وتدبرى ، والنظر في أمورى ؛
علمتُ أنك لا تدع شيئاً يكون موقعه منك هذا الموقع وتؤثر به غيرك .
فقال : ما كفتُ أرى أن أحداً يتقدّم ماتفقّدَه ، وقد أصبتَ الرأى وأحسنت .

بارك الله عليك !

(١) يمرّخ : يدهن .

* ١٦٨ — حِيلَة طَرِيفَة

قال داود بن الرشيد : قلت لـَهُمْ بن عدى : بأى شىء استحقَ سعيدُ بن عثمانَ أَنْ وَلَاهُ الْمَهْدِيُّ القضاء ، وأتزلَكَ منه تلك المنزلة الرفيعة ؟ قال : إنَّ خبرَه في اتصاله بالـَّهُدِي طَرِيف ، فإنَّ أَحَبَبْتَ شرحتُه لك ، قلت : والله قد أَحَبَبْت ذلك ، قال :

اعلم أنه وافى الربعَ الحاچبَ حين أفضت الخلافةُ إلى المهدى، فقال : استأذنْ لي على أمير المؤمنين . فقال له الربعُ : من أنت ؟ وما حاجتك ؟ قال : أنا رجل قد رأيتُ لأمير المؤمنين رؤيا صالحة ، وقد أَحَبَبْتُ أن تذَكُّرَني له . فقال له الربع : ياهذا ؟ إنَّ القوم لا يصدقُون ما يرونَه لأنفسهم ، فكيف ما يراهُ لهم غيرهم ! فاحتلَ بجميلة هي خير لك من هذه . فقال له : إنَّ لم تخبره بـَكَانِي سألتَ منْ يوصلني إليه ، فأخبرته أني سأَلُوكَ الإذن عليه فلم تفعل .

فدخل الربع على المهدى ، فقال له : يا أمير المؤمنين ؟ إنكم قد أطمعتم الناسَ في أنفسكم ، فقد احتالوا لكم بكل ضرب . قال له : هكذا صُنِعَ الملوث . فما ذاك ؟ قال : رجلٌ بالباب يزعم أنه قد رأى لأمير المؤمنين رؤيا حسنة ، وقد أَحَبَّ أن يقصها عليه . فقال له المهدى : ويحيك ياربيع ! إنَّ والله أرى الرؤيا لنفسي ، فلا تصحَّ لي ، فكيف إذا أدعاهما منْ لعنه قد افتعلها . قال : والله قلتُ له مثل هذا فلم يقبل . قال : هات الرجل .

فأدخل إليه سعيد ، وكان له رؤية وجمال وسروة ظاهرة ، ولِحْيَةٌ عظيمة

ولسان . فقال له المهدى : هات ، بارك الله عليك ! ماذا رأيت ؟ قال : رأيت يا أمير المؤمنين آتياً أتاني في مناي فقال لي : أخبر أمير المؤمنين المهدى أنه يعيش ثلاثين سنة في الخلافة ، وآية ذلك أنه يرى في ايمنته هذه في منامه كأنه يُقلّب يواقعية ؛ ثم يعودها فيجددها ثلاثين ياقوتة ؛ كأنها قد وُهبت له .

قال المهدى : ما أحسن مارأيت ! ونحن نتعجب روياك في ليلتنا المقبلة على ما أخبرتنا به ، فإن كان الأمر على ما ذكرت أعطيناك ماتريد ، وإن كان الأمر بخلاف ذلك لم نعاقبك ، لعلنا أن الرويا ياربنا صدقتك ، وربما اختلفت .

قال له سعيد : يا أمير المؤمنين ؛ فما أنا صانع الساعة إذا صرت إلى منزلي وعيالي فأخبرتهم أنى كنت عند أمير المؤمنين ، ثم رجعت صفرأ^(١) ؟ قال له المهدى : فكيف نعمل ؟ قال : يعجل لى أمير المؤمنين ما أحب ؛ وأحلف له أنى قد صدقت فأمر له بعشرة آلاف درهم ؛ وأمر أن يؤخذ منه كفيل ليحضر من غد ذلك اليوم . ققبض المال ، وقيل له : من يكفل^(٢) بك ؟ فدعا عينيه إلى خادم فرآه حسن الوجه والزى . فقال : هذا يكفل بي . فقال له المهدى : أتَكفل به ؟ فاحمر وجهك ، وقال : نعم . وكفل به وانصرف .

فلمَا كان في تلك الليلة رأى المهدى ما ذكره له سعيد حرفًا بحرف ، وأصبح سعيد في الباب ، واستاذن فاذن له ، فلما وقعت عين المهدى عليه قال : أين مصادق ماقلت لنا ؟ قال له سعيد : وما رأى أمير المؤمنين ؟ قال له المهدى : قد والله رأيت ذلك . فقال له سعيد : الله أكبر ! فأنجز يا أمير المؤمنين ما وعدتني به . قال له : حبّاً وكراهة . ثم أمر له بثلاثة آلاف دينار ، وعشرة تختوت^(٣) ثياب ، وثلاثة مراكب من نفس دوابه حلاة ، فأخذ ذلك وانصرف .

(١) الصفر : الحال . (٢) الكفيل : الضامن .

(٣) التخت : وعاء تصان فيه الثياب .

فلحق به الخادم الذي كان قد كفَلَ به ، وقال له : سألك بالله ؟ هل كان هذه الرؤيا التي ذكرتها من أصل ؟ فقال له سعيد : لا والله ! قال الخادم : كيف وقد رأى أمير المؤمنين ما ذكرته له ؟ قال : هذا مما لا يأبه به أمثالكم ، وذلك أنني لما أقيمتُ إليه هذا الكلام خطر بياله ، وحدثت به نفسه ، وشغل به فكريه ، فساعة نام خيَّلَ له ما حمل في قلبه ، وما كان شغل به فكريه في المنام .

فبُهتَ الخادم ، وتتعجب ، فقال له سعيد : قد صدقتك ، وجعلت صدقك لك مكافأتك على كفالتك ؟ فاستر على . ففعل .

ثم طلب المهدى لمنادمه ، فنادمه ، وحظى عنده ، وقلده القضاء على عسكره .

فلم يزل كذلك حتى مات المهدى !

١٤٤ - الأمين والأمون بين يدي الرشيد*

قال محدث : إن الرشيد ناظر يحيى بن خالد ؛ أى ولديه يعهد إليه ، وعلم يحيى ابن خالد ميله إلى أم جعفر وإيثاره هواها ؛ فقال : أمير المؤمنين أعلم بولده ، وكان الأمون والأمين حاضرين ، فأغرى^(١) كل واحد منها بالآخر ، فأسرع^(٢) الأمين وحُمّلَ الأمون ، ثم أمرها بالمصارعة ، فوثب الأمين ، وثبت الأمون جالساً . فقال له الرشيد : مالك اليوم يا عبد الله ! أخافت ابن الماشية ؟ أما إنه لأيّد^(٣) ، فقال الأمون : هو كاذب أمير المؤمنين ، ولكنني لم أخفة ، ولكن قبض يدى عنه ما قبض لسانى حيف نال مني . فقال الرشيد : وما الذى قبض يدىك ولسانك عنه ؟ قال : قول الأموي لبنيه متمثلاً^(٤) :

انفوا الصفائن ^(٥) بينكم وتواصلوا عند الأبعد والحضور الشهد وَدَمَارُكُمْ بِتَقْطُعٍ وَتَفَرَّدٍ إِنَّ الْقَدَاحَ إِذْ جَمَعَ وَرَاهَا عَزَّتْ لَمْ تُكْسِرْ وَإِنْ هَىَ بَدَتْ فَمَثَلْ رَبِّ الْدَّهْرِ أَلْفٌ بَيْنَكُمْ حَتَّىْ تَائِنَ جَلُودُكُمْ وَقُلُوبُكُمْ	فَصَلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ طَوْلُ بُقَائِكُمْ بِالْكَسْرِ ذُو حَنْقٍ وَبِطْشٍ أَيْدِ فَالْوَهْنُ وَالتَّكْسِيرُ لِلتَّبَدِّدِ بِتَعَاطُفٍ وَتَرَاحُمٍ وَتَوَدٍ لَسُودُكُمْ وَغَيْرُ مَسُودٍ
--	--

* أبناء نجباء الأبناء : ١١٣

(١) أغري بينهم : سلط أحدهم على الآخر . (٢) أسرع : أى أسمعه قوله مكروها .

(٣) أيّد : شدید . والأيّد : القوة . (٤) الآيات أنشدها عبد الملك يوصى بها ولده .

(٥) الصفائن : الأحقاد .

فرق الرشيد رقة شديدة ، واغرورقت عيناه بالدموع ، ثم تشدّد وَكَفَّكَهَا^(١)
وأقبل على الأمين ، وقال : يا محمد ؟ ما أنت صانع إن صرف الله إليك أمر
هذه الأمة ؟ قال : أكون مهديها يا أمير المؤمنين . فقال الرشيد : إن تفعل فأنت
أهل ذلك .

ثم أقبل على المأمون وقال له : يا عبد الله ؟ ما أنت صانع إن صرف الله إليك
أمر هذه الأمة ؟ فابتدرت دموع المأمون ، وفطن الرشيد لما أبكاه ، فلم يملأ
عينيه فأرسلهما ، وبكي يحيى ؛ فلما قضوا من البكاء أرْبَأَ^(٢) بكى الأمين لبكائهم ،
فأعاد الرشيد المسألة للمأمون . فقال : أغْفِنِي يا أمير المؤمنين من ذلك . فقال :
عزّتُ عليك لقولك ، فقال : إن قدَّرَ الله ذلك أجعل الحزن شعاراً^(٣) ،
والحزن دِثاراً ، وسيرة أمير المؤمنين مَشْعراً لا تستَحِلْ حرماته ، وكتاباً لا تبدِّل
كلماته .

فأشار إلَيْهِما بالانصراف ، فذهبَا ، ثم أقبل على يحيى بن خالد فأنسد بيت
صَخْرَ بن عمرو بن الشريد السُّلْمَيِّ أخى اخْنَسَاء ، وهو قوله :
أَئُمُّهُ بِأَمْرِ الْحَزْمِ لَوْ أَسْتَطِعْهُ^(٤) وقد حِيلَ بين العِيرِ والْتَّرْوَانِ
قال يحيى بن خالد : هيأ الله لأمير المؤمنين من أمره رشداً .

(١) كَفَّكَهَا : كَفَهَا . (٢) الأرب : الحاجة . (٣) الشعار : ما ولَى الجسد من الثياب ،
والدنار : ما فوق ذلك . (٤) العير : حمار الوحش . التروان : الوثوب . والبيت مثل ، وأول
من قاله صخر .

١٧٠ - قَمَرًا مَجْدِي وَفَرَعَا خِلَافَةُ *

قال السكسياني^(١) :

دخلت على الرشيد ، فلما قضيت حق التسaim والدعاء ، وثبتت للقيام ، فقال : اقعد ، فلم أزل عنده حتى خف عامّة من كأن في مجلسه ، ولم يبق إلا خاصته ، فقال لي : يا على ؟ ألا تحب أن ترى محمدًا وعبد الله^(٢) ! قلت : ما أشوقني إليهما يا أمير المؤمنين ، وأمرتني بمعاينة نعمة الله على أمير المؤمنين فيهما .

فأمر بإحضارها ، فلم ألبث أن أقبلاكوكي أفق ، يزينهما هدوء ووقار ، وقد غصّاً بآصارها ، وقاربا خطوهما ، حتى وقفنا على باب المجلس ، فسلمنا على أبيهما بالخلافة ؟ ثم قالا : تم الله على أمير المؤمنين نعمه ، وشفعهما بشكره ، وجعل ما قبله من هذا الأمر أحد عاقبة ، ولا كدر عليه ما صفا ، فقد صرت للمسلمين ثقة ؛ إليك يفرعون في أمرهم ، ويقصدون في حواجتهم .

فأمرها بالدنو منه ؛ فصيّر محمدًا عن يمينه وعبد الله عن يساره ، ثم التفت إلى فقال : يا على ؟ مازات ساهراً مفكراً في معانى أبيات قد خفيت على ! قلت : إن رأى أمير المؤمنين أن ينشدنيها ! فأنشدني :

قد قلت قولاً لغраб إذا حجلٌ عليك بالقُودِ المساييفِ الأولِ

* تندَّ ما شئتَ على غيرِ عجلٍ *

* المسعودي : ٢ - ٢٧١ ، معجم الأدباء : ١٣ - ١٧٣ ، المحسن والمتساوي : ٤٤٠ .

(١) اسمه علي بن جزوة وأصله من فارس أشهر نحاة الكوفة وأحد القراء السبعة ، استقدمه الخلفاء العباسيون ليعلم أبناءهم ، وألف كثيرة من الكتب في النحو والقراءات والأدب والتوادر ، توفي سنة ١٨٩ هـ . (٢) محمد الأمين وعبد الله المأمون أبا الرشيد .

فقلت : نعم يا أمير المؤمنين ؛ إن العِير^(١) إذا فصلت من خَيْر ، وعليها التَّرُ ،
يقع الغراب^٢ على آخر العِير فيطردُها السَّوَاق ؛ يقول : تقدم إلى أوائل العِير ؛
فكل على غير عجل . والقُود : الطَّوال الأعناق . والمسانيف : المتقدمة .
نعم أنسندي :

وإني وإنْ عَشَرْتُ مِنْ خَشِيشَةِ الرَّدَى نَهَافَ حَمَارَ إِنِّي لِجَزَوْع^(٣)
قلت : نعم يا أمير المؤمنين ؛ كان الرجل من العرب إذا دخل خَيْرًا كَبَّ
على أربع ، وعَشَرْ تَعْشِيرَ الْحَمَار ؛ وهو أن يَهْقَ عَشَرْ نَهَقَات مُتَقَابَعَات ، يَفْعَلْ ذَلِك
لِيدْفَعْ عَنْ نَفْسِهِ حُمَّى خَيْر .

نعم أنسندي قول الآخر :

أجَاعِلُ أَنْتَ بِيَقُورَا مُضْرِمَةً ذَرِيعَةً لَكَ بَيْنَ اللَّهِ وَالْمَطَرِ^(٤)
قلت : نعم ، كانت العرب إذا أبطأ المطر شدَّت العَشَر^(٤) والسلَّمَ ، وما
ضر باه من النبت في أذناب البقر وألهبوا فيه النار ، وشردوا البقر تفاؤلا
بالبرق والمطر .

نعم أنسندي لرجل آخر .

وَسِرْبِ مِلاِحِ قَدْ رَأَيْتُ وَجْهَهُمْ إِنَاثُ أَدَانِيهِ ، ذُكُورُ أَوَّلِهِ
فقلت : إنه يعني الأضراس .

نعم أنسندي قول الآخر :

فَإِنِّي إِذَنْ كَالْنُورِ يُضْرَبُ جَنْبَهُ إِذَا لَمْ يَعْفُ شَرْبًا وَعَافَتْ صَوَاحِيهِ
قلت : نعم ، كانت العرب إذا أوردت البقر ، فشربت الشيران وأبْتَ البقر
ضر بت الشيران حتى تشرب البقر ، وهو كما قال : « كالنور يُضرب لما عافت البقر » .

(١) العِير : الإبل التي تحمل المية . (٢) البيت لعروة بن الورد . (٣) اسم جم لبقرة ،
وفي النسان : « مسلعة » بدل مضرمة ، والبيت للورل الطائني . (٤) شجر لم يقتدح الناس في أجوده .

نُمْ أَنْشَدْنِي :

يُمْنَحَدِرٌ مِنْ رَأْسِ بَرْقَاءِ حَطَّةِ
تَذَكَّرُ بَيْنَ مِنْ خَبِيبِ مُزَّايلِ
قلَتْ : نَعَمْ ، يَعْنِي الدَّمْوَعْ . وَالْبَرْقَاءُ : الْعَيْنُ ؛ لَأْنَ فِيهَا سَوَادًا وَبَيَاضًا . وَحَطَّةُ :
أَسَالَهُ ، وَخَبِيبُ : مُحْبِبُ ، وَمُزَّايلُ : مُفَارِقُ .

فَوَثِبَ الرَّشِيدُ فَجَذَبَنِي إِلَى صَدْرِهِ ، وَقَالَ : اللَّهُ دَرَّ أَهْلَ الْأَدْبَرِ ! نُمْ دَعَا بِجَارِيَةِ
فَقَالَ لَهَا : احْمَلْنِي إِلَى مَنْزِلِ السَّكَانِيِّ حَمْسَةَ بَدْرٍ عَلَى أَعْنَاقِ خَمْسَةِ أَعْبُدِ يَلْزَمُونَ
خَدْمَتِهِ .

نُمْ قَالَ لِي : أَسْتَنْشِدُهَا - يَعْنِي ابْنِيَهُ - فَأَنْشَدَهُ مُحَمَّدُ الْأَمِينُ :

وَإِنِّي لَعَفْتُ الْفَقْرُ مُشْتَرِكُ الْغَنَى
وَشَكْلِي شَكْلٌ لَا يَقُومُ بِمُشْلِهِ
مِنَ النَّاسِ إِلَّا كُلُّ ذِي نِيَّةٍ مِثْلِي^(١)
تَأْنِقَهَا فِيمَا مَضَى أَحَدٌ قَبْلِي
لِنَفْسِي وَأَسْتَغْفِي بِمَا كَانَ مِنْ فَضْلِي
وَأَجْعَلُ مَالِي دُونَ عِرْضِي جَنَّةَ
وَأَنْشَدَنِي عَبْدُ اللَّهِ الْمَأْمُونُ :

بَكَرَتْ تَلُومُكَ مَطَاعِنَ الْفَجْرِ
وَلَقَدْ تَلُومُ بَغْيِ مَا تَدْرِي
إِذْ لَا يُحْكِمُ طَائِعًا أَمْرِي^(٢)
يُعْطِي إِذَا مَا شَاءَ مِنْ يُسْرِ
فَلَرْبَ مُغْتَبِطٍ بِمَرْزِيَّةٍ
يَعْطِي إِذَا مَا شَاءَ مِنْ يُسْرِ
وَمُفَجَّعٍ بِنَوَابِ الدَّهْرِ
نَحْرًا بِلَا ضَرَعٍ وَلَا غَرْ^(٣)
حَتَّى يَقُولَ لِنَفْسِهِ هَفَّا
فِي أَيِّ مَذْهَبٍ غَايَةِ أَجْرِي

(١) الْنِيَّةُ اسْمُ مِنْ تَنْوِقِ الْأَمْرِ : تَجْبُودُ وَتَأْنِقُ فِيهِ . (٢) حُكْمُ الْأَمْرِ : أَحْكَمَهُ .
(٣) الضَّرَعُ : مِنْ ضَرَعٍ : إِذَا ذُلَّ وَخُضِعَ . وَالغَرْ : مِنْ لَمْ يُجْرِبْ الْأَمْرَ ، وَبِالْتَّحْرِيكِ : الْحَقْدُ .

وَتَرِيْ قَنَاتِيْ حِينَ يُفِيزُهَا غَمْزَ الشَّقَافَ بِطِيْهَةَ الْكَسْرِ
ثُمَّ أَمْرَنِيْ أَنْ أَسْأَلُهُمَا ، فَفَعَلْتُ ؛ فَاسْأَلْتُهُمَا عَنْ شَيْءٍ إِلَّا أَحْسَنَاهُمَا الْجَوابَ فِيهِ
وَالخُرُوجُ مِنْهُ ، فَسُرْرَ بِذَلِكَ الرَّشِيدَ ، حَتَّى تَبَيَّنَتْهُ فِيهِ ، ثُمَّ قَالَ . يَا عَلِيُّ ؟ كَيْفَ تَرِيْ
مَذَهَبَهُمَا وَجَوَابَهُمَا ؟ فَقَلَّتْ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ هَا كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :

أَرِيْ قَرِيْ بَجِدٌ وَفَرْعَى خَلَافَةٍ يَزِينُهُمَا عَرْقٌ كَرِيمٌ وَمَحْتَدٌ
يَسْدَانَ آفَاقَ السَّمَاءِ بِشَيْمَةٍ يُؤْيِدُهَا حَزْمٌ وَعَصْبَ مُهَنَّدٌ
سَلِيلِيْنَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَحَازَرَى مَوَارِيثَ مَا أَبْقَى النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، هَا فَرْعَ زَ كَأَصْلِهِ ، وَطَابَ مَغْرِسُهِ ، وَتَمَكَّنَتْ فِي الثَّرِيْ
عَرُوْقَهُ ، وَعَذْبَتْ مَشَارِبَهُ ، أَبُوهَا مَلَكٌ أَغْرِيَ ، نَافَذَ الْأَمْرَ ، وَاسْعَ الْعِلْمَ ، عَظِيمُ الْحَلْمِ ،
فَهُمَا يَسْتَضِيئَانَ بِنُورِهِ ، وَيَنْطَقَانَ بِلِسَانِهِ ، وَيَتَقَلَّبَانَ فِي سَعَادَتِهِ ، فَأَمْتَعَ اللَّهُ أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ بِهِمَا ، وَآتَسَ جَمِيعَ الْأَمْمَةِ بِيَقَائِهِ وَبِقَائِهِمَا ! فَإِنَّ رَأَيْتَ أَحَدًا مِنْ أَوْلَادِ الْخَلْفَاءِ
وَأَغْصَانَ هَذِهِ الشَّجَرَةِ الْمَبَارَكَةِ أَذْرَبَ^(١) مِنْهُمَا لِسَانًا ، وَلَا أَعْذَبَ كَلَامًا ، وَلَا أَحْسَنَ
أَفْلَاظًا ، وَلَا أَشَدَّ اقْتِدَارًا عَلَى تَأْدِيَةِ مَا حَفَظَا وَرَوَيَا ؛ وَدَعَوْتُ لَهُمَا دُعَاءً كَثِيرًا ،
وَأَمَّنَ الرَّشِيدَ عَلَى دُعَائِي ، ثُمَّ ضَمَّهُمَا إِلَيْهِ ، وَجَمِيعَ يَدِيهِمَا فَلَمْ يَسْطُطُهَا حَتَّى رَأَيْتُ
الدَّمْوَعَ تَنْحَدِرُ عَلَى صَدْرِهِ ؛ رَقَّةً عَلَيْهِمَا وَإِشْفَاقًا . ثُمَّ أَمَرْتُهُمَا بِالخُرُوجِ .

فَلَمَّا خَرَجَا أَقْبَلَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : كَأْنَكُمَا - وَقَدْ حُمِّلَ الْقَضَاءُ ، وَنَزَّلَتْ مَقَادِيرُ
السَّمَاءِ ، وَبَلَغَ الْكِتَابُ أَجْلَهُ ، وَاتَّهَى الْأَمْرُ إِلَى وَقْتِهِ الْمَحْدُودُ ، وَحِينَهُ الْمَسْطُورُ ، الَّذِي
لَا يَدْفَعُهُ دَافِعٌ ، وَلَا يَنْعِمُ مَنْهُ مَانِعٌ - قَدْ تَشَتَّتَ أَمْرُهُمَا ، وَافْتَرَقَتْ كَلِمَتَهُمَا ، وَظَهَرَ
تَعَادِيهِمَا ، ثُمَّ لَمْ يَبْرُحْ ذَلِكَ بِهِمَا حَتَّى تَسْفَكَ الدَّمَاءُ ، وَتَكُثُرَ القَتْلُ ، وَتَهُنَّكَ
سُتُورُ النِّسَاءِ ، وَيَتَمَّنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْيَاءِ أَنْهُمْ فِي عَدَادِ الْمَوْتِ ! قَلَّتْ : أَيْكُونُ ذَلِكَ

(١) الترب : الحديد اللسان .

يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لِأَسْرِ رَأْيِهِ، أَوْ لِرُؤْيَا؛ أَوْ لِشَيْءٍ تَبَيَّنَ لَكَ فِي أَصْلِ مُولَدِهَا، أَوْ لِأَثْرٍ
وَقَعَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي أَسْرِهَا؟ فَقَالَ: لَا؛ بَلْ أَثْرٌ صَحِيفٌ؛ حَلْتَهُ الْعُلَمَاءُ، عَنِ الْأَوْصِيَاءِ
عَنِ الْأَنْبِيَاءِ!

* ١٧١ — قَرَّةَ آعَيْنَ *

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْهَاشِمِيِّ ^(١):

كَانَتْ أُمُّ جَعْفَرٍ بْنِ يَحْيَى تَزُورُ أُمَّى؛ وَكَانَتْ لَبِيبَةً مِنَ النِّسَاءِ، حَازِمَةً فَصِيمَةً
بَرْزَةً ^(٢) يُعْجِبُنِي أَنْ أَجَدَهَا عِنْدَ أُمَّى فَأَسْتَكِنَّهَا مِنْ حَدِيثِهَا؛ فَقَلَتْ لَهَا يَوْمًا:
يَا أُمَّ جَعْفَرٍ؛ إِنْ بَعْضَ النَّاسِ يَفْضُلُ جَعْفَرًا عَلَى الْفَضْلِ، وَبَعْضُهُمْ يَفْضُلُ الْفَضْلَ
عَلَى جَعْفَرٍ، فَأَخْبَرَنِي. قَالَتْ: مَا زَلْنَا نَعْرِفُ الْفَضْلَ لِلْفَضْلِ. فَقَلَتْ: إِنَّ أَكْثَرَ
النَّاسِ عَلَى خَلْفِ هَذَا. قَالَتْ: سَاحِدْنُكَ وَاقْصِ أَنْتَ - وَكَانَ ذَلِكَ الَّذِي
أَرْدَتُ مِنْهَا.

قَالَتْ: كَانَا يَوْمًا يَلْعَبَانِ فِي دَارِي، فَدَخَلَ أَبُوهُنَا فَدَعَا بِالْفِدَاءِ وَأَحْضَرَهَا
فَطَمَّا مَعَهُ، ثُمَّ آتَسْهُمَا بِحَدِيثِهِ وَقَالَ لَهُمَا: أَتَلْعَبَانِ بِالشَّطَرِ نَجْ؟ فَقَالَ جَعْفَرٌ - وَكَانَ
أَجْرَاهَا: نَعَمْ! قَالَ: فَهُلْ لَا تَلْعَبَ أَخَاكَ بِهَا! قَالَ جَعْفَرٌ: لَا. قَالَ: فَالْعِبَابَا بَهَا بَيْنَ
يَدِي لَأَرِي لِمَنِ الْغَلَبُ، فَقَالَ جَعْفَرٌ: نَعَمْ! وَكَانَ الْفَضْلُ أَبْصَرَ مِنْهَا بِهَا، فَخَيَّهَا
بِالشَّطَرِ نَجْ، فَصُفِّتْ بَيْنَهُمَا، وَأَقْبَلَ عَلَيْهَا جَعْفَرٌ، وَأَعْرَضَ عَنْهَا الْفَضْلُ.
فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ: مَالِكُ لَا تُلْعَبَ أَخَاكَ؟ فَقَالَ: لَا أَحْبَ ذَلِكَ. فَقَالَ جَعْفَرٌ: إِنَّهُ

* أَنْبَاءُ نَبِيَّنَا : ١٣٠

(١) هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ صَاحِبِ صَلَاتِهِ السَّكُونَةِ . (٢) الْبَرْزَةُ مِنَ النِّسَاءِ : الَّتِي تَظَهَرُ
النَّاسُ وَيَجْلِسُ إِلَيْهَا الْقَوْمُ، وَمَنْ مَعَ ذَلِكَ عَفْيَةُ عَاقِلَةٍ .

يرى أنه أعلم بها مُنْيٌ فِي أَنْفٍ مِّنْ مُلَاعِبِي ؛ وَأَنَا الْأَلَعِبُ مُخَاطِرٌ^(١) .
قال الفضل : لا أفعل . فقال أبوه : لاعبه وأنا معك . فقال جعفر : رضيت^٢
وأبى الفضل واستعنني أباه فأغفاه .

ثم قالت لي : قد حدثتك فاقض ، فقلت : قد قضيت^٣ بالفضل لجهنم على أخيه .
قالت : لو علمت أنك لا تحسن القضاء لما حكمت ، أفلاترى أن جعفرًا قد سقط
أربع سقطات تزهـ الفضل عنـهـ . فسقط حين اعترـفـ على نفسه بأنه يلعب
بالشـطـرـ نـجـ ، وكان أبوه صاحـبـ جـدـ . وسقط في التزام ملاعبة أخيه ، وإظهار الشهـوةـ
لـنـلـبـهـ ، والتـعـرـضـ لـغـضـبـهـ . وسقط في طلب المقاـسـةـ وإظهـارـ الحـرـصـ عـلـىـ مـالـ أـخـيهـ .
والرابـعةـ قـاصـمـةـ الـظـهـرـ حين قال أبوه لأخيهـ : لاعـبـهـ وـأـنـاـ معـكـ ، قالـ أـخـوهـ : لاـ ،
وقـالـ هـوـ : نـعـمـ ؟ فـنـاصـبـ^(٤) صـفـاـ فـيـهـ أـبـوـهـ وـأـخـوهـ .

فـقـاتـ : أـحـسـنـتـ وـالـلـهـ ، وـإـنـكـ لـأـقـضـيـ مـنـ الشـعـبـ^(٥) ! نـمـ قـلـتـ هـاـ : عـزـمتـ
عـلـيـكـ أـخـبـرـيـ ؟ هـلـ خـفـيـ مـثـلـ هـذـاـ عـلـىـ جـعـفـرـ وـقـدـ فـطـنـ لـهـ أـخـوـهـ ؟ فـقـالـتـ : لـوـلاـ
الـعـزـمـ^(٦) لـمـ أـخـبـرـتـكـ ، إـنـ أـبـاـهـ لـمـ خـرـجـ قـلـتـ لـلـفـضـلـ خـالـيـةـ بـهـ : مـاـ مـانـعـكـ مـنـ
إـدـخـالـ السـرـورـ عـلـىـ أـبـيـكـ بـمـلاـعـبـةـ أـخـيـكـ ؟ فـقـالـ : أـمـرـانـ : أـحـدـهـاـ لـوـ لـاعـبـتـهـ
لـغـلـبـتـهـ فـأـخـجلـتـهـ ، وـالـثـانـيـ قولـ أـبـيـ : لـاعـبـهـ وـأـنـاـ مـعـكـ ؟ فـماـ يـسـرـئـنـيـ أـنـ يـكـونـ أـبـيـ مـعـيـ
عـلـىـ أـخـيـ . ثـمـ خـلـوـتـ بـجـعـفـرـ فـقـلـتـ لـهـ : يـسـأـلـ أـبـوـكـ عـنـ اللـعـبـ بـالـشـطـرـ نـجـ فـيـصـمـتـ
أـخـوـكـ وـتـعـرـفـ ، وـأـبـوـكـ صـاحـبـ جـدـ ! فـقـالـ : إـنـ سـمـعـتـ أـبـيـ يـقـولـ : نـعـمـ آهـوـ الـبـالـ
الـسـكـدـودـ^(٧) ! وـقـدـ عـلـمـ مـاـ نـلـقـاهـ مـنـ كـدـ التـعـلـمـ وـالتـأـدـبـ ، وـلـمـ آمـنـ أـنـ يـكـونـ بـلـغـهـ أـنـاـ

(١) المخاطرة : المراهنة . (٢) ناصـبـ الصـفـ : وـقـفـ إـزـاءـهـ وـعـادـاهـ . (٣) الشـعـبـ
أـحـدـ رـجـالـ الـحـدـيـثـ وـالـقـضـاءـ . (٤) عـزـمـ عـلـيـهـ : أـقـسـ ، وـعـزـمتـ عـلـيـكـ : أـىـ أـمـرـتـكـ أـمـراـ
جـداـ ، وـهـيـ الـعـزـمـ . (٥) كـهـ : أـجـهـدـهـ وـأـتـبـهـ .

لعل بـهـا وـأـن يـنـادـرـ فـيـنـكـرـ ، فـبـادـرـتـ بـالـإـفـارـ إـشـفـاقـاـ عـلـىـ نـفـسـيـ وـعـلـيـهـ ؛ وـقـاتـ :
إـنـ كـانـ توـبـخـ فـدـيـتـهـ مـنـ الـمـواجهـةـ بـهـ .

فـقـلتـ لـهـ : يـاـ بـنـيـ ؟ فـلـمـ تـقـولـ أـلـاعـبـهـ مـخـاطـرـةـ ؟ كـأنـكـ تـقـامـرـ أـخـاـكـ وـتـسـكـنـ
مـالـهـ ! فـقـالـ : كـلـاـ ، وـلـكـنـهـ يـسـتـحـسـنـ الدـوـاـةـ الـتـيـ وـهـبـهـاـ لـأـمـيرـ الـمـؤـمـنـينـ فـعـرـضـتـهـاـ
عـلـيـهـ ؛ فـأـبـيـ قـبـوـلـهـ ، وـطـمـعـتـ أـنـ يـلـاعـبـنـيـ فـأـخـاطـرـهـ عـلـيـهـاـ ، وـهـوـ يـغـلـبـنـيـ فـتـطـيـبـ
نـفـسـهـ بـأـخـذـهـ .

فـقـلتـ لـهـ : يـاـ أـمـاهـ ؛ مـاـ كـانـتـ هـذـهـ الدـوـاـةـ ؟ فـقـالـتـ : إـنـ جـمـفـرـ دـخـلـ عـلـىـ أـمـيرـ
الـمـؤـمـنـينـ فـرـأـيـ بـيـنـ يـدـيـهـ دـوـاـةـ مـنـ الـعـقـيقـ الـأـحـمـرـ مـحـلـةـ بـالـيـاقـوتـ الـأـزـرـقـ وـالـأـصـفـرـ ،
فـرـآـهـ يـنـظـرـ إـلـيـهـاـ فـوـهـبـهـاـ لـهـ . فـقـلتـ : إـيـهـ .

فـقـالـتـ : ثـمـ قـلـتـ لـجـمـفـرـ : هـبـكـ اـعـتـذـرـتـ بـمـاـ سـمـعـتـ ؟ فـمـاـ عـذـرـكـ مـنـ الرـضاـ
بـمـنـاسـبـةـ أـبـيـكـ حـينـ قـالـ : لـاعـبـهـ وـأـنـ مـعـكـ ؟ فـقـلتـ أـنـتـ : نـعـمـ ، وـقـالـ هـوـ : لـاـ . فـقـالـ :
عـرـفـتـ أـنـهـ غـالـبـيـ ، وـلـوـ فـتـرـ لـعـبـهـ لـتـغـالـبـتـ مـعـهـ ، مـعـ مـالـهـ مـنـ الشـرـفـ وـالـسـرـورـ بـتـحـيـثـ
أـبـيـ إـلـيـهـ .

قال محمد بن عبد الرحمن : قـلـتـ : بـخـ بـخـ^(١) ! هـذـهـ وـالـلـهـ السـيـادـةـ ! ثـمـ قـلـتـ
لـهـ : يـاـ أـمـاهـ ، أـكـانـ مـنـهـمـاـ مـنـ بـلـغـ الـحـلـمـ ؟ فـقـالـتـ : يـاـ بـنـيـ ، أـيـنـ يـمـذـهـبـ بـكـ ؟
أـخـبـرـكـ عـنـ صـبـيـنـ يـلـعـبـانـ فـتـقـولـ : أـكـانـ مـنـهـمـاـ مـنـ بـلـغـ الـحـلـمـ ! لـقـدـ كـنـتـاـ نـهـيـ
الـصـبـيـ إـذـاـ بـلـغـ الـعـشـرـ وـحـضـرـ مـنـ يـسـتـحـىـ مـنـهـ أـنـ يـقـسـمـ !

(٢) يـقـالـ : بـخـ بـخـ ، لـمـجـابـاـ بـالـشـئـ ، وـلـظـهـارـاـ لـلـسـرـورـ بـهـ .

* ١٧٢ — حيلة وآلِ

بلغ الرشيد أن موسى بن عيسى^(١) وكان أميراً على مصر من قبله - عازم على خلقه ، فقال : والله لا أعزّلَنَّه بآخْسَنَ مَنْ على بابِي ! وقال ليحيى بن خالد^(٢) : اطلب لـ كاتباً عفيفاً يصلح لعمل مصر ، وأكتم خبره ، فلا يشعر به موسى حتى يُفجَّأَ ، فقال : قد وجدته ، قال : من هو ؟ قال : عمر بن مهران^(٣) .

فكتب له بخطه كتاباً إلى موسى بتسليم العمل إليه ، فسار وليس معه غير غلام أسود على بغل استأجره ؛ ومعه خُرُوجٌ فيه قيص وطيلسان^(٤) وخفٌّ !

فلما وصل إلى مصر نزل خانًا ، فأقام فيه ثلاثة أيام يبحث عن أخبار البلد ، وعَنَّ فيه من العمال ؛ وأخبر من كانوا يجواره في الخان أنه قد وُلى مصر ؛ واستعمل منهم كاتباً و حاجباً و صاحب شرطة ، وقلد آخر بيت المال ؛ وأمر من تبعه ووثق به أن يدخل معه على موسى ، فإذا سمعوا حركة في دار الإمارة قبضوا على الديوان .

فلما أبرم أمره بـ كـ بـ كـ إلى دار الإمارة ؛ فأذن موسى للناس إذنًا عاماً ، فدخل في جملتهم ومن اتفق معهم ، وموسى جالس في دسته^(٥) ، والقوادُ بين يديه ، وكلُّ من قضيَت حاجته ينصرف . وعمرُ جالس ، وال الحاجبُ ساعة بعد ساعة يسأله عن حاجته ، وهو يتغافلُ ، حتى خف الناس ، فتقدَّم ، وأخرج كتابَ الرشيد ودفعه

* غرر الحصائص : ٤٤ ، النجوم الزاهرة : ٢ - ٧٨ :

(١) هو موسى بن عيسى الأمير الباسى ، ولـ إمرة مصر على الصلاة سنة ٢٧١ هـ ، ثم عزله الرشيد وولاه ثانية سنة ١٧٤ هـ وعزل سنة ١٧٦ هـ ، وكان عاقلاً جواداً ممدوحاً . (٢) يحيى ابن خالد : وزير هارون الرشيد . (٣) كان عمر قائدًا للجيش كاتباً للخراج كما كان مديرًا للأملاك الدولة . (٤) الطيلسان : نوع من الأكسيـة .

(٥) الدست : صدر البيت .

لموسى ؛ فقبَّله ووضعه على رأسه ، ثم فتحه وقرأه فانتقَع^(١) لونه ؛ وقال : السمع والطاعة .

ثم قال : أفرى أبا حفص السلام ، وقل له : كُنْ بِمَوْضِعِكَ حَتَّى تَتَخَذَ لَكَ مَنْزَلًا ، ونَأْمَرَ الْجَنَدَ يَسْتَقْبِلُوكَ ! أَنَا عُرَبَانُ بْنُ مَهْرَانَ ، وَقَدْ أَمْرَنِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ أَقِيمَكَ لِلنَّاسِ وَأَنْصِفَ الظَّالِمَةِ مِنْكَ ، وَأَنَا فَاعِلُ مَا أَمْرَنِي بِهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ !

فقال له موسى : أَثْتَ عُمَرَ بْنَ مَهْرَانَ ! قال : نعم ! قال : لعنة الله فرعون حيث قال : أَلِيسْ لِي مَلْكُ مِصْرَ ؟ وَاضْطَرَبَ الْمَجْلِسُ .

فَقَبَضَ عَلَى الْدِيَوَانَ ؛ وَنَزَلَ مُوسَى عَنْ فَرْشِهِ ، وَقَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ! هَكَذَا تَقُومُ السَّاعَةَ ! مَا ظَنَنتُ أَنْ أَحَدًا بَلَغَ مِنِ الْحِيلَةِ وَالْحَزْمِ مَا بَلَغْتَ ؛ تَسْلِمَتْ مِنِ الْعَمَلِ ، وَأَنْتَ فِي مَجْلِسِي !

ثُمَّ نَهَضَ عُمَرُ إِلَى الْدِيَوَانَ ، وَنَظَرَ فِيهِ ، وَأَمْرَ وَنَهَى ، وَعَزَلَ وَوَلَى .

(١) انتقَع لونه : تغير .

* ١٧٣ — أعطني على قدرِي

دخل رجلٌ بدويٌّ عليه شَعْثُ السفر ، على داود^(١) المُهلي - وكان إذا حضرَ الطَّعامُ يتقدّمُ بِصَرْفِ الْبَوَابَينِ ، ولا يمنعُ من الوصول إلى طعامه - فلما فرغ من الطعام وثبَ قَاعِمًا وأوى إِلَيْهِ ، وقال : من أنتَ يا فتى؟ قال : شاعرٌ قَصَدْتُكَ بِأَيْيَاتٍ من الشِّعرِ . قال داود : مهلاً قليلاً ، ثم دعا بقوسٍ فأوتَرَهَا^(٢) ، وأوى إِلَيْهِ ، وقال له : قل ، فإنْ أنتَ أَحْسَنَتَ خلعتُ وأَجْزَلتُ ، وإنْ أَخْطَلْتَ رَمِيتُكَ بِهَذَا السَّهْمِ يقعُ فِي أَيِّ مَوْضِعٍ يقعُ فِيهِ ؛ فَبَسْمِ الْبَدْوِيِّ ،

وقال :

أَمْتُ بِداودِ وَجُودِ يَمِينِي
منَ الْخَدِيثِ الْمَرْهُوبِ وَالْبُؤْسِ وَالْفَقْرِ
وَلَا حَدَّنَا نَا إِنْ شَدَّدْتُ بِهِ أَزْرِي
وَأَصْبَحْتُ لَا أَخْشَى بِداودِ نَبَوَةً
لَهُ حُكْمُ لَعْمَانِ وَصُورَةُ يُوسُفَ
كَمَا يَهْرُبُ الشَّيْطَانُ مِنْ لَيْلَةِ الْقَدْرِ
فَقَوْسُكَ قَوْسُ الْجَوْدِ ، وَالْوَتْرُ النَّدِيُّ
فَضَحِّكَ داودُ وَرَمَيَ بِسَهْمِهِ مَعَ الْقَوْسِ مِنْ يَدِهِ ، وَقَالَ : يَا فَتَى الْعَرَبِ ؟ بِاللَّهِ
هَلْ كَانَ ذَكْرُ الْقَوْسِ فِي الْأَيَّاتِ ؟ فَقَالَ : لَا وَاللَّهِ ! فَفَرَحَ بِذَلِكَ ، وَقَالَ : يَا فَتَى

* المختار من نوادر الأخبار - خطوط .

(١) هو داود بن يزيد بن حاتم المُهلي أمير من الشعراء ، كان والياً على إفريقية ، وبقي في إمارتها تسعه أشهر ، ثم ولاه الرشيد السندي ، فاستقرت له أمورها ، واستمر بها إلى أن توفي سنة ٤٠٥ هـ : (٢) أوت قوسه : جعل لها وترًا .

العرب ؟ بالله أيما أحب إلينك : أعطيك على قدرك أم على قدرِي ؟ قال : بل على
قدري ! قال : كم على قدرك ؟ قال : مائة ألف درهم ، فأمر له بها .
ثم قال : ما منعك أن تقول على قدرِي ؟ فقال : أيها الأمير ؟ أردتُ أن أقول
ذلك ، فإذا الأرض لم تساو قدرَ الأمير ، فطلبتُ على قدرِي ! فقال : الله درك ! والله
إن نثرك لأحسن من نظِمك ! وأمر له بمائة ألف ثانية ، وأمره لا ينقطع عنه .

١٧٤ — ظاهر بن الحسين والمأمون*

لما اتَّقْبَضَ طَاهِرُ^(١) بْنَ الْحَسِينِ بِخَرَاسَانَ عَنِ الْمَأْمُونِ، وَأَخْذَ حِذْرَهُ أَدَبَّهُ
الْمَأْمُونَ وَصَيَّفَ^(٢) بِأَحْسَنِ الْآدَابِ، وَعَلَمَهُ فَوْنَ الْعِلْمِ، ثُمَّ أَهَدَاهُ إِلَيْهِ مِنْ الْطَّافِ
كَثِيرًا مِنْ طَرَافَ الْعَرَاقِ، وَقَدْ وَاطَّاهُ عَلَى أَنْ يَسْمَهُ، وَأَعْطَاهُ سُمْ سَاعَةً، وَوَعَدَهُ
عَلَى ذَلِكَ بِأَمْوَالٍ كَثِيرَةً.

فَلَمَّا اتَّهَى إِلَى خَرَاسَانَ، وَأَوْصَلَ الْمَهْدِيَّةَ قَبْلَ طَاهِرَ الْمَهْدِيَّةِ، وَأَمْرَ بِإِنْزَالِ
الْوَصِيفِ فِي دَارِهِ، وَأَجْرَى عَلَيْهِ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنَ التَّوْسِعَةِ؛ وَتَرَكَهُ أَشْهَرًا.

فَلَمَّا بَرَمَ الْوَصِيفَ بِمَكَانِهِ كَتَبَ إِلَيْهِ :

يَا سَيِّدِيْ ؛ إِنْ كُنْتَ تَقْبِلُنِي فَاقْبِلْنِي، وَإِلَّا فَرَدَّنِي إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ !
فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ، وَأَمْرَ بِإِدْخَالِهِ؛ فَلَمَّا اتَّهَى إِلَى بَابِ الْمَجْلِسِ الَّذِي كَانَ فِيهِ أَمْرُهِ
بِالْوَقْوَفِ عَنْدَ بَابِ الْمَجْلِسِ، وَقَدْ جَلَسَ عَلَى لِبْدِ أَيْضُ وَقَرَعَ^(٣) رَأْسَهُ، وَبَيْنَ
يَدِيهِ مَصْحَفٌ مُنْشَورٌ، وَسِيفٌ مُسْلَولٌ . فَقَالَ : لَقَدْ قَبَلْنَا مَا بَعَثْتَ بِهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ
غَيْرَكَ ؛ فَإِنَا لَا نَقْبِلُكَ، وَقَدْ صَرْفْنَاكَ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَيْسَ عَنْدَنِي جَوَابٌ
أَكْتَبْهُ إِلَّا مَا تَرَى مِنْ حَالِي، فَأَبْلَغْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ السَّلَامَ؛ وَأَعْلَمَهُ بِالْحَالِ الَّتِي
رَأَيْتَنِي فِيهَا .

* العقد الفريد : ١ - ٢٥٩ .

(١) كان طاهر بن الحسين أَكْبَرُ مَنْ اشتَهِرَ فِي عَهْدِ الْمَأْمُونِ بِقِيَادَةِ الْجَيْشِ وَيُعَنِّ التَّقْيَةِ وَبَعْدِ
الصَّيْتِ، وَهُوَ الَّذِي قُتِلَ الْأَمِينُ سَنَةَ ١٩٨ هـ وَلَا مَأْمُونٌ خَرَاسَانَ، وَكَانَ مُسْتَقْلًا بِهَا، يُؤْدِيُ الْخَرَاجَ
عَنْ عَمَلِهِ بِهَا، وَتَفَسِّيرُ عَلَيْهِ الْمَأْمُونُ حِينَهُ بِلْفَهُ أَنَّهُ امْتَنَعَ عَنِ الدُّعَاءِ لِهِ عَلَى النَّبْرِ، وَتَوَفَّ بِمَرْوَرِ
سَنَةِ ٢٠٧ هـ (٢) الْوَصِيفُ : الْحَادِمُ وَالْحَادِمَةُ . (٣) فَرَعْ رَاسَهُ : ضَرْبَهُ بِالْحَصَّا .

فَلَمَّا قَدِمَ الْوَصِيفُ عَلَى الْمُؤْمِنِ، وَكَلَّمَهُ بِمَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِ، وَوَصَّفَ لَهُ الْحَالَ الَّتِي
رَأَاهُ فِيهَا شَاورٌ وَزَرَادِهِ فِي ذَلِكَ؟ وَسَأَلَهُمْ عَنْ مَعْنَاهِ فَلَمْ يَعْلَمُهُ وَاحِدٌ مِنْهُمْ، فَقَالَ الْمُؤْمِنُونَ:
إِنَّكُمْ قَدْ فَهَمْتُمْ مَعْنَاهُ: أَمَا تَقْرِيْعُهُ رَأْسِهِ وَجْلُوسِهِ عَلَى الْلَّبْدِ الْأَيْضُ فَهُوَ يُخْبِرُنَا أَنَّهُ
عَبْدٌ ذَلِيلٌ. وَأَمَا الْمَصْحَفُ الْمُنْشَوَرُ فَإِنَّهُ يَذَّكَّرُنَا بِالْعَهْوَدِ الَّتِي لَهُ عَلَيْنَا، وَأَمَا السَّيْفُ
الْمُسْلُولُ فَإِنَّهُ يَقُولُ: إِنْ نَكَثْتَ تَلْكَ الْعَهْوَدَ فَهَذَا يَحْكُمُ بَيْنِيْ وَبَيْنَكَ. أَغْلَقُوا عَنِّا
بَابَ ذَكْرِهِ، وَلَا تَهْيِجُوهُ فِي شَيْءٍ؛ فَلَمْ يَهْجُهُ الْمُؤْمِنُ حَتَّى مَاتَ!

١٧٥ - هَمْتُ بِالْأَوْطَافِ وَجَدْأَ بِهَا *

سمع طاهر بن الحسين عوف بن محمد^(١) الخزاعي ينشد شعراً يقول فيه :

عَجِبْتُ لِخَرَافَةِ ابْنِ الْحَسَيْنِ كَيْفَ تَعُومُ وَلَا تَفْرَقُ
وَبَحْرَانِ : مِنْ تَحْتِهَا وَاحِدٌ وَآخِرٌ مِنْ فَوْقَهَا مُطْبِقٌ
وَأَعْجَبٌ مِنْ ذَاكَ عِيدَانَهَا وَقَدْ مَسَهَا كَيْفَ لَا تُورِقُ !

فأدخله ، وأنشده إياها ؛ ثم اختصه بمنادته ؛ واختاره لمسامره ؛ وكان لا يخرج
في سفر إلا آخر جه معه ؛ وجعله زميله وأبيسه وعديله ، وكان عوف يستاذنه في
الانصراف إلى أهله ووطنه ، فلا يأذن له ، ولا يسمح به ، فلما مات طاهر ظن أنه
قد تخلص ؛ وأنه سيتركه يلحق بأهله ، ويرجع إلى وطنه ، فقربه عبد الله بن طاهر
من نفسه ؛ وأنزله منزلته من أبيه - وكان عبد الله أديباً فاضلاً عالماً بأخبار الناس -
فلا وقف على أدب عوف وفضله تمسك به ؛ وأفضل عليه حتى كبر ماله ، وحسن
حاله ، وتلطفت بجهده أن يأذن له عبد الله في المود إلى وطنه ، فلم يكن إلى
ذلك سبيل !

وَحَفَزَهُ الشَّوْقُ إِلَى أَهْلِهِ، وَأَهْمَهُ أَمْرُهُمْ، فَاتَّفَقَ أَنْ خَرَجْ عَبْدُ اللَّهِ مِنْ بَغْدَادِ
يَرِيدُ خَرَاسَانَ، فَصَيَّرَ عَوْفًا عَدِيلَهُ^(٢)، يَسْتَمْقِعُ بِمَسَامِرِهِ، وَيَرْتَاحُ إِلَى مَحَادِثِهِ،
إِلَى أَنْ دَنَّا مِنَ الرَّسَى^(٣)؛ فَلَمَّا شَارَفَهَا سَمِعْ صَوْتَ عَنْدَ لَيْبِ يَغْرِدُ بِأَحْسَنِ تَغْرِيدٍ،

* معجم الأدباء : ١٦ - ١٤٠ .

(١) أحد العلماء الأدباء الرواة النداماء الشعراء ، اختصه طاهر بمنادته فبقى معه ثلاثة سنين لا يفارقه . وتوفي نحو سنة ٢٢٠ هـ .

(٢) عديله : يقال عادله في الحمل ، أي ركب معه . (٣) كانت مدينة عظيمة فتحها نعيم بن مقرن في خلافة عمر ، وهي الآن أطلال على مسافة خمسة كيلومترات من طهران

وأشجَى صوت ؟ فأعجب عبد الله بصوته ، والتقت إلى عوف بن حمْل ، فقال له :
يابن حمْل ؟ هل سمعتَ قطُّ أشجَى من هذا الصوت وأطربَ منه ؟ فقال : لا والله
أيها الأمير ! وإنَّ لحسنَ الصوت شجيَ النَّفَمَةِ ، مطربُ التغريد ، فقال عبدالله :
قاتلَ الله أباً كبيِرَ حيث يقول :

أَلَا يَحْمَمَ الْأَيْكَ إِلَّا فُكَ حَاضِرٌ وَغُصْنُكَ مَيَادٌ فِيمَ تَنُوحُ
أَفِقٌ لَا تَنُوحُ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ إِفَانِي بَكِيتُ زَمَانًا وَالْفَوَادُ صَحِيحٌ
وَلَوْعًا^(١) فَشَطَّتْ غُرْبَةً دَارُ زَيْنَبِ فَهَانَا أَبْكَى وَالْفَوَادُ قَرِيجٌ
قال عوف : أحسنَ والله أبو كبيِر وأجاد . ثم قال : أصلاح الله الأمير ؛ إنه
كان في الهدَلين مائةً وثلاثون شاعرًا ، ما فيهم إلا مُلقٌ ، وما كان فيهم مثلُ
أبي كبيِر ؟ فإنه كان يُندِعُ في شعره ، ويُفْهِمُ آخر قوله وأوله ، وما شئْ أبلغ في
الشعر من الإبداع فيه !

قال عبد الله : أقسمتُ عليكِ إِلَّا أجزَتَ شَعْرَ أبي كبيِر ! قال عوف : أصلاحَ
الله الأمير ! قد كبرت سنتَيْ ، وفني ذهْنِي ، وأنكَرْتُ كُلَّ ما كنْتُ أعرفُ !
قال عبد الله : سأُلْتُك بحقِّ طاهرِ إِلَّا فعلتَ ! وكان لا يُسَأَلُ بحقِّ طاهر شيئاً إِلَّا ابْتَدَرَ
إِلَيْهِ . فلما سمعَ عَوْفٌ ذلكَ أَنْشأَ يقول .

أَفَ كُلَّ عَامٍ غَرْبَةٌ وَزُرْوَحٌ أَمَّا لِلنَّوَى مِنْ وَنِيَةٍ^(٢) فَتُرِيجُ !
لقد طَلَحَ^(٣) الْبَيْنُ الْمُلْسِتُ رَكَابِيَ فَهَلْ أَرِينَ الْبَيْنَ وَهُوَ طَلِيحٌ
فَنُخْتُ وَذُو الْبَثِّ الغَرِيبُ يَنْوَحُ وَأَرَقَنِي بِالرَّى نَوْحُ حَمَامَةٍ
عَلَى أَنْهَا نَاحَتْ وَلَمْ تُذَرِ^(٤) دَمْنَةً وَنُخْتُ وَأَسْرَابُ الدَّمْوَعِ سُفُوحُ

(١) ولوعاً : مصدر ولم به : استخفف شوقاً .

(٢) الونية : الفترة . (٣) طلح : أعيماً . (٤) لم تذر : لم ترسل من عينها دمعة ،
وأنسراب الدموع : جماعاتها . سفوح : مصدر سفح الدمع كنعت : صبيته ، أو سفح الدم : النصب

وَنَاحَتْ وَفِرْخَاها بِحِيْثُ تَرَاهَا
 وَغُصْنُكَ مَيَادُ فَقِيمْ تَنْسُوحٌ
 فَيُلْقِي عَصَا التَّطْوَافِ وَهِيَ طَرِيحٌ
 وَعَدْمُ الْغَنِيِّ بِالْمُقْتَرِينَ طَرْمُوحٌ
 يَفْتَعِبُ عَبْدُ اللَّهِ ، وَرَقَ لَهُ وَجْرَتْ دَمْوَعَهُ ، وَقَالَ لَهُ : وَاللَّهِ إِنِّي لَضَنِينٌ
 حَافِرًا إِلَى رَاجِعًا إِلَى أَهْلَكَ ، ثُمَّ أَمْرَ لَهُ بِثَلَاثَيْنِ أَلْفَ دَرْهَمٍ . قَالَ يَمْدُحُ عَبْدَ اللَّهِ أَبَاهُ:
 يَا بْنَ الَّذِي دَانَ لَهُ الْمُشْرِقَانَ
 قَدْ أَحْوَجْتُ سَمِيعِي إِلَى تَرْجُمَانَ
 وَكُفْتُ كَالصَّعْدَةِ تَحْتَ السَّنَانَ
 وَهُمْ هُمُ الْجَبَانِ الْهِدَانَ
 مُقَارَبَةً وَثَنَتْ مِنْ عِنَانِي
 إِلَى لِسَانِي ، وَحَسْبِي لِسَانِي !
 عَلَى الْأَمِيرِ الْمُصَبِّيِّ الْمُهْجَانَ
 وَبِالْفَوَانِي ، أَيْنَ مِنْ الْفَوَانِي !
 مِنْ وَطَنِي قَبْلَ اصْفَارِ الْبَقَانِ
 ثُمَّ وَدَعَ عَبْدَ اللَّهِ ، وَسَارَ رَاجِعًا إِلَى أَهْلِهِ ؛ فَمَا قَبْلَ أَنْ يَصْلِيْهُمْ !

(١) التَّطْوَافُ : مَصْدَرُ طَافٍ : إِلَقاءِ عَصَا التَّطْوَافِ : كَنْيَةٌ عَنِ الْإِسْتِقْرَارِ وَتَرْكِ السَّفَرِ ، وَطَرِيقٌ بَعْنَى مَطْرُوحٍ . (٢) طَرْمُوحٌ : رَامٌ وَقَاذِفٌ ، صِيفَةٌ مَبَالَغَةٌ . وَالْمُقْتَرِينَ : الْمُضَيَّقُونَ عَلَى عِنَانِهِمْ فِي النَّفَقَةِ . (٣) اسْتَعِبُ : جَرَتْ عِبْرَتِهِ أَى دَمْعَتِهِ وَحَزَنَ . (٤) أَيْ بَنْ مِنْ حَمْ كَلْمَشِقَنْ ، وَأَحْلَلَ الْأَمْنَ فِي الْمَفْرِينَ . (٥) الشَّطَاطِ : الْطَّوْلُ وَحَسْنُ الْقَوْمَ أَوْ اعْتَدَالُهُ . وَالْحَنَاءُ : الْأَنْتَنَاءُ ، يَرِيدُ تَقْوِيسَ الظَّهَرِ . وَالصَّعْدَةُ : الْمُسْتَوِيَّةُ ، وَالسَّنَانُ : حَدِيدَتِهَا . (٦) الزَّمَاعُ : الْمَضَاءُ فِي الْأَمْرِ ، وَالْزَمِيمُ : الشَّجَاعُ الَّذِي يَزْمِنُ بِالْأَمْرِ ، ثُمَّ لَا يَنْتَقِي عَنْهُ ، وَالْهِدَانُ : الْأَحْقَنُ الشَّقِيلُ . (٧) الْعَنَانُ : سَبِيلُ الْجَامِ . (٨) الْمُهْجَانُ : الْحَسِيبُ . (٩) هَمَتْ بِالْأَوْطَانِ : أَحْبَبَتْهَا وَتَعْلَقَتْ بِهَا مِنَ الْوَجْدِ وَالْحَزَنِ ، وَالْفَوَانِي : جَمْ غَانِيَةٌ ، وَهِيَ الْمَرْأَةُ الْجَبَلِيَّةُ الدَّاعِمَةُ الْمُسْتَفْتِنَةُ بِجَمَالِهَا . (١٠) كَنْيَةٌ عَنِ الْمَوْتِ .

(٦ - ٢٦ - قَصْمَنْ - أَوْلَى)

١٧٦ — فراسة أعرابي*

قال أبو السمراء :

خرجنا مع الأمير عبد الله بن طاهر متوجهين إلى مصر ، حتى إذا كنا بين الرملة^(١) ودمشق إذا نحن بأعرابي قد اعرض ، فإذا شيخ فيه بقية ، على بغير له أوزق^(٢) ، فسلم علينا فرددنا عليه السلام ، وكان معنا إسحاق بن إبراهيم الراقي ، وإسحاق بن أبي ربى ، ونحن نسابر الأمير ، وكنا يومئذ أفرة^(٣) من الأمير دواب ، وأجود منه كسا^(٤) .

فجعل الأعرابي ينظر في وجوهنا ، فقلت : يا شيخ ؟ قد ألححت في النظر !
أعرفت شيئاً أم أنكرته ؟ قال : لا ، والله ما عرفتكم قبل يومي هذا ، ولا أنكرتكم
سوء أراه فيكم ؛ ولكني رجل حسن الفراسة في الناس ، جيد المعرفة بهم ؛
فأشرت له إلى إسحاق بن أبي ربى ، فقلت : ما تقول في هذا ؟ فقال :
أرى كاتباً داهي الكتابة بين عليه وتأديب العراق منير
له حركات قد يشاهدن إنه عليم بتقسيط الخراج بصير
ونظر إلى إسحاق بن إبراهيم الراقي ، فقال :
ومظهر نسكٍ ماعليه ضميره يحب المدايا بالرجال مَكُور

* عصر المؤمن : ١ - ٤١٣

(١) الرملة : خمسة مواضع ، أشهرها بلد الشام . (٢) الأوزق من الإبل : ما في لونه يناسب إلى سواد ، هو من أطيب الإبل لحمًا لا سيرأ . (٣) دابة فارهة : نشطة حادة قوية .
(٤) جم كسوة .

إخال به جيناً و بخلاً وشيمهً تُخبر عنه إنه لوزير

ثم نظر إلى ؟ وأنشا يقول :

وهذا نديم للامير وموئنس يكون له بالقرب منه سرور

وأحاسيبه للشعر والعلم راوياً ببعض نديم مرةً وسمير

ثم نظر إلى الأمير؛ وأنشأ يقول:

فـا إنـ له فيـن رـأـيـت نـظـيرـه وهذا الأمـير المرـتـجـي سـيـنـ(١) كـفـه

عليه رداء من جمال وهيبة ووجه يأدرك النجاح بشيء

لقد عُصِمَ الإسلامُ منه بذاته^(٢) به عاش معروفٌ ومات نكيرٌ

ألا إنما عبد الله بن طاهر لنا والد بريء بنا وأمير

فوقم ذلك من عبد الله أحسنًّا موقع ، وأعجبه ما قال الشيخ ، فأمر له بخسمائة

دینار، وأمره أن يصحبه!

(٢) الدائد : الحانى :

(١) السب : المطاء .

١٧٧ — ثابت الجنـان*

قال أحمد بن داود :

ما رأيت رجلاً عرض على الموت ، ورأى النّطع مفروشاً والسيف مسلولاً ، ولم يكتثر لذلك ؛ ولا عدَل به عما أراد إلا تميم بن جميل ؛ وقد كان خرج على المعتصم في أيام ذولته ، وترع يده من الطاعة ؛ وانقطع إلى بعض التواحي ؛ وكان قد عزم أمره على المعتصم ؛ ولقد رأيته وقد جيء به مكتوفاً أسيراً ، وقد اجتمع الناسُ من الآفاق والتواхи ينظرون كيف يقتله المعتصم ، وكان المعتصم قد جلس له مجلساً ؛ وأمر الناس بالدخول .

ودخل تميم ، وحضر السيف وفرش النّطع ، وكان تميم حميل الوجه تام الخلقية عذب المنطق ، فرأه المعتصم غير دهش ولا مكترث لما نزل به . فأراد أن يستنبطه ليعلم أين عقله في ذلك الوقت ! فقال له : يا تميم ؛ إن كان لك عذر فات به ، فقال :

أما إذ أذن أمير المؤمنين ؟ فالمحمد لله الذي جبر بك صدع^(١) الدين ، ولم ينك شعث^(٢) المسلمين ، وأثار بك سبيل الحق ، وأخمد بك شهاب الباطل ؛ إن الذنوب يا أمير المؤمنين تخرب الألسنة الفصيحة ، وتُويي الأفتدة الصحيمحة ، ووالله لقد كبر الذنب ، وعَظمت الجريمة ، وانقطعت الحجّة ، وساء الظن ، ولم يبق إلا عفوك أو انتقامتك ، وأنت إلى العفو أقرب ، وهو بك أشبه وأليق ، ثم أنسد :

* المختار من فوادر الأخبار - مخطوط ، نهاية الأربع : ٦ : ٦ : ٦١ .

(١) الصدع : الشق . (٢) الشعث : انتشار الأمر .

أرى الموتَ بين السيف والنقطع كاماً
وأكابرُ ظنّى أنك اليـوم قاتلي
وأى امرىٰ ما قضى الله يفـلتُ^(١)
وسيفُ للنـايا بين عينيه مصلـتُ^(٢)
لأعلم أنَّ الموتَ شـىءٌ مؤقتُ^(٣)
وأكـادُهـم من حـسـرـةٍ تـقـيـتُ
وقد حـمـشـوا^(٤) تلك الـوجـوه وصـوـتوا
أذـودُ الرـدـى عنـهـم، وإنـمـتُ مـوتـوا^(٥)

قال : فبـكـيـ المـعـصـمـ حـتـىـ اـبـتـلـتـ لـحـيـتـهـ وـقـالـ : إـنـ مـنـ الـبـيـانـ لـسـحـراًـ ، نـمـ قـالـ :
يـائـيمـ ؛ كـادـ السـيـفـ أـنـ يـسـبـقـ الـعـفـوـ ، وـقـدـ وـهـبـتـكـ لـلـهـ تـعـالـىـ وـلـصـيـبـيـتـكـ ، وـغـفـرـتـ
لـكـ الصـبـوةـ^(٦) ، نـمـ أـمـرـ بـكـ قـيـودـهـ ؛ وـعـقـدـ لـهـ الـوـلـاـيـةـ عـلـىـ مـوـضـعـهـ الـذـىـ كـانـ خـرـجـ
مـنـهـ ، وـوـصـلـهـ بـشـىـ كـثـيرـ .

(١) أـفـلتـ : تـخـلـصـ وـنـجـاـ . (٢) أـصـلـتـ السـيـفـ : اـسـتـلهـ مـنـ غـمـدـهـ . (٣) مـؤـقـتـ : مـقـدـرـ .

(٤) خـشـ وـجـهـ : اـطـمـهـ . (٥) مـوتـواـ : كـثـرـ فـيـهـ الـموـتـ . (٦) الصـبـوةـ : الـرـأـةـ .

١٧٨ — إسحاق الموصلى حَكَمَ * بين أبيه وابن جامع *

أَتَى إِسْحَاقُ أَبَاهُ إِبْرَاهِيمَ الْمُوصَلِيَّ يَوْمًا مُسْلِمًا فَقَالَ أَبُوهُ: يَا بْنِيَّ، مَا أَعْلَمُ
أَحَدًا بَلَغَ مِنْ بَرٍّ وَلَدَهُ مَا بَلَغَتُهُ مِنْ بَرَكَةٍ، وَإِنِّي لَأُسْتَقْلُ ذَلِكَ لَكَ، فَهَلْ مِنْ حَاجَةٍ
أَصِيرُ فِيهَا إِلَى مُحِبَّتِكَ! قَالَ: قَدْ كَانَ - جَعَلْتُ فَدَاكَ - كُلُّ مَا ذَكَرْتَ فَأَطَالَ اللَّهُ
بِقَاءَكَ! وَلَكِنِي أَسْأَلُكَ وَاحِدَةً: يَوْمُتُ هَذَا الشَّيْخُ غَدَأً أَوْ بَعْدَ غَدٍ وَلَمْ أَسْمَعْهُ،
فَيَقُولُ النَّاسُ لِي مَاذَا؟ وَأَنَا أَحْلُّ مِنْكَ هَذَا الْخَلُ! قَالَ لِي: وَمَنْ هُوَ؟ قَلْتَ:
ابْنُ جَامِعٍ. قَالَ: صَدِقْتَ، يَا بْنِيَّ أَسْرِجُوا^(١) لَنَا.

فَجَئْنَا ابْنَ جَامِعٍ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ أَبِيهِ وَأَنَا مَعْهُ؛ قَالَ: يَا أَبا القَاسِمَ، قَدْ جَئْنَتِكَ
فِي حَاجَةٍ فَإِنْ شَئْتَ فَاَشْتَمْنِي؛ وَإِنْ شَئْتَ فَاقْدِرْنِي، غَيْرُ أَنَّهُ لَا يَدْلِكُ مِنْ قَضَائِهَا،
هَذَا عَبْدُكَ وَابْنُ أَخِيكَ إِسْحَاقَ قَالَ لِي كَذَا وَكَذَا، فَرَكِبْتَ مَعَهُ أَسْأَلَكَ أَنْ تُسْعِفَهُ
فِيهَا سَأْلٌ. قَالَ: نَعَمْ، عَلَى شَرِيعَةِ تُقْيَامُ عَنْدِي أَطْعَمَكَ مَشْوَشَةً^(٢) وَقَلِيلَةً^(٣)،
وَأَسْقِيكَ وَأَغْنِيكَ، فَإِنْ جَاءَنَا رَسُولُ الْخَلِيفَةِ مَضِينَا إِلَيْهِ وَإِلَّا أَقْنَا يَوْمَنَا. قَالَ أَبِيهِ:
السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ! وَأَمْرُ بِالْمَوَابِ فَرُدَّتْ.

فَجَاءَنَا ابْنَ جَامِعٍ بِالْمَشْوَشَةِ وَالْقَلِيلَةِ فَأَكَلَنَا وَشَرَبَنَا، ثُمَّ انْدَفَعَ فَغَنَّانَا، فَنَظَرَتْ
إِلَى أَبِيهِ يَقْلُّ فِي عَيْنِي، وَيَعْظُمُ ابْنُ جَامِعٍ حَتَّى صَارَ أَبِيهِ فِي عَيْنِي كَلَاشِيَّ! فَلَمَّا

* الأغانى : ١ - ٩

(١) أَسْرِجُوا لَنَا: شدو على الحنيل سروجها لنركبها ..

(٢) المشوشة: زيت يضر بمريض البطن فيضم منه طعام دسم . (٣) القليلة: مرقة تتخذ من أكباد الجزر ولحومها .

طريناً غايةَ الطَّرَب جاءَ رسولُ الْخِلِيفَةِ ، فرَكِبَا ورَكِبَتُ معاهمَا ؛ فلما كنا في بعضِ
الطريقِ ، قالَ لى أبي : كيفَ رأيْتَ ابنَ جامِعَ يابْنِي ؟ قلتَ لهُ : أَوَ تُعْفِينِي - جعلَتْ
فداكَ ! قالَ : لستَ أَعْغَفُكَ فقلَ ، فقلَتُ لهُ : رأيْتَكَ - ولا شَيْءٌ أَكْبَرُ عَنْدِي مِنْكَ -
قدْ حَسَرْتَ فِي عَيْنِي فِي الغَنَاءِ مَعَهُ حَتَّى صَرَتْ كَلَاشِنِ .

ثُمَّ مَضَيَا إِلَى الرَّشِيدِ ، وَانْصَرَفَ إِلَى مَنْزِلِي - وَذَلِكَ لِأَنِّي لَمْ أَكُنْ بَعْدَ وَصْلَتِ
إِلَى الرَّشِيدِ - فَلَمَا أَصْبَحْتُ أَرْسَلْتُ إِلَى "أَبِي" فَقَالَ : يابْنِي ؟ هَذَا الشَّتَاءُ قَدْ هَجَمَ عَلَيْكَ
وَأَنْتَ تَحْتَاجُ فِيهِ إِلَى مَعْوِنَةٍ - وَإِذَا مَالَ عَظِيمٌ بَيْنَ يَدِيهِ - فَاصْرَفْ هَذَا الْمَالَ فِي
حَوَاجِنِكَ ، فَقَمَتْ فَقَبَلَتْ يَدَهُ وَرَأْسَهُ ، وَأَمْرَتْ بِحَمْلِ الْمَالِ وَاتَّبَعْتَهُ ؛ فَصَوَّتَ :
يَا إِسْحَاقَ ؟ ارْجِعْ ؟ فَقَالَ لِي : أَنْدَرِي لَمَّا وَهَبْتُ لَكَ هَذَا الْمَالَ ؟ قَلَتْ :
نَعَمْ ؛ جَعَلْتَ فَدَاكَ ! قَالَ : لَمَّا ؟ قَلَتْ : لَصِدْقٌ فِيْكَ وَفِي ابنِ جامِعَ ، قَالَ : صَدَقْتَ
يَا بْنِي ؟ امْضِ رَاشِدًا !

١٧٩ - البُحْرَى وَأَبُو قَامُ *

حدَّثَ الْبُحْرَى^(١) قال . أَوْلَى مَا رَأَيْتُ أَبَاتِمَ^(٢) أَنِّي دَخَلْتَ عَلَى أَبِي سَعِيدٍ مُحَمَّدَ بْنَ يَوسُفَ ، وَقَدْ مَدَحْتُه بِقُصْيَدَةٍ فَسُرَّ بَهَا أَبُو سَعِيدٍ ، وَقَالَ : أَحْسَنْتَ يَا فَتِي ، وَأَجَدْتَ !

وَكَانَ فِي مَجْلِسِهِ رَجُلٌ نَبِيلٌ رَفِيعُ الْمَلْسَ فَوْقَ مَنْ حَضَرَ عَنْهُ تَكَادُ تَسْعَ رَكْبَتَهُ رَكْبَتَهُ فَأَقْبَلَ عَلَيَّ ، ثُمَّ قَالَ : يَا فَتِي ؟ أَمَا تَسْتَحِي مِنِّي ! هَذَا شِعْرٌ لِي تَنْتَهِي لِهِ وَتَنْشَدُهُ بِحُضُرَتِي ! قَالَ لِهِ أَبُو سَعِيدٍ : أَحَقًا تَقُولُ ؟ قَالَ : نَعَمْ ! وَإِنَّا أَخَذْنَا مِنْ فَسْبَقِنِي بِهِ إِلَيْكَ وَزَادَ فِيهِ . ثُمَّ اندْفَعَ فَأَنْشَدَ أَكْثَرَ هَذِهِ الْقُصْيَدَةِ حَتَّى شَكَّكَنِي . - عَلَمَ اللَّهُ - فِي نَفْسِي وَبَقِيَتْ مُتَحِيرًا .

فَأَقْبَلَ عَلَيَّ أَبُو سَعِيدٍ فَقَالَ : يَا فَتِي ؟ قَدْ كَانَ فِي قَرَابَتِكَ لَنَا وَوْدٌ نَالَكَ مَا يَغْنِيَكَ عَنْهُ ذَلِكَ ! فَجَعَلَتْ أَحْلَفُ لَهُ بِكُلِّ مُحْرَجٍ مِنَ الْأَيْمَانِ أَنَّ الشِّعْرَ لِي مَا سَبَقْنِي إِلَيْهِ أَحَدٌ ، وَلَا سَمِعْتَهُ مِنْهُ وَلَا اتَّهَمْتَهُ . فَلَمْ يَنْفُعْ ذَلِكَ شَيْئًا .

وَأَطْرَقَ أَبُو سَعِيدٍ ، ثُمَّ دَنَمَنِي حَتَّى تَمَيَّتْ أَنِّي سُخْتُ فِي الْأَرْضِ ؛ فَقَمَتْ مُنْكَسِرَ الْبَالِ أَجْرُّ رَجُلٍ وَخَرَجَتْ .

فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ بَلَغَتِ الدَّارَحَى خَرَجَ الْغَلَمانَ فَرْدُونِي . فَأَقْبَلَ عَلَيَّ الرَّجُلُ فَقَالَ :

* الأغانى : ١٨ - ١٦٩

(١) هو الوليد بن عبادة الطائى ، كان شاعر امطبوعا ، قيل : إنه أشهر من استحق لقب شاعر بعد أبي نواس . مات سنة ٢٨٤ هـ (٢) هو حبيب بن أوس ، كان يعد رأس الطبقة الثالثة من شعراء المحدثين ، ولاه الحسن بن وهب بريد الموصل ، فاقام بها إلى أن مات سنة ٢٣١ هـ .

الشعرُ لك يابني" ، والله ما قلتُه قطّ ، ولا سمعتُه إلا منك ؛ ولكنني ظننتُ أنك تهاوَنتَ في موضعِي ؟ فأقدمتَ على الإنشاد بحضورِي ، من غير معرفةٍ كانت بيننا ، تريديْ بذلك مضاهاتي ومكاثرتي حتى عزفني الأمير نسبك وموضبك . ولو ديدت ألا تلدَ أبداً طائِيَّةً إلا مثلك .

وجعل أبو سعيد يضحك ، ودعاني أبو تمام وضمّني إليه وعانقني وأقبل يقرّ ظنِّي .
ولزمته بعد ذلك وأخذت عنه ، واقتديتُ به .

* فراسة عَضْد الدُّولَة * ١٨٠

قدمَ رجل إلى بغداد للحجّ ، وكان معه عِقد يساوي ألف دينار ، فاجتهد في بيعه ، فلم يَنْفُقُ ^(١) ؟ فجاء إلى عَطَّار موصوف بالخير ، فأودعه إياه ، ثم حجّ ، وعاد ، فأتاه بهدية ، فقال له العطار : من أنت ؟ وما هذا ؟ فقال : أنا صاحب العِقد الذي أودعتك إياه ؛ فما كله حتى رَفْسَهُ رَفْسَهُ رماه عن دُكَانِه ، وقال : تدَعُى على [َ] مثل هذه الدعوى !

فاجتمع الناس ، وقالوا للحجّ : ويلك ! هذا رجل خير ، وما وجدت من تدَعُى عليه إلا هذا ! فتحير الحاج وتردد إليه ، فما زاده إلا شتماً وضرباً . فقيل له : لو ذهبت إلى عَضْد الدُّولَة ؟ فله في هذه الأشياء فراسة !

فكتب قصته ، ورفعها لعَضْد الدُّولَة ، فصالح به فجاء ، فسألَه عن حاله ، فأخبره بالقصة ، فقال : اذهب إلى العَطَّار بِكُرْة ، واقعد على دَكَّته ^(٢) ، فإنْ منعك

* الأذكياء : ٣١ .

(١) نفق ينفق (بضم الفاء) : إذا كثُر مشتريوه . (٢) الدكة : بناء يُسْطَح أعلاه للقعود .

فأقعد على دكّةٍ تقابلها من بُشّرة إلى المغرب ولا تكلمه ، وافعل هكذا ثلاثة أيام ،
فإنى سأمرُّ عليك في اليوم الرابع ، وأقف وأسلم عليك ، فلا تقم لي ولا تزدْنِي على
رد السلام ، وجواب ما أَسأَلُكَ عنه ، فإذا انصرفت فأعيد عليه ذكر العقد ، ثم
أعلمك ما يقول لك ، فإن أعطاكمه فبُني به إلىَّ .

خاء إلى دُكَانِ العطار ليجلس فنهض ، نجلس على دكّةٍ تقابلها ثلاثة أيام ،
فما كان في اليوم الرابع اجتاز عضُّ الدولة في موكيه العظيم ؛ فلما رأى الخراسانيَّ
وقف وقال : سلامٌ عليكم ؟ فقال الخراسانيَّ - ولم يتحرّك : وعليكم السلام . فقال :
يا أخي ؟ تقدم فلا تأتي إلينا ولا تغرض حوانجك علينا ! فقال : كم اتفق ، ولم
يشبعه الكلام ، وعَضَدَ الدولة يسأله ، ويُحْفَى ^(١) وقد وقف ، ووقف العسكر كلهم ،
والطار قد أغمى عليه من التلوف .

فلما انصرف التفت العطار إليه . فقال : ويحك ! متى أودعنى هذا العقد ؟
وفي أي شيء كان ملفوقاً ؟ فذكّرني لعلى أذكره ؛ فقال : من صفتة كذا وكذا ،
فقام وفتش ، ورفض جرّةً عنده ، فوقع العقد ، فقال : قد نسيت ، ولو لم تذكّرني
الحال ما ذكرت ؟ فأخذ العقد ، ثم قال : وأي فائدة لي في أن أعلم عضَّ الدولة ؟
ثم قال في نفسه : لعله يريد أن يشتريه ! فذهب إليه فأعمله ، وبعث به مع الحاج
إلى دُكَانِ العطار ، فعلق العقد في عنق العطار ، وصلبه بباب الدكّان ، ونودى
عليه : هذا جزاء من استودع فجحد ^(٢) . فلما ذهب النهار أخذ الحاج العقد ،
فسلمه إلى الحاج ، وقال : اذهب به !

(١) أخفى السؤال : ردده . (٢) جحد : أنكر .

* ١٨١ — ملك لا تَعْتَصِمُ الطيور منه *

قصد المنصور بن عاصي رجل جوهرى من تجّار المشرق من مدينة عدن،
يجوهر كثير وأحجار نفيسة، فأخذ المنصور من ذلك ما استحسن؛ ودفع إلى التاجر
الجوهرى صرته - وكانت قطعة يمانية - فأخذ التاجر في انصرافه طريق الرملة
على شط النهر، فلما توسطها واليوم قاتظ؛ وعرقه منصب، دعوه نفسه إلى التبرد
في النهر، فوضع ثيابه وتلك الصرة على الشط، فترت حِداءً فاختطفت الصرة،
تحسّبها لحاماً، وطارت في الأفق ذاهبةً بها.

قامت قيمة التاجر؛ وعلم أنه لا يقدر أن يستدفه ذلك بمحيلة، فأسر الحزن
في نفسه، ولحقه لأجل ذلك علة اضطراب فيها، واستبان للمنصور ما بالرجل مِن
المهانة والكآبة، وقد ما كان عنده من النشاط وشدة العارضة، فسأله المنصور
عن شأنه، فأعلمه بقصته، فقال له: هلا أتيت إلينا حين وقوع الأمر فكنا
نستظره على ذلك بالحيلة! فهل هديت إلى الناحية التي أخذ الطائر إليها! قال:
بِرَّ شرقاً على سمت^(١) هذا الجبل الذي يلي قصرك - يعني الرملة.

فدعى المنصور شرطيه الخاص به، فقال: جئني بمشيخة أهل الرملة الساعية؛
بغضى وجاه بهم سريعاً. فأمرهم بالبحث عن غير حال الإقلال^(٢) منهم سريعاً،
وانطلق عن الإضافة دون تدرج، فتناولوا في ذلك، ثم قالوا: يا مولانا؛ ما نعلم
إلا رجلاً من ضعافنا كان يعمل هو وأولاده بأيديهم، وينتفاون السبق.

* نفح الطيب : ١ - ١٩٢

(١) السمت : الطريق . (٢) الإقلال : الفقر .

بأقدامهم ؟ عجزاً عن شراء دابة ، فابتاع اليوم دابةً وأكتسى هو ولده كسوة متوسطة .

فأمر بإحضاره من الغد ، وأمر التاجر بالغدو إلى الباب خضر الرجل بين يدي المنصور فاستدناه ، والتاجر حاضر ؛ وقال له : سبب ضاع منا وسقط إليك ، ما فعلت به ؟ قال : هاهو ذا يامولاي - وضرب بيده إلى حجزة ^(١) سراويله ، فأخرج الصرة بعينها - فصاح التاجر طرماً ، وكاد يطير فرحاً .

قال له المنصور : صفت لي حديثها . فقال : يينا أنا أعمل تحت نخلة إذ سقطت أمى فأخذتها ، ورافقى منظرها ، قلت : إن الطائر اختلسها من قصرك لقرب الجوار ، فاجترنت بها ، ودعتنى فاقتي إلى أخذ عشرة مثاقيل كانت معها مصروفة ، وقلت : أقل ما يكون في كرم مولاي أن يسمح لي بها .

فأعجب المنصور ما كان منه ، وقال للتاجر : خذ صرتكم ، وانظرها ، واصدقنى عن عددها . ففعل ، وقال : وحقك يا مولاي ، ماضع منها شيء سوى الدنانير التي ذكرها وقد وهبها له .

قال له المنصور : نحن أولى بذلك منك ولا ننفص عليك فرحاً ، ثم أمر التاجر بشرة دنانير عوضاً عن دنانيره ، وللرجل عشرة دنانير ثواباً له ، وقال : لو بدأنا بالاعتراف قبل البحث لأُسعناه جزاء !

فأخذ التاجر في الثناء على المنصور ، وقد عاوده نشاطه . وقال : لأبين في الأقطار عِظَمَ ملكلك ، ولأبين أنك مملك الطير ، فلا تعتصم منك ، ولا تؤذني جارك !

(١) الحجزة من السراويل : موضع التكية .

فضحك المنصور ، وقال : أقصد في قولك يغفر الله لك ! فعجب الناس من تلطف
المنصور في أمره وحيلته في تفريح كُرْبَتِه !

* ١٨٢ - صبيٌّ يهجو صبياً *

كان أبو بكر بن المخْل وأبو بكر الملاح متأخِّرين متضايقين ، وكان لها ابنان
صغيران قد برعا في الطلب ، وحاذا قصَبَ السَّبَقَ في حَلْبةَ الأدب ؛ فتهاجَى الابنان
باقْدَعِي الهجاء ، فركب ابن المخْل في سَهْرَ من الأسحار مع ابنه عبد الله ، فحمل
يعتب عليه على هجاء الملاح ، ويقول له : قد قطعتَ ما بيني وبين صديقي وصفي
أبي بكر في إقداعك بابنه !

قال له ابنه : إنه بدأني والبادي أظلم ، وإنما يجب أن يُلْحَى^(١) من بالشر
تقَدَّم ؟ فعذرَه أبوه .

فيينا ها كذلك إذ أقبلنا على وادٍ تَنْقُ فيه الصفادع ، فقال أبو بكر لابنه
أجزَ :

تنق صفادع الوادي

قال ابنه :

بصوت غـير معتاد

قال الشيخ :

كأنَّ تَقِيقَ مِقوَامًا

* نفح الطيب : ٢ - ٣٠١

(١) يلحى : يلام ويعذف .

قال ابنه :

بني العَلَاح فِي الْوَادِي

فَلَمَّا أَحْسَنَ الصَّفَادُعَ بِهِمَا صَنَّتْ ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ :
وَتَصَمَّتْ مُثْلَ صَنَّتِهِمْ

قال ابنه :

إِذَا اجْتَمَعُوا عَلَى زَادٍ

قال الشِّيخُ :

فَلَا غُوثٌ لِّتَلْهُوفٍ

قال الابنُ :

وَلَا غَيْثٌ لِّمَرْتَادٍ !

* ١٨٣ — رسولان

أقبل المستكفي يوماً على محمد بن محمد بن يحيى الكاتب، فقال له : أتعرّف بخبر
الحجاج بن يوسف مع أهل الشام ؟ قال : لا يا أمير المؤمنين ! قال : ذَكُرُوا أنَّ
الحجاجَ كان قد اجْتَبَى^(١) قوماً من أهلِ العراق وَجَدَ عندمِ من الْكِفَايَةِ مالمَ
يَجِدُّ عند مُخْتَصِيهِ من الشاميِّين ؛ فشقَّ ذلك على الشاميِّين ، وتَكَلَّمُوا فيهِ .

فبلغَ إِلَيْهِ كلامُهُمْ ؛ فركِبَ فِي جماعةِ من الفريقيِّين ، وأوْغَلَ بِهِمْ فِي الصحراءِ ،
فلاَحَ لَهُمْ مِنْ يُدْعَ قِطَار^(٢) إِبْلٌ ، فدعَاهُ رجلٌ مِنْ أهلِ الشامِ ، فقالَ لَهُ : امضِ فَاعرِفْ
مَا هَذِهِ الأَشْبَاحُ ؟ واسْتَفْصِرْ خَبْرَهَا . فلمَ يَلْبَثْ أَنْ جَاءَ وَأَخْبَرَهُ أَنَّهَا إِبْلٌ ، فَقَالَ :
أَنْجَلَهُمْ هِيَ أُمُّ غَيْرٍ مُحَمَّلَةٌ ؟ قَالَ : لَا أَدْرِي ؛ وَلَكَنِّي أَعُودُ وَأَتَعْرِفُ ذَلِكَ !

وقد كان الحجاج أَتَبَعَهُ بِرَجُلٍ آخَرَ مِنْ أَهْلِ الْعَرَاقِ ، وَأَسْرَهُ بِمِثْلِ مَا كَانَ قد
أُمِرَّ بِهِ الشَّاعِيَّ ، فَلَمَّا رَجَعَ إِلَيْهِ الْعِرَاقَ ، أَقْبَلَ عَلَيْهِ الحَجَاجُ - وَأَهْلُ الشَّامِ يَسْمَعُونَ -
فَقَالَ : مَا هِيَ ؟ قَالَ : إِبْلٌ ، قَالَ وَكَمْ عَدْدُهَا ؟ قَالَ : ثَلَاثُونَ . قَالَ : وَمَا تَحْمِلُ ؟
قالَ : زَيْتُنا . قَالَ : مَنْ أَيْنَ صَدَرْتَ ؟ قَالَ : مِنْ مَوْضِعِ كَذَا . قَالَ : وَمَنْ رَبَّهَا ؟
قالَ : فَلَانَ .

فَالْتَّفَتَ إِلَى أَهْلِ الشَّامِ فَقَالَ :

أَلَامُ عَلَى عَمْرُو وَلَوْمَاتُ أُونَّاَيِّ لَقَلَّ الَّذِي يُغْنِي غَنَاءَكَ يَا عَمْرُو

* المُسَعُودِيُّ : ٢ - ٥٤١

(١) اجْتَبَاهُ : اخْتَارَهُ (٢) القِطَارُ : أَنْ تَشَدَّدَ الإِبْلُ عَلَى حَقِّهِ ، وَاحْدَادُ حَلْفٍ وَاحِدٍ .

فقال ابنُ يحيى : قد قال يا أميرَ المؤمنين بعضُ أهلِ الأدبِ في
هذا المعنى :

شرُّ الرسولين من يحتاجُ مُرْسِلُهُ منه إلى العَوْدِ ، والأمرانِ سِيَّانٌ .
كذاك ما قال أهلُ العلم في مَثَلِه : طرِيقُ كُلٌّ أخْي جَهَنَّمْ طرِيقَانِ
ثم قال المستكفي : ما أحسنَ ما وصفَ البحترى الرسولَ بالذَّكاء بقوله :
وَكَانَ الذَّكَاء يَبْعَثُ مِنْهُ فِي سَوَادِ الْأَمْرِ شُعْلَةً نَارَ

اتهى البابُ الخامسُ ، وهو آخرُ الجزءِ الأولِ

(٢٣ قصص - أول)

١ - فهرس القصص

الباب الأول

في القصص التي تستعين بها مظاهر حياتهم، وأسباب مدنיהם؛ بذكر أسواقهم وأجلاب تجاراتهم؛ والمساكن التي كانت تؤويهم، وسائل ما كان على عهدهم من دلائل الحضارة ووسائل المعاش:

العنوان	الصفحة	رقم القصة
فوس حاجب بن زراة	٨	١
فتكة البراض	١٠	٢
حياة آل جفنة	١٢	٣
الأعشى والخلق	١٤	٤
أحكام الشعراء في عكاظ	١٦	٥
عند كسرى	١٨	٦
عند النجاشي	٢٠	٧
رسول الله في سوق عكاظ	٢٢	٨
ال الكريم طروب	٢٤	٩
الأعراب في جهدهم وضنك عيشهم	٢٦	١٠
حفل غناء	٢٨	١١
الفناء يحيي القلب	٣٧	١٢
ضربٌ من التمثيل	٣٩	١٣

العنوان	الصفحة	رقم القصة
وفود ابن مسجع على عبد الملك بن مروان	٤٠	١٤
دعاية للوطن	٤٣	١٥
أى الأم أعقل؟	٤٤	١٦
قرآن العلية	٤٧	١٧
في قصور بني أمية	٥٢	١٨
في دار الفضل بن الريبع	٥٤	١٩
المتصم في يوم العيد	٥٩	٢٠
رسُل الروم عند الناصر	٦٢	٢١
ليلة بِمالقة	٦٥	٢٢

الباب الثاني

في القصص التي تتضمن معتقداتهم وأخبار كُهانهم وكواهفهم، وتبسط ما كانوا يعرفون من حقائق التوحيد والبعث، والدار الآخرة ، وما كانوا يتولون به من إقامة الأوثان ، وتمهد لها بألوان الزلفي والقربان :

العنوان	الصفحة	رقم القصة
قوم عاد يستسقون بِمكَة	٧٠	٢٣
زيد بن عمرو يتلمّس الدين الصحيح	٧٢	٢٤
النعمان بن المنذر يتنصر	٧٣	٢٥
طَرِيقَةُ الْكَاهِنَةِ	٧٤	٢٦
عُفِيراء ومرثد بن عبد كلآل	٧٨	٢٧

العنوان	الصفحة	رقم القصة
كاهنة بني سعد	٨١	٢٨
كَهانة سَطِيح	٨٤	٢٩
مضريع العُزَى	٨٧	٣٠
أممية بن أبي الصلت ورؤيا شقّ القدر	٨٨	٣١
أُم الْعَوَامِ !	٩٠	٣٢
عمارة بن الوليد والسواحر	٩٢	٣٣
في حفر زمزم	٩٥	٣٤
سيف بن ذي يزن والبشرة برسول الله	٩٨	٣٥
بشرة بحيري	١٠٢	٣٦
في بعثة رسول الله	١٠٤	٣٧
تطير للنصرور	١٠٧	٣٨
النصرور تُنْعَى إِلَيْهِ نَفْسَهُ	١٠٩	٣٩
رؤيا الرشيد	١١٠	٤٠
تطير الأمين	١١٣	٤١
ذنب لا يطمع صاحبُه في غُفرانه	١١٥	٤٢
طِيرَة ابن الرومي	١١٦	٤٣
تطير الرشيد بن المعتمد	١١٨	٤٤
رؤيا	١٢٠	٤٥

باب الثالث

القصص التي تخلو علومهم ومعارفهم ، وتتوضح منها ثقافتهم ، وما كان متداولاً بينهم من مسائل الفضل والنفل ؛ التي هدتهم إليها فطرهم ، أو أنجزوها إليهم تجربتهم :

رقم القصة	الصفحة	العنوان
٤٦	١٢٢	فراسة أبناء نزار
٤٧	١٢٥	ارعنى واحذرى
٤٨	١٢٦	طب الحارث بن كلدة
٤٩	١٣١	حديث قس بن ساعدة مع ملك الروم
٥٠	١٣٧	أغرابى في سفر
٥١	١٣٨	في موت رسول الله
٥٢	١٤٠	عيادة لهب
٥٣	١٤٢	أبو النشانش ولهب
٥٤	١٤٣	غраб يبشر بموت الحجاج
٥٥	١٤٤	صدق الراجر
٥٦	١٤٦	علم المؤمن وسعة معارفه
٥٧	١٤٨	وفود الفارابي على سيف الدولة

الباب الرابع

القصص التي يُرِى بها ما كانوا يَتَغْنُونَ به من المكارم والملائكة ، وما كانوا يتذمرون به من الناقص والمعَادن ، سواءً كان ذلك يتعلّق بكل منهم في نفسه ، أم فيما يَتَعَصَّل بالآقربيين من ذويه ، أم فيما يضم أهل قبيلته ، أم فيما يشمل الناس جميعاً :

العنوان	الصفحة	رقم القصة
سبق السيف العَدْل	١٥٢	٥٨
إيثار ابن مامدة الإيادي	١٥٥	٥٩
وفاء السموءل	١٥٦	٦٠
لا حُرّ بِوادٍ عوف	١٥٧	٦١
مروءة حاتم	١٥٩	٦٢
ماوية تتحدث عن كرم حاتم	١٦١	٦٣
بين حاتم وماوية	١٦٣	٦٤
مروءة ووفاء	١٦٥	٦٥
مكرمة	١٦٩	٦٦
أجارة من الموت	١٧٢	٦٧
يزيد بن عبد المدان عند الحارث بن سيفنة	١٧٣	٦٨
إغاثة	١٧٧	٦٩
ارحموا عزيزاً ذلّ	١٨٠	٧٠
زعيم العجم وعمر بن الخطاب	١٨٢	٧١
أبو سفيان عند هرقل	١٨٣	٧٢

العنوان	الصفحة	رقم القصة
إسلام أبي ذرَّة	١٨٧	٧٣
جود عثمان بن عفان	١٨٩	٧٤
لبيد والوليد بن عقبة	١٩٠	٧٥
الخطيئه والز برقان بن بدر	١٩٢	٧٦
قدوم الخطيئه على عتبية بن النهار	١٩٩	٧٧
فقيه عند سعيد بن العاص	٢٠١	٧٨
قصر سعيد بن العاص	٢٠٣	٧٩
معاوية وسعيد بن العاص	٢٠٥	٨٠
كرم معاوية	٢٠٧	٨١
معاوية يغفو	٢٠٩	٨٢
الوف	٢١٢	٨٣
أسخي من البحر إذا زخر	٢١٤	٨٤
يجود على مقدار نفسه	٢١٥	٨٥
من حِيلِ الْكُرَمَاءِ	٢١٧	٨٦
يد عند عبيد الله بن العباس	٢١٨	٨٧
لو بدأت بي !	٢١٩	٨٨
اختبار الأجواد	٢٢١	٨٩
إنَّ هذَا لِأَسْخَنِي مِنِّي	٢٢٣	٩٠
إنا ننزل الضيف ولا نرحله !	٢٢٤	٩١
الأخطل محبوس في كنيسة	٢٢٥	٩٢
عُمارَةُ الْفَقِيهِ وَعَبْدُ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ	٢٢٦	٩٣
بين الحجاج الثقفي ويزيديد بن المهلب	٢٢٨	٩٤

العنوان	الصفحة	رقم القصة
زفر بن الحارث يجير خالد بن عتاب	٢٣٠	٩٥
احتكموا وأكثروا	٢٣٢	٩٦
أنت أخو الندى وحليفه !	٢٣٤	٩٧
ما كذب مذ شدّ عليه إزاره	٢٣٦	٩٨
أعطيك مالى إن شئتِ	٢٣٧	٩٩
الشمعة والسراج	٢٣٨	١٠٠
حديث عمر بن عبد العزى ز مع ابنه عبد الملك حين احتضر	٢٣٩	١٠١
غفة جرير وغبور الفرزدق	٢٤٠	١٠٢
خالد القسري وزياد بن عبيد الله	٢٤٢	١٠٣
الفقر خصم لجوج	٢٤٤	٦٠٤
يشتكي الفقر	٢٤٥	١٠٥
حدّثني عن أغرب مامراً بك	٢٤٦	١٠٦
النصرور وأهل	٢٤٨	١٠٧
هذا بفتحية أمير المؤمنين	٢٥٠	١٠٨
معن بن زائدة والأسود	٢٥٢	١٠٩
عقيد المجد والجود	٢٥٤	١١٠
مثلك يُصْطَانع	٢٥٥	١١١
نعمـة عدوك قلادة في عنقـي	٢٥٦	١١٢
جود عبد الواحد بن سليمان	٢٥٧	١١٣
أبو حنيفة يَرْعى الجوار	٢٥٩	١١٤
يربي الله الصدقـات	٢٦٠	١١٥

العنوان	الصفحة	رقم القصة
العرق دسّاس	٢٦٢	١١٦
إن بعد العُسرِ يُشرِّا	٢٦٤	١١٧
لاأسئل سواك ولو سيفتُ التراب	٢٦٩	١١٨
تيه وكرم	٢٧١	١١٩
لكل جديد لذة	٢٧٣	١٢٠
جود البرامكة	٢٧٤	١٢١
حسن الغفو	٢٧٩	٦٢٢
واعظ الرشيد	٢٨٢	١٢٣
أمويَّ عند الرشيد	٢٨٦	١٢٤
يواسي بعضهم بعضاً	٢٩٠	١٢٥
وفي للبرامكة	٢٩١	١٢٦
أفضل الأصحاب	٢٩٦	١٢٧
ما ولدت العربُ أَكُومَّـ منك	٢٩٧	١٢٨
الأصمى يطلب القرى	٢٩٩	١٢٩
لقد أمكنك الله من الوفاء	٣٠٠	١٣٠
إبراهيم بن المهدى والمأمون	٣٠٦	١٣١
من جود أبي دلف	٣١٣	١٣٢
عبد الله بن طاهر والخطبى	٣١٤	١٣٣
حسن المكافأة	٣١٦	١٣٤
رجوتك دون الناس	٣١٩	١٣٥
المأمون يغفو عن الحسين بن الضحاك	٣٢٠	١٣٦
وفاء كافور	٣٢٢	١٣٧

العنوان	الصفحة	رقم القصة
درس يُلقي على حاسد	٣٢٤	١٣٨
عفة الشريف الرضي	٣٢٧	١٣٩
أمين	٣٢٩	١٤٠

الباب الخامس

القصص التي تعدد غرائزهم وخصالهم ، فتكشف ما طبعوا عليه من وفرة العقل
وحدة الذكاء ، وصدق القراءة ، وقوة النفس ؛ وما أهّلتهم له طبيعة بلادهم ، وأسلوب
حياتهم من شريف السجايا ، ومدح الخصال :

العنوان	الصفحة	رقم القصة
غم من نجاح من الموت	٣٣٤	١٤١
وافق شنّ طبقة	٣٣٦	١٤٢
لن يَزَّحَ العبدان حتى يُفْتَلَا	٢٣٨	١٤٣
الذير	٣٣٩	١٤٤
حديث عن اسرى القيس	٣٤٠	١٤٥
صحيفة المتمس	٣٤٣	١٤٦
إن العصا قرعت لذى الحلم	٣٤٥	١٤٧
فطرة	٣٤٧	١٤٨
حدب على إخوته	٣٤٨	١٤٩
نافرنى إلى فناك فإنه نحيب	٣٥٠	١٥٠
أنا أعلم بقريش من قريش	٣٥٢	١٥١

العنوان	رقم القصة	الصفحة
أو قد جئتني سالماً	١٥٢	٣٥٤
الأحنف يفحى معاوية	١٥٣	٣٥٥
نوطى عليه يامزَين التماعِ	١٥٤	٣٥٦
ذكاء ابن عباس	١٥٥	٣٥٨
عمران بن حطان يتنقل في القبائل	١٥٦	٣٥٩
دهاء عمارة بن تميم اللخمي	١٥٧	٣٦٣
كيف رأيت فراتي في الأعراب؟	١٥٨	٣٦٥
من بدايه الشعراء	١٥٩	٣٦٧
قوة حجة	١٦٠	٣٦٩
إياس في مجلس القضاء	١٦١	٣٧٠
من ذكاء إياس	١٦٢	٣٧١
أدبنى فتأدب	١٦٣	٣٧٢
لا يقبل على إصطناع المعروف مكافأة	١٦٤	٣٧٤
حدر إبراهيم بن هرمة	١٦٤	٣٧٦
المنصور ودليله بالمدينة	١٦٦	٣٧٧
فطنة كاتب المنصور	١٦٧	٣٧٩
حيلة طريقة	١٦٧	٣٨١
الأمين والمأمون بين يدي الرشيد	١٦٩	٣٨٤
قرابجد وفرعا خلافة	١٧٠	٣٨٦
قررتاعين	١٧١	٣٩٠
حيلة وال	١٧٢	٣٩٣
أعطيتني على قدرى	١٧٣	٣٩٥

العنوان	رقم القصة	الصفحة
طاهر بن الحسين والمأمون	١٧٤	٣٩٧
همت بالأوطان وجداً بها	١٧٥	٣٩٩
فراسة أعرابي	١٧٦	٤٠٢
نابت الجنان	١٧٧	٤٠٤
إسحق الموصلى بين أبيه وابن جامع	١٧٨	٤٠٦
البحترى وأبو تمام	١٧٩	٤٠٨
فراسة عضد للدولة	١٨٠	٤٠٩
ملك لا تقتسم الطيور منه	١٨١	٤١١
صبي يهجو صبياً	١٨٢	٤١٣
رسولان	١٨٣	٤١٥

٢— فهرس الأعلام

- | | |
|---|--|
| ابن كعب الخزاعي : ٣٥٥
ابن مخزير : ٣٠ ، ٢٨
ابن المقفع : ٤٤
ابن البارنة : ١١٨
ابن هرمة (إبراهيم بن علي) : ٢٦٠ ، ٢٥٧
أبو إسحاق بن المأمون : ٣١٥
أبو بكر الصديق : ١٨٩ ، ١٣٩

٣٥٢

أبو بكر الإشبيلي : ١١٨
أبو بكر الملاح : ٤١٣
أبو بكر بن المنخل : ٤١٣
أبو بلال مرداس بن أدية : ٣٦٢
أبو تمام : ٤٠٩ ، ٤٠٨
أبو حذيفة الطرسوسي : ١١٦
أبو حنيفة : ٢٥٩
أبو خالد (وزير المهدى) : ٣١٧
أبو دوداد الإيادى : ١٩٩
أبو دلف العجلی (القاسم بن عيسى) :

٣١٣ | (١)
آمنة بنت وهب : ١٠٠
إبراهيم (عليه السلام) : ٨٢ ، ٧٢
إبراهيم بن سليمان : ٢٤٧ ، ٢٤٦
إبراهيم بن محمد الإمام : ٣٧٧
إبراهيم بن المهدى : ٦١ ، ٦٠ ، ٥٩
، ٣٠٦ ، ١١٤ ، ١١٣ ، ٦٢

٣١٢

إبراهيم الموصلى : ٢٧٤ ، ٢٧٣
، ٢٧٨ ، ٢٧٦ ، ٢٧٥

٤١٢

إبراهيم بن هرمة = ابن هرمة
ابن الباب (حاجب المأمون) :
٣٢١ ، ٣٢٠

ابن جامع : ٤٠٧ ، ٤٠٦
ابن الرومى : ١٢٠ ، ١١٧ ، ١١٦
ابن سريج : ٤٠ ، ٣٩ ، ٣٠ ، ٢٨
ابن سيرين : ٣٧٤

ابن عائشة : ٣٩ ، ٣١ |
|---|--|

- إسحاق بن إبراهيم الراقي : ٤٠٢
إسحاق بن إبراهيم الموصلي (المقني) :
، ٥٩ ، ٥٨ ، ٥٧ ، ٥٦ ، ٥٤
، ٢٦٧ ، ٢٦٤ ، ١٣٨ ، ١٢٣ ، ٦٠
٤١٣ ، ٤٠٦
- إسحاق بن أبي ربعي : ٤٠٢
أسد بن خوَيلد : ٩٨
- إسماعيل (عليه السلام) : ٩٦ ، ٨٢
- إسماعيل بن أحمد التجبي : ٦٥
- إسماعيل بن صبيح : ١٣٣
- الأسود العنسي : ١٧٢
- الأصمعي : ٢٩٩ ، ٢٩٨ ، ٢٩٧
، ١٧ ، ١٦ ، ١٥ ، ١٤
- أشى قيس : ١٧٢ ، ٣٤
- أشى همدان : ٤٤
- الأفعى الجرهى : ١٢٣
- امرأة القيس الكندي : ٣٤٠ ، ١٥٦
٣٤٧ ، ٣٤٢ ، ٣٤١
- الأمين بن الرشيد : ٢٥١ ، ١١٣
- ، ٣٨٥ ، ٣٨٤ ، ٣٢٦ ، ٣١٥
، ٣٨٩ ، ٣٨٨ ، ٣٨٧ ، ٣٨٦
- أم الحويرث (امرأة من خزاعة) : ١٤١ ، ١٤٠
- أبو ذؤيب المذلي : ١٣٨
أبُو ذر الغفارى : ١٨٧ ، ١٨٨
أبو سفيان بن أمية : ١٠٤ ، ١٨
٣٥١ ، ٣٥٠ ، ١٨٤ ، ١٨٣ ، ١٠٦ ، ١٠٥
- أبو طالب بن عبد المطلب : ٨١
١٠٣ ، ١٠٢
- أبو عبيدة بن الجراح : ١٣٩
أبو على القالي : ٦٤
- أبو عمر يوسف الرمادي : ٣٢٥ ، ٣٢٤
أبو العيناء (محمد بن القاسم) : ٣١٩
- أبو كبير المذلي : ٤٠٠
- أبو النشناس (أحد لصوص بن تيم) : ١٤٢
- أبو نصر الفارابي : ١٤٨
- أحمد بن أبي خالد : ٢٩١ ، ٢٩٥
٣١٧ ، ٣١٦ ، ٣١٠
- أحمد بن أبي دجاد : ١٤٦
- أحمد بن إسماعيل بن علي : ٢٤٩ ، ٢٤٨
٣٥٦ ، ٣٥٥
- الأحنف بن قيس : ٣٧٧
- الأحوص بن محمد : ٢٢٥
- الأخطل : ٣٦٧ ، ٣٦٢ ، ٣٦١ ، ٨٠

- | | |
|---|---|
| <p>بكر بن وائل (قبيلة) : ٣٣٩ ، ٨</p> <p>بليلة (منية) : ٣٦</p> <p>البلجاء (امرأة من الخوارج) : ٢١٤</p> <p>بني أبي طالب : ٣١٣</p> <p>بني الأنصر : ١٨٦</p> <p>بني أمية : ٢٤٦ ، ٥٣ ، ٥٢ ، ٤٣</p> <p>بني جفنة : ٣٤٩ ، ١٢</p> <p>بني زراة : ٩ ، ٨</p> <p>بني سهم : ٩٣</p> <p>بني شيبان : ١٥٧</p> <p>بني عبد المطلب : ٢٣ ، ٢٢</p> <p>بني عبد مناف : ٢٢ ، ١٦</p> <p>بني كعب بن ربيعة : ٢٢</p> <p>بنو مخزوم : ٩٦٩٣ ، ٨٢ ، ٨١</p> <p>بني المغيرة : ٩٣ ، ٩٢</p> <p>(ت)</p> <p>تميم (قبيلة) : ١٧٩ ، ١٦٠</p> <p>تميم بن جميل : ٤١١ ، ٤١٠</p> <p>(ث)</p> <p>ثقيف (قبيلة) : ٩٠</p> <p>(ج)</p> <p>جبريل بن بختشوع : ١١٢ ، ١١٠</p> | <p>أم شذرة : ١٩٣ ، ١٩٢</p> <p>أميمة بن أبي الصلت : ٩٣ ، ٩١ ، ٩٠</p> <p>أميمة بن عبد شمس : ٩٨</p> <p>أنف الناقة (قبيلة) : ١٩٣</p> <p>أنمار بن نزار : ١٢٤ ، ١٣٣ ، ١٢٣ ، ١٢٢</p> <p>أوس بن حارثة : ١٧١ ، ١٧٠ ، ١٦٩</p> <p>إياس بن معاوية : ٣٧١ ، ٣٧٠ ، ٣٦٩</p> <p>(ب)</p> <p>بُحْرَةَ بْنَ قَيْسَ الْقُشَيْرِيَّ : ٢٣ ، ٢٢</p> <p>البحترى : ٤٠٩ ، ٤٠٨</p> <p>بُحَيْرَى (الراهب) : ١٠٣ ، ١٠٢</p> <p>بُدَيْحَ : ٣٥٢ ، ٢٥٦ ، ١٥</p> <p>البراجم (قبيلة) : ١٥٩</p> <p>البراض بن قيس : ١١ ، ١٠</p> <p>البرامكة : ٥٦ ، ٥٢ ، ٥١ ، ٤٩ ، ٤٨</p> <p>برد الفؤاد : ٣٣</p> <p>بِرْ ذَعَةَ الْمُوسُوسَ : ١١٧</p> <p>برق الأفق : ٤١</p> <p>بشر بن أبي خازم : ١٧١ ، ١٧٠</p> <p>بشر المرىسي : ١٤٦</p> <p>بشر (خادم أبي دلف) : ٣١٣</p> <p>بغض (قبيلة) : ١٩٥ ، ١٩٤ ، ١٩٣</p> |
|---|---|

حَبَّابَةُ (الْمَغْنِيَةُ) :	٣٥
الْمَحَاجَاجُ بْنُ يَوْسَفَ التَّقْفِيُّ :	١٤٣
٤٣٦٣، ٤٣٠، ٢٢٩، ٢٢٨، ١٤٨	
٤٣٧١، ٤٣٧٠، ٣٦٩، ٣٦٨، ٣٦٦	
	٤١٥
حَرْبُ بْنُ أُمِيَّةَ :	١٠
حَرْبُ بْنُ خَالِدٍ :	٢٢٤
حَسَانُ بْنُ ثَابَتَ :	١٢، ١٦، ١٧
	١٩٦، ١٤١
الْحَسَنُ بْنُ سَهْلٍ :	٣١٦
الْحَسَنُ بْنُ عَلَى :	٣٥٢، ٤٢٠، ٢١٩
الْحَسِينُ بْنُ بَدرٍ = الزَّبْرَقَانُ بْنُ بَدرٍ	
الْحَسِينُ بْنُ الصَّحَاكَ :	٣٢٦، ٣٢٠
الْحَسِينُ بْنُ عَلَى :	٢١٤، ٢٠٨، ٢٠٧
	٣٥٢، ٤٢٠، ٢١٩
الْحَصِينُ بْنُ الْحَامِ :	١٧٧
الْحَطَّيْثَةُ :	١٩٤، ١٩٣، ١٩٢، ١٧٢
١٩٨، ١٩٧، ١٩٦، ١٩٥	
	٢٠٠، ١٩٩
حَفْصُ بْنُ سَلِيمَانَ :	٣٧٨، ٣٧٢
الْحَكْمُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّاصِرِ :	٦٤، ٦٣
حَمْدُونُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ النَّدِيمِ :	٦٠، ٥٩
	٦٢٦، ٦١

جَبَّلَةُ بْنُ الْأَيْمَمِ :	١٢
جَذَامُ (قَبْيلَة) :	١٧٥
الْجَرَادَاتَانَ (مَفْنِيَّاتَانَ) :	٧١، ٧٠
جَرْوَلُ بْنُ أُوسٍ = الْحَطَّيْثَةُ	
جَرِيرُ بْنُ عَطِيَّةَ :	٣٦٨، ٣٦٧، ٢٤٠
جَشْمُ (قَبْيلَة) :	١٧٨
جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ :	٢٠
جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْأَنْمَاطِيُّ :	١٤٦
جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى :	٥٨، ٥٥، ٤٧
٢٦٨، ٢٦٧، ٢٦٦، ٢٦٥، ٢٦٤	
٢٩٢، ٢٨١، ٢٧٧، ٢٧٣	
٣٩٢، ٣٩١، ٣٩٠، ٢٩٤، ٢٩٣	
جَحِيلَةُ الْمَعْنِيَّةُ :	٤٠ - ٢٨
(ح)	
حَاتِمُ الطَّائِيُّ :	١٦١ - ١٦٦، ١٨٠
حَاجِبُ بْنُ زَرَارَةَ :	٩، ٨
الْحَارِثُ بْنُ جَفْنَةَ :	١٧٦، ١٧٥
الْحَارِثُ بْنُ خَالِدٍ الْخَزَوِيُّ :	٢٨
الْحَارِثُ بْنُ ظَالِمٍ :	١٧٧
الْحَارِثُ بْنُ عَبْدِ الْمَطَلِّبِ :	٩٦
الْحَارِثُ بْنُ عَوْفَ :	١٧٧
الْحَارِثُ بْنُ گَلَدَةَ :	١٢٨، ١٢٧، ١٢٦
	١٣٠، ١٢٩

(ر)

رأفة المغنية : ١٢

راغب بن اليلث : ١١١

الريبع بن يونس : ١٠٧ ، ٢٥٥

، ٣٧٨ ، ٣٧٧ ، ٣٧٥ ، ٣٧٤

٣٨٧ ، ٣٨١

ربيعة بن نزار : ١٢٢ ، ١٢٣

١٢٥

ربيعة (قبيلة) : ٢٥٧

رجاء بن حنيفة : ٢٨٣

رحمة : ٣٤

الرشيد بن المعتمد : ١٢٠

رمست (قائد الفرس) : ١٨٢

روح بن زنباع : ٣٦٠ ، ٣٥٩

٣٦١

(ز)

البرقان بن بدر : ١٩٣ ، ١٩٢ ، ١٩٣

، ١٩٩ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، ١٩٧

٢٠٠

البرق القاضي : ٤٩

الزرقاء (المغنية) : ٣٦

زرياب : ٥٣

حنظلة بن أبي سفيان : ١٠٤

حنظلة (مضيف النعمان) : ١٦٨ ، ١٦٥

حنين المغنى : ٤٤

(خ)

خارجة بن يزيد : ١٢

خالد بن برمك : ١٤٥ ، ٤٤

خالد بن عتاب القسرى : ٢٤٢

٢٤٦ ، ٢٤٤

خالد بن عتاب : ٢٤٣ ، ٢٣٠

خالد بن الوليد : ٩٢ ، ٢١

خزيم بن نوفل : ١٥٣ ، ١٥٤

^{مُخْلِّيَّة} : ٣٦

مُخَامَّة بنت عوف بن مُحَمَّد : ١٥٧

الخمساء : ١٧ ، ١٦

(د)

داود بن سلم : ٢٢٤

داود بن يزيد الملهبي : ٣٩٥

^{دُبَيَّة} بن حَرَمَ الشيباني : ٨٧

دحمان الأشقر : ٤٠

دريد بن الصمة : ١٧٣

الدَّلَال : ٣٣

(ذ)

ذؤاب بن أسماء : ١٦٣

، ٢٠٥ ، ٢٠٤ ، ٢٠٣ ، ٢٠٢
 ٣٤٩ ، ٣٤٨
 سعيد بن عثمان : ٣٨١ ، ٣٨٢
 ٣٨٣
 سعيد بن مسجح : ٣٠ ، ٢٨
 ٤٣ ، ٤٢
 سعيد بن النعمان بن ثواب العبدى :
 ١٥٤ ، ١٥٢
 السفاح (الخليفة العباسى) : ٢٢٨
 ٣٧٣ ، ٣٧٢
 سفانة بنت حاتم : ١٦١ ، ١٨٠
 سفيان بن عيينة : ٢٨٢
 سلام (المغنية) : ٣٥
 سليم الأسود (خادم المنصور) ٢٤٨
 سليمان بن عبد الملك : ٢٢٩ ، ٢٢٨
 ، ٢٣٧ ، ٢٣٦ ، ٢٣٣ ، ٢٣٢
 ٣٤٣ ، ٣٤٢
 سليمان بن كثير : ٣٧٣ ، ٣٧٢
 السموءل : ١٥٦ ، ١٥٧
 سنان بن أبي حارثة : ١٧٧
 سنان (وصيف طريفة الكاهنة) ٧٤
 سوادة بن الخطيبة : ١٩٢
 (٢٨ - قصص أول)

زفر بن الحارث الكلابي : ٢٣٠ ، ٢٣٠
 ٣٦١
 زهير بن أبي سلمى : ١٩٩
 زياد بن أبيه : ٢٠٩
 زيادة بن عبد الله : ٢٤٣ ، ٢٤٢
 زيد بن عمرو : ٧٢
 (مس)
 معاذة بن النعمان بن ثواب العبدى :
 ١٥٦ ، ١٥٣ ، ١٥٢
 سالم بن عبد الله : ٢٧٤
 سالم (مولى أبي حذيفة بن عتبة) :
 ١٣٩
 سبأ : ٨٧ ، ٧٤
 سطيح الكاهن : ٨٦ ، ٨٥ ، ٨٤
 سعد (قبيلة) : ١٧١
 سعد بن عبادة : ١٣٨
 سعد بن مالك : ٣٤٥
 سعد بن النعمان بن ثواب العبدى : ١٨٨
 سعدى (أم أوس بن حارثة) : ١٧٠
 ١٧١
 سعدة (مفنية) : ٣٦
 سعيد بن العاص : ١٩٩ ، ٢٠١ ، ٢٠٠

- | | |
|--|---|
| طويس (المغني) : ٣٣
طبي (قبيلة) : ١٨٠ ، ١٦٠
(ع)
عائشة بنت جعفر البرمكي : ٤٩
عاتكة بنت يزيد بن معاوية :
٣٧٨،٣٧٧
عاد (قبيلة) : ٧١،٧٠
العاص بن وائل : ٩٣،٩٢
عامر بن صعصعة (قبيلة) : ٢٣،٢٢
عامر بن الطفيلي : ١٧٢،٢٧
عامر بن الظرب العدواني : ٣٣٤
عامر بن مالك : ١٧٤
العباس بن عبد المطلب : ١٠٤
، ٣٥٠ ، ١٠٦ ، ٢٨٤ ، ١٠٥
٣٥١
العباس بن المؤمن : ٣١٥
العباس (صاحب شرطة المؤمن) : ٣٠٣
عبد الرزاق بن هام : ٢٨٢
عبد الرحمن بن إبريق الأزدي : ١٤٠
عبد الرحمن بن الأشعث : ٣٦٣
عبد الرحمن بن حسان بن ثابت : ١٢
عبد الرحمن بن ملجم : ٣٦٠،٣٥٩ | سوار : ٢٦١ ، ٢٦٠
سيف الدولة بن حдан : ١٤٩،١٤٨
(ش)
شبيب بن شيبة : ٣٦٨ ، ٤٤
شُرَحْبِيلُ بْنُ السَّمْطِ : ٢٠٥
الشريف الرضي : ٣٢٨ ، ٣٢٧
الشريف المرتضى : ٣٢٨ ، ٣٢٧
شريك بن عمرو : ١٦٧ ، ١٦٦
شمس بن لأى : ١٩٥ ، ١٩٤
الشَّمَاسِيَّةُ (المغنية) : ٣٦
شمول (غلام صقلي) : ٦٦
شن (صاحب طبقة) : ٣٣٧ ، ٣٣٦
(ص)
صخر بن عمرو : ١٧
(ض)
ضباعية بنت عامر : ٢٣ -
ضفف (المغنية) : ١١٣
(ط)
طاهر بن الحسين : ٤١٣ ، ٤١٢
طبقة (صاحبة شن) : ٣٣٧ ، ٣٣٦
طرفة بن العبد : ٣٤٤ ، ٣٤٣
طريفة الكاهنة : ٧٦،٧٥،٧٤
طلحة بن عبد الله : ٢٣٥ ، ٢٣٤ |
|--|---|

١٠١، ١٠٠، ٩٩	
عبد الملك بن صالح : ١٣١	
عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز : ٢٣٩	
عبد الملك بن عمير : ٣٤٧، ٣٤٠	
عبد الملك بن مروان : ٢٢٦، ٤٤، ٤٢	
٣٦٥، ٣٥٩، ٢٣٧، ٢٣١، ٢٣٠	
٣٦٤، ٣٦٣	
عبد الواحد بن سليمان : ٢٥٨، ٢٥٧	
عبيد بن الأبرص : ١٩٩، ١٢٧	
عبيد الله بن زياد : ٢١٣، ٢١٢	
عبيد الله بن العباس : ٢١٥، ٢١٤	
٢١٨، ٢١٧، ٢١٦	
عبس (قبيلة) : ١٥٧	
عتبة بن التهابس : ٢٠٠، ١٩٩	
عمان بن حيyan المرىّ : ٢٣٣، ٢٣٢	
عمان بن عفان : ٩١، ٨٩	
عمان بن سليمان : ٢٦٢	
عدى بن أرطاة : ٣٧٤	
عدى بن حاتم : ١٨٠، ١٦٣، ١٦١	
١٨١	
عدى بن زيد : ٧٣، ٤٥	
عرابة الأوسى : ٢٢٢، ٢٢١	

عبد الرحمن الناصر : ٦٣، ٦٢	
عبد عمرو (ابن عم طرفة) : ٣٤٣	
عبد قيس بن خفاف البرجمي : ١٥٩	
عبد الله بن أبي ربيعة : ٩٤	
عبد الله بن جدعان : ٩٨	
عبد الله بن جعفر : ٣٢، ٢٥، ٢٤	
٢٢٣، ٢٢١، ٢٢٠، ٢١٩	
عبد الله بن حاتم : ١٦١	
عبد الله بن حذافة السهمي : ١٠٥	
عبد الله بن الزبير : ٣٥٢، ٢٢١	
عبد الله بن صفوان : ٣٥٣، ٣٥٢	
عبد الله بن طاهر : ٣١٥، ٣١٤	
٤٠١، ٣٩٩	
عبد الله بن عباس : ٣٥٨	
عبد الله بن عمر : ٣٥٢	
عبد الله بن معاوية بن أبي سفيان :	
٣٥٦	
عبد الله بن هاشم بن عتبة : ٢٠٩	
عبد المسيح بن عمرو : ٨٥، ٨٤	
٨٦	
عبد المطلب بن هاشم : ٨٢، ٨١	
٩٨، ٩٧، ٩٦، ٩٥، ٨٣	

٣٥٢، ١٩٨، ١٩٧، ١٩٦
 عمر بن عبد العزيز : ٢٣٧، ٢٣٦
 ، ٢٤١ ، ٢٤٠ ، ٢٣٩ ، ٢٣٨
 ٣٦٩ ، ٢٨٤
 عمر بن هبيرة : ٣٤٠ ، ٢٣٣ ، ٢٣٢
 عمرو بن أمية الضرمي : ٢٠
 عمران بن حطان : ٣٦٠ ، ٣٥٩
 ٣٦٢، ٣٦١
 عمران بن مهران : ٣٩٤، ٣٩٣
 عمرو بن سعيد بن العاص : ٢٠٣
 ٣٥٩، ٣٤٨، ٢٢٤
 عمرو بن شناس : ٣١
 عمرو بن العاص : ٩٢ ، ٢١ ، ٢٠
 ٢١١، ٢١٠، ٢٠٩، ١٩٧، ٩٦
 عمرو بن عاصم مُرْيقياً : ٧٦، ٧٥، ٧٤
 ٨٠ ، ٧٩ ، ٧٧
 عمرو بن قارب : ١٥٧
 عمرو بن مالك : ٣٤٥
 عمرو بن مسعدة : ٥١
 عمرو بن هند : ٣٤٣، ١٥٨
 عوف بن معلم : ١٥٨ ، ١٥٧
 عويف القوافي : ٢٣٤
 عيسى (عليه السلام) : ٧٣

عرار بن عمرو بن شناس : ٣١
 المرجي : ٢٨
 عروة بن عتبة بن جعفر (الرحال) :
 ١١٦١٠
 عزة (مفنية) : ٣٥، ٢٥، ١٢
 عطارد بن حاجب : ٩
 غفاراء السكاينة : ٨٠، ٧٩، ٧٨
 عقيل بن أبي طالب : ٢٠٧
 عقيلة (المفنية) : ٣٦
 علقة بن علامة : ١٧٢
 علوية : ٥٨، ٥٥، ٥٤، ٥٢
 علي بن إبراهيم : ١١٦
 علي بن أبي طالب : ١٨٧ ، ١٨٠
 ٣٦٠ ، ٢٢٣
 علي بن محمد : ٤٧
 عماراة بن تميم اللخمي : ٣٦٤ ، ٣٦٣
 عماراة بن حزة : ٢٧١، ١٤٥، ١٤٤
 ٣٧٢
 عماراة الفقيه : ٢٢٧ ، ٢٢٦
 عماراة بن الوليد : ٩٤، ٩٣، ٩٢
 عمر بن أبي ربيعة : ٣٠ ، ٢٩ ، ٢٨
 ٣٥٨ ، ٣٥
 عمر بن الخطاب : ١٨٢ ، ١٣٩ ، ٩٤

- | | |
|---|--|
| <p>القريعيون : ١٩٤</p> <p>قس بن ساعدة : ١٣٥، ١٣٤، ١٣١</p> <p>القعاع بن حبيب : ٢٣٢</p> <p>قيس بن سعد بن عبادة : ٢٢٤، ٢٢١</p> <p>قيس بن عامر المقرى : ١٧٧</p> <p>قيس (قبيلة) : ٢٣٢</p> <p>قيصر (ملك الروم) : ١٥٦</p> <p>قييل بن عُنق : ٧٠</p> | <p>أبو العيناء : ٣١٩</p> <p>(غ)</p> <p>الغربيض : ٣٩، ٣١، ٢٨</p> <p>غسان (قبيلة) : ٣٦٠</p> <p>غفار (قبيلة) : ١٩٠، ١٨٩</p> <p>غيلان بن سلبة : ١٨</p> <p>غيلان بن خرشة : ٢١٢، ٢٦</p> <p>(ف)</p> <p>فاطمة (زوج عمر بن عبد العزيز) : ٢٣٧</p> <p>الفرزدق : ٣٦٨، ٣٦٧، ٢٤١، ٢٤٠</p> <p>الفضل بن الرييم : ٥٥٦، ٥٥٥، ٥٤</p> <p>الفضل بن يحيى : ١٣١، ٥٤، ٥٠</p> <p>الفضل بن يحيى : ٢٧٢، ٢٧١، ٢٧٠، ٢٦٩، ١٣٦</p> <p>الفضل بن يحيى : ٢٩٥، ٢٩٣، ٢٨٠، ٢٧٦، ٢٧٣</p> <p>الفضل بن عياض : ٢٨٢ - ٢٨٥</p> <p>(ق)</p> <p>القاسم بن ربيعة : ٣٦٩</p> <p>قراد بن أجدع : ١٦٨، ١٦٧</p> <p>قريش (قبيلة) : ٢٢٠، ٢٠٠، ١٨</p> <p>٩٨، ٩٧، ٩٦، ٩٢، ٨٢، ٢٣</p> <p>١٨٨، ١٨٥، ١٥٣، ١٠٣، ١٠١</p> |
| <p>(ك)</p> <p>كافور الإخشيدى : ٣٢٢</p> <p>كثير عزة : ١٤١، ١٤٠</p> <p>الكسانى : ٣٩٠ - ٣٨٦</p> <p>كسرى : ٦٨٦، ٨٤، ١٩٦، ١٨٩</p> <p>١٣٠، ١٢٧، ١٢٦</p> <p>كعب (صحابي) : ١٣٧</p> <p>كعب بن مامدة : ١٥٥</p> <p>كندة (قبيلة) : ١٥٦</p> | <p>٢٣٧، ٣٦٧، ٢٤١، ٢٤٠</p> <p>٥٥٦، ٥٥٥، ٥٤</p> <p>٢٨٢، ٢٧٠، ١٠٩، ٦٠، ٥٨</p> <p>١٣١، ٥٤، ٥٠</p> <p>٢٧٢، ٢٧١، ٢٧٠، ٢٦٩، ١٣٦</p> <p>٢٩٥، ٢٩٣، ٢٨٠، ٢٧٦، ٢٧٣</p> <p>٣٩٢، ٣٩١، ٣٩٠، ٣١٨، ٣١٦</p> |
| <p>(ل)</p> <p>لؤى بن غالب : ٢١٣</p> <p>لبيد بن ربيعة : ١٩١، ١٩٠</p> <p>نلم (قبيلة) : ٣٦٠</p> <p>لثمان بن عاد : ٧٠</p> <p>لمب (قبيلة) : ١٤٢، ١٤٠</p> | <p>١٦٨، ١٦٧</p> <p>٢٢٠، ٢٠٠، ١٨</p> |

محمد بن عبد الرحمن الماشي : ٣٩٠
 ٣٩٣ ، ٣٩٢ ، ٣٩١

محمد بن عبد الله (الرسول ﷺ) :
 ١٠٠ ، ٨٧ ، ٨٤ ، ٢٣ ، ٢٢ ، ٢١ ، ٢٠
 ، ١٣٨ ، ١٠٤ ، ١٠٣ ، ١٠٢
 ، ١٨٩ ، ١٨١ ، ١٨٠ ، ١٣٩
 ٣٥٢ ، ٢٨٤

محمد بن عبد الله (مولى يحيى بن خالد) :
 ٢٩٥ ، ٢٩٣ ، ٢٩٢ ، ٢٩١

محمد بن الفضل الخراساني : ٣١٤
 ٣٨٠ ، ٣٧٩

محمد بن محمد بن يحيى : ٤١٦ ، ٤١٥
 محمد بن هشام بن عبد الملك : ٣٧٤
 ٣٧٥

محمد بن يزيد الأموي الحصني : ٣١٤
 ٣١٥

خمارق المغنى : ٢٧٤ ، ٢٧٣ ، ٥٤

٢٧٨ ، ٢٧٧ ، ٢٧٦ ، ٢٧٥

مذحج (قبيلة) : ١٧٨

مرئون بن عبد كلال : ٨٠—٧٨

مردادس بن حمير : ٢١٣ ، ٢١٢

مروان بن الحكم : ١٤٢

مروان بن زنباع : ١٥٨ ، ١٥٧

ليث بن مالك : ١٥٧
) م (

المأمون (الخليفة العباسى) : ٤٩٤٤٧
 ، ١٣١ ، ٥٥ ، ٥٤ ، ٥٢ ، ٥١
 ، ٢٩١ ، ٢٤٩ ، ١٤٧ ، ١٤٦
 ٣٠٧ ، ٣٠٦ ، ٣٠٠ ، ٢٩٧ ، ٢٩٢
 ، ٣١٩ ، ٣١٧ ، ٣١٢ ، ٣١١ ، ٣١٠
 ٣٨٨ ، ٣٨٥ ، ٣٨٤ ، ٣٢١ ، ٣٢٠
 ٣٩٨ ، ٣٩٧ ، ٣٩٠ ، ٣٨٩

مازن (قبيلة) : ٢٦٢

مالك بن أبي السمع (المغنى) : ٣٩ ، ٣٢

مالك (ابن حاتم الطائى) : ١٦٤

ساوية (زوج حاتم الطائى) : ١٦٢ ، ١٦١

١٦٤ ، ١٦٣

مبارك التركى : ١٤٤

المتلمس : ٣٤٤ ، ٣٤٣

الخلق . ١٦ ، ١٥ ، ١٤

محمد بن إبراهيم الإمام : ٢٧٠ ، ٢٦٩

محمد بن حميد الطبوسى : ٢٩٦

محمد بن خلف (وزير بهاء الدولة) :
 ٣٢٨ ، ٣٢٧

محمد بن زيد بن علي : ٣٧٥ ، ٣٧٤

محمد بن عبد البر الكيسانى : ٢٦٠

- | | |
|---|---|
| ملاعب الأستة = عامر بن مالك
مليكة بنت الحطينة : ١٩٥
المنذر بن سعيد : ٦٤، ٦٢
المنذر بن المغيرة : ٤٨
النصور بن أبي عامر : ٣٢٤، ٧٠
، ٤١٣، ٤١٢، ٤١١، ٣٢٥
منصور بن زياد : ٢٨٠، ٢٧٩
النصور (الخليفة العباسي) : ١٠٧
، ٢٤٦، ١٤٥، ١٤٤
، ٢٥٦، ٢٥٢، ٢٤٨
، ٣٧٨، ٣٧٧، ٣٧٦، ٣٧٤
المهدى (الخليفة العباسي) : ٣٦٠
، ٣٨١، ٣٧٩، ٣١٧، ٣١٦، ٢٦١
، ٣٨٣، ٣٨٢
موسى (عليه السلام) : ١٠٥
موسى بن يحيى البرمكي : ٥٠
(ن)
النابة الجعدى : ١١٣
النابة الذبيانى : ٢٧٣، ١٧، ١٦
نافع بن الأزرق : ٣٦٣
نافع بن طنبورة (المغنى) : ٣٢
نزار بن معد : ١٢٢
النعan بن ثواب العبدى : ١٥٣، ١٥٢ | مزاحم (مولى عمر بن عبد العزيز)
، ٢٣٩
المستكفى بالله : ٤١٦، ٤١٥
مسرور (خادم الرشيد) : ١١٢
مسلم بن عقبة المرى : ٢٠٦، ٢٠٥
مسلم بن عقيل : ٢٠٨، ٢٠٧
المسيب بن زهير : ١٤٥
مصر (قبيلة) : ٨
مضر بن نزار : ١٢٤، ١٢٣، ١٢٢
معاوية بن أبي سفيان : ٢٥، ٢٤
، ٢٠٨، ٢٠٧، ٢٠٦، ٢٠٥، ٢٠٣
، ٢١٧، ٢١٦، ٢١٥، ٢١٤، ٢١١
، ٣٥٧، ٣٥٦، ٣٥٥، ٣٥٤
معاوية بن بكر : ٢٧٢
معاوية بن عبيدة الله بن يسار : ٣٩٥، ٣٨٤
، ٣٠
المعتصم (الخليفة العباسي) : ٦٢-٥٩
، ٤١١، ٤١٠
معن بن أوس : ٣٠
معن بن زائدة : ٢٥٤، ٢٥٣، ٢٥٢
، ٢٥٧، ٢٥٦، ٢٥٥
مكشوح (قيس بن عبد يغوث) المرادي :
، ١٧٩، ١٧٣ |
|---|---|

- | | |
|--|--|
| هود (عليه السلام) : ٧٠
(و)
الواقدي : ٣٠٦
الوليد بن عبد الملك : ٢٢٩، ٢٢٨
، ٢٤٢، ٢٤٠، ٢٣٧، ٢٣٤، ٢٣٢
الوليد بن عقبة : ١٩٠
(ى)
يحيى بن أكثم : ٣١٩
يحيى بن خالد البرمكي : ٤٩، ٤٧
، ١٤٥، ١٤٤، ٥٨، ٥٧، ٥٠
، ٢٩١، ٢٨١، ٢٨٠، ٢٧٥، ٢٧٣
، ٣٣٢، ٣١٧، ٣١٦، ٢٩٣، ٢٩٢
، ٣٩٣، ٣٨٥، ٣٨٤
يحيى (حاجب يزيد بن المهلب) : ٢٣٣
يزيد بن المهلب : ٢٢٩، ٢٢٨
، ٢٣٣، ٢٣٢
يزيد بن عبد الدان : ١٧٤، ١٧٣
، ١٧٩، ١٧٨، ١٧٦، ١٧٥
يزيد بن عمرو : ١٧٣
يزيد بن شجرة الزهرى : ٢٠٥
يزيد بن معاوية : ٣٥٧، ٣٥٦
يهود : ١٨٤، ١٨٣، ١٠٦، ١٠٥ | النعمان بن المندز : ١٠، ٧٣، ٨٤
، ١٦٩، ١٦٧، ١٦٦، ١٦٥
، ٣٤٦، ٣٤٥، ١٧٥، ١٧٤، ١٧١
التمر بن قاسط (قبيلة) : ١٩٤
غومة الصحنى (مفنية) : ٣٣
(ه)
هارون الرشيد : ١١٢، ١١١، ١١٠
، ٢٧٤، ٢٧٠، ٢٦٩، ٢٦٨، ٢٦٤
، ٢٨٥، ٢٨٤، ٢٨٢، ٢٨١، ٢٧٩
، ٣٨٥، ٣٨٤، ٣٢١، ٢٨٩—٢٨٦
، ٤٠٧، ٣٩٤، ٣٩٣—٣٩٠، ٣٨٩
هاشم بن حرملة : ١٧٧
هاشم بن عقبة : ٢٠٩
هبة الله (مفنية) : ٣٤
هذيل (قبيلة) : ٢٦٢
المذيل بن زفر : ٢٣٢
هرقل : ١٨٦، ١٨٥، ١٨٤، ١٨٣
الهرمزان : ١٨٢
هشام بن عبد الملك : ٢٥٦، ٢٤٢
هند (أم معاوية بن أبي سفيان) : ٣٥١
هند (زوج الزبرقان بن بدر) : ١٩٣ |
|--|--|

— ٣ — فهرس الأماكن

(ح)

- الجبلة : ٩٨٩٤
 الحجاز : ١٨٤ ، ٢٨
 الحديبية : ١٨٥
 الحرثة : ٢٣٠
 حصن : ١٨٥
 الحيرة : ٢٤٧ ، ٢٤٦ ، ٤٤ ، ٤٣ ، ١٢
 خراسان : ٣٩٧
 خيبر : ١١
 خيف : ٢٩

(د)

- دمشق : ١٤٨ ، ٥٣ ، ٥٢ ، ٤٨ ، ٤١
 ، ٣٠٠ ، ٢٥٧ ، ٢٢٥ ، ٢١٨ ، ٢٠٩

٣٠٣ ، ٣٠١

النهاء : ٣٣٩

دومة الجنديل : ٣٣٩

(ذ)

ذو مرخ : ١٩٦

(ا)

- أجياد : ٢٩
 أصبهان : ٣٦٦ ، ٣٦٥
 (ب)
 البحرين : ٣٤٤ ، ٣٤٣
 البصرة : ٢٦٤ ، ٢٦٢ ، ٢٠٩
 بصرى : ١٨٤ ، ١٠٢ ، ٣١
 بطون نخلة : ٨٧
 بغداد : ٦٣٠٠ ، ١٤٦ ، ١٠٧ ، ٤٨
 ٤٠٩ ، ٣٠٤ ، ٣٠٢
 البقيع : ٢٠٣

(ت)

تهامة : ١٠٣ ، ١٠

(ج)

- جاسم : ٣٢
 الجدان : ٣٤
 جمع : ٤٨

(غ)		(ر)
غرناطة : ١١٨		الرقة : ٢٤٩، ١١٢، ١١٠
غزة : ١٨٤، ١٨٣		الرملة : ٤٠٢
(ف)		الري : ٤٠٠، ٣٠٦، ٢٧٠، ٢٤٣، ٢٣٠
الفرع : ٣٤		(ز)
(ق)		الزهراء : ٦٥، ٦٢
قرطبة : ٦٢		(س)
قرقرى : ١٩٢		ساواة : ٨٥، ٨٤
قصوان : ٨		(ش)
(ك)		الشام : ٨٥، ٨٢، ٧٢، ٥٢، ٤١، ٢٤
كافر (نهر) : ٣٤٤		، ١٨٦، ١٨٤، ١٠٢، ٩٦، ٩٠
كداء : ١٠٦		، ٢٤٢، ٢٣٠، ٢٢٥، ٢٠٥، ١٩١
(ل)		٣٤٩، ٣٢٧
لحج : ٢٩		(ص)
(م)		صفين : ٣٥٧، ٢١١-٢٠٩
مؤرب : ٧٧		العنان : ٣٣٩
مالقة : ٦٥		(ط)
محسر : ٣٨		الطائف : ١٩
المدينة : ٢١٦، ٢١٥، ٢٠٣، ١٩٩، ٢٩		طوس : ١١١
٢٥٧، ٢٤٠، ٢٣٧، ٢٣٢		(ع)
المربد : ٤٤		عدن : ٢٩
		العراق : ٢٤٢، ٢٣٢، ٢٠٩، ١٩٢، ١٨

نهران : ١٧٩، ١٢٢	٤٠٢، ٣٢٢، ٣١٤، ٢٣٦
نهر عيسى : ٣٢٨	٩٣، ٧٠، ٤٠، ٢٨، ٢١، ١١
(ى)	١٩٣، ١٠٦
يذب : ١٠١	الموصل : ١١٥
اليمامة : ١٤	(ن)
المين : ١٠٤، ٢٩	نجد : ١٠

٤ - مراجع القصص

- | | |
|------------------------|--------------------------------------|
| : لابن الجوزي | أخبار الأذكياء |
| : للماوردي | أدب الدنيا والدين |
| : لسعید الأفغانی | أسواق العرب |
| : لابن الكلبی | الأصنام |
| : لأبی الفرج الأصفهانی | الأغاني |
| | أمالی الزجاجی |
| | أمالی أبی علی القالی |
| : لابن ظفر الصقلبی | أنباء نجاء الأبناء |
| : لعلی بن خلافر الأزدی | بدائع البدائه |
| : لابن كثیر | البداية والنهاية |
| : للاؤوسی | بلغ الأرب في معرفة أحوال العرب |
| : للزبیدی | التجزید الصحيح لأحادیث الجامع الصحيح |
| : لابن جریر الطبری | تاریخ الأم وملوک |
| : للثعالبی | ثمار القلوب في المضاف والمنسوب |
| : لابن حبۃ الحموی | ثمرات الأوراق |
| : لأبی زید الخطابی | الجمرة |
| : للبغدادی | خزانة الأدب |
| : للحضری | خیل زهر الآداب |

: للحصرى	زهر الأدب
: لابن هشام	السيرة النبوية
: لنور الدين بن برهام الحلبي.	السيرة الخلبية
: لابن عبد الحكم	صيرة عمر بن عبد العزيز
: للمرصفى	شرح ديوان الحماسة
: للخالدين	شرح المختار من شعر بشار
: لابن أبي الحديد	شرح نهج البلاغة
: للدكتور فريد رفاعى	عصر الأمون
: لابن عبد ربه	العقد الفريد
: لأبى سالم محمد بن أبى طلحة.	العقد الفريد للملك السعيد
: لأبى الحسن على بن هذيل.	عين الأدب والسياسة
: لابن قتيبة	عيون الأخبار
: لأبى إسحاق الوطواط	غور الخصائص الواضحة
: للتنوخي	الفرج بعد الشدة
: لابن الأثير	الكامل في التاريخ
: للبربر	الكامل في الأدب
: للأبّ لويس شيخو	مجاني الأدب
: للميدانى	جمع الأمثال
: للجاحظ	المحاسن والأضداد
: للبيهقي	المحاسن والمساوى
: لابن عربى	محاضرات الأبرار
: لمحمد بن أحمد الأنبارى.	المختار من نوادر الأخبار (مخطوط)
: للسعودى	مروج الذهب

للستطرف في كل فن مستظرف	للا بشيهى
المطالعة العربية	للسترو . رايت بالتحف البريطاني
معجم الأدباء	لياقوت
معجم البلدان	لياقوت
معاهد التنصيص	لبدر الدين العباسي
اللتقى من أخبار الأسمى	
مهدب الأغانى	للسيد الخضرى
النجم الزاهره	لابن نفرى بردى
فتح الطيب	المقرى
نقائض جرير والفرزدق	لأبى عبيدة
نهاية الأرب	النويرى
الوزراء والكتاب	لجمهشيارى
وفيات الأعيان	لابن خلكان

٥ - مراجع الضبط والشرح والتحقيق والترجم

